الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية
الفترة (480-237 ق.م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه (ل م) في التاريخ

تخصص: تـــاريخ بلاد المغرب القديم

إعداد الطالب:

محمـد العيد تـلي

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد رشدي جراية

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد الحميد عمران	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
محمد رشدي جراية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفًا ومقررًا
السعيد شلالقة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا
التجاني مياطة	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	مناقشا
عبد الوهاب كيدار	أستاذ محاضر أ	جامعة الأغواط	مناقشا
بوبكر مريقي	أستاذ محاضر أ	جامعة الأغواط	مناقشا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

[سورة العنكبوت، الآية 35]

الإهداء

أحمد الله الكريم الذي بلغني هذا المآل... فالحمد الله دائما وأبدا ومطلقا

أهدى ثمرة جهدي إلى أمي، التي قدمت لي الدعم طيلة مسيرتي الدراسية

إلى روح أبي الطاهرة، وأخي طليبة الغالي طيب الله ثراهما

إلى إخوتي وأخواتي... وإلى كل أفراد عائلتي

إلى صديقي سامي شامبي

وإلى كل من يتمنى لي الخير

شكر وعرفان

مهما قمنا بمجهودات لإنجاز عمل فإنه لا يمكننا أن نستغني على مساعدة الآخرين خاصة في ميدان البحث العلمي، والذي لا يتم دون تلقى مساعدة من المحيطين بنا.

وفي مقدمة هؤلاء أذكر الأستاذ المشرف محمد رشدي جراية الذي تابعني بإخلاص وأجاد النصح، ووقف على مراحل العمل مؤطرا وموجها ومقوما وناقدا وحاضرا، ولو لا صبره معي وتوجيهاته لما ظهر هذا البحث بالشكل الذي هو عليه الآن.

كما أشكر جميع الأساتذة والزملاء، الذين قدموا لي يد العون سواء من قريب أو من بعيد... وأخص بالذكر أستاذي السعيد المشردي.

وأوجه شكر خاص لجميع عمال المكتبات، والمؤسسات العلمية، التي قدمت لي يد العون، والمساعدة لإتمام هذا الدراسة، لاسيما في تونس والجزائر العاصمة.

قائمة المختصرات

A.J.A:	American Journal of Archaeology.
A. Q. R. A:	Antiquity Quarterly Review of Archaeology
C.A.H:	The Cambridge Ancient History
C.R. A.I:	Comptes Rendus de L'Académie des Inscription et Belles Lettre de Paris
F. R. H:	The Forum Roman History
J. H. S:	The Journal of Hellenic Studies
H.S:	The Histoire des Sciences
L. C. L:	The Loeb Classical Library
M. L. E:	The Modern Library Edition
N. C:	The Numismatic Chronicle
R.A:	Revue Archéologique, paris
R. Af:	Revue Africaine, Alger
W.C.S:	The World In Color Series

مقدمة

تعد قرطاج إحدى أقوى وأعظم دول العالم القديم المطلة على حوض المتوسط، حيث استطاعت مواجهة، وتحدي الكثير من الشعوب القديمة، التي عاصرتها على غرار الإغريق والرومان،و تمكنت من تولي زعامة جميع الفينيقيين في الحوض الغربي للمتوسط بعد الوهن الذي أصاب مدينتها الأم "صور"، بسبب تكالب دول وامبراطوريات وقوميات أخرى عليها، تاركة الغرب الفينيقي مواجها تهديد القوى المتنامية الجديدة.

وأمام هذه الظروف كانت قرطاج على قدر المسؤولية التي ألقيت على عاتقها، وحملت بقوة وشجاعة لواء الدفاع عن هذه التركة الثقيلة والذود عنها، بل عملت على تنميتها وتوسيع أرجائها، مما تسبب في خلق صراع شبه دائم مع الإغريق، أثر عليها في كافة المجالات، لاسيما بعد معركة هيميرا (480 ق.م)، التي أدت إلى سقوط الملكية وظهور طبقة من ملاك الأراضي نعتوا بالأرستقراطيين، الذين سيطروا على زمام الحكم خلال منتصف القرن الخامس قبل الميلاد راسمين حقبة جديدة في التاريخ القرطاجي عرفت بالمرحلة الأرستقراطية، حيث قاموا بدور مهم في تاريخ قرطاج، ويظهر ذلك بشكل جلي من خلال التعديلات التي أدخلوها على الجانب السياسي والعسكري والاقتصادي والديني، وعلى الرغم مما كانت تعانيه قرطاج خلال هذه الحقبة من توترات داخلية، وما واجهته من تحديات خارجية إلا أنها تمكنت بفضلهم من أن تصبح أعظم مدينة في حوض المتوسط خلال الفترة الممتدة ما بين (480-237 ق.م).

وقد تم اختيار هذا الموضوع بدافع الرغبة الشخصية للبحث في التاريخ القديم حول حوض المتوسط الغربي، لاسيما الدولة القرطاجية على إعتبار أنها أولى الحضارات التاريخية المزدهرة التي عرفتها هذه المنطقة.

أما من الناحية الموضوعية فلأن قرطاج هي الكيان الأقل دراسة مقارنة بالأبحاث التي أجريت على الحضارات المطلة على البحر الأبيض المتوسط، ويعود ذلك لقلة الأدلة المتاحة للدراسة التاريخية، نظرا للطبيعة الشاملة للتدمير الروماني وإعادة استخدام الموقع لاحقا، بحيث لم تستعد الحفريات الأثرية في قرطاج إلا أجزاء محدودة فقط من البيئة المبنية.

كان تحيز أغلب الكتابات الغربيية سواء القديمة أو الحديثة لبني جلدتهم من الإغريق والرومان، والعمل على توصيف هذه المرحلة من تاريخ الحضارة القرطاجية بالحقبة الأسوء، حيث عملت هذه الكتابات على توثيق النشاط العسكري القرطاجي في غرب البحر

الأبيض ليصبغ الدولة القرطاجية بالصبغة الاستعمارية مهملين بذلك بقية الجوانب الحضارية التي شهدت تطورا خلال الحقبة الأرستقراطية، كدافعا آخر للقيام بهذه الدراسة.

يضاف إلى ما سبق أن أغلب الدراسات في الجامعة الجزائرية التي تناولت هذه الحقبة من تاريخ قرطاج اقتصرت دراساتهم على طبيعة العلاقات القرطاجية بمحيطها الإفريقي، وكسب أراض جديدة وظهور الممالك المستقلة في بلاد المغرب القديم، والحروب التي عرفتها قرطاج دون التطرق بالدراسة التحليلية المتخصصة إلى أوضاع قرطاج الداخلية، وعلاقاتها بالشعوب الأخرى وما ترتب عليها من تغيرات مهمة في الجانب السياسي والعسكري الاقتصادي والديني في ظل الحكم الأرستقراطي.

كما أن أوضاع الدولة القرطاجية خلال هذه المرحلة والتي بنيت وفق رؤية الأرستقراطيين تثير فضول الباحث بتركيبتها الغريبة وعناصرها المتناقضة.

السعي في تقديم صورة متكاملة عن الأوضاع الأساسية التي طالتها تغيرات في قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية.

لهذه الأسباب وقع الاختيار على هذا الموضوع الذي تم تحديد حيزه المكاني في قرطاج وما يدور في مجالها من مناطق، وضبطنا حقبته الزمانية بالفترة الممتدة ما بين (480 ق.م–237 ق.م)، فالتاريخ الأول (480 ق.م) يمثل انهزام قرطاج أمام الإغريق في واقعة هيميرا بصقلية ويعد هذا التاريخ بداية دخول قرطاج لمرحلة تاريخية جديدة ذات ملامح أرستقراطية بناء على ما اعتمده علماء الآثار، من خلال ربط الروايات الخبرية مع الأدلة الأثرية، هاته الملامح تعود جذورها إلى ما قبل القرن الخامس قبل الميلاد، بينما يمثل التاريخ الثاني(237 ق.م) نهاية هذه الحقبة والدخول إلى المرحلة الديمقراطية، رغم أن تأثير الأرستقراطية ظل مستمرا ولو بشكل نسبي حتى سقوط قرطاج على يد الرومان في (146 ق.م).

ومن هذا المنطلق جاءت الإشكالية الرئيسية كتالي:

ما الآليات التي انتهجها الأرستقراطيين في تسيير النشاط السياسي والعسكري والاقتصادي والديني في قرطاج؟.

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة أسئلة فرعية متمثلة فيما يلي:

ماهي ظروف ظهور الفترة الأرستقراطية؟ وبماذا تميزت المنظومة السياسية في قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية؟ وكيف كانت العلاقة بينها وبين المؤسسة العسكرية؟.

وفيما تمثلت الأدوات والأساليب والطرق التي عبر بها الفرد القرطاجي عن تجربته الاقتصادية والدينية خلال الحقبة محل الدراسة؟.

وللإجابة على هذه الإشكالية والتساؤلات تم رسم خطة لدراسة أهم الملامح السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية في قرطاج خلال الحقبة الأرستقراطية، من خلال تخصيص فصل تمهيدي، وخمسة فصول رئيسة تخدم الموضوع بطريقة مباشرة، ويندرج تحت كل فصل ثلاث محاور أساسية، ويندرج تحت كل محور عدة عناصر ثانوية، ويمكن تقديم ملخص لأهم ما جاء في خطة العمل كما يلي:

الفصل التمهيدي: ويتناول جغرافية قرطاج وتاريخ ميلاد المدينة، حيث تم الإشارة إلى نشأة قرطاج، وذلك من خلال تقديم دراسة سريعة عن موقعها وخصائصها الطبيعية، وأصل السكان والتسمية، والتطرق إلى إشكالية تاريخ نشأتها بين المصادر الأدبية والمادية، وأسباب اعتماد القرن التاسع قبل الميلاد كتأريخ لتأسيسها.

الفصل الأول: التعرض إلى تطور قرطاج، وذلك بتتبع المراحل المفصلية في تاريخها حتى نتمكن من معرفة الأرضية التي سيبنى عليها الموضوع، والتي سيكون مسرحها المرحلة الأرستقراطية، بداية بالمرحلة الملكية وميزاتها السياسية.

وصولا إلى المرحلة الأرستقراطية التي عرفت بدايتها اضطرابات عسكرية وسياسية واقتصادية كانت من العوامل الأساسية التي ساعدت الأرستقراطية القرطاجية في الوصول للحكم، وظهور قرطاج منذ هذه الحقبة بثوبها السياسي الجديد ذات قوة ثنائية تمثلت في إمبراطورية بحرية وأخرى برية.

وبعدها المرحلة الديمقراطية، والتي طغت على سيرورتها الأحداث العسكرية، وانتهت بتدمير قرطاج على يد الرومان مع الإشارة إلى استمرارية تأثير الأرستقراطيين ولو بشكل نسبي في هذه الأخيرة.

الفصل الثاني: يستعرض النظام السياسي والإداري في قرطاج الارستقراطية، حيث انطلقت دراسة هذا الفصل من زوال النظام الملكي، واستبداله بالنظام الأرستقراطي الذي نجم عليه ولادة الدستور القرطاجي، هذا الأخير الذي حظي باهتمام المؤرخين القدامى الذين عددوا مزاياه، وعلى رأسهم أرسطو طاليس، كما أشرنا إلى بعض السلبيات التي انطوى عليها على غرار بروز ظاهرة الرشاوي، زيادة عن تهميش الشعب في ممارسة السلطة.

ثم إلى تشكل الهيئات الحاكمة والتي كان على رأسها الشفطان "الحاكمان" اللذان اختصا بتسيير شؤون الدولة لمدة عام واحد بالتعاون مع مجلس الشيوخ، إضافة إلى محكمة المائة والأربعة، ومجلس الشعب، كما تم الإشارة بشكل سريع إلى مجموعة من المؤسسات المنبثقة عن الدستور والتي تقوم بتصريف الشؤون اليومية.

و التطرق أيضا إلى سياسة قرطاج للمناطق التي تدور في فلكها، من خلال العلاقة فيما بينها والنظام الضريبي والمواطنة، وفي الغالب تبدو الاستراتيجية التي انتهجتها قرطاج تجاه المناطق التابعة لها، بأنها استهدفت منها خدمة مصالحها بالدرجة الأولى، مقابل ما التزمت به حيال تلك المناطق من توفير الحماية.

الفصل الثالث: يتمحور حول النظام العسكري القرطاجي و مجال نشاطه في قرطاج الأرستقراطية، لاسيما وأن الجانب العسكري، كان له في كثير من الأحيان كلمة الفصل في حسم المواقف المختلفة، حيث سنلاحظ تعديلات في المؤسسة العسكرية سواء الجيش البري أو البحري.

ثم بروز قوى متوسطية أخرى دفعت بأرستقراطية قرطاج حتما للدخول في نزاعات عديدة للدفاع عن مصالحها التجارية والاستراتيجية، وكان أول نزاع لها مع الإغريق الغربيين لاسيما الطغاة الحاكمين بالمدن الصقلية، وأخطرهم طغاة مدينة سيراكوزة، أما خلافها الثاني فهو مع روما من خلال الحرب البونية الأولى، حيث كان الصراع حاسما ومصيريا أدى إلى بداية تراجع الحكم الأرستقراطي، وما زاد الطين بلة تزعزع الأمن والاضطرابات الداخلية لقرطاج نتيجة الثورة اللوبية وتمردات المرتزقة عقب نهاية الحرب البونية الأولى مباشرة، إذ قضت هذه الثورة على الحكم الأرستقراطي في قرطاج، ليصل أصحاب المبدأ الديمقراطي إلى الحكم ممثلا في عائلة آل برقة.

وجاء عنصرا للتحصينات والأسلحة خلال الحقبة محل الدراسة،حيث سنرى بأن التحديات الخارجية والداخلية التي شهدتها قرطاج، لا سيما مواجهتها مع إغريق صقلية دفعت بالأرستقراطيين لبذل الكثير من الجهد والمال، فضلا على دفع جنيرالاتها إلى تبني استراتيجيات جديدة لمواجهة ما يترتب على مجريات الأحداث في ميادين القتال.

الفصل الرابع: يتطرق هذا الفصل للحياة الاقتصادية في قرطاج الأرستقراطية، حيث يستعرض وضعية قرطاج الاقتصادية وما نجم عنها، نتيجة هزيمة هذه الأخيرة أمام الإغريق في

الحوض الغربي للمتوسط، وبالضبط في معركة هيميرا، التي أسفر عنها تحول منظار الأرستقراطيين في اقتصادهم نحو المجال الإفريقي، واستحواذهم على الكثير من الأراضي الزراعية، وزيادة العناية بمنتوجاتها والثروة الحيوانية، ويتضح ذلك من كتاب ماغون، كما تطرق الفصل إلى اهتمامهم بالصناعة كبدائل جديدة في اقتصادهم.و تمكن أرستقراطية قرطاج من العودة للتجارة البحرية، بعد سبعين سنة من انتكاسة هيميرا، والمنافسة مع القوى المتنامية، لا سيما أن المحافظة على الأسواق والموانئ التجارية والشبكة المؤدية إليها كانت على رأس اهتمامات الحكومة القرطاجية الجديدة، والمحرك الأول لسياستها الخارجية، كما ظهر الاهتمام بالتجارة البرية، وسك العملة، والرحلات الاستكشافية.

الفصل الخامس: ركزت الدراسة هنا على الحياة الدينية في قرطاج الأرستقراطية، وذلك من خلال الدوافع التي أدت بأرستقراطية قرطاج إلى إدخال تعديلات على المظهر الديني، لاسيما مجمع الآلهة والتطرق بشكل مفصل للآلهة الرئيسية خلال هذه الحقبة، والجدل الذي دار حول أصولها وطبيعتها، ثم المعابد والكهنة، وبعدها العقائد العامة، وتم التركيز بصورة أساسية على التقليد المتعلق بالتضحية البشرية، وعقائد ما بعد الموت، و أنواع المقابر والجبانات الأكثر انتشارا.

وجاءت خاتمة البحث لعرض أهم ما يمكن أن نستخلصه من هذا الدراسة كإجابة على ما ورد في أوله من إشكاليات.

كما تضمنت الدراسة حوالي ستة خرائط وظفت داخل المتن نظرا لأنها تخدمه وتدعمه بشكل مباشر، وألحق بالبحث مجموعة من الملاحق رأيناها وظيفية وهادفة متمثلة في مجموعة من الأشكال والصور التي تساعد القارئ على فهم بعض النقاط الواردة في المتن.

ثم أتبع ذلك بجرد أهم مصادر ومراجع البحث مرتبة بحسب طبيعتها ولغتها، ودراسات أخرى منشورة وغير منشورة على غرار الدوريات والجرائد، والأبحاث والدراسات الأكاديمية، والموسوعات والمعاجم، والأطروحات والرسائل الجامعية، والمحاضرات، والمواقع الالكترونية.

وفي الأخير تخريج فهارس شاملة للخرائط والأشكال والصور ثم الأعلام، و أخيرا أورد فهرس لمحتوى البحث مفصلا مع ذكر الصفحات.

والجدير بالذكر ونظرا لغموض الموضوع وطبيعته فقد اقتصر البحث منذ البداية على دراسة أربع جوانب، وهي "السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية"، وذلك بعد موافقة الأستاذ المشرف واللجنة العلمية التي حكمت الموضوع، كون هذه الجوانب التي طالتها تغييرات فاعلة خلال الحقبة محل الدراسة، وأشارت إليها المصادر الكلاسيكية ووفقتها المادة الأثرية في بعض جوانبها، بينما تفادينا التطرق إلى الأوضاع الثقافية والاجتماعية التي سكتت عليها الكتابات القديمة، ولم يتوصل البحث الأثري إلى تحديد خصائصها خلال المرحلة الأرستقراطية،وإنما ذكرت هذه الجوانب بشكل عام وشحيح ضمن التاريخ القرطاجي العام. بما أن البحث استهدف وصف التطورات والتحولات التي طرأت على الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية في قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية، ورصد مواقف الدراسات منها، لم نلتزم منهجا واحدا أثناء العمل، بل اعتمدنا منهجا يجمع بين التاريخي والتحليلي والمقارن، للوقوف على حيثيات المشهد القرطاجي خلال العصر الأرستقراطي. فالتاريخي تم توظيفه في تتبع بعض جزئيات الموضوع وجمعها وإعادة ترتيبها وفق أهداف الدراسة، ويظهر ذلك بشكل واضح خلال دراسة أدوار الحضارة القرطاجية.

ثم التحليلي الذي يساعد على فهم وإدراك نصوص المؤرخين وآراء الدارسين وكان استخدامه في عدة مواضع، لاسيما عند التحدث عن العوامل التي ساعدت أرستقراطية قرطاج في الوصول إلى الحكم وتاريخ تـ سيس مدينة قرطاج، وكذلك بالتطرق إلى الثورة اللوبية، و والتطورات التي شهدتها الزراعة .

أما المقارن فكان استخدامه عند الجمع بين النصوص والنصوص المخالفة لها للوقوف على أوجه الخلاف والوفاق، لاسيما عندما تم التطرق إلى اللآهة الرئيسة وظاهرة القرابين البشرية وبناء ميناء قرطاج، والرحلات الاستكشافية .

ولتحرير العمل تتبعنا مادة الموضوع من خلال جملة من المصادر والمراجع المتنوعة وكان استخدامها بدرجات متفاوتة، وذلك على حسب أهميتها ومعالجتها لموضوع الدراسة ومنها:

المصادر الكلاسيكية والمتمثلة في كتابات المؤرخين الإغريق واللاتين، وتميزت عموما بشح معلوماتها وتقطعها، وتناقضها في عدة مواضع، بل كان يشوب هذه الكتابات الكثير من التجني والتحامل، نظرا للعداء والكراهية والحقد الذي يكنونه للقرطاجيين في صدورهم، فضلا على أن هذه الكتابات تركز بشكل ملحوظ ومستفيض على الحروب القرطاجية سواء ضد

الإغريق أو الرومان، أما بالنسبة لباقي الجوانب من التاريخ القرطاجي كانت قليلة، ولكن هذا لا يجعلنا نقلل من القيمة التاريخية لها وضرورة الرجوع إليها في هذه الدراسة لكن بمزيد من الحذر والحيطة، وأهم المصادر المعتمدة:

الموسوعي الإغريقي "أرسطو طاليس" الذي عاش خلال القرن الرابع قبل الميلاد، وعاصر ازدهار الحضارة القرطاجية، وقدم معلومات غنية عن النظام السياسي والإداري فيها، لاسيما فيما يتعلق بدستورها، وذلك في كتابه "السياسة".

المؤرخ اللاتيني "جوستين" الذي عاش خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وقدم بدوره معلومات غزيرة عن تاريخ قرطاج والعالم الفينيقي البوني، ومن ذلك تناوله مسألة تاريخ قرطاج منذ تأسيسها، وأزماتها الداخلية، وعلاقاتها الخارجية وحروبها في صقلية جاء ذلك في كتابه "التواريخ الفليبية". الذي فيما يبدو أنه مقتبس من "بومبيوس".

المؤرخ الإغريقي "بوليب"، الذي عاش في الفترة (204-122 ق.م) وقد قدم معلومات مهمة عن قرطاج في كتابه "التواريخ"، خاصة عن الحرب البونية الأولى والثورة اللوبية كما أشار إلى دستور قرطاج.

المؤرخ الإغريقي "ديودور الصقلي" الذي عاش في الفترة الواقعة (80-20 ق.م) وقد أورد معلومات عن قرطاج في مؤلفه "المكتبة التاريخية"، لاسيما فيما يتعلق بصراع قرطاج ضد الإغريق، وعلى رأسها حملة أجاثوكليس على قرطاج، وتطرق إلى الجانب الديني من خلال ظاهرة التضحية البشرية في العالم القرطاجي.

الجغرافي الإغريقي "سترابون" الذي عاش بدوره (63 ق.م-20م) ومن المعلومات المهمة التي يقدمها عن قرطاج معلومات جغرافية وكذلك ديمغرافية تتعلق بسكان المدينة وذلك في مؤلفه "الجغرافيا".

المؤرخ اللاتيني "تيت ليف" الذي عاش في الفترة (59 ق.م– 17م) مؤلف كتاب "التاريخ الروماني"، وقد خصص بعض فقراته لتاريخ قرطاج لاسيما حروبها مع روما، معتمدا في كتاباته على "يوليوس قيصر" كمصدر، ومن جهة أخرى تحدث عن وجود محكمة عدل بقرطاج وأشار إلى دور أعضائها.

بالنسبة للمراجع، فيمكن الإشارة إلى مجموعة من الدراسات التي جاءت باللغة العربية والتي كانت بمثابة أعمال حاولت انصاف القرطاجيين وتاريخهم، لاسيما أنها حاولت المقارنة

في العديد من المواضع بين ما جاء في المصادر الأدبية، وما أسفرت عليه النتائج الأثرية، ومن ذلك "محمد حسين فنطر" ومن أهم مؤلفاته " قرطاج (لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية) "، و"الحرف والصورة في عالم قرطاج"، و"التربية والثقافة في قرطاج (814 ق.م-698 ب.م)"، وكذلك مؤلفات "محمد الصغير غانم" وأهمها " التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط " و"معالم التواجد الفينيقي القرطاجي". ودراسات "عبد الحفيظ فضيل الميار" في كتابه "الحضارة الفينيقية في ليبيا"، و"الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر" في كتابهما "قرطاج البونية"، و"حسام أبو سعدة" في كتابه "حضارة قرطاجنة".

ومن المراجع المهمة أيضا، مجموعة من الكتب المترجمة للغة العربية، والتي تضم بعض التفاصيل المهمة حول الموضوع، على غرار " فرانسوا دوكريه" في كتابيه "قرطاجة أو إمبراطورية البحر" و"قرطاجة الحضارة والتاريخ". وكذلك "جان مازيل" في كتابيه "الحضارة الفينيقية الكنعانية" و"مع الفينيقيين في متابعة الشمس". وأيضا "جورج كنتنو" في دراسته "الحضارة الفينيقية"، بالإضافة إلى "جيمس ويللارد" في مؤلفه "الصحراء الكبرى".

ومجموعة من المراجع باللغة الأجنبية التي أفادة الدراسة في مواضع عدة سيما وأنها حملت معلومات غزيرة ومتنوعة عن التاريخ القرطاجي، وكان من أهمها "جيلبرت شارلز وكوليت بيكارد" في كتابه " الحياة اليومية في قرطاج زمن حنبعل"، ونجد أيضا "لانسل سيرج" في مؤلفه "قرطاج" وكذلك "سباتينو موسكاتي" في كتابه " عالم الفينيقيين "، و"الهادي سليم" ونخبة من المؤلفين "تاريخ تونس العام في العصور القديمة"، بالإضافة إلى كل من "عائشة بن عبد بن خضر وديفيد سورين" في كتابهما "قرطاج: فسيفساء من تونس القديمة"، و"ب.هـ. وارمنجتون" صاحب مؤلف "قرطاج"، و"تشارلز رولين"، في كتابه "التاريخ القديم للمصريين، القرطاجيين، الآشوريين، البابليين ، الميديين والفرس ، المقدونيين واليونانيين".

وعدد من المقالات الواردة في عدة مجالات، أفادة الموضوع في شرح بعض المصطلحات التي ارتأينا أنها ضرورية للشرح، وكذلك معلومات مهمة لدعم بعض وجهات النظر التي جاءت في المتن، وكان أهمها باللعة العربية مقال "فوزي مكاوي" "تطور نظام الحكم في قرطاج" و"محمد العربي العقون" "من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237 ق.م)"، و"محمد علي عيسى" "الفن في منطقة شمال إفريقيا"، وباللغة الأجنبية

كانت أهم هذه المقالات "دونالد هاردن"، "الفينيقيون على الساحل الغربي لأفريقيا"، و"س. هويجيغو" "التاريخ القديم من العملات المعدنية".

ولابد من الإشارة إلى توظيف مجموعة من الأبحاث والدراسات الأكاديمية وكان أبرز هذه الأبحاث "نبيل قلالة" "قرطاج: قوة متوسطية"، و"المتوسط الغربي: رهان الصراع القرطاجي الروماني (241-146 ق.م)" لنفس المؤلف، و"جون هامرتن" "بداية سلطان روما" و" ج. ل. ميزر" "الأترورين والقرطاجيون، أصلهم، تكاثرهم"، و"محمد حسين فنطر" "الحضارة في قرطاج"، و"ب.هـ. وارمنجتون"، "العصر القرطاجي"، وجملة من الدراسات الأكاديمية المطبوعة في عدة ملتقيات وحتى بعض المعلومات من ملتقيات غير مطبوعة حضرها الباحث بنفسه ونذكر من هذه "فريد الزراد"، "البحرية التونسية من العهود القديمة إلى عهد الولادة، (أعمال ندوة تاريخ الجيش التونسي من العهود القديمة إلى عهد التحول)"، و"عز الدين مجاني"، "قراءات نقدية حول أحداث معركة زاما ومصير حنبعل، (أشغال الملتقى الوطني حنبعل وروما ومصير إفريقيا)".

وعدد معتبر من الموسوعات والمعاجم التي اشتملت دراسات مختلفة لمجموعة من المؤلفين، كان أهمها "حنان قرقوتي" "الحضارة الفينيقية"، و"جمعة شيخة" "الحضارة القرطاجية (القرطاجيون)"، والتي جاءت في "موسوعة الحضارات القديمة"، و موسوعة "سامي ريحانا"، "الفينيقيون- الفراعنة- شعوب شمال أوروبا- وأفريقيا وأوقيانيا (موسوعة أساطير وشعوب العالم)"، وكذلك "مقدمة عن تاريخ الحضارات (موسوعة أساطير وشعوب العالم)" لنفس المؤلف، وأيضا محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج (الموسوعة المتوسطية)، أما المعاجم التي أفادة الدراسة كثيرا في بحثنا لاسيما في معرفة العديد من الأعلام والشعوب والأماكن "عبد المنعم المحجوب" صاحب معجم "ليبيا القديمة".

وفيما يخص الأطروحات والرسائل الجامعية كانت أكثرها إفادة لنا رسالة الدكتوراه ل "عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي" "البحرية القرطاجية (دراسة في دورها الحربي)"، ومذكرة ماجستير ل "ريمة مليزي" "قرطاجة والبحر"، لا سيما في ما يخص الأسطول القرطاجي، وفي الجانب الديني استفدنا من رسالة ماجستير "الأمين علي الأمين" "العقائد الدينية في المدن الطرابلسية الثلاث"، ولطيفة التهامي اندش، "الديانة القرطاجية وتأثرها بالديانات الأخرى (814-146 ق.م)".

واعتمدت الدراسة في جمع مادة البحث وصياغتها على محاضرة "جاد الله فوزي فهيم"، "المعارك والمواقع الهامة بين الليبيين والمستعمرين الإغريق والرومان"، حيث قدمت تصورا عن الثورة اللوبية التي قوضت أركان أرستقراطية قرطاج.

و قد أفادت أيضا بعض المواقع الإلكترونية، الحصول على عدد من الملاحق كون هذه الملاحق جاءت في الكتب بأحجام صغيرة وغير واضحة.

هذه أهم المادة العلمية التي خدمت الدراسة، أما البقية فيجدها القارئ مثبتة في آخر الأطروحة ضمن قائمة المصادر والمراجع.

والجدير بالذكر أن المادة الخبرية متوفرة حول الحضارة القرطاجية، لكن فيما يخص المرحلة الأرستقراطية يوجد قصور حيث أن معظم المراجع المتوصل إليها تكلمت على الحضارة القرطاجية بشكل عام، دون التعمق في كل مرحلة من مراحلها التاريخية، كما أن الكثير من الدراسات ركزت على الحروب القرطاجية خلال المرحلة محل الدراسة دون استحضار التجربة الحضارية للأرستقراطيين، وعموما كانت الاستفادة متفاوتة من المادة العلمية التي تم توظيفهافي العمل، فبعضها كان محوريا والآخر ثانويا.

إن الشيء المتعارف عليه أن لكل موضوع صعوبات وعقبات ولا شك أن الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجاز هذا الموضوع:

كيفية القيام بعرض وتحليل جديد للمعلومات للتأكيد على أن هذه المرحلة ذات ملمح أرستقراطي وليس كما جاء في العديد من الدراسات، بأنها ذات ملامح أولغاركية، كما تعد محاولة دراسة حقبة موغلة في القدم أمرا ليس هينا بالنظر إلى غياب الدليل الأثري بسبب جملة من الصعوبات، فكما هو معلوم بأن المدينة دمرت وهذا ما جعل العون الذي يمكن أن يقدمه علم الآثار محدودا.

زيادة على ذلك أن المعلومات التي جاءت في جل المادة العلمية المتوصل إليها، متداخلة وتسرد تاريخ قرطاج بشكل عام، ولا تفصل بين مرحلة وأخرى، وهذا ما شكل صعوبة بالغة في الفصل بين المعلومات التي ترجع للمرحلة -محل الدراسة-والمراحل الأخرى، ضف إلى ذلك كثيرا من القرطاجيين الذي كانت لهم بصمة خاصة خلال هذه الحقبة حملوا نفس الأسماء تقريبا لكن غياب أسماء أنسابهم في أغلب الأحيان، شكل صعوبة تمييزهم.

كما أن جل الدراسات التي تناولت حضارة قرطاج بقيت حكرا على الكتابات الغربية التي قدمتها وفق منظورها وبما يتوافق مع مصالحها، الأمر الذي جعلنا نستغرق وقت طويل في الاستقراء والتحليل والحذر، لنقدم نتائج تقريبية في محاولة أقل ما يمكن القول عنها بأنها اجتهاد. وعند دراسة الأوضاع الدينية وادارة قرطاج لمناطق نفوذها، تفاجأنا بقلة المعلومات وتفرقها مما صعب جمعها وترتيبها وفق تسلسل تاريخي منطقي.

يضاف إلى ذلك أن اغلبية المراجع الحديثة حول الحضارة القرطاجية، ما تزال حكرا على المكاتب الإلكترونية، ويتم بيعها وتوصيلها بأسعار تفوق قدرة الباحث ومع ذلك حاولنا الحصول على بعضها.

ومع كل ذلك وبالتوفيق من الله تمكنا من إحراج هذا العمل على هذا الشكل، على أمل تحرير بحوث أخرى تكون أحسن تخريجا وضبطا.

محمد العيد تلي

الوادي 24 مارس 2021م

الفصل التمهيدي:

قرطاج: جغرافيا المكان وميلاد المدينة

أولا) دراسة في الجغرافيا:

ثانيا) السكان والتسمية:

ثالثا) ميلاد المدينة:

الفينيقيين هم فرع من الكنعانيين، وهم أحد المجموعات السامية[1] التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية، حيث سكن الفينيقيون الساميون منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، بلاد كنعان قديما "سوريا ولبنان وفلسطين والأردن حاليا"[2]، والتي يطابق أكبر قسم منها اليوم سوريا، ولا سيما لبنان، حيث انحصروا في شريط ضيق من الأرض يمتد من النهر الكبير شمالا حتى جبال الكرمل جنوبا " في فلسطين المحتلة حاليا"، أما من ناحية الشرق فتحدها سلسلة جبال لبنان، ومن جهة الغرب تطل على البحر المتوسط[3].

كان هذا الساحل الفينيقي ضيقا ولا تكفي زراعته لمعاشهم، وخلف الجبال كان هناك العبرانيون[4] والآراميون[5] وممالكهم، ولا طاقة للفينيقيين بهم، وليس بوسعهم أن ينافسوهم، فما كان من هؤلاء الفينيقيين إلا أن قطعوا أخشاب الأشجار التي اشتهر بها الساحل السوري منذ زمن غابر وصنعوا السفن وركبوا البحر، وبدؤوا يستكشفون السواحل، ويقومون برحالات قصيرة ولم يكونوا على علم بأن القدر سيجعل منهم ملوك البحر، حيث بلغت شهرتهم أوجهها في الألف الأولى قبل الميلاد[6]، إذ بدأت رحلاتهم تطول ونزلوا البر وهيئوا مواطئ قدم لهم في كل مكان نابهم وسرعان ما تطورت هذه النقاط التي كانت على السواحل إلى مستوطنات هدفها تقديم الغذاء والماء للتجار الفينيقيين خلال

---

(1) – **الشعوب السامية**: اسم مشتق من سام بن نوح، وهي تسمية لغوية تطلق على كل من يتكلم اللغة السامية. ينظر: – عبد الحميد زايد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى 323 ق.م، دار النهضة العربية (ب ط)، القاهرة، 1966، ص 236.

(2) – حنان قرقوتي، الحضارة الفينيقية (موسوعة الحضارات القديمة)،دار النفائس، ط2، لبنان، 2015، ص315.

(3) – فيصل علي الجربي، الفينيقيون في ليبيا من 1100 ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع، ط1، سرت، 1995، ص ص7–8.

(4) – **العبرانيون**: ينتمون للجنس السامي، وهاجروا من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام على ثلاثة مراحل خلال الفترات، من القرن الثامن عشر إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ينظر: – اسماعيل حلمي محروس، الشرق القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، (ب ط)، الإسكندرية، 1997، ص9.

(5) – **الآراميون**: من الشعوب السامية، التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وخلال القرنيين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، تمكنوا من تأسيس مدن ودويلات في بلاد الرافدين والأقاليم السورية، مستغلين ضعف الإمبراطورية الأشورية. ينظر: – المرجع نفسه، ص8.

(6) - J. Bricout, Dictionnair des connaissances Religieuses, paris, T, 5, 1927, p558.

رحلاتهم الطويلة في عرض البحر، ثم إلى مدن تجارية هامة، لكنها بقيت مرتبطة بمدن الساحل السوري[1].

تعد قرطاج[2](Carthage) من المستوطنات الفينيقية التي منحها القدر حظا مميزا، وكان مصيرها أن تتسيد الحوض الغربي للبحر المتوسط[3]، وتجمع أغلب الكتابات على اعتبار قرطاج من أعظم المدن في العالم القديم عامة والعالم الفينيقي الغربي خاصة، إذ استطاعت أن ترتقي بنفسها من مجرد مستوطنة صغيرة ناشئة ضمن الكثير من المستوطنات الفينيقية الأخرى المنتشرة في العالم القديم، إلى امبراطورية مترامية الأطراف إبان القرن الخامس قبل الميلاد، فلقد ورثت تركة الفينيقيين في الغرب، ولم تحافظ على هذه التركة فحسب، بل عملت أيضا على تنميتها وتوسيع أرجائها حتى قيل أنها عندما بدأت في شن الحروب ضد روما كانت تملك السيطرة على ثلاثمئة مدينة[4] وإن كان هذا الرقم فيه كثير من المبالغة، إلا أنه يدل على مدى ما وصلت له قرطاج من ازدهار وتطور وقوة، حتى أن المؤرخين اعتبروا أن ظروف أسطورية ألمت بوجودها [5]، وعليه تقتضي هذه الاعتبارات الوقوف عند جغرافيا قرطاج وتاريخ تأسيسها.

أولا) دراسة في الجغرافيا:

بدأت الأبحاث التي اهتمت بتحديد موقع قرطاج، وخصائصها الجغرافية منذ أكثر من قرن وهي ما تزال مستمرة إلى يومنا هذا، وفي هذا المجال اعتمد الأثريون في عمليات التنقيب على تحليل النصوص القديمة التي أوردها المؤرخون الكلاسيكيون "الإغريق واللاتين"[6] فقد

---

(1) – ماجد أحمد علي الحمداني، "الفينيقيون في شرق وغرب البحر المتوسط"، **مجلة دراسات في التاريخ والآثار**، العراق، ع 57، 28 فيفري 2017، ص ص 491-493.

(2)– **قرطاج**: إن الكثير من المؤرخين يكتبونها "قرطاجنة" وهو خطأ شائع، والصحيح هو "قرطاجة" أو "قرطاج "كما يسميها أهل تونس أنفسهم، أما قرطاجنة فهي مدينة بإسبانيا. ينظر: – هـ.ج. ولز، في تاريخ الإغريق والرومان ومن عاصرهم (معالم تاريخ الإنسانية)، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، القاهرة، 1994، مج2، ص505.

(3) – اسماعيل حلمي محروس، المرجع السابق، ص8.

(4) – سترابون، الجغرافيا، تر: حسان مخائيل اسحق، دار ومؤسسة رسلان ، ط1، سوريا، 2017، XVII، 15.14.

(5) – أحمد المناوي، قرطاج.. الأميرة إليسا والقائد هانيبال (أشهر مدن العالم القديم)، دار الكتاب العربي، ط1، القاهرة،2011، ص248.

(6)- M. Dureau, Recherche sur la topographie de Carthage, Editeur De L'institut Rue Jacob, Paris, 1835,pp 20-30.

سمحت التنقيبات الأثرية بتحديد المجال الجغرافي الذي شغلته قرطاج، إذ غطت التنقيبات معظم النتوء الذي شملته المنطقة، ولكن من المعلوم أن المدينة كانت قد توسعت بمرور الزمن[1] فقد عرفت نموا سريعا منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد، وإلى ما بعد القرن الخامس قبل الميلاد[2]، حيث امتدت على نطاق أوسع بكثير مما تصوره أحيانا بعض المؤرخين، ولذلك ليس من السهل التسليم بحدود مدينة دمرت تدميرا كاملا، ثم قامت على أنقاضها مدن عديدة وانهارت أيضا[3].

سنعتمد في الدراسة على الحدود المتعارف والمعتمد عليها آنيا من قبل أغلبية الباحثين وبهذا تكون قرطاج تقع على الساحل الشمالي الشرقي من قارة لوبة[4]، فقد بنيت المدينة في خليج أوتكنسيس "خليج تونس حاليا" [5]، الواقع بين بورتوفارينا[6] (Porto Farina)، ورأس بون "عنابة حاليا"، هناك حيث توجد فجوة كبيرة تمتد منها شبه جزيرة قرطاج[7]، التي يحدها من الشرق البحر المتوسط وبحيرة تونس جنوبا، أما من جهة الشمال سبخة الريانة[8]، التي تمثل

---

[1] – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1994، ص50.

[2]-M. H. Fantar, Visite de Carthage, Maison tunisienne d'Edition, Tunisie, 1973,p 5.

[3] – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة ...، المرجع السابق، ص50.

[4] – **لوبة**: هو اسم عريق ضارب في القدم دار جدل واسع بين الباحثين حول معناه اللغوي، والجغرافي، والحضاري، وما يهمنا هنا المعنى الجغرافي، فهو الاسم العتيق الذي أطلقه المؤرخ الإغريقي هيرودوت على القارة الإفريقية. ينظر: – إبراهيم العيد بشي، التوسع العسكري المقدوني من خلال الإسكندر الأكبر (336-232ق.م)، دار هومه، ط1، الجزائر، 2005، ص388.

[5] -Justinus, Historiae Philippicae, Translated by Rev. J.S.Watson, **(F. R. H)**, 1853, XVIII,5.8-9.

[6] – **بورتوفارينا**: يطلق هذا الاسم على مرسى مهجور، يوجد بين مدينة بنزرت ورأس قرطاج. ينظر: –لمارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، (ب ط)، المملكة المغربية، 1989، ج3، ص17.

[7] – حفناوي بعلي، طبقات الأدب النوميدي الإفريقي خمسة آلاف عام من الثقافة في الشمال الإفريقي، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2016، ص73.

[8] – **الريانة**: بحيرة تقع على خليج تونس، وكانت قديما متصل به، أما حاليا فإنه تحجبه عنه الكثبان الرملية. ينظر: – محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، لبنان، 1982، ص138.

عمق خليج أوتيكا (Utica)[1]، ومن الغرب تحميها تلة يبلغ ارتفاعها إلى حوالي "78.7م" تسمى بيرصا (Byrsa)[2].



الخريطة رقم "1": توضح موقع قرطاج

نقلا عن: – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص109.

(1) – محمد حسين فنطر، قرطاج (لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية)، كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، (ب ط)، تونس، 1963، ص21.

(2) – **بيرصا**: ويقصد بها النواة المفترضة للمدينة، وهي كلمة يونانية تعني جلد الثور، وإطلاقها هنا يمكن أن يكون تحريف لكلمة (Boursa) الفينيقية والتي تعني القلعة، أو الحصن، ينظر: –محمد الصغير غانم، التوسع ...، المرجع السابق، ص138.

ولا تتصل شبه جزيرة قرطاج باليابسة إلا من جهة الغرب[1] عن طريق برزخ ضيق يبلغ عرضه "25 ستادا" [2] أي "ما يعادل 4440 م"[3]، وينتهي هذا الأخير بنتوء صخري يبلغ ارتفاعه "150م"، وينقسم إلى قسمين بحيث تمتد في شماله أراضي مستوية خصبة صالحة للزراعة، أما في الجنوب فتمتد أودية صغيرة، وثلاثة تلال صعبة الاختراق مشكلة منفذا إلى داخل البلاد، هناك يقع قلب مدينة قرطاج[4]،التي تظهر بشكل واضح وجلي من جهة البر حتى أن أبيان[5] (Appien) وصفها بقوله: **"إن قرطاج، في شبه جزيرتها، كانت تشبه سفينة راسية، وكأنها مستعدة للإبحار في كل لحظة [6]"**.

وشبه الجزيرة ذو تكوين جيولوجي قديم وجزء لا يتجزأ من سلسلة الأطلس التلي، وقد قدر سترابون (Strabo) مساحتها بحوالي "360 ستادا" [7]، ويؤكد الباحثون في الميدان الأثري على أن شبه الجزيرة هذه قد تعرضت بنيتها إلى تغيير طفيف عبر العصور، وذلك على عكس شكل سواحلها التي تبدلت تبدلا واضحا نتيجة لتأثرها بالتيارات البحرية، كما نشأ عن ترسبات نهر بجرداس[8] (Bagradas) سهل السكرة، الذي زاد من اتساع البرزخ الفاصل بين خليج أوتيكا، وبحيرة أريانة، وزاد من ابتعاد مصب نهر بجرداس عن مدينة قرطاج، حتى أن

---

[1] – مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، منشورات عويدات، ط1، بيروت ، 1981، ص10.

[2]– **ستادا:** هي وحدة قياس إغريقية، ويقدر ستاد واحد بحوالي "177.6 متر". ينظر: –مها عيساوي، "المجتمع اللوبي في بلاد المغرب من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي"، (دكتوراه)، إشراف: أ.د محمد الصغير غانم، قسم التاريخ، جامعة منتوري–قسنطينة، 2009–2010، ص، ص19، 26.

[3] – محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، (ب ط) ، الجزائر، 2003، ص 84.

[4] – مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص11.

[5] – **أبيان:** مؤرخ إغريقي عاش حوالي القرن الثاني للميلاد، كان متحيز للرومان حتى أنه ألف تاريخا تطرق فيه إلى الفتوحات الرومانية، وتعرض للحروب البونية لاسيما الحرب البونية الثانية، التي تناولها بالتفصيل. ينظر: – محمد الصغير غانم، معالم....، المرجع السابق، ص ص110–111.

[6] – نقلاعن: – حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص75.

[7] –سترابون، المصدر السابق، XVII، 14.

[8] – **نهر بجرادس:** يجري شمال تونس، وهو من أهم أنهار المنطقة وأطولها، وله عدة فروع جانبية، وقد أدى انتشار رواسبه إلى تكوين سهل فسيح ما أدى إلى تقدم الساحل، ويعرف اليوم بنهر مجردة. ينظر: –ج. ل. ميزر، الأتروريون والقرطاجيون أصلهم وتكاثرهم (تاريخ العالم)، تر: فؤاد أندراوس، مكتبة النهضة المصرية، (ب ط)، القاهرة، (ب ت)، مج2، ص495.

أوتيكا التي أنشئت قديما على ساحل البحر صارت اليوم تبعد عنه حوالي " 10كلم"، ومن جهة أخرى فإن البحيرة لم يكن فيها ترسبات كثيرة في عمقها مثلما هي عليه الآن، بل كانت عبارة عن ميناء فسيح صالح لإرساء المراكب[1].

تتمتع قرطاج بمناخ شبيه بمناخ شمال تونس حاليا[2]، متوسطي معتدل شتاء وحار صيفا[3]، وقد كان أكثر رطوبة على ما هو عليه اليوم، وذلك ناجم عن كمية التساقط التي كانت تتلقاها البلاد، وصيفها كان أكثر برودة مقارنة بما هو عليه في الوقت الحالي، ولم تكن تشهد فترات حرارة وجفاف إلا عندما تتعرض للزوابع الشرقية المحملة برياح السموم القادمة من الصحراء الكبرى إلى الجنوب[4].

أما فيما يتعلق بالثروة النباتية نجد هناك إشارات في كتابات القدماء تؤكد غنى شبه الجزيرة بغابات واسعة كانت تحيط بقرطاج، وتحتوي هذه الغابات على أشجار الصنوبر والعرعر والأرز والسنديان، والأشجار السمخية الصالحة لصناعة السفن، وجدير بالذكر هنا أن القرطاجيين كانوا يتقنون أساليب الزراعة، حيث اشتهرت بساتينها وحدائقها بزراعة الحبوب والكرمة، والزيتون، إضافة إلى العديد من الأشجار، التي غطت شبه الجزيرة، وقد أثار نشاط وثروة قرطاج الزراعية إعجاب[5] كل من الإغريق "اليونان"، والرومان عندما وطئوا سواحل بلاد المغرب القديم[6].

بالنسبة للثروة الحيوانية فكانت متنوعة، إذ شهدت العديد من الحيوانات المفترسة، مثل الأسود، والفهود، والنمور، والدببة، وابن آوى، وهذا يوحي بأن السكان قد ما رسوا القنص

---

[1] – أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامة، ط1، تونس، 1959،ج1، ص ص91-92.

[2] – مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص11.

[3] – عاطف عيد، تونس بين الأمس واليوم (قصة وتاريخ الحضارات العربية) ، اللجنة العلمية للنشر، (ب ط)، لبنان، 1999،ج21، مج11، ص ص 9-10.

[4] – محمد أسد الله صفا، أعلام الحرب (هانيبال)، دار النفائس، ط1، بيروت، 1987، ص24؛ ينظر أيضا: –مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص11.

[5] – المرجع نفسه، ص13؛ ينظر أيضا: –حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص74.

[6] – **بلاد المغرب القديم**: مصطلح أطلقه أساتذة الجامعات الجزائرية بعد الاستقلال سنة (1962م)، ليحل محل مصطلح "إفريقيا الشمالية"، الذي كان يستعمل من قبل كتاب، وأساتذة المدرسة الكولونيالية الفرنسية عندما يتطرقون إلى شمال إفريقيا. ينظر: –محمد الصغير غانم، "نظرة في العلاقات الحضارة الفينيقية الليبية من خلال المصادر المادية"، **مجلة سرتا**، قسنطينة، ع10، 1988، ص50.

على نطاق واسع، كما لا يستبعد أن سكان المنطقة قد عرفوا ممارسة استئناس وتربية الحيوانات، إذ تشير بعض نصوص القدامى بأنه حول الأنهار وفي السهول الغنية بالأعشاب المختلفة، كانت ترعى قطعان كبيرة من الفيلة، والزرافات، والأيائل، والغزلان، والنعام، والطرائد المتنوعة، كالأرانب، والحجل، ودجاجة الماء،[1]، ولم يعرف القرطاجيون الجمل بينما عرفوا الحصان النوميدي، وروضوه على نطاق واسع، وكذلك الحمار، والبغل، والثور، والعنزة والخروف، هذا بالإضافة إلى الثروة السمكية التي كانت توفرها شواطئ منطقة قرطاج، إذ وفر لها الصيد مصدر تموين أساسي، وانتشرت على السواحل أصداف المرويكس[2] (Murex) مثلما انتشرت في الشرق على الساحل الفينيقي[3].

لا يحتوي باطن قرطاج على مواطن معدنية غنية، فقد كان يؤتى بحجارة البناء من مقالع الرأس الطيب، الواقع في الطرف المقابل لخليج تونس، ويتم استخراج الرخام من محاجر شمتو (Chemtou) الواقعة غربي تونس، أما الفخار فيبدو أنه كان متوفرا في قرطاج، حيث قاموا بتصنيعه من التراب المحلي، وعلى كل حال امتازت قرطاج بجودة موقعها الجغرافي الممتد وسط أراض خصبة يحيط بها مناطق ساحلية كبيرة[4].

في هذا الوسط الجغرافي وبهذه الإمكانيات الطبيعية نشأت قرطاج، وقد أجمع أغلب المؤرخين على تعدد المزايا التي حظيت بها المدينة الناشئة، وذلك راجع لموقعها الجغرافي الذي وفر لها حماية طبيعية[5]، وأراض زراعية خلفية تسمح لها بالتوسع ناحية المناطق الداخلية الصالحة

---

[1] – حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص75.

[2] – **المرويكس**: نوع من الأصداف البحرية بعد أن تموت يتعفن الكائن بداخلها، ثم يتكون منه سائل أصفر يعطي حسب قوة تركيزه مجموعة من الألوان تندرج بين الوردي والأرجواني، وكانت الصباغة الأرجوانية الصورية، والصيداوية من أشهر الأصباغ، وأثمنها في العصور القديمة، ينظر: –محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1981، ص115.

[3] – مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص13.

[4] – المرجع نفسه، ص14.

[5] – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، قرطاج البونية تاريخ حضارة، أوربيس للطباعة، (ب ط)، قصر سعيد، 1999، ص103.

للزراعة، والتي تم استغلالها لسد حاجيات مواطنيها مستقبلا[1]، ويعتقد أنه قد تم اختيار الموقع بعناية فائقة[2].

يعتقد أن الفينيقيين لم يتركوا أمر تأسيس مستوطناتهم للصدفة، وإنما كانوا يتخيرون المواقع الملائمة لذلك شروط معينة منها وجود ميناء محمي وإن يكن صغيرا، ومنبع ماء عذب ومرتفع صخري لتسهيل عملية الدفاع عن المنطقة، والأهم من ذلك أن تكون المسافة بين كل محطة وأخرى محددة لأنهم كانوا يبحرون نهارا ويتوقفون ليلا[3].

كل الأمور "السابقة الذكر" تدل على الفطنة الكبيرة والمعرفة الدقيقة التي كان يتميز بها التجار الفينيقيون في القدرة على اختيار المواقع الاستراتيجية، التي تساعدهم على التجارة والاستيطان[4]. وربما ما يؤكد ذلك نلاحظ أن جل الدراسات تشير إلى أن الفينيقيين قد راعوا في تخيرهم لمواقع تأسيس تلك المحطات أن تكون في أماكن غير مأهولة بالسكان، تحاشيا لنشوب أي خلاف أو صدام في بداية الأمر، حيث ما زالوا في طور الاستكشاف والسعي لتثبيت أقدامهم بتلك السواحل، وما إن برزت حاجتهم إلى الاتصال بالسكان المحليين حتى تخلوا عن حذرهم وبادروا إلى ذلك[5].

يبدو أن موقع قرطاج المميز لم يتأت بسهولة، إذ لابد أنه مر وقت طويل قبل أن ينجح الفينيقيون في اختيار مكان مناسب لهذا الغرض[6]، مكن قرطاج فيما بعد بأن تلعب دور الوسيط بين المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط، وبين الساحل الفينيقي في الحوض الشرقي للمتوسط، خاصة الوطن الأم "صور" القريب منها نسبيا، ويتدعم الطابع

---

(1) – جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تع: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، دار الفرجاني، (ب ط)، ليبيا، 1999، ص25.

(2) – محمد أسد الله صفا، المرجع السابق، ص24.

(3) – عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط1، ليبيا، 2001، ص 118.

(4) – الحاج أحمد مولاي بومعقل، "مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا: الزراعة، الديانة واللغة من القرن الثالث إلى 146 ق.م"، (ماجستير)، إشراف أ.د شافية شارن، قسم التاريخ، جامعة يوسف بن خدة– الجزائر، 2008–2009، ص26.

(5)- B.H. Warmington, Carthage, London ,1960, pp14-15.

(6) – رشيد الناضوري، المغرب الكبير العصور القديمة (أسسها التاريخية الحضارية والسياسية)، دار النهضة العربية، ط1، بيروت،1981، ص ص 165-166.

الاستراتيجي للموقع قربه من الضفة الشمالية للحوض الغربي للمتوسط، لا سيما جنوب شبه جزيرة إيطاليا "صقلية، وسردينيا[1]"، ومالطا[2]، فبمجرد ما تمكنت قرطاج من السيطرة على هذه المواقع حتى أصبحت وكأنها "بواب غرب المتوسط" لا يمكن الدخول إليه من الشرق إلا بإذنها[3].



خريطة رقم "2": تبين مناطق نفوذ قرطاج

نقلا عن:

https://www.facebook.com/Badriamylove/photos/(2020-08-28/12:40).

(بتصرف)

---

(1) – **سردينيا**: تقع غرب شبه الجزيرة الإيطالية، وتأتي في الدرجة الثانية بعد صقلية من حيث الأهمية، أنشأ الفينيقيون على سواحلها وكالات تجارية، وحين سطع نجم قرطاج سيطرت على بعض المستوطنات الفينيقية هناك، وتحالفت مع أخرى. ينظر: –هنري. س. عبودي، معجم الحضارات السامية، جروس برس، ط2، لبنان، 1991، ص473.

(2) **مالطا**: إحدى الجزر التي استوطنها الفينيقيون منذ حوالي القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد، ويذكر ديودور الصقلي أن أغلب سكانها كانوا من أصل فينيقي ينظر: – عبد المنعم المحجوب، ليبيا القديمة، دار الاتحاد للنشر والتويع، ط1، تونس، 2018، ص ص 315-316.

(3) – الشادلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 104.

كل هذه المميزات، والخصائص أهلتها لتفرض نفسها كقوة بحرية وبرية، وتكوين إمبراطورية مترامية الأطراف، ويبدو أن المقصود بالإمبراطورية هنا هو المناطق التابعة لقرطاج التي استحفظت بسلطتها في المسائل الداخلية، أما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية فقرطاج هي المسؤولة عليها بدون شك [1].

يمكن القول بأن مفهوم الإمبراطورية القرطاجية في بداية تشكلها، ليس بالمفهوم السياسي والإداري الذي يفترض تبعية مطلقة وإدارة مركزية، حيث ستظهر بوادر هذه الأخيرة في قرطاج بوصول الطبقة الأرستقراطية للحكم وذلك إبان القرن الخامس قبل الميلاد.

ثانيا) السكان والتسمية:

1- السكان:

تنسب النصوص الواردة في الكتابات الإغريقية واللاتينية أنساب القرطاجيين للفينيقيين الذين بدأت هجرتهم، وانتشارهم في الحوض الغربي للمتوسط، لا سيما سواحل بلاد المغرب القديم منه خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد، مدفوعين بضغوط الشعوب المجاورة، وضيق الحيز المكاني، والصراعات الداخلية، وقلة الموارد الاقتصادية مقارنة بتزايد عدد السكان[2] واستمر انتشارهم إلى حدود القرن السابع قبل الميلاد، إذ تمكنوا من إنشاء العديد من المرافئ والمحطات التجارية المساعدة على تصريف سلعهم، وكان من أبرزها قادس (Cadés) (1110 ق.م) "بجنوب غرب إسبانيا"، وبالتزامن معها ليكسوس (Lixus) "على الساحل الأطلسي المغربي"، وأوتيكا (1101 ق.م) "بالناحية الغربية من خليج تونس الحالي" [3].

مثل الساحل التونسي بطرفيه الشمالي والجنوبي، المحطة الاستراتيجية لهذه المعاملات حيث مثلت قرطاج أهم مستوطناتهم، وقد أنشأها فينيقيون قادمون من مدينة صور[4]، وذلك

---

[1] - محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم (السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، (ب ط)، الجزائر، 1992، ص47؛ ينظر أيضا:

- B. Bury, The person empire and the west, **(C.A.H)**, Vol, 2, Paris, 1953, p 350.

[2] - خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق، ط1، عمان، 2001، ص43.

[3] - ميلود التوري، الأمازيغية والفينيقية وبينهما العبرية واليونانية (سلسلة اللغات المغاربية)، المطبعة، ط1، خنيفرة، 2009، ص ص 35-36.

[4] - جمعة شيخة، الحضارة القرطاجية – القرطاجيون (موسوعة الحضارات القديمة) ، دار النفائس، ط2، لبنان، 2015، ص331.

بناء على البيانات التي نقلها الكتاب القدامى، حتى أن بعض المؤرخين وصفوها على أنها ابنة صور[1]، ولكن هناك من يرى أنها من أصل صيدوني، وأن مؤسسيها جاءوا من مدينة صيدا[2] ولكن لايوجد من الأدلة ما يوافق هذا الرأي[3].

إن أول النصوص التي تعيد أصول القرطاجيين إلى فينيقي مدينة صور قد ارتبط بقصة أسطورية شيقة، تروى عملية التأسيس بشتى مراحلها، وتدور أحداث هذه الرواية حول أميرة من مدينة صور تدعى إليسا[4] (Eliasa)، وإن كانت تحمل اسم تيوسسو (Theiosso)[5] عند تيمايوس[6] (Timaeus)، وقد جاءت هذه الرواية على لسان عدد من المؤرخين القدامى من أبرزهم تيمايوس، وفرجيل[7] (Vergil)، وأهمهم إطلاقا المؤرخ اللاتيني جوستين (Justin)[8].

---

[1] – سامي ريحانا، الفينيقيون– الفراعنة– شعوب شمال أوروبا– وأفريقيا وأوقيانيا (موسوعة أساطير وشعوب العالم) ، دار نوبليس، ط1، بيروت،2014، مج3، ص ص77-78.

[2] – **صيدا**: الاسم الحالي لمدينة صيدون الفينيقية، كانت المدينة الرئيسة بين المدن الفينيقية خلال الألف الثانية قبل الميلاد، وذلك حتى هجومات شعوب البحر للمنطقة حوالي (1200 ق.م)، واستلاء الفلسطينيين عليها، فحلت صور مكانها في الهيمنة. ينظر: –هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص 557.

[3]- E. A. Powell, In Barbary: Tunisia, Algeria, Morocco and The Sahara, New York, 1926, p56.

[4] – **إليسا**: هكذا تسمى في لغة الفينيقيين، ويسميها الشعراء إليسار، ويطلق عليها الرومان ديدو وتعني الهاربة، وهناك من يعتبر أن سكان بلاد المغرب هم من أطلقوا عليها ديدو لكثرة تجوالها. ينظر: –المطران يوسف الدبس، تاريخ سورية الدنيوي والديني، دار نظير عبود، (ب ط)، بيروت، 1994، ج1، ص279؛ ينظر أيضا: –ميلود التوري، المرجع السابق، ص38.

[5] – الشادلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص91.

[6] – **تيمايوس**: مؤرخ إغريقي عاش بصقلية حوالي القرن الثالث قبل الميلاد اتسمت كتابته ببعدها عن المبالغة، واستخدام الخيال، ولم تصلنا كتابته مباشرة، وإنما وظفها عدد من المؤرخين اللاحقين الذين اعتمدوا على شذرات منها. ينظر: – محمد الصغير غانم، التوسع ...، المرجع السابق، ص74.

[7] – **فرجيل**: شاعر روماني عاش خلال القرن الأول ميلادي صاحب ملحة الأنيادة، وهي تروي قصص أسطورية عن الشعب الروماني فيما قبل تأسيس روما، وقد خصص جزء من أناشيده في هذه الملحمة عن علاقة إليسا بإينياس الطروادي. ينظر: –فرجيل، الإنيادة، تر: عنبرة سلام خالدي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1978، ص ص 6-7.

[8] – نقلا عن: – الشادلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص91.

تفيد الأسطورة بأنه بعد وفاة ماتان (Mattan) ملك صور حوالي (840 ق.م)[1] ترك ولدين، هما إليسا وشقيقها بغماليون (Pygmalion) الذي كان يبلغ من العمر إذ ذاك إحدى عشرة سنة[2]، وأوصى قبل وفاته أن يشترك ولداه في وراثة عرشه، ولكن الشعب ثار ضد الأشراف وعين بغماليون ملكا على صور وأسقط أخته عن العرش[3]، تزوجت إليسا من خالها، أو عمها الكاهن أشرباس (Acherba) وهو أعظم كهنة الإله ملكارت[4](Melcarth)، وله المقام الثاني بعد الملك ورئيسا لحزب الأشراف[5]، وكان هذا الكاهن ذا ثروة طائلة، وخوفا من جشع الملك بغماليون قرر الفرار بعد أن أخفى أمواله تحت الأرض، غير أن بغماليون أمر بقتله[6]، وعلى إثر ذلك ثارت إليسا، لكن حزب الشعب انتصر عليها فآثرت مغادرة وطنها[7].

تمكنت إليسا من الفرار برفقة عدد من مؤيديها الأعيان من كبار التجار بثرواتهم، وبعض رؤساء البحار بسفنهم، واتجهت غربا وكانت أول محطاتها جزيرة قبرص[8]، حيث صاحبها الكاهن الأكبر لمعبد جونو (Juno)، ويرادفه معبد عشترت[9] (Asterte) حسب بعض

---

[1] –ج.ل ميرز، المرجع السابق،ص495.

[2] – يوسف الدبس المطران، المرجع السابق، ص279.

[3] – سامي ريحانا، الفينيقيون.... ، المرجع السابق،ص ص31-32.

[4] – **ملكارت**: إله مدينة صور معناه ملك المدينة، نشره الصوريون في مستوطناتهم، أخذه عنهم اليونانيون، فأسموه هيراقليس، ووالدته هي الكمين زوجة أمفيتريون، ينظر: – مجموعة من المؤلفين، دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، تر: سعد صائب، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، سورية، 1994، ص139.

[5] – سامي ريحانا، الفينيقيون.... ، المرجع السابق،ص ص31-32.

[6] – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو امبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1996، ص54.

[7] – سامي ريحانا، الفينيقيون....، المرجع السابق، ص32.

[8] – **قبرص**: جزيرة في الحوض الشرقي للمتوسط اشتهرت منذ أزمنة غابرة في القدم بنحاسها، الذي كانت تصدره لكل من مصر وبلاد الرافدين، استوطنها الفينيقيون منذ الألف الثانية قبل الميلاد فأسسوا فيها مدنا، ومراكز تجارية. ينظر: – هنري. س. عبود، المرجع السابق، ص671.

[9] – **عشترت**: التسمية الفينيقية للربة عشتار، والتي عرفتها أغلب دول الشرق الأدنى القديم، وهي آلهة واحدة في كل هذه المناطق، وإن تغير اسمها وطقوسها بعض الشيء من منطقة إلى أخرى، وقد ارتبطت وظيفتها بالأساس بالأرض، وترمز للخصب، ينظر: –محمد الخطيب، الحضارة الفينيقية، دار مؤسسة رسلان، (ب ط)، سوريا، 2008، ص ص125-128.

الدراسات بعد أن اشترط عليها وراثة المنصب الكهنوتي، كما رافقتها ثمانون فتاة من فتيات المعبد ليكن أزواجا للرجال الذين خرجوا معها من صور[1].

من قبرص واصلت طريقها نحو خليج أوتكنسيس حيث استقرت هناك، فاستبشر بها الأهالي لما رأوا إمكانية الاستفادة مما تحمله، وقومها من مبتكرات، وأساليب، ومهارات ليس لهم سابق بمعرفتها، وذلك لما كانوا عليه من بداوة وتأخر[2]، وقد ساومت الأميرة إليسا الزعيم المحلي هيارباص (Hiarbas) على شراء قطعة أرض لا تزيد عن مساحة جلد ثور، إلا أنها احتالت على البائع بتقطيع الجلد إلى سيور رقيقة جعلتها في شريط متصل فحازت على مساحة أكبر[3].

شرعت إليسا وأنصارها في بناء المدينة الجديدة، وقد أعانها من وفد قبلها من الفينيقيين واستقروا بسواحل بلاد المغرب القديم رغبة في تحقيق الربح و المكاسب، زيادة عن قدوم مهاجرين جدد من الساحل الفينيقي[4]، ولكن سرعان ما اختارت الأميرة الصورية الانتحار وتعددت الأسباب في ذلك، فجوستين يعتبر أن جمال إليسا أثار إعجاب الزعيم الليبي هيارباص فعرض عليها الزواج، وهدد بإعلان الحرب ضدها إن هي رفضت طلبه غير أن الأميرة تهربت، وطلبت ثلاثة أشهر كمدة للتفكير، بعد ذلك أمرت بإقامة كومة حطب، والتضحية بالعديد من الحيوانات، وكأنها تريد قبل أن تتزوج ثانية أن تقدم أضحية الموت لروح زوجها السابق، لكنها سحبت سيفا، وصعدت إلى الكومة وطعنت نفسها،ثم رمت بجسدها في النار[5].

---

[1]-Justinus, XVIII, 5.2-6.

[2] – عبد العزيز سعيد الصويعي، أصول الحرف الليبي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراته، 1999، ص141.

[3]-Justinus, XVIII, 5.9-10.

[4] – أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور (من عصر الحجارة حتى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1986، ص ص 25- 26.

[5] - Justinus, XVIII, 6.1-8.

أما الشاعر فرجيل ربط سبب انتحار الأميرة ديدو(Dido) بمغادرة القائد الطروادي إينياس[1](Aeneas) لقرطاج بعد أن اتفق على الزواج معها، إلا أنه قرر مغادرة المدينة البونية لأنها ليست المكان المناسب لإنشاء مدينته الجديدة روما حسب ما أوحت إليه الآلهة[2].

هناك تعليق على رواية الشاعر اللاتيني فرجيل، التي يقال أنه أخذها عن تيمايوس،حيث لا يستبعد أن توظيفها هنا جاء من أجل إصلاح ذات البين إبان الحروب البونية فالأميرة الصورية إليسا تنتحر ليأتي من نسلها الفارس المنتقم بعد عدة قرون حنبعل برقة (Hannibal Barca) ليطلب الثأر، وبالتالي فإن العداء بين روما وقرطاج هو عداء فطري لا شك أن رواية فرجيل لا هم له فيها إلا تمجيد روما، إلا أن الواضح بما لا يدع مجالا للشك جهل فرجيل بالأحداث التاريخية، وبأخلاق النسوة الشرقيات، فالأميرة إليسا لم تكن فتاة غربية ولم تكن من روما لتعشق رجلا غير زوجها حتى لو بعد موته[3].

يؤكد ذلك وجود معلومات تفيد أن المرأة القرطاجية قد تمتعت بمكانة عظيمة ومركز مرموق في مجتمعها، فقد كانت حرة غير مستعبدة ولا محتقرة، فهي تعد ملكة غير متوجة في بيتها ومحترمة لحرياتها واسمها ونسبها، ولقد ورد ذكر اسم كثير من النساء ارتبطن بمصير الدولة، مثل إليسا مؤسسة المدينة وزوجة هسدروبال (Hasdrubal)، التي فضلت أن تلقى بنفسها في النيران على أن تقع أسيرة في يد الرومان، وهناك دليل على شجاعة المرأة القرطاجية وتضحيتها، ففي أثناء الحرب البونية الثالثة تبرعن بشعورهن من أجل صنع أوتار القسي، بالإضافة إلى جواهر وحلي تبرعن بها للخزانة العامة، كما شاركن في تصنيع الأسلحة اللازمة للحرب[4].

بعد أن انهينا سرد أحداث أسطورة نشأة قرطاج بأهم ما جاء فيها، يتبين أن خوف إليسا من ظلم أخيها وطمعه في ثروة زوجها، كان السبب في هروبها من صور الوطن الأم إلى بلاد

---

[1] - **إينياس:** هو القائد الطروادي الأسطوري المنحدر من زواج الربة فينيوس بالملك الطروادي أنخيس، قاد فلول الطرواديين خلال حرب طراودة، ونجا بعد سقوط المدينة، ونزل بسواحل المغرب، وتذكر الأسطورة بأن المطاف انتهى به في إقليم لاتيوم ليؤسس مدينة روما. ينظر: -فرجيل، المصدر السابق، ص ص 29-96.

[2] - المصدر نفسه، ص97.

[3] - سامي ريحانا، مقدمة عن تاريخ الحضارات (موسوعة أساطير وشعوب العالم) ، دار نوبلس، ط1، بيروت، 2014، مج1، ص ص 129-130؛ ينظر أيضا: - ميلود التوري، المرجع السابق، ص129.

[4] - شوقي خير الله بوعلي، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، مركز الدراسات العلمية، ط1، تونس، 1992، ص ص147-149.

المغرب القديم وتأسيسها لمدينة قرطاج[1]، ولكن هناك رأي آخر يرى أن خوف أهل صور من استلاء الأشوريين[2] على ثرواتهم الطائلة، كما حدث لبقية المدن الفينيقية الأخرى، هو الذي جعلهم يعملون على تهريب تلك الثروة مع الأميرة إليسا وأصحابها، لا سيما مع توقع السقوط القريب على يد العدو من يوم إلى آخر، وذلك بعد ما تكررت وتواصلت هجمات الأشوريين على المدينة، فلذلك كان خروج إليسا من المدينة سرا، ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن تأسيس قرطاج قد تم وفقا لخطة مدبرة، وأنه كان تنفيذا لمهمة رسمية بتفويض من حكومة صور، وليس ضد رغبتها كما جاء في أحداث الأسطورة[3].

يرجح ذلك أن العلاقة بين قرطاج وصور لم تنقطع، فكانت قرطاج ترسل القرابين سنويا لمعبد ملكارت في صور مما يدل على اعترافها بتبعيتها للوطن الأم، وكثيرا ما كانت تسرع إلى نجدة مستعمرات مدينة صور في الغرب نيابة عن صور نفسها بحكم قربها منها كلما استنجدت بها، وأيضا عندما خضعت صور لسيطرة الفرس [4] شارك الصوريون في جميع غزوات قمبيز[5] (Cambyse)، إلا أنهم رفضوا تنفيذ أوامر الملك في الزحف ضد قرطاج والاستلاء عليها، فكان مضطرا إلى العدول عن عزمه، والنزول عند رغبتهم، بعدم التعرض لها بسوء، ولقد

---

(1) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص ص 99- 101.

(2) - **الأشوريين**: ظهر الأشوريين في شمال بلاد الرافدين منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهم من الأقوام السامية، وتمكنوا من تكوين دولة قوية لهم منذ الألف الثانية قبل الميلاد بلغت مركز الصدارة، وقامت بدور خطير في منطقة الشرق الأدنى القديم. ينظر: -محروس اسماعيل حلمي، المرجع السابق، ص 6.

(3)– الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص ص 114–117.ينظر أيضا:

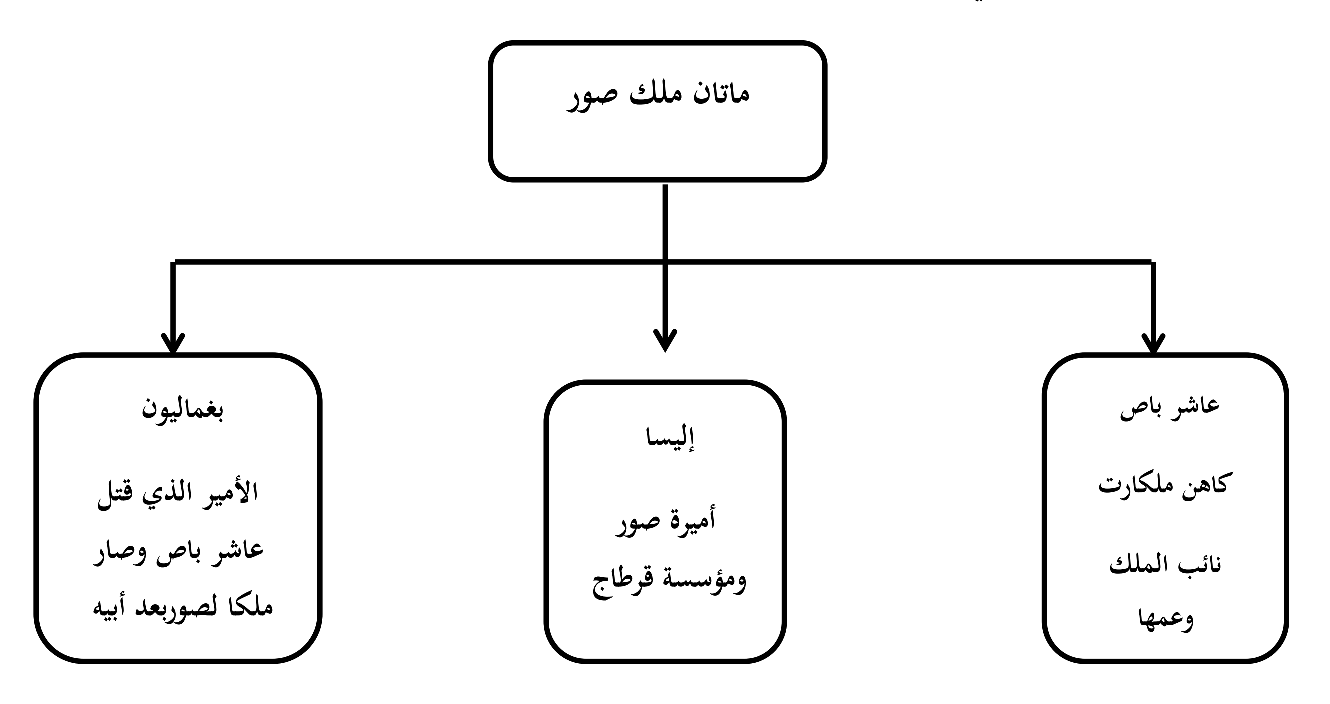
- A. Ben Abed Ben Khader and D. Soren, Carthage: A Mosaic Of Ancient Tunisia, New York, 1987, p101.

(4) – **الفرس**: من الأقوام الهندو أوربية، وقد أسسوا أحد أقدم الحضارات الإنسانية، في إقليم بارسا في الجزء الجنوبي الغربي من الهضبة التي تشكل معظم إقليم إيران الجغرافي، وتم تعديل اللفظ ليكون برسيس، وأخذوه العرب وجعلوه فارس. ينظر: –جمال البدري، الحضارة الفارسية القديمة (موسوعة الحضارات القديمة)، دار النفائس، ط2، لبنان، 2015، ص 303.

(5) – **قمبيز (528-522 ق.م)**: ملك فارس ورث ثروة والده الملك قورش بعد ما قتل في إحدى غزواته، احتل مصر والأقاليم المجاورة، لكنه فشل في غزو قرطاج، بعد أن رفض بحارة أسطوله الفينيقيون أن يهاجموا إحدى مدنهم. ينظر: – سامي ريحانا، الأشوريون – الفرس (موسوعة أساطير وشعوب العالم)، دار نوبليس، ط 1، بيروت، 2014، مج4، ص32.

تكرر منهم مثل ذلك الموقف مرة أخرى مع الإسكندر الأكبر[1] فامتنعوا امتناعا كليا وصدوه عن عزمه من المسير للاستلاء على قرطاج[2].

لا شك أن هذه الأسطورة التاريخية جمعت بين الخيال والحقيقية، لذلك تحتاج إلى الكثير من التساؤلات، والغوص في خباياها، ومحاولة فهم عناصرها اللغوية، والرمزية، ودلالتها التاريخية ولا يسمح المجال هنا لدراسة الأسطورة دراسة تحليلية، ونقدية لذلك فإننا نؤثر إفراد بحث خاص بهذا الموضوع لأن سرعة عرضه ستفقد الكثير من قيمة البحث، ويمكننا ترتيب الأسطورة التاريخية لإليسا كما يلي:



اينياس القائد الطروادي وعشيق إليسا
هيارباص الزعيم المحلي

مخطط يوضح أهم الشخصيات التي وردت في أسطورة إليسا (إعداد الباحث)

---

[1] - **الإسكندر الأكبر (356-336 ق.م)**: هو بن فيليب المقدوني، تولى الحكم وكان عمره عند توليه الحكم "20" سنة أستطاع الإسكندر تكوين مملكة قوية، وافق المقدونيون والإغريق على أن يتولى الملك الجديد قيادة الحملة على الشرق، التي شرع بها والده ، وبدأ الإسكندر بالزحف بجيشه إلى الشرق في عام (334 ق.م)، واستطاع في مدة ثلاثة أعوام أن يغير مجرى التاريخ في الشرق. ينظر:

- V.R. Wilcken and E. N. Borza, Alexander the Great, New York, 1967, p15.

[2] -أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 85-86.

تستوجب الإشارة أن أغلب الروايات في النصوص القديمة غالبا ما تكون مغلفة بالأساطير، كما تقوم بإشراك الآلهة في تأسيس المدن، لتضفي عليها هالة من المجد والجلال[1].

لذلك وبحسب ما نعتقد أن تأسيس مستوطنة جديدة ليس بالأمر الجديد على الفينيقيين فقرطاج ليست المدينة الأولى ولا الوحيدة التي أسسها الفينيقيون في الحوض الغربي للمتوسط ويبدو أنه ليس هناك ما يدعو إلى تأسيسها وفق ظروف خاصة "أسطورية".

هناك رواية أخرى تنسب إلى فيليتوس[2] (Philiustus)، ذكر فيها أن تأسيس قرطاج يرجع إلى رجلين سياسيين من فينيقيا[3] هما زوروس (Zoros)، وكارتشيدون (kartchedon) ويشير بعض الباحثين إلى أن كلمة زوروس "تعني صور"، وكارتشيدون "هو التحريف الإغريقي لاسم المدينة قرت حدشت"[4](Qart-Hadasht)، وكان ذلك قبل الحرب الطروادية بقليل، وأن إليسا هي التي عملت على تنميتها وازدهارها فقط، ويرى موسكاتي أن هذه الرواية مستحيلة ولا تتفق مع الواقع، وأن استحالتها واضحة تماما من نطق الاسمين، حيث يبدو أنهما مشتقان من صور وقرطاج[5]، كما أنه لايوجد من الأدلة التاريخية ما يؤكد صحتها، على حين أن هناك الكثير من الروايات القديمة التي تؤكد على أن إليسا هي المؤسسة الفعلية للمدينة، وبعض من هذه الروايات تعتمد على مصادر تاريخية مؤكدة ومن هنا تأتي أهميتها[6].

---

[1] - M. E. Aubet, The Phoenicians and the West: Politics, Review by: Roger Wright **(C.A.H)** , University of Liverpool, 2001, p51.

[2] – **فيليتوس**: مؤرخ يوناني من إغريق مستعمرة سيراكوزة، عاش حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، وقد اتبعه في تاريخ تأسيس مدينة قرطاج كل من أبيانوس وأرقسوس. ينظر:

– S. Lancel, Carthage, 2nd Ed, Tunis, 1999, p37.

[3] – خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، المرجع السابق، ص230.

[4]-Selon: -S. Lancel, Op- Cit, p37.

[5] -S. Moscati, The World of the Phoenicians, Translated from the Italian By: A. Hamilton, London, 1968, p114.

[6] – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص 106؛ ينظر أيضا: –رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص163.

ومن هذه الروايات تلك الخاصة بالمؤرخ اليهودي يوسيفيوس[1] (Josephus)، والتي كتبها استنادا للكاتب الهيللينستي ميناندروس الافيسوسي[2] (Menandre Ephese)، الذي اعتمد فيها على وثائق ملوك مدينة صور، سجل فيها تسلسل ملوك المدينة الذين حكموها لمدة قرن ونصف من الزمان، ثم أعطى معلومات إضافية حول بعض الأحداث التي وجدت في عهودهم، وقد ذكر يوسفيوس أن بيغماليون قد عاش "56 سنة" حكم منها "47 سنة"، وأنه في السنة السابعة من حكمه هربت أخته إليسا إلى لوبة وأسست هناك مدينة قرطاج، وعلى ذلك فهناك عنصر تاريخي سليم يتعلق بارتباط إليسا الصورية بعملية تأسيس قرطاج[3].

ومهما يكن من أمر فإن ما جاء في النص الأول، والثاني حمل في طياته حقيقة تاريخية مهمة، وهي التأكيد على أن من قام ببناء قرطاج هم سكان من فينيقيي مدينة صور، لاسيما وأن معظم المؤرخين يرجحون بأن حركة الاستيطان الفينيقي لغربي المتوسط تعود إلى فترة ازدهار صور، واتساع نفوذها خاصة زمن الملك أحيرام [4] (Ahiram) (980-936 ق.م)، الذي شجع التجارة البحرية والتوسع في إنشاء المراكز والمحطات التجارية، والسعي للحصول على المعادن عصب ثورة التحول من الصناعات الحجرية إلى المعدنية، حيث يشبه البعض تلك الفترة بمطلع العصور الحديثة التي شهدت فيها أوربا نهضة شاملة رافقتها حركة واسعة في مجال الكشوف

---

[1] – **فلافيوس يوسيفوس (37-38م)**: هو ابن عائلة يهودية ذات مكانة دينية مرموقة، ولد في مدينة أورشليم ركز في كتابته على اليهود وتاريخهم، واعتمد على وثائق حوليات الملوك الفينيقيين في مؤلفاته. ينظر: –يوسف بن غريون، تاريخ يوسفيوس، تر: زكريا بن سعيد اليمني، صفحات للنشر والتوزيع، ط1، سورية،2017، ص11؛ ينظر أيضا: –محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص75.

[2] – **ميناندروس الافيسوسي**: مؤرخ من إفسوس عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، وجاءت كتابته في شكل مقتطفات في مؤلفات المؤرخين اللاحقين أمثال فلافيوس يوسيفوس. ينظر: –الشادلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص91.

[3] – نقلا عن: –محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص 106؛ ينظر أيضا: – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص163.

[4] –**أحيرام**: تولى حكم صور بعد وفاة والده أبي بعل، ويعد المؤسس الحقيقي لمملكة صور عمل على نشر الاستقرار الداخلي، وتحسين العلاقات الخارجية وشجع التجارة البحرية، وتنسب إليه العديد من الأنشطة العمرانية بالمملكة، وقد اكتسب شهرة واسعة ترجع إلى صلته بالملك سليمان بن داود. ينظر:

- M. Mourre, Dictionnaire Encyclopédique d' histoire, Bordas, 1978, p2208.

الجغرافية [1]، والمؤكد أن صور كانت أقوى الممالك الفينيقية خلال الألف الأولى قبل الميلاد وهي من تزعمت تأسيس المستوطنات بحوض المتوسط في تلك الحقبة[2].

من خلال الملاحظات المقدمة نستطيع الكشف أن المؤسسين الأوائل كانوا يتمتعون بميزات كثيرة، لأن لهم فضل الريادة، لكن بلا شك، دعمت هذه الهجرات قرطاج بوافدين جدد إلى ما بعد المرحلة العتيقة "المرحلة الملكية"، وبذلك شكل هؤلاء الطبقة الأرستقراطية القرطاجية، ولابد من الانتماء لهذه الفئة حتى يصل الإنسان إلى سلطة كبار أعوان الدولة الذين يشتغلون وظائف سياسية ومدنية وعسكرية أو دينية، نلاحظ هذا بوضوح من خلال النقوش الجنائزية، إذ نجد في هذه النقوش أسماء الأسلاف ووظائفهم، حيث تبين في أحد هذه النقوش ما يلي: **"قبر بنت رب الكهنة بنت عبد ملقرت الرب بن ماجو ابن بدعشترت القاضي ابن ادن القاضي ابن عز ملك القاضي** [3] ".

يتضح في هذا النقش امتدادا لوظيفة سياسية عليا هي القاضي وأخرى دينية، وهي رب الكهنة، وذلك في عائلة واحدة، ومعنى ذلك أنه يمكن اختزال أحد مراحل التاريخ السياسي لقرطاج في سلطة العائلات الأرستقراطية، ونلاحظ أن هذه العائلة جمعت بالإضافة إلى الوظيفتين السياسية والدينية لقب الرب[4].

أما السكان الذين استقروا ببلاد المغرب القديم خلال العصر الحجري الحديث ومرحلة فجر التاريخ ووجدهم أولئك المهاجرون، فتسميهم المصادر المادية المصرية، وكذلك الكتابات الكلاسيكية اللوبيون (Le Libous)[5]، ولقد قسم هيرودوت (Herodotus) اللوبيين إلى مجموعتين من القبائل وجعل بحيرة تريتونيس (Tritonis) "ببحيرة شط الجريد جنوب تونس حاليا"[6] الحد الفاصل بين الأثنين، إحداهما إلى الغرب من البحيرة ومعظمهم من الزراع

---

(1) – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص70.

(2) – محمد حسين فنطر، الفنيقيون بناة المتوسط (الموسوعة المتوسطية) ، أليف منشورات البحر الأبيض المتوسط، ط1، تونس، 1998، ص ص 103-104.

(3) – نقلا عن: –حسام أبو سعدة، حضارة قرطاجنة، مكتبة النافذة، ط1، مصر، 2010، ص ص126-127.

(4) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 127.

(5) – مها عيساوي، المجتمع اللوبي....، المرجع السابق، ص ص 19-21.

(6) –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص117.

المستقرين، والثانية إلى الشرق منها وأغلبهم من البدو والرعاة، وأساس هذه التفرقة يرجع إلى اختلاف نوع الحياة في كل منهما ولا يرجع إلى اختلاف في العنصر[1].

وتشير أسطورة التأسيس إلى الاتفاق الذي تم بين الأميرة والزعيم المحلي هيارباص، "كما سبقت الإشارة إلى ذلك"، وهو ملك أحدى القبائل اللوبية الملقبة بالماكيستاني[2] (Maxitains)، والتي كانت تتوطن منطقة قريبة من قرطاج، بقي اسمها يتردد إلى وقت قريب من سقوط قرطاج في مدينة (Pagus-Muxi)[3].

يرى البعض أن منطقة بلاد المغرب القديم لم تدخل العصر التاريخي إلا مع مقدم الفينيقيين واتصالهم بسكانها، ومعنى هذا أنها كانت تعاني فراغا سياسيا وحضاريا كبيرين حيث يظهر أن عزلة سكانها قد عرقلت انسياب التأثيرات الخارجية بسهولة، وفرضت عليهم التمسك بتقاليدهم الموروثة[4].

عرف الليبيون الفينيقيين، وأسموهم "ف ن خ و"، والتي يعتقد أنها أخذت من اليونانية فونيكس[5] (Phoenix)، ولكن بعد دراسات وتحليل هذا الاسم اتضح أن أصله عربي، ويقصد به بنو كنع "أي بنو كنعان"، نسبة إلى جد الفينيقيين كنعان[6].

لا شك أن مستوطنة قرطاج كانت قد أقيمت بموافقة السكان الأصليين في المنطقة وذلك نظرا لطبيعة الفينيقيين السلمية، حيث كانوا أكثر اهتماما بالتجارة من اهتمامهم

---

[1] - Herodotus, Histories, Translation by: A.D. Godlye, **(L. C. L)**, London, 1921, IV, 1822, 192.2.

[2] – وتعرف بالمازيكس (Mazices) عند يوسثات (Eusthate). ينظر: –محمد الهادي حارش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في القديمة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، (ب ط)، الجزائر، 2013، ص ص 45–46.

[3]-Justinus, XVIII, 5.9-10, 6-1-2.

[4]–ميلود التوري، المرجع السابق، ص33.

[5] – **فونيكس**: دلالة جنسية أطلقها الإغريق على سكان الساحل السوري، المأخوذة من اشتهارهم بإنتاج نوع من الأصباغ الأرجوانية النادرة، المستخرجة من حيوان بحري رخوي يعرف باسم موريكس. ينظر: –عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، دار صادر، (ب ط)، بيروت، 1971، ج1، ص304

[6] – عبد العزيز سعيد الصويعي، المرجع السابق، ص139.

بالاستعمار، وحتى بعد أن تحولت قرطاج إلى مستوطنة رسمية تمكن مستوطنوها أي "الفينيقيون" من تحقيق تعايش ناجح إلى حد كبير مع أصحاب البلد الأصليين[1].

تذهب بعض الدراسات لاعتبار أن سكان قرطاج يتشكلون في الأساس من مزيج عنصرين بشريين، هما العنصر الفينيقي واللوبي، وهما اللذان كونا شعب قرطاج فيما بعد، كما كانا أيضا هما العنصران الأوليان اللذان عملا على تنمية وازدهار قرطاج [2].

2- التسمية:

قرطاج اسم ناجم عن تغيير طرأ على جغرافية عالم ذي جذور فينيقية[3] وهو قِرتْ حَدَشتْ، ويقصد بها "قرية حديثة"، وبشكل أدق "عاصمة جديدة"، ونظرا للنظام السياسي الذي عرفه الفينيقيون، وصبغ بلادهم والمتمثل في نظام الدولة – المدينة[4] (Cité-État) فإننا لا نوافق الترجمة، التي تعطي كلمة قِرتْ "معنى العاصمة أو القرية" [5]، لاسيما وأن قرطاج استطاعت بسرعة أن تفرض نفسها كسيدة في الحوض الغربي للمتوسط[6].

يبدو أن الكتاب القدامى يعرفون جيدا ما يرمي إليه التعبير الفينيقي، حيث فسرها كل من ماركوس كاتون[7](Marcus Caton)، وتيت ليف (Tite Live)،واعتبرا أن قِرتْ حَدَشتْ

---

[1]- جون رايت، المرجع السابق، ص24؛ ينظر أيضا: -محمد الهادي حارش، دراسات.....، المرجع السابق، ص ص 43-44.

[2] – سيد أحمد علي الناصري، تاريخ وحضارة الرومان (من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية)، دار النهضة العربية، (ب ط)، القاهرة، 1982، ص ص 136-137.

[3] – محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج (الموسوعة المتوسطية)، أليف منشورات المتوسط، ط1، الجمهورية التونسية، 2005، ص7.

[4] – **الدولة–المدينة**: وهو عبارة عن نظام، أو كيان سياسي أساسه مدينة مستقلة، تنحصر فيه السيادة، والعصبيّة بمواطني المدينة، وإن امتدت السيادة عمليا لتشمل ما يقع تحت سلطة تلك المدينة من محميات، أو مستعمرات، وقد عرفت العديد من الحضارات القديمة هذا النظام، ومن أبرزها بلاد اليونان، وفينيقيا، وسومر. ينظر: -يحي لطفي عبد الوهاب، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، (ب ط)، الإسكندرية، 1991، ص93-94.

[5] – هنري عبود، المرجع السابق، ص675؛ ينظر أيضا:

- A. Parrot et autres, L'expansionphémicienne (Carthage), Editeur Gallimord, Paris, 1975, p32.

[6] – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة ...، المرجع السابق، ص41.

[7] – **كاتون**: مؤلف لاتيني عاش حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، كلف من قبل مجلس الشيوخ بسفارة إلى قرطاج (105 ق.م) للنظر في النزاع بينها، وبين نوميديا، وصاحب العبارة المشهورة ديلندا=

"تعني المدينة الحديثة" [1]، وقد حرف نطقها الإغريق وأطلقوا عليها كارتشدون (Kartchedon)، وجعلها الرومان كرتاجو (Karthago)، أما العرب فقد سموها قرطاجة أو قرطاج[2]، ويذهب سيرفيوس (Servius) للاعتقاد بأن قرطاج تسمت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة لوبية كانت تسمى قارتا[3].

يفسر ذلك أن هذا الاسم جاء بهذا المعنى لأنه يتعلق بمدينة لاحقة، أو مضافة إلى منشأة أقدم كانت قائمة في الموقع نفسه، ولا يستبعد أنه قد أقيمت هنا في بادئ الأمر محطة تجارية مؤقتة اسكلة[4] (Escales) يرتادها التجار الفينيقيون قبل تحويلها إلى مستوطنة دائمة[5].

يشير البعض بشكل خاص إلى أنها سميت كذلك تمييزا عن مستوطنة أوتيكا[6] العتيقة الواقعة على بعد "30كلم" منها إلى الشمال الغربي من تونس الحالية[7]، وهناك رأي آخر يعتبر أن هذه التسمية جاءت من الشرق، فقد جاء اسم المدينة الحديثة لتمييزها عن المدينة الأم "صور"[8].

أصبحت قرطاج تشكل مركز الثقل الفينيقي في الحوض الغربي للمتوسط، فتحولت أنظار الفينيقيين إليها بعد أن أجبرتهم الظروف على ذلك، لاسيما بعد سلسلة الكوارث التي اجتاحت بلاد الفينيقيين وكانت آخرها لطمة نهب المقدونيين[9] لمدينة صور بعد الاستيلاء

=أستقرطاجو" أي يجب أن تدمر قرطاج". ينظر: -عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1970، ص7.

[1] – نقلا عن: – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة ....، المرجع السابق، ص41.

[2] – رمضان علي عبده، الشرق الأدنى القديم وحضارته (منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر) ، دار نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2002، ج1، ص103.

[3] – لمارمول كربخال، المرجع السابق، ص 18.

[4] – **اسكلة**: جمع اسكالات، وهي عبارة عن محطات تجارية مؤقتة بنيت بمواد بسيطة سهلة التلف والزوال، يستريح فيها التجار الفينيقيون من عناء السفر عبر البحر، ويتزودون فيها بحاجتهم من الماء، والغذاء. ينظر:

- P. Cintas, "fouille punique à Tipaza", **(R. Af)**, Alger, Vol, 92, 1948, p275.

[5] – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...، المرجع السابق، ص41.

[6]- M. H. Fantar, Carthage (la cité punique), Editeur Alif, Tunis, 1995, pp8-10.

[7] – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة....، المرجع السابق، ص41.

[8] – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص64.

[9] – **المقدونيين**: نسبة إلى مقدونيا الواقعة شمال بلاد الإغريق، ظهرت المملكة المقدونية على مسرح الأحداث التاريخية في عهد فليب المقدوني (359–336 ق.م)، الذي استطاع الاستلاء على المدن الإغريقية واحدة بعد الأخرى، وبدأ=

عليها (332 ق.م)[1]، وفي ظل هذه الاضطرابات التي أصبح يمر بها الوطن الأم "صور" وضعف المدن الفينيقية في الشرق[2] بدأت قوة الإغريق تتصاعد في الجهة الغربية من المتوسط مما دفع المستوطنات الفينيقية للالتفاف، وتسليم الأمر لقرطاج التي أصبحت في نظرهم تمثل القوة الفينيقية المركزية الجديدة، والوحيدة بالمتوسط الغربي هكذا أخذت المدينة البونية زمام الأمور وبدأت تتطور وتزدهر حتى تمكنت من اعتلاء عرش الحوض الغربي للمتوسط على رأس المستوطنات الفينيقية، ولا شك أن ذلك كان إبان الحقبة الأرستقراطية [3]، وبذلك أصبح يعنون بقِرتْ حَدَشتْ "المدينة الجديدة للفينيقيين" [4].

ثالثا) ميلاد المدينة:

إن مسألة ضبط تاريخ موحد ومتفق عليه لميلاد مدينة قرطاج ما يزال يخلق جدلا واسعا في أوساط الباحثين، وإن كان التاريخ الشائع بينهم، والذي يبدو أن لا أحد يجرأ على التشكيك، أو الطعن فيه هو عام (814 ق.م)[5].

مع ذلك كان من الجدير الإشارة إلى أهم التواريخ، التي وردت في نصوص وشهادات المؤرخين الكلاسيكيين "الإغريق واللاتين"، في محاولة لمد القارئ بعرض يسعى إلى تحقيق معادلة تجمع في الآن نفسه بين الدقة ووضوح الرؤية، بدا تتبع أهم هذه الشهادات، وفق المبدأ التالي:

- المجموعة الأولى: تزعمها فيلوستوس، الذي أرجع تأسيس مدينة قرطاج إلى ما قبل حرب طروادة[6] (Troie war)، وذلك بحدود نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد[7].

=يجهز نفسه لحملة نحو الشرق لكنه اغتيل قبل انطلاقها. ينظر: -سامي ريحانا، الهند وأوروبيون-اليونان-الهون (موسوعة أساطير وشعوب العالم)، دار نوبلس، ط1، بيروت، 2014، مج5، ص ص 105-107.

(1) - جون رايت، المرجع السابق، ص25.

(2)- P. Cintas, Manuel d' archéologie punique, paris,1970, T, 1,p 56.

(3) - محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي...، المرجع السابق، ص ص43-44.

(4) - ميلود التوري، المرجع السابق، ص37.

(5) - محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف منشورات البحر الأبيض المتوسط، (ب ط)، تونس، 1999، ص 16.

(6) - **حرب طروادة**: هي حرب دارت رحها بين الآخيين والطرواديين حوالي عشر سنوات، وقد ربطها هوميروس بأسباب أسطورية، بينما ربطها الباحثون في الدراسات الحديثة بأسباب اقتصادية. ينظر: -سامي ريحانا، مقدمة عن...، المرجع السابق، ص ص 111-112؛ ينظر أيضا:- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم (من حضارة كريت حتى قيام امبراطورية الاسكندر الأكبر)، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1976، ص ص 69-70.

(7) –Selon: S. Lancel, Op- Cit, p37.

– المجموعة الثانية: ومثلها تيمايوس، الذي يعتبر بأن تأسيس قرطاج كان قد سبق "38 سنة" قبل أول دورة للألعاب الأولمبية[1]، التي احتضنها جبل أولمبيا (Olympia) باليونان عام (776ق.م) ، وكذلك سبق تأسيس الإغريق لمستعمرة كوماي[2] (Cumae) بجنوب إيطاليا بحوالي "60 سنة"، هذه الأخيرة التي تأسست حوالي (750 ق.م) ، وذلك يعني أن التاريخ المفترض لدى تيمايوس حول تأسيس مدينة قرطاج يوافق(814 ق.م)[3].

– المجموعة الثالثة: تعتمد على أسبقية تأسيس قرطاج عن روما ومن أبرزهم جوستين، الذي يعتبر وجود فارق " 72سنة" بين تأسيس مدينة قرطاج[4] وروما، وهو ما يعني بأن نشأة قرطاج قد تم حوالي (824 ق.م)[5].

– المجموعة الرابعة: تقترح إضافة تاريخ سقوط قرطاج إلى المدة التي عاشتها لتحديد تاريخ تأسيسها، ومن هؤلاء تيت ليف الذي حدد تاريخ تأسيس قرطاج بحدود العام (813 ق.م) وذلك بالاعتماد على المدة التي عاشتها، وهي" 667سنة" أي "146+667=813" [6].

– المجوعة الخامسة: وكان على رأسها ميناندروس الإيفيزي، الـذي استعمل سجلات صور لمعرفة تاريخ المدينة، وقد اقتبس من معلوماته المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس [7]، وطبقا

---

[1] – **الألعاب الأولمبية**: أقيمت هذه الألعاب لتمجيد الإله زوس الأولمبي، واستمرت كل أربع سنوات في منتصف الصيف لمدة خمسة أيام. ينظر: –عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهليلادي)، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1971، ج1، ص112.

[2] – **كوماي**: تعد من أشهر المستوطنات التي أسسها الإغريق بجنوب إيطاليا حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، ويعتقد أنه عن طريقها عرف الأتروسك، والرومان الأبجدية الفينيقية. ينظر: –سيد أحمد علي الناصري، الإغريق ...، المرجع السابق، ص141.

[3]-Selon: -S. Lancel, Op- Cit , p38.

[4] – الشادلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 89.

[5]- Justinus, XVIII, 4.6.

[6]– نقلاعن:– نوال مغاري، "قرطاجة والليبيون 814-146 ق.م"، (ماجستير)، إشراف أ.د. محمد الهادي حارش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر–2، 2013، ص8.

[7] – نقلا عن: –أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، (ب ط)، تونس، 1993، ص11.

لبيانته الزمنية المعدلة بالدراسات الحديثة، فإن تاريخ تأسيس قرطاج يعود إلى سنة (870 ق.م)[1].

إن الشيء الملاحظ حول تاريخ ميلاد مدينة قرطاج بحسب النصوص التي أشرنا إليها ما يزال جدليا، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن أغلب هذه المرويات دونت متأخرة بالنسبة لتاريخ نشأة المدينة، فأقدم هذه الكتابات كتبت في القرن الرابع قبل الميلاد، وتواصل تناقلها إلى القرن الأول الميلادي، وبالتالي لا نستغرب من وجود بعض التباين بينها بسبب الإضافات وأحيانا أخطاء في النقل والنسخ[2]، كما يفسر بعض الباحثين هذا الاختلاف في تحديد سنة معينة لميلاد المدينة بين المؤرخين الكلاسيكيين بعدم الدقة في احتساب السنوات عند الربط بين الأحداث المتقاربة زمانيا، والمتباعدة مكانيا[3].

على الرغم من هذا على الباحث أن لا يستخلص من ذلك نتائج متسرعة، حيث قام الأثريون بعمليات التنقيب عن الآثار الفينيقية في مختلف المواقع القرطاجية، فلم يعثروا على أية آثار فينيقية الأصل في تلك المناطق قبل عام (750 ق.م)، ولقد اعتمد الأثريون في رأيهم هذا على الفخار الفينيقي الذي وجد في المقابر الأولى لمدينة قرطاج، وقد وجد مع هذا الفخار فخار يوناني وجعارين وتمائم مصرية، وعلى ذلك أمكن بالدراسات المقارنة معرفة زمن هذا الموقع الأثري، ومن المراكز الهامة التي تعد من أقدم المواقع الأثرية التي عثر فيها على الفخار الفينيقي الأول موقع بيرصا، حيث استطاعت بعثة التنقيب الألمانية (1973-1991م) تحديده[4] إذ أظهرت بعض الاكتشافات الأخيرة والتي نشرت في سنة (2007 م) أن الطبقة الأثرية الفينيقية الأقدم في قرطاج يجب أن تكون مؤرخة في الفترة الواقعة بين (900-750 ق.م)[5].

من المراكز الهامة أيضا موقع سلامبو (Salambo) ويعد أقدم حي بقرطاج، بحسب ما أثبتته الحفريات في معبد تانيت (Tanit)[6]، حيث وجدت فيه الأواني الفخارية التي احتوت

---

(1)- M. E. Aubet, Op- Cit, p 51.

(2) – الشادلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص89.

(3) -S. Lancel, Op- Cit, p39.

(4)- M. E. Aubet, Op -Cit, p52.

(5)-F. Horn, "Espagne les derniéres découvertes phéniciennes en: Les dossiers d'archéologie" **(H.S),** Paris, N° 13, novembre, 2007, p69.

(6) – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص112.

على البقايا المحترقة لعظام المضحى بهم والتي تعود إلى حوالي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد[1]، وقد سكنه الوجهاء والأثرياء من أرستقراطية قرطاج، وكانت به دور فخمة ومترفة وتحيط بها الحدائق المزهرة[2].

ولكن بالنظر إلى عدم اكتمال الحفريات بحسب الفرجاوي الذي يقول: "**إن حجة هؤلاء هشة لأننا لسنا متأكدين من أننا وصلنا إلى أسفل طبقة معبد بعل حمون (Ba'l Hammon) وتانيت** [3]"، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ليست الوكالات الفينيقية الأولى من النوع الذي يجب أن يترك آثارا دائمة، ضف إلى ذلك بأن الكثير من يعتقد أن الجزء الأقدم من قرطاج اختفى، وللأبد منذ أن دمرها الرومان[4]، كما أن أغلب ما عثر عليه من نقوش فينيقية لا تعدو كونها لوحات نذرية وإهداءات تتعلق بالجانب الديني تحديدا في ذات الوقت الذي طمست فيه معالم أغلب المستوطنات القرطاجية لتقام على أنقاضها مستعمرات رومانية متكاملة[5].

على أي حال فإنه لا يمكن أن نجعل من مسألة تاريخ تأسيس قرطاج مسألة شائكة تعيق البحث في تاريخ المدينة الحضاري، لاسيما إذا ما تم التعامل مع ذلك التاريخ بطريقة موضوعية وصورة تحليلية، فإن الآراء التي وردت في هذا الخصوص قريبة من الصواب، وإن تباعدت زمانيا فالتاريخ المفترض الأول هو نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو تاريخ استكشاف المدينة وبداية تردد الفينيقيين عليها كمحطة ثم مركز تجاري، أما القائلون بالقرن التاسع قبل الميلاد فيمكن اعتباره صحيحا خصوصا، وأنه التقى مع النصوص الأثرية إذا ما تم اعتباره تأريخا لبروز المدينة كعاصمة سياسية واقتصادية، لتظهر بمظهر الإمبراطورية فيما بعد.

نخلص مما سبق عرضه وحسب ما توفر لحد الآن من معطيات بأن قرطاج كانت أول الأمر محطة فينيقية بسيطة، خالية من كل أبهة وعظمة، تكاد تكون مجهولة، كأغلب المحطات الفينيقية التي انتشرت في الحوض الغربي للمتوسط لاسيما سواحل بلاد المغرب القديم، ولكنها

---

(1) - B.H. Warmington, Op- Cit, pp20-23.

(2) – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص112.

(3) – أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص18.

(4) – محمد الصالح بالطيب، تونس الأثرية مشاهد من الجو، أليف منشورات المتوسط، (ب ط)، تونس، 2008، ص3.

(5)- B.H. Warmington, Op- Cit,p 22-23.

بدأت بالصعود التدريجي مدينة مزدهرة نتيجة تفوقها على كل المحطات الفينيقية التي سبقتها لاسيما بعد تضاؤل شأن الوطن الأم "صور"، وبفضل نشاطها التجاري المكثف والمتنوع والذي انعكس ايجابا على قوتها العسكرية المتنامية، تمكن القرطاجيون في نهاية المطاف من وضع قاعدة قوية لحكمهم تطورت عبرها الأدوار الحضارية لقرطاج وفقا لتطور النظم السياسية التي شهدتها بداء بالملكية إلى الأرستقراطية فالديمقراطية.

الفصل الأول:

مراحل تطور دولة قرطاج

أولا) المرحلة الملكية (814-480 ق.م):

ثانيا) المرحلة الأرستقراطية (480-237 ق.م):

ثالثا) المرحلة الديمقراطية (237-146 ق.م):

قد توقع المراحل التاريخية لدولة قرطاج المتداولة بين الباحثين القارئ في نوع من اللبس[1] وذلك ناتج عن اختلاف وجهات النظر في الدراسات لاسيما في ظل قلة المصادر المادية أو الكتابية ذات الأصل الفينيقي- القرطاجي[2]، وهنا يشير أحد الباحثين على ذلك بقوله: **"إن انعدام آثار قرطاج إنما هو ما يجب أن نتوقعه ألم يحدثنا التاريخ بأن الرومان لم يتركوا في المدينة حجرا على حجر، وأن كل ما تخلف عنها من موارد ربما استخدم في بناء قرطاج الرومانية [3]"**.

لقد أدت الأسباب "السابقة الذكر" لاعتماد جل الباحثين بالأساس في أبحاثهم عن كتابات المدرسة الكلاسيكية التي مثلها قدماء المؤرخين الإغريق و اللاتين [4]، على الرغم من عدم معاصرة أولئك الكتاب للكثير من الوقائع التي شملتها مدوناتهم، فضلا عن جهلهم باللغات المحلية والتقاليد السائدة في المناطق التي كتبوا عنها، وتوظيفهم لأساطير تصور النواحي السياسية، والاجتماعية، والدينية لا تخدم الحقائق التاريخية مباشرة [5]، كما لا يمكن تجاهل نظرة الحقد، والعداء التي استحوذت على مشاعر أولئك الكتاب اتجاه كل ما هو فينيقي سامي، بسبب تصادم المصالح الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، مما أدى حتما إلى تحريف الكثير من الحقائق، وكيل التهم والطعن فيها بشكل عشوائي[6].

---

[1] - الشادلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص129.

[2] - محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص ص72.

[3] - ف. ن. بريس، القرطاجيون وإمبراطورتيهم البحرية (تاريخ العالم) ، تر: عبد الفتاح صدقي، مكتبة النهضة المصرية، (ب ط) ، القاهرة، (ب ت) ، مج3، ص244.

[4] - أندريه ايمار و جانين أوبوايه، روما وامبراطوريتها (تاريخ الحضارات العام) ، تر: فريد. م. داغر وفؤاد.ج. أبو ريحان، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 1986، مج2، ص57.

[5] - محمد الصغير غانم، التوسع....، المرجع السابق، ص ص 72-77.

[6] - أندريه ايمار و جانين أوبوايه، المرجع السابق، ص57؛ ينظر أيضا: - ويل ديورانت، قيصر المسيح أو الحضارة الرومانية (قصة الحضارة) ، تر: محمد بدران، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، (ب ط) ، بيروت، (ب ت) ، ج1، مج3، ص89.

يضاف إلى ما سبق ذكره أن التنقيب الأثري في مناطق بلاد المغرب بما فيها موقع قرطاج لا يحظى بالاهتمام والدعم الكافي، وهذا ما يجعل المصادر المادية شبه قاصرة على تقديم معلومات وافية[1].

ويمكن تتبع الأدوار التاريخية لقرطاج، من خلال ما عرفته من تطورات في الأحداث السياسية خلال تاريخها، وهي كتالي:

أولا) المرحلة الملكية (814-480 ق.م):

عرفت هذه الفترة من تاريخ قرطاج بقرطاج الأولى أو العتيقة[2]، أما التسمية الأكثر شيوعا واستعمالا بين الباحثين، خلال هذه المرحلة قرطاج الملكية، وعلى الرغم من صعوبة الحصول على معلومات وافية حول تطور الحياة السياسية بقرطاج، إلا أنه لا يستبعد أن تكون قرطاج عرفت في بادئ أمرها النظام الملكي[3]، وذلك بقدوم الأميرة إليسا[4]، التي قد تكون أنشأت عند هجرتها إلى قرطاج في الربع الأخير من القرن التاسع قبل الميلاد أسرة ملكية، وإن كان ليس بحوزتنا سجل بحكام هذه الأسرة[5]، إذ يفترض أن هذه المرحلة في الواقع تعد استمرارا لما كان متبعا في حكومات المدن الفينيقية في الحوض الشرقي للمتوسط على غرار صور، وصيدا، وجبيل[6].

الحقيقة لا توجد أي دلائل مادية تبرهن على امتداد الملكية الفينيقية إلى قرطاج[7] وحتى النصوص القديمة، التي تكلمت عن مجيء إليسا وبناء مدينة قرطاج باستفاضة، و اعتبرتها أول ملكة ذات أصول فينيقية في الحوض الغربي للمتوسط نجدها تسكت بشكل شبه كلي عن

---

(1) – محمد الصغير غانم، التوسع ...، المرجع السابق، ص77.

(2) – المرجع نفسه، ص129.

(3) – أندريه ايمار و جانين أوبوايه، المرجع السابق، ص46.

(4) -H. Slim et autres, Histoire Générale De La Tunisie (L'Antiquité), Sud Editions,2 éme Ed, Tunis, 2015, T, 1,pp 31.

(5) – صلاح أبو السعود، تاريخ وحضارة الفينيقيين، مكتبة النافذة، ط1، مصر، 2011، ص164.

(6) – **جبيل**: واحدة من أهم المدن الفينيقية تقع في شرقي بيروت، كانت تسمى جبلة، وأطلق عليها الإغريق بيبلوس، وهي تحريف لكلمة (Bible)، ومعنها "الكتاب"، وكان للجبليين دورا كبير في تأمين الخشب لبناء هيكل النبي سليمان "عليه السلام". ينظر: –ماجد أحمد علي الحمداني، المرجع السابق، ص ص 490-491؛ ينظر أيضا: – ميلود التوري، المرجع السابق، ص39.

(7) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص57.

الفترة اللاحقة لموتها، حيث لم توضح طبيعة ذلك الحكم وهيئاته، بالرغم من أنها وصفته بالملكية، لكنه يبقى حديثا يفتقد إلى الدليل الذي يؤكد خصائص ذلك النظام، فلم نعثر على اسم ملوك، أو حتى زعماء ورثوا ما تركته لهم الملكة المؤسسة، إذ يعتقد أنه من الاستحالة أن تكون المدينة قد أديرت من قبل ملوك استطاعوا الوصول بها كدولة ذات كيان سياسي قوي مع مطلع القرن السادس قبل الميلاد، ثم لا يترك أحدهم ما يخلد ذكراه[1].

نلاحظ الكثير من المؤرخين يرفضون وجود نظام ملكي في قرطاج[2]، ويبنون رأيهم على العلاقة التي ربطت المدينة البونية بصور، حيث كانت علاقة وثيقة بنيت على أساس تبادل المصالح خلال القرون الأولى من نشأة المدينة، والتي أدت فيها قرطاج دور واجب التبعية شأنها شأن بقية المراكز الفينيقية الأخرى المنتشرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط[3]، فكانت قرطاج ترسل في كل سنة ضريبة عن طريق سفراء تعادل عشر دخلها "1/10" إلى مؤسسة العشر بصور المتواجدة بمعبد الإله ملكارت[4]، لذلك فإنهم يعتقدون بأن هذه القرابين نوعا من الضريبة، ولقد تم تخفيض تلك القرابين فيما بعد، ولكن في أوقات الخطر كان القرطاجيون يتذكرون إله صور ويعودون إلى تمجيده ويزيدون من القرابين التي يقدمونها له[5]، وهذا ما يعتدونه دليلا على أن قرطاج لم تكن سوى مستوطنة تجارية خاضعة لصور، وليست مملكة في بداية نشأتها على الأقل[6]، في حين يرى بعض الباحثين أن العلاقة بين صور وقرطاج لا تعدو كونها مظهرا من مظاهر التقوى والطاعة المتمثل في قوة ارتباط القرطاجيين بالإله ملكارت[7].

واعتبروا أن المدينة البونية كانت تدار بواسطة مجلس، يمثل طبقة التجار من ذوي المصالح في المنطقة، وكان يتلقى أوامره من الشرق، بل ولا يستبعد أنه كان يعين من هناك حيث لم تظهر أسماء شخصيات أو حكام في قرطاج نتعرف من خلالها على أصحاب السلطة فيها وإنما كانوا عبارة عن تجار يديرون مصالحهم التجارية، ويمارسون طقوسهم الدينية، وينظمون

---

[1] – مفتاح محمد سعد البركي، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس قبل الميلاد حتى منتصف القرن الثالث ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة، مجلس الثقافة العام، (ب ط)، الجماهرية العربية الليبية، 2008 ، ص172.

[2] – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص57.

[3] – سامي ريحانة، الفينيقيون.... ، المرجع السابق، ص78.

[4] – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص57.

[5] - S. Moscati, Op- Cit, p116.

[6] – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص173.

[7]-Ch. A. Julien, Histoire de I' Afrique du nord des origines à la conquête arabe, 4th Ed, Tunis, 2003, p93.

العلاقات في ما بينهم، وبالتالي فالمدينة خلال هذه الحقبة كانت متواضعة تابعة لصور "كما سبقت الإشارة إلى ذلك" [1].

من الممكن أن يكون الكتاب الأقدمون لجأوا إلى كلمة الملك لعدم معرفتهم بالتسمية البونية[2] لمن يشغل الوظيفة التنفيذية العليا في العالم البوني، وفي أبحاث أخرى نجد بعض النصوص تشير إلى أن قرطاج عرفت نظاما ملكيا مقيدا بسلطة الدستور "مجلس الشيوخ" [3] مثلما كان عليه في الوطن الأم "صور"، حيث اكتسبت مجالس الشيوخ في آخر العصر الفينيقي سلطة تكاد تساوي سلطة الملك، الذي كان في صور بمقدوره أن يتخذ أي قرار في غيبة الملك[4]، مثلما حدث تماما مع الملك القرطاجي ملخوس[5] (Malchus)، الذي حكم عليه بالنفي من قبل مجلس قرطاج[6].

الملاحظ من خلال ما دونه أرسطو طاليس (Aristo tales) إلى تقييد الملكية القرطاجية إذ يستعمل صيغة الملوك في مقارنته بين الملكية الاسبرطية والملكية القرطاجية، حيث يرى في

---

(1) – صلاح أبو السعود، المرجع السابق، ص164.

(2) – **البونية**: كلمة بوني (Poeni) تسمية لاتينية أطلقها الرومان على فنيقي الحوض الغربي للمتوسط، وجاءت في اللغة الفرنسية (Punique)كصفة، أو نعت يشر إلى ذات الاسم، وبعد أن انتقلت إلى العربية عربت دونما اهتمام بالقواعد الصرفية فقيل بونيقيون وبونيون، وهناك رأيي آخر يعتبر أن البونيون ليس أولئك الفينيقيون الذين غادروا مدنهم من الشرق، وأسسوا مدن في الحوض الغربي، بل هم أولئك الذين توالدوا عن ذلك اللقاء الحضاري بمعناه العميق ، فالبونيون في مغربنا مثلا هم نتيجة امتزاج المغاربة بالعناصر الفينيقية التي أقبلت من الشرق. ينظر: –محمد حسين فنطر، "كلمة بونيقية أو بونية"، **مجلة الفكر**، تونس، ع27، 4-01-1982، ص ص 47-48؛ ينظر أيضا: –خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، المرجع السابق، ص47.

(3) - S. Moscati, Op- Cit, p131.

(4) – سفر حزقيال (العهد القديم)، جمعية الكتاب المقدس، ط4، لبنان، 1995، 26.9.

(5) – **ملخوس**: من أبرز قادة قرطاج الذين ظهروا ابان القرن السادس قبل الميلاد انتصر في صقلية (550 ق.م)، ثم هزم في سردينيا مما أدى لمعاقبته من قبل مجلس الشيوخ، فقاد تمردا على قرطاج حتى تمكن من دخولها عنوة ليعين نفسه ملكا، لكن سرعان ما ثار عليه القرطاجيين لاستبداه وطغيانه. ينظر:

- Justinus, XVIII, 7.1-19.

(6)- S. Lancel, Op- Cit, p159.

هذه المقارنة أن الملكية في إسبرطة[1] وراثية تمارس مدى الحياة، بينما الملكية القرطاجية انتخابية ومحددة المدة[2].

كما أن المتتبع للتاريخ السياسي لقرطاج خلال هذه الحقبة بحصافة يلاحظ أن استئثار فرد بعينه للسلطة، يبدو في قرطاج أمرا غير مقبول لا يتوافق ومصالح القلة الثرية، فالكل يعتبرون أنفسهم ملوكا، والكل يسعى إلى أن يكون هناك توزان في السلطات يضمن لهم حماية مصالحهم، وأن أي محاولة تخرج عن هذا الحقل يهدد مصالح الكل، وبالتالي لابد من اعتراضها واجتثاث دابر مدبريها، وربما في نهاية مالخوس ما يوافق ذلك، والذي يعتبر أول ملك تذكره المصادر الإغريقية بعد إليسا، وذلك مع مطلع القرن السادس قبل الميلاد، إذ عرف بلقب بزيليوس (Basileus)، ومن أهم المؤرخين الذين قدم لنا أخبار عنه جوستين[3].

يذهب الباحثان الفرنسيان الأخوان بيكار (Picard)،واللذان يعتبران من أشهر المتخصصين في تاريخ قرطاج[4]، إلى أبعد من ذلك من خلال دفاعهما عن فكرة الملكية المطلقة[5]، فقد كان الملك يحكم مدى الحياة[6]، ويؤكدان أن قرطاج مثل كل المدن الإغريقية والرومانية، انتقلت من الحق الإلهي[7] إلى الديمقراطية، ويوضحان أنه في البداية كانت الأساطير تشرح الوظيفة الدينية للملكية، ولذلك كان انتحار إليسا يؤكد إلتزام ملوك قرطاج بحماية المدينة

---

(1) – **إسبرطة**: تعتبر مدينة إسبرطة من المدن الإغريقية الضاربة في القدم، تقع في إقليم لاكونيا في جنوب شبه جزيرة البلوبونيز، تميزت بأسلوبها الاجتماعي والسياسي، كانت إسبرطة مدينة بسيطة وصغيرة، ولم تعرف نهضتها الحضارية إلا حوالي القرن الثامن قبل الميلاد على يد الغزاة الدوريين. ينظر: –عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، (ب ط)، الجيزة، 1998، ص ص140-141.

(2) – نقلاعن: –حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص ص 57-58.

(3) – محمد الصغير غانم، معالم...، المرجع السابق، ص 93؛ ينظر أيضا:

- Justinus, XVIII, 7.1-19.

(4) – نقلا عن: – فوزي مكاوي، "تطور نظام الحكم في قرطاج"، **مجلة الدراسات الإفريقية**، القاهرة، ع 8، 1979، ص87.

(5) – نقلاعن: – صلاح أبو سعود، المرجع السابق، ص 164.

(6) – نقلا عن: – فوزي مكاوي، تطور...، المرجع السابق، ص87.

(7) – **الحق الإلهي**: تعني أن الملك يستمد شرعيته من الآلهة، أو من الله أي أنه ممثل للإله على الأرض، ويأخذ حقه في الحكم بتفويض إلهي. ينظر: –صباح كريم رياح الفتلاوي، "نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي دراسة مقارنة"، **مركز دراسات الكوفة**، الكوفة، ع10، 2008، ص ص100-101.

من الأخطار، ويعتبر إخبار عن مسؤوليتهم من حدوث هذه الطوارئ، فإليسا عندما خيرت بين الزواج من الزعيم المحلي هيارباص، أو أن تواجه مدينتها الفتية الحرب لم تجد أمامها حلا سوى الانتحار لكي تهب للمدينة فرصة الحياة، والملك هملكار[1] (Himilkar) ألقى بنفسه في النار ومات عندما بلغه خبر هزيمة جيشه في موقعة هيميرا[2].

كان الانتحار الملكي في الدولة لا يدين صاحبه بل كان يؤدي إلى رفعه منزلة الأبطال فالملك المنتحر يتم تأليهه بعد ذلك احتراما لدوره، مثل الأميرة إليسا التي ظلت تعزز كل عام في مكان موتها كربة حتى سقوط قرطاج[3]، ويضيفان إلى أن الملكية في المدينة البونية قد تنقطع أحيانا، وتغتصبها بعض الشخصيات أحيانا أخرى، نتيجة لفترات التمرد والعصيان[4]، أو قد يتم اختيار شخص ما لإنقاض المدينة، وفقا لخصاله وبطولاته، كما يشير إلى ارتباط المصالح بين الكهنة، وقادة الجيش، والملك المنتخب[5].

تعد عائلة آل ماغون[6] (Magon) أبرز العائلات التي استطاعت تثبيت وجودها خلال هذه الحقبة، فكانوا هم بعد مالخوس "كما سبقت الإشارة إلى ذلك"، حيث استطاع آل ماغون بما امتازوا به من عبقرية في فنون الحرب والقتال تحقيق الانتصار تلو الآخر، واستغلال عوائد تلك الانتصارات لبناء مجد قرطاج وتوسيع نفوذها، واستقطاب الأنصار والأعوان[7].

لعبت العائلة الماغونية دورا خطيرا في تاريخ قرطاج، حيث كان لهم اليد الطولى التي ساهمت في صنع مجد قرطاج لا سيما على الصعيد السياسي والاقتصادي، وذلك بفضل

---

(1) – **هملكار**: قائد فلول القرطاجيين في معركة هيميرا ينتسب إلى أب قرطاجي، وأم من سيراكوزة، وأما توليه ملك قرطاج فلجدارته. ينظر:

- Herodotus, Persian Wars, Translated by: G. Rawlinson, **(M. L. E)**, 1942, VII, 166.

(2) – **هيميرا**: مدينة تقع شمال جزيرة صقلية استوطنها الإغريق، وشهدت أكبر وأعنف المعارك بين القرطاجيين والإغريق عام (480 ق.م)، وما لبث أن دمرها الجيش القرطاجي بقيادة حنبعل بن جيسكون عام (409 ق.م). ينظر:

- H. Slim et autres, Op- Cit, pp38-40.

(3) – خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، المرجع السابق، ص230.

(4) – نقلا عن: – صلاح أبو سعود، المرجع السابق، ص 164.

(5) – نقلا عن: –حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 59.

(6) – **ماغون**: يعد مؤسس الأسرة الماغونية، وهي أول أسرة وضعت أسس للنظم السياسية، والعسكرية بقرطاج، كما تولى أبناؤه وأحفاده من بعده مهمة التصدي للإغريق خلال القرنين الخامس، والرابع قبل الميلاد. ينظر:

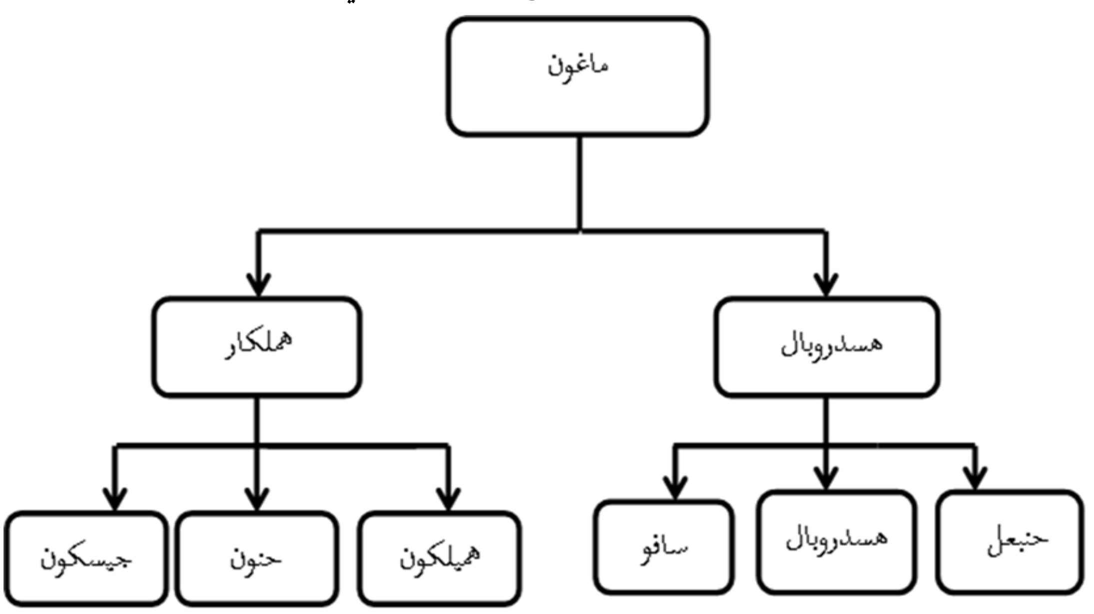
- Justinus, XIX ,1.2.

(7) -Ibid, XIX,2.5.

مغامراتهم وشجاعتهم وعبقريتهم الحربية، فضلا عن استخدامهم لجنود من المرتزقة، مكنتهم من خوض الكثير من المعارك الفاصلة في تاريخ وحياة المدينة البونية، وبفضل الانتصارات الباهرة التي حققها آل ماغون استطاعوا أن يحققوا لأنفسهم مجدا عظيما، كما فتحوا للصناعة والتجارة أسواقا في الخارج، ومنحوا للطبقة الأرستقراطية أراضي خصبة في العمق الإفريقي، كل ذلك مكن آل ماغون من السيطرة على الحكم والإدارة في البلاد سيطرة تامة مما جعلهم يستبدون بالأمر في النهاية[1].

قدم آل ماغون ملوكا للمدينة البونية بصفة مستمرة امتدت من عام (530 ق.م)، وإلى غاية انهزام قرطاج في واقعة هيميرا (480 ق.م)، وهو الأمر الذي يدعونا للقول بأن الملكية كانت وراثية على الأرجح داخل هذه الأسرة حتى سقوطها، فقد اعتلى ماغون نفسه العرش ثم تولى بعده أبناءه هسدروبال (Hasdrubal) وهملكار، وكذلك أبناء هسدروبال الثلاثة، وهم حنبعل (Hanibal)، وهسدروبال، وسافو (Sapho)، كما تولاه أبناء هملكار الثلاثة، وهم هملكون (Himilcon) وحنون (Hannon)، وجيسكون (Giscon)[2]

ويمكننا ايجاز سلسلة هذه العائلة كما وردتنا عن القدماء كالتالي:



مخطط يوضح أهم أفراد عائلة آل ماغون (من إعداد الباحث)

[1] – محمد مهران بيومي، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، (ب ط)، الإسكندرية، 1990، ص 197؛ ينظر أيضا: –أحمد صفر، المرجع السابق، ص105

[2] – المرجع نفسه، ص 104.

ظهر النظام الملكي في قرطاج بشكل متطور وجلي، مع حلول القرن السادس قبل الميلاد، ويعود السبب في ذلك لبداية تراجع وانكماش قوة صور، بسقوطها في قبضة نبوخذ نصر الكلداني[1] (Nebuchadnezzar) حوالي عام (574ق.م)[2]، إذ أصبحت قرطاج شبه مستقلة عن الوطن الأم "صور"، فبضعف هذه الأخيرة عملت قرطاج على إدارة شؤونها بنفسها، وبدأت في تقرير سياستها الداخلية والخارجية[3].

وهذا ليس بالأمر الغريب لاسيما وأن قرطاج تعد أهم مستوطنة فينيقية في الحوض الغربي المتوسط، ووكالة جديدة تم تأسيسها بصورة تجعلها مؤهلة لتكون منذ بدايتها دولة، فهدف قرطاج يتمثل والحال كذلك في حماية مصالح الفينيقيين، والدفاع على مناطق نفوذهم في غربي المتوسط، وإقامة مستوطنات تابعة لها منذ (654 ق.م) يشير إلى مغامرة قرطاجية يستنتج منها الحرية والجرأة ونضوج نظام حكم قرطاج، الذي بدأ يحس بالمسؤولية دون ما العودة إلى القصر في صور متحركة بطموح، ومستعدة للدفاع عن الحضور الفينيقي في الحوض الغربي[4]، هذه الظروف وغيرها أدت إلى ظهور قرطاج كقوة مستقلة بنظام حكمها، ومؤسستها في الحوض الغربي للمتوسط[5].

لكن ظهور الإغريق وانتشارهم في الشطر الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد في الجهة الغربية للمتوسط، بهدف التجارة من ناحية، وحركة تأسيس المستعمرات باعتبارها وحدات مستقلة سياسيا من ناحية أخرى، وكان هذا الانتشار عموما بسبب ضيق بلاد الإغريق لذلك

---

[1] – **نبوخذ نصر الكلداني**: هو أهم ملوك العصر البابلي الحديث في عهدها الامبراطوري، إذ بلغت بابل خلال مدة حكمه أوج عظمتها في جميع النواحي، حيث تمكن من فرض سيطرته على أغلب أرجاء الشرق الأدنى القديم، فقد وصلت فتوحاته إلى البحر المتوسط، وقضى على دولة يهوذا، ورحل اليهود إلى بابل في الترحيلين الأول والثاني، وهو باني الجنائن المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع، وغيرها من المظاهر العمرانية في بابل. ينظر: –قيس حاتم هاني الجنابي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2014، ص 155.

[2]- G. Herm, The Phoenicians (The Purple Empire Of The Ancient Worrld), Translated By: C. Hillier, 1st Ed, London, 1975, p 148.

[3] – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص177.

[4] – محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، المرجع السابق، ص ص 8-9.

[5] – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص177.

فإن حركة توسعهم جاءت نتيجة ضغط الزيادة السكانية في المدن الأم، وما نشأ عن ذلك بالضرورة من مشكلات سياسية وخصومات عسكرية بالغة الأثر[1].

ترجح العديد من الكتابات بأن نشاط الإغريقي السياسي والاقتصادي كان مع بداية القرن السادس قبل الميلاد، الأمر الذي جعل قرطاج تستنفر من هذا النشاط، كونها تظن نفسها بأنها زعيمة هذا الحوض بما فيه سواحل بلاد المغرب القديم، وجنوب شرق إسبانيا، والسواحل الغربية لجزيرة صقلية، والجزر القريبة منها، وأن أي تدخل خارجي ما هو إلا اعتداء على أملاكها الخاصة يجب لجمه ورده، ومن هنا كان على الإغريق أيضا الدفاع على مجال نفوذهم وفي ضوء هذه المجريات تكون عناصر الصراع بين الإغريق وقرطاج قد توفرت[2].

وصل هذا الصراع إلى ذروته خلال القرنيين الخامس والرابع قبل الميلاد، وكانت أشد وأعنف هذه المعارك معركة هيميرا (480 ق.م)، والتي تكبدت فيها قرطاج هزيمة واضحة في وسط البحر المتوسط، واستطاع الإغريق تثبيت أقدامهم في جزره لاسيما صقلية، وكان هذا الحدث بالغ الأهمية دفع بقرطاج[3] إلى تغير نظام حكمها من النظام الملكي إلى النظام الأرستقراطي، لكي يكون النظام أكثر تقيدا، وحتى لا تنفرد عائلة واحدة بالحكم تشكل خطرا على الدولة[4].

ثانيا) المرحلة الأرستقراطية (480-237 ق.م):

عرفت هذه الفترة من تاريخ قرطاج بالمرحلة الأرستقراطية، و أعتبرها بعض الباحثين على أنها أقرب ما تكون إلى النظام الجمهوري، بناء على تعدد الوظائف السياسية[5]، في حين نجدها في بعض الدراسات، تسمى بالعصر البوني الوسيط (Punique moyen)، وفي أبحاث أخرى تعرف بقرطاج الكلاسيكية (La Cartage classique)، ونحن إنما نوافق أرسطو (Aristo)في

---

(1) – محمود فهمي، تاريخ اليونان، مكتبة ومطبعة الغد، (ب ط)، الجيزة، 1999، ص ص 65-80.

(2) – يحي لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص 152-154.

(3) – صلاح أبو السعود، المرجع السابق، ص127؛ ينظر أيضا: – سيد أحمد علي الناصري، الإغريق...، المرجع السابق، ص143.

(4)- Justinus , XIX, 2.5-7.

(5) – ميلود التوري، المرجع السابق، ص 39.

وصف هذه الفترة من تاريخ المدينة البونية بقرطاج الأرستقراطية [1]، وذلك بناء على ما قدمه من معلومات عن نظام ومواصفات الحكم الأرستقراطي[2].

في الحقيقية إن أفضل طريقة لدراسة الكيفية التي انتقلت منها قرطاج من النظام الملكي إلى الأرستقراطي، هي دراسة الصراع الإغريقي القرطاجي، وسنتناول في الغالب معركة هيميرا (480 ق.م)، التي مثلت الميزة الأساسية لبداية انهيار النظام الملكي، وتبلور النظام الأرستقراطي، ولابد من الإشارة في بداية الأمر إلى أننا لن ندخل في التفاصيل العسكرية للصراع القرطاجي الإغريقي، والذي كتب حوله العديد من الدراسات والأبحاث، لذلك سنكتفي بتقديم مسح شامل حول هذا الموضوع.

كان ضيق بلاد اليونان هو الآخر أحد الدوافع المباشرة للإغريق ليبحثوا لأنفسهم عن مستعمرات خارج نطاق بلادهم، "كما سبقت الإشارة لذلك"، وهكذا سيكون الصدام أمرا حتميا بين الإغريق والفينيقيين، بسبب التزاحم والتنافس. في البداية كان كل شيء على ما يرام، البحر واسع وتجارته وفيرة، ولكن تغير كل شيء في مطلع القرن السادس قبل الميلاد، فقد بدأ الإغريق بمضايقة الفينيقيين، وهذا ما دفع الفينيقيين ليحملوا السلاح دفاعا عن تجارتهم ووجودهم لا ليمارسوا القرصنة كما ادعت الكتابات القديمة، والدراسات الغربيية الحديثة[3].

مثلما كانت المستعمرات الإغريقية في آسيا الصغرى محط اشتباك بين الإغريق والفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، فقد كانت المستعمرات والمدن الإغريقية في غرب المتوسط، ولاسيما في صقلية محط نزاع مع القرطاجيين. وقد بدأت أولى معارك الإغريق مع قرطاج، عندما منع

---

[1] - Aristotles, Politics, Translated by: B. Jowett and S. H. Butcher, **(L.C. L)**, (DS), II, 8.1.

[2] - ويليام دويل، الأرستقراطية (مقدمة قصيرة جدا) ، تر: زينب عاطف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، 2012، ص ص12-13.

[3] - عبد الحميد رجب الأثرم، تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، منشورات جمة قاريونس، ط2، بنغازي، 2001، ص ص 107-111؛ ينظر أيضا:

- H. Dexter, The Carthaginians (Peoples of the Ancient World), New York, 2010, pp43-44.

الإغريق القرطاجيين من تأسيس مستعمرة لهم في مرسليا (Marseille)، حيث منيت قرطاج بهزيمة مبكرة في عام (600 ق.م)[1].

في ليبيا كانت بداية الحروب القرطاجية الإغريقية عندما حاول درويوس الإسبرطي[2] (Dorieus) التوطن في ساحل ليبيا عام (517ق. م)، في منطقة وادي كعام[3]، المعروفة تاريخيا باسم نهر كينوبس (Cinyps)، ولكن قرطاج رأت في هذا الفعل خطر يهدد أمنها ومصالحها لذلك عملت على إبطال محاولته بالتحالف مع قبيلة المكاي (Macae) [4]، بعد ما نجحت قرطاج وأنصارها من المكاي في مهمتهم عام (514 ق.م)[5] من افشال مشروع دريوس الإسبرطي بسطت قرطاج نفوذها على إقليم المدن الثلاث[6]، الذي تحول من مراكز تجارية إلى مناطق استيطانية، وأضحى يمثل قطعة أساسية وأمنية وتجارية ذات أهمية لقرطاج، التي نجحت في السيطرة عليه لعدة قرون[7].

---

(1) – يحي لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص157؛ ينظر:

- H. Dexter, Op-Cit , p43.

(2) – **دوريوس الإسبرطي**: يروي هيرودوت بأنه ابن ملك إسبرطة، وقد غضب بعد انتقال العرش إلى أخيه كليومينس المختل فجمع أنصاره، واتجه إلى سواحل ليبيا أين أسس مستوطنة تدعى نثابوليس "أي المدينة الجديدة". ينظر:– عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق،ص346.

(3)– **وادي كعام**: يقع إلى الشرق من لبدة الكبرى، وقد أشار إليه هيرودوت في كتابه الرابع، وتوسع في الحديث عن خصوبة تربته ووفرة خيراته. ينظر:

-Herodoutus, Histories, IV, 199.2-3.

(4) – **المكاي**: وهي أحد القبائل الليبية تمتد مواقعهم حتى وادي كعام، ويجري نهر كينوبس إلى بحرهم قادما عبر أراضيهم من تل يقال له تل الحسان، ولها علاقة بشواطئ خليج السرت من حيث الإقامة أحيانا. ينظر: –مصطفى كمال عبد العليم، <u>دراسات في تاريخ ليبيا القديم</u>، المطبعة الأهلية، (ب ط)، بنغازي، 1966، ص، ص 50، 61؛ ينظر أيضا: – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 346.

(5) – المرجع نفسه، ص ص 346-347.

(6) – **إقليم المدن الثالث**: وتعرف أيضا بالأمبوري (Emporium)، وهي لبقي "لبدة الكبرى"، وويات "طرابلس الحالية"، وصبراتن "صبراتة"، ومع حلول القرن السادس قبل الميلاد وأمام ضعف وتراجع الوطن الأم صور، أصبحت قرطاج هي المسؤولة على هذا الاقليم ومدنه، خاصة في المجال السياسي والاقتصادي. ينظر: –مصباح علي أحمد أسيمه، "إقليم المدن الثالث وعلاقته بالمملكة النوميدية 606-46 ق.م"، (ماجستير)، إشراف أ.د. عبد الحفيظ الميار، كلية الآداب والعلوم، جامعة المرقب، (ب ت)، ص ص 33-44.

(7) – المرجع نفسه.

إلى الشرق من إقليم المدن الثلاث مثلت المناطق الواسعة على خليج السرت[1]، والتي تفصل بين الأقاليم وبين مستعمرات الإغريق في شرق ليبيا مسرحا للنزاع بين الطرفين، وانتهى بالتوصل إلى عقد اتفاق بشأن ترسيم الحدود بينهما، حوالى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد[2]. ولكن المصادر التاريخية لا تقدم ما يكفي لإلقاء الضوء على كيفية تسوية النزاع الحدودي[3] إلا قصة الأخوين فيلاني (Philini Brothers) الأسطورية الواردة عند المؤرخ الروماني سالوست (Sallust)[4].

يمكن تلخيص القصة في أن الإغريق والقرطاجيين قد تنازعوا على منطقة الحدود بينهما، حيث قررا أن يقوم عداءان من الإغريق وعداءان من قرطاج في نفس الوقت من مناطق وجودهما، وتعد المنطقة التي يصلها عداء الطرفين هي الحد الفاصل، فوصل العداءان القرطاجيان إلى المنطقة المسماة الآن بمذبح الأخوين فلاني قبل عدائي الإغريق، وقد صمما على تقديم أنفسهما فداء لموطنهما عندما اعترض الإغريق على وصول هذين العداءين في أسرع وقت وأكثر مسافة[5].

أما في صقلية فقد كان الصراع بين الطرفين أكثر حدة وشدة مما كان عليه في السواحل الليبية، وذلك نظرا لأهميتها من حيث موقعها الجغرافي، الذي يساعد على النشاط التجاري بالحوض المتوسط، فقد تمسك كل طرف بما كان تحت يديه من مستوطنات، وبذل كل ما في وسعه للتوسع على أراض خصمه، لاسيما وأن الغالب سيتمكن من السيطرة على البحر المتوسط بطرفيه الشرقي والغربي، وكان القرطاجيون قد تجمعوا في غربي الجزيرة لأن المسافة من

---

(1) – **خليج السرت**: اسم يطلق على سرت الكبرى "خليج السدرة في ليبيا الحالة"، ويبلغ محيطه ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثين ستادا. وقطره يبلغ في تجويفه الأقصى ألفا وخمسمائة ستادا، والصعوبة فيه مياهه عميقة. ينظر: –مجموعة من المؤلفين، جغرافية خليج السرت وإمكانياته التنموية، دار الكتاب الوطنية، ط1، ليبيا، 2015، ص ص 91–90.

(2) – ج. جودتشايلد، دراسات ليبية، تر: عبد الحفيظ فضيل الميار و أحمد اليازوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، طرابلس، 1999، ص ص 261.

(3)- H. Dexter, Op- Cit, p49.

(4) – **سالوست**: مؤرخ لروماني ولد (87 ق.م) ولاه قيصر حكم ولاية إفريقيا الجديدة (46-45 ق.م)، ومنح لقب برايتور (Praetor)، وقد جمع أثناء حكمه ثروة طائلة بطريقة غير مشروعة، ويعد المصدر الأساسي لتاريخ يوغرطة. ينظر:
–عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 197.

(5) – ج. جودتشايلد، المرجع السابق، ص ص 261–265.

هناك إلى قرطاج تكون أقصر مما هي عليه في الجزء الشرقي، بينما سيطر الإغريق على الجهة الشرقية والجنوبية بزعامة سيراكوزة[1].

تعد صقلية نجمة البحر المتوسط فهي تقع في وسطه جنوب إيطاليا، ولا تبعد عن البر التونسي أكثر من "140 كلم" حيث اكتسبت أهميتها من موقعها المتوسط بين شرق البحر المتوسط وغربه وهذا ما سيمنحها القدرة على التحكم بطرق التجارة فيه، كما أن صقلية هي أكبر جزره[2]، ولها شكل مثلث الساحل الشرقي يقابل البحر الأيوني، ويمتد على رأس باشينوم (Pachynum) إلى باليرمو (Pelorum)، والمدن الأكثر شهرة على هذا الساحل، هي سيراكوزة (Syracuse)، وتورومينيوم (Tauromenium)، وميسانا[3] (Messana)، أما الساحل الشمالي الذي يقابل إيطاليا، والممتد من رأس بيلوروم إلى رأس ليليبيوم (Lilybaeum) كانت المدن الأكثر شهرة عليه هي: هيميرا، وميلو (Mylae)، وموتيا (Motya)، وإريكس (Eryx)، وليليبيوم وبانورموس (Panrmus)، وأما الساحل الجنوبي المقابل لساحل بلاد المغرب القديم والذي يمتد من رأس ليليبيوم إلى باشينوم فتقع عليه أهم مدن صقلية وهي: سلينسوس (Selinus)، وجيلا (Gela)، وأكريكانتوم (Agrigentum)[4].

تميزت الطبيعة في صقلية بتربة خصبة، وأمطار غزيرة، وهذا ما أدى إلى وفرة القمح فيها،بالإضافة لأنواع أخرى من الحبوب، وانتشرت فيها البساتين والكروم، والسهول والمراعي وكانت أشجار الزيتون كلها مثقلة بالثمار، ونمت على منحدرات تلالها أشجار لا يحصيها عد كما كانت غنية بالثروة السمكية[5].

---

[1]-J. Boardman, The Greeks overseas Their early Colonies and Trade, 4th Ed, London, 2005, p190.

[2] - J. Boardman,Op- Cit,p 190.

[3] -**ميسانا**: مدينة تقع على ساحل صقلية في الجهة المقابلة لجنوب إيطاليا، اسمها الحديث مسينا، أدى الصراع على مضيقها لاشتعال الحرب البونية الأولى بين قرطاج والرومان. ينظر: -عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص323؛ ينظر أيضا: -خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، المرجع السابق، ص ص53-54.

[4]- R. Charles, The Ancient History of The Egyptians, Carthaginians, Assyrians, Babylonians, Medes and Persians, Macedonians and Grecians, London, Vol, 1, 2011, p327.

[5] - ويل ديورانت، حياة اليونان (قصة الحضارة)، تر: محمد بدران،(ب ط)، بيروت، (ب ت)، ج1، مج2، ص 208.

غدت صقلية منذ القرن الخامس قبل الميلاد مسرحا لحروب متتالية بين قرطاج والإغريق سبعة انتصارات للإغريق وخمسة لقرطاج [1]، ويمكننا تتبع النزاع الإغريقي القرطاجي في صقلية من خلال أربع مراحل، كانت بدايتها مع مطلع القرن الخامس قبل الميلاد، بدأت بتدخل قرطاج في المشاكل الداخلية بين المدن الإغريقية، وانتهت بهزيمة هيميرا (480 ق.م)[2] والثانية كانت إبان القرن الخامس قبل الميلاد، الذي عرف ثلاث حملات من طرف قرطاج إلى الجزيرة أعوام (410 ق.م، 406 ق.م، 398 ق.م) نجحت الأولى، ولكن كان الفشل نصيب الحملتين الأخرتين[3]، بينما كانت الثالثة خلال منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، حيث أرسلت قرطاج حملة عسكرية بين عامي (341- 339 ق.م) وقد باءت بالفشل[4]، أما الرابعة فكانت حوالي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، والذي شهد العكس، حيث قام إغريق صقلية حوالي عام (310 ق.م) بإرسال حملة إلى سواحل بلاد المغرب القديم، لم تحقق نجاحا يذكر[5]، كما شهدت هذه المرحلة أيضا محاولة بيروس[6] (Pyrrhos)[7] نصرة إغريق صقلية (278 ق.م) لتتداخل بعدها الأحداث بظهور روما كطرف آخر في الصراع بحوض المتوسط[8].

لم تكن الصدامات المتوالية بين قرطاج والإغريق إلا عبارة عن نزاعات بسيطة وفق ما يرى كثيرا من المؤرخين، وأن العديد من هذه الصدامات كانت في الغالب نوعا من أنواع الصراعات المحلية بين المدن والولايات المتجاورة[9]، لذلك لم ينجم عن هذا الصراع نتائج ترجح كفة

---

(1) - A. D. Modoul, Tyrant battles of Carhage versuse 480- 276 B.C, Hanford, 2012, p2.

(2)- Herodouts, Histories, VII, 165.

(3) -Diodorus Siculus, Bibliotheca Histories, **(L. C. L)**, 1950, Vol, 5, XIII, 43.1-6.

(4) - B.H.Warmington, Op- Cit, pp104-105.

(5) -Diodorus Siculus, Translated by: Russel M. Geer, 1954, Vol, 10, XX, 40.1-2.

(6) – **بيروس**: ملك إبيروس (Epirus)، وهي ألبانيا الحالية استغل طلب نجدة تارنتيوم (Tarentum)، الواقعة جنوب إيطاليا، لتدخل بزعامته في صراع مع روما وقرطاج، واضعا نصب عينه حلم يراوده وهو بناء امبراطورية واسعة على غرار إمبراطورية الإسكندر المقدوني. ينظر: –مصطفى العبادي، مذكرات في التاريخ الروماني، (ب ط)، جامعة بيروت، بيروت، (ب ت)، ص 19. ينظر أيضا:

- M. Alexander Deluxe,pp 32-35

(7) – عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني...، المرجع السابق، ص127.

(8) - M. Alexendr Deluxe, Op- Cit, p35.

(9) - Kimmig, Greek- Carthaginian antagonism As illustrated by the assertion that, **(C.A.H)**, 1983, p120.

أحد الطرفين على الآخر، وبصرف النظر عن الانكسارات الطفيفة التي كانت قد تصيب أحد أطراف الصراع، إلا أن الهزيمة الأكبر التي تعرضت لها قرطاج من قبل الإغريق وشكلت نقطة البدء في العد التنازلي للنظام الملكي بها، كانت في معركة هيميرا (480 ق.م)[1] وما ترتبت عنها من تحولات جذرية في سياسة قرطاج الداخلية والخارجية[2].

يعتبر ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) بأن التدخل القرطاجي بهيميرا كان بتدبير وبشكل واضح من طرف الملك الفارسي أكسركيس[3] (Xerxes)، الذي كان يخطط في نفس الوقت إلى شن حملة على إغريق الشرق في جزيرة سيالاميس[4] (Salamis)، بينما تقوم قرطاج بمحاربة جيلون[5] (Gelon)[6]، وهكذا يقع الإغريق بين فكي كماشة[7]، وإن كان العديد من المؤرخين انساقوا وراء هذه الرواية وألبسوها بعد الصراع الاثني الحضاري[8]، فإن الكثير من الدراسات الحديثة ترفض هذه الرواية وتعتبر أن لا أساس لها من الصحة، وإنما هي رواية تدخل ضمن العقلية اليونانية "البربر واليونان- الحرية والعبودية"، وما يؤيد عدم صحة هذه الرواية نجد مؤرخي القرن الخامس قبل الميلاد، لم يذكروا شيئا عن هذا، وفي مقدمتهم هيرودوت الذي كان محور بحثه الصراع الإغريقي الفارسي، فكيف له أن يتهاون أو يغض الطرف عن خبر تحالف كهذا؟[9].

---

[1] - Ch. A. Julien, Op -Cit, p98.

[2] - محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص77.

[3] - **أكسركيس**: ابن الامبراطور الفارسي داريوس الأول، وقائد الحملة الفارسية في معركة سالاميس. ينظر: -يحي لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص158.

[4] - **جزيرة سالاميس**: نسبة إلى جزيرة سالاميس المتواجدة في خليج سارونيك بالقرب من أثينا، وقد شهدت أشد وأعنف المعارك التي تدخل ضمن سلسلة الحروب الفارسية الإغريقية في الحوض الشرقي للمتوسط، وتكبد الفرس في (480 ق.م) هزيمة ساحقة من قبل الاغريق، الذين تمكنوا من ابعاد الخطر الفارسي على اليونان، بل وعلى أوروبا كلها. ينظر: -المرجع نفسه، ص 154؛ ينظر أيضا: -سامي ريحانا، الآشوريين-الفرس....، المرجع السابق، ص ص53-55.

[5] - **جيلون**: كان حاكم لمدينة جيلا، وحوالي عام (491 ق.م) استولى على الحكم في سيراكوزة، تنازل عن حكم جيلا لأخيه، وأخذ يناصب القرطاجيين العداء وانتصر عليهم في معركة هيميرا (480 ق.م). ينظر: -رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص، ص188-190.

[6] — نقلا عن:- نبيل قلالة، قرطاج: قوة متوسطية (تونس عبر العصور- العصور القديمة)، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، (ب ط)، تونس، 2007،ج1، ص58.

[7] - محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص76.

[8] - نبيل قلالة ، قرطاج..، المرجع السابق، ص58.

[9] - P. Jonathan, Tyrannizing Sicil, the despots woh cried Carthage, Leiden- Boston, 2010, p54.

لقد كان الظرف في صقلية يقتضي تدخل القرطاجيين، نتيجة لمنافع اقتصادية "تجارية" حيث كان لتحالف جيلون طاغية سيراكوزة مع ثيرون (Theron) دكتاتور أكريكانتوم سبب في اشعال هذا المعركة، فما إن استولى ثيرون على هيميرا حتى طرد منها تيريليوس (Terillus) حليف قرطاج[1]، وهذا ما جعلته الأخيرة حجة للتدخل في صقلية، خاصة وأن التجار القرطاجيين كانوا يمثلون دور الوسيط التجاري بين العديد من المدن داخل الجزيرة، كما كانت مدينة هيميرا تمثل أقرب نقطة لشمال المحيط البوني بصقلية، الذي بات مهددا بالغزو[2]، زيادة على أن قرطاج لاحظت بأن جرأة الإغريق لم تحجم عن توغلاتها بل زادت تمردا[3]، تلك إذا كانت الدوافع الجوهرية التي حرضت القرطاجيين على التدخل بهيميرا، وهي تفند ما جاء على لسان المؤرخ اليوناني ديودور الصقلي[4].



خريطة رقم "3": تمثل أهم مدن الصراع في جزيرة صقلية.

نقلا عن: – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 189. (بتصرف)

[1] – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص76.

[2] – محمد الهادي حارش، التاريخ ...، المرجع السابق، ص ص52-53.

[3] – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص76.

[4] – نبيل قلالة، قرطاج...، المرجع السابق، ص58؛ ينظر أيضا: –ب. هـ. وارمنجتون، العصر القرطاجي (تاريخ أفريقيا العام)، تر: السيد أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون، جين أفريك-اليونسكو، (ب ط)، (ب م ن)، 1985، مج2، ص466.

تذكر بعض المصادر أن حكومة قرطاج أوكلت إلى هملكار بن ماغون قيادة أسطول من "200 " سفينة حربية تحمل " 300.000 " جندي مرتزق [1]، ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه ولا يستبعد أن المؤرخين القدامى يضخمون الجيش القرطاجي لرفع مكانة الإغريق عند الانتصار أو للتقليل من هزيمتهم، وربما الأنسب، القول بأن تعداد جيش قرطاج كان بحجم جيش الإغريق وحلفائهم [2]، توجه الأسطول القرطاجي إلى صقلية لمحاربة، جيلون الذي تزعم خصوم قرطاج بالجزيرة، وتأهب للمواجهة بقوة بلغت "24.000" جندي و "2000 " فارس [3].

رغم هبوب عاصفة شديدة خربت السفن التي تحمل الخيول، والعربات القرطاجية وهم في طريقهم إلى هيميرا[4]، إلا أن هملكار لم يلبث أن أنزل جنده بميناء باليرمو، ثم تحرك نحو هيميرا حيث جرت فيها معركة شرسة، وكان النصر من نصيب جيلون برا وبحرا، وألقى هملكار بنفسه في النار حتى أصبحت جثته رمادا، وذلك بعد أن رأى جيشه يتلاشى في المعركة وقتل جنوده، أو استعبدوا وحرق أسطوله، واضطر القرطاجيون إلى إبرام مسالمة، وكان من شروطها إقامة معبدين، أحدهما شيد بالفعل فورا بعد سنة (480 ق.م) الذي سمي معبد ديلا فكتوريا (della vittoria) وبقايا المعبد ما زالت قائمة، ستة بأربعة عشر عامودا في هيميرا في المكان الذي جرت فيه المعركة، والمعبد الثاني قد يكون شيد في سيراكوزة، أما الشرط الثاني فكان عدم تقديم أضاحي بشرية للآلهة، والهدف منه كان الدعاية السياسية والاعتراف للآلهة على معاضدتهم في الانتصار وصفوة القول إن العملية لا تعدو كونها تتعلق بتأمين الحضور الإغريقي بصقلية، والشرط الثالث دفع غرامة مالية كبيرة تصل إلى " 2000 " وزنة تالنت [5]

---

[1] – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص190.

[2] – مراد ريغي، "معركة هيميرا 480 ق.م وبداية الصراع الإغريقي القرطاجي مع إغريق صقلية"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، (ب م ن)، ع 7، 2016، ص56.

[3] – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص190.

[4] – يحي لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص154.

[5] – **تالنت**: وحدة وزن ما بين العشرين والسبعة والعشرين كليو غراما من الفضة، وهناك تالنت شرقي استخدم في بابل ومصر وغربي استخدم عند الرومان واليونان. ينظر:

- J. Boardman, Op- Cit, p 774.

(Talents)، ويبدو أن المهم بالنسبة ليجلون أنه أصبح يستحوذ على أكبر حصة من صقلية اليونانية، لذلك لم تكن معاهدة المصالحة جائرة في حق القرطاجيين[1].

ومع ذلك انبثق عن واقعة هيميرا انكسار جبروت قرطاج وأسفرت على النتائج التالية:

- اضطراب التوازن العسكري في الحوض الغربي للمتوسط.
- انضمام المدن الإغريقية في صقلية حليفة قرطاج إلى حلف جيلون[2].
- الانفصال النهائي عن الوطن الأم "صور".
- التنكر ما بين (475-450 ق.م) للضريبة التي كانت تدفعها للأهالي[3].
- تخفيف حدة احتكار قرطاج للتجارة البحرية في الحوض المتوسط.
- قطع قرطاج صلاتها التجارية بالإغريق، كما أنها رفضت عرض أثينا بالصداقة[4].
- توجيه قرطاج للاستثمار في سواحل بلاد المغرب القديم، في اطار ما يعرف بسياسة قرطاج الإفريقية[5].
- العمل على إرسال البعثات الاستكشافية قصد البحث عن مجالات جديدة للكسب والتجارة لتعويض الأسواق التي فقدتها قرطاج في صقلية[6].

كان النظام الملكي السابق الذي عرفته قرطاج قد بدأ في الانحلال، بعد الإخفاق في هيميرا وما انجر عنه من نتائج، ولعل أهم تلك المتغيرات التي، حدثت ظهور رتبتين في المجتمع القرطاجي متساويتين من حيث القوة، وهما الطبقة الأرستقراطية التي استندت قوتها لا على ثورة البحار، ولكن على الثروة الزراعية وحيازة الأراضي الوفيرة، وطبقة الأقلية التجارية الأولغاركية (Oligarch) التي اعتمدت قوتها على ثروة البحر، والمعروف أن ثروة هذه الطبقة كانت سفن وسلع تجوب البحار، ومن ثم كانت أي أسرة أولغاركية معرضة للفاقة إذا ما غرقت بضاعتها وأموالها، ويبدو أن عظمة الطبقة الأولغاركية قبل واقعة هيميرا والوضع القرطاجي، المضطرب

[1] - نبيل قلالة، قرطاج...، المرجع السابق، ص58.

[2]- P. Jonthan, Op-Cit, p 60.

[3] - H. Basset, "Les Influences Puniques chez Les Berbères", **(R. Af)**,Alger, N° 62, 1921, p343.

[4]- P. Jonthan, Op-Cit, p60.

[5] - محمد الصغير غانم، معالم....، المرجع السابق، ص 238.

[6] - رمضان علي عبده، المرجع السابق، ص121.

كانا يحدان من تطور وازدهار نفوذ الطبقة الأرستقراطية. هذا وأدركنا من خلال المادة العلمية المتوصل إليها في دراستنا بأن الثروة المعتمدة بالأساس على البحار هي في الغالب بدأت تتراجع بعد كارثة (480 ق.م)، وأن الملكية بدأت تفقد قوتها وهيبتها أمام تزايد استقرار رأس المال الأرستقراطي[1].

حيث تم ذلك على إثر اهتمام القرطاجيين بامتلاك الأرضي والضياع في ظهير مدينتهم كنتيجة مباشرة لهزيمة هيميرا، وبذلك أصبحت رؤوس أموال الأرستقراطية أقوى من الأقلية التجارية، لأن رؤوس أموالها غير قابلة للغرق، وصارت هذه الأسر غير معرضة لاحتمال الوقوع المفاجئ في شباك الفقر، وفي ظل هذه الوضعية الجديدة، لم تكن الأقلية التجارية لتركن بل عملت على حصر النظام الملكي في قبضتها لتبقى على رأس السلطة، مما نجم عنه وقوع قلاقل، واضطرابات على مستوى القيادات العليا في قرطاج، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى تغيير النظام الملكي في المدينة البونية بثورة منتصف القرن الخامس قبل الميلاد (450ق.م)[2].

أزالت هذه الثورة النظام الملكي، وبسطت المجال بشكل أوسع حيال أشراف ووجهاء قرطاج ليكونوا أصحاب الحل والربط، وليضبطوا ما بدا لهم من مجالس، ومحاكم وهيئات ترتب شؤون الحياة[3]. و تذهب العديد من الدراسات لاعتبار أن هذه الحقبة من تاريخ الدولة البونية كانت تميل للأولغاركية عن الأرستقراطية لأمر قد يكون مقبولا، لأنه لا يمكن أخذ الكفاءة لوحدها كمقياس عند تعيين الحكام، وإنما يجب أن يحسب حساب للثروة أيضا، لأن مواطنا فقيرا لا يستطيع أن يكون صالحا لتسيير دفة الحكم وأن لا يكون لديه الوقت المناسب لذلك[4].

حسب اعتقادنا فإننا نستبعد هذا الرأي، فقرطاج منذ بدايتها كانت تحكم من طرف الأثرياء دون وجود دلائل على مراعاة الكفاءة، وبالتالي ليس كل مواطن غني يمكن أن يكون

---

[1] – محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص ص197-198؛ ينظر أيضا: -أحمد صفر، المرجع السابق، ص105.

[2] – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص183؛ ينظر أيضا:

- Ch. A, Julien, Op- Cit,p98.

[3] – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 105. ينظر أيضا:– محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص 198.

[4] – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة....، المرجع السابق، ص65.

بالضرورة صالحا للحكم، فإذا كان الاختيار على أساس الثروة مبدأ أولغاركي، والانتقاء على أساس الكفاءة مبدأ أرستقراطي.

هذا ما يؤكده أرسطو الذي يطلق على القلة المالكة للثروة تسمية الأولغاركية، أما الأرستقراطية فهي عنده القلة التي تتميز إضافة للثروة بعراقة النسب والكفاءة[1].

إن السمة التي صبغت هذه المرحلة في قرطاج هي الأرستقراطية، وليست الأولغاركية كما أشارت إليه العديد من الدراسات، حيث ارتكزت إدارة هذه الحقبة على مجلس الشيوخ الذي مثل العنصر الأرستقراطي[2]، والذي قام بإصلاحات كانت الغاية منها شرخ احتكار طبقة محددة للسلطة[3]، وأصبح النظام الأرستقراطي انتقالا من وضع كانت فيه السلطة مركزة في يد شخص واحد، إلى نظام أصبحت فيه السلطة في يد جماعي له دستوره وقانونه[4].

عودتنا العديد من الكتابات التقليدية التاريخية التي تناولت الصراع القرطاجي الإغريقي على اعتبار أن هزيمة هيميرا تسببت في انتكاسات مادية، ونفسية لقرطاج على كافة الأصعدة ما جعل البعض يعتبر أن القرن الخامس قبل الميلاد يمثل فترة ركود وأفول بالنسبة للقرطاجيين لكن التقارير الأثرية والدراسات المعمقة غيرت من هذا الحكم، حيث وضحت أن الحكومة القرطاجية لم تستسلم، أو تركن بعد كارثة هيميرا فقد عرفت مرحلة جديدة من الحكم سيطرت فيها الأرستقراطية على شؤون المدينة البونية سيطرت كاملة[5].

تفترض الكثير من الدراسات إلى أنه وبعد هزيمة (480 ق.م) تم ابعاد عائلة ماغون من الحكم، وأبرز رموزها، إلا أننا سنتعامل مع هذه الآراء بتحفظ، وأن لا ننساق وراء ما وجد في أغلب الكتب، إذ يبدو لنا، بأن الأرستقراطية القرطاجية قامت بالتضييق على هذه العائلة وتصغير دور هؤلاء الملوك شيئا فشيئا حتى أضحوا حكاما يقيدهم الدستور، وتبعا لذلك تمكن مجلس الشيوخ من كسر تفرد السلطة في عائلة واحدة، وعمل في نفس الوقت على فتح المجال

---

(1)- Aristotles,II, 8.5.

(2) – الشاذلي بورونيه ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص178.

(3) – فينفريد إللغير، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسحيين، تر: عيد مرعي، روافد للثقافة والفنون، ط1، سورية، 2008، ص109.

(4)- Aristotles, II, 8.5; Il observe aussi:– Justinus , XIX, 2.5-7

(5) – مراد ريغي، المرجع السابق، ص65.

أمام جميع أبناء الطبقة الثرية لشغل المناصب العليا، لكن بشرط كفاءتهم وجدارتهم، الأمر الذي سمح فيما بعد للعديد من أفراد عائلة آل ماغون بتحمل ثقل المسؤوليات التي تسند إليهم [1].

هناك نص لجوستين يعد بحق نصا معبرا على الظروف والأوضاع التي كانت سائدة في قرطاج في ذلك الوقت، يقول فيه: **"ولأن أسرة ماغون هذه كانت تضغط على الحرية العامة وتتدخل في سير أمور العدالة، بالإضافة إلى حكم الدولة، فقد تم تكوين محكمة عليا، وكان قواد الجيش، بعد كل حرب، أن يقفوا أمامها ليقدموا لها تقارير عن عملياتهم العسكرية. وتهدف هذه العملية إلى غرس احترام سلطة الدولة في نفوس هؤلاء القادة، ولكي يكون الخوف والقضاء والقانون محركا لهم في سبيل خضوعهم لقرطاج [2]"**.

تؤكد أغلبية الكتابات على قطع قرطاج صلاتها التجارية بالإغريق، إلا أنه فيما يبدو أن العلاقات بين الطرفين ظلت مستمرة، وإن لم تقدم لنا المصادر التاريخية معلومات كافية، فإن الشواهد الأثرية كانت غنية بحيث أسهمت في إبراز العلاقات بين الطرفين إبان القرن الخامس حيث أنه ليس من الضروري أن يتوفر السلام حتى تكون علاقات اقتصادية وسياسية[3].

تذهب معظم الأبحاث الحديثة إلى أنه وبعد انتكاسة هيميرا، استقلت قرطاج بشكل نهائي عن الوطن الأم "صور" بعد، ولكن الباحث بحصافة سيجد ما يفند رأي هذه الكتابات فبالرغم من هزيمة هيميرا ظلت قرطاج توفد سنويا إليها أو للإله ملكارت، وفيما بعد في مناسبات الانتصارات والنكسات هدايا تقدر بعشر الإنتاج، غير أن التراخي في العلاقات لا يعني قطعها، بل حتمتها ظروف أخضعتها للأمر الواقع، ومع هذا بقيت علاقات التعاون بين قرطاج وصور حتى سقوط هذه الأخيرة على يد الإسكندر المقدوني (332 ق.م)، ولا شك أن بقاء قرطاج على علاقتها بصور من شأنه أن يحافظ على وحدة العالم الفينيقي الغربي، وهو

---

(1)- فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص 109؛ ينظر أيضا: -عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي، "البحرية القرطاجية (دراسة في دورها الحربي)"، (دكتوراه)، إشراف لطفي عبد الوهاب يحي وشوقي عطا الله الجمل، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، فبراير 1985، ص100.

(2)-Justinus , XIX, 2. 5-7; Il observe aussi:- B.H. Warmington, Op- Cit, p121.

(3) – مراد ريغي، المرجع السابق، ص 67.

شرط أساسي لكي يتسنى لها تعويضها والاضطلاع بدور المدينة الأم لهذه المستعمرات التي لم تكن قادرة على الدفاع عن نفسها، لا سيما وأنها كانت عرضة للأخطار الداخلية والخارجية[1].

أما بخصوص المؤرخين الذين يستدلون على نهاية العلاقة بين قرطاج والوطن الأم بعد (480 ق.م) من خلال التغيرات الدينية التي عرفتها المدينة البونية، لاسيما فيما يتعلق بمجمع الآلهة حيث ظهر الإله بعل حمون والربة تانيت بعد أن كان الإله بعل (Ba'l) ينفرد بتزعم مجلس الآلهة، فلا نستبعد أن يكون هذا التغيير بقصد الدعاية السياسية وإعطاء الشرعية للحكومة القرطاجية الجديدة "الأرستقراطية"، التي كان فيما يبدو أنها تسعى لصبغ كل تحركاتها بطابع ديني من أجل كسب الأنصار، مثل اللوبيين، وتبديد أي معارضة، لاسيما من قبل الأقلية التجارية داخل قرطاج، حيث يعد العامل الديني من العوامل التي كان لها تأثيرا واضحا في التاريخ السياسي للحضارات القديمة، خاصة حضارات الشرق الأدنى القديم، ونعتقد أن هذا التقليد عرفته قرطاج من العالم الفينيقي، فالملاحظ لأسطورة إليسا، سيدرك أن الدين كان أهم ركيزة اعتمدت عليها منذ خروجها من صور وحتى تأسيسها لقرطاج، كل ذلك بهدف كسب مؤيدين لها وبناء مدينتها الجديدة بدون معارضة، "كما سبقت الإشارة إلى ذلك"[2].

تشير أكثر الدراسات إلى أن قرطاج انصرفت عن النشاط البحري بعد هزيمة (480 ق.م) إلى النشاط الزراعي، حيث اتجه القرطاجيون إلى طريقة أقرب وأجدى نفعا، وهي استغلال الأرض في الفلاحة وإنتاج الغذاء، ولئن كنا نوافق هذه الأبحاث في بعض جوانبها فإننا لا نسلم بها بشكل كلي، فعلى القارئ أن يعرف بأن التجارة البحرية هي الأصل والأساس في ثراء أعيان قرطاج فإن كانت إنتكاسة هيميرا دفعت المواطنيين القرطاجيين إلى البحث عن موارد جديدة للكسب وإنماء الثروات، فإنه في ذات الوقت اتجه خيال الأثرياء من التجار ورواد البحار إلى إمكانية فتح آفاق تجارية بحرية جديدة، بعيدة عن تهديدات وخطر إغريق صقلية، عن طريق المغامرات والرحلات الاستكشافية إلى مجاهل القارة الإغريقية وسواحل القارة الأوروبية، كما سنراها بعد سبعين سنة من واقعة هيميرا تعود لنشاطها التجاري[3].

---

(1) – نبيل قلالة، قرطاج...، المرجع السابق، ص 51.

(2) – خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، المرجع السابق، ص51.

(3) – سامي ريحانا، الفينيقيون...، المرجع السابق، ص ص 88-89 ؛ ينظر أيضا:- نبيل قلالة، قرطاج...، المرجع السابق، ص 60؛ ينظر أيضا: – الهادي حارش، التاريخ المغاربي...، المرجع السابق، ص53.

كل هذه الملاحظات التي أشرنا إليها سنحاول تناولها بشيء من التفصيل في الفصول القادمة من الأطروحة، وعليه بقي أن نعالج في هذا الموضع مسألة أخرى بمنطق تاريخي بحت "أي من خلال المعطيات التاريخية المتوفرة لدينا"، لذلك فإن السؤال الذي يتبادر للذهن ماهي العوامل التي جعلت قرطاج تتجاوز انتكاسة هيميرا وأتاحت الفرصة للأرستقراطية للتحكم في زمام الحكم؟.

بعيدا عن الأساطير هناك إجماع شبه تام بين المؤرخين على تعدد المزايا التي حظيت بها مدينة قرطاج[1]، وأولها موقعها الجغرافي، فهي تقع على لسان بحري كان مناسبا تماما لإقامة ميناء محمي من الرياح والتيارات المائية، حيث أدرك الفينيقيون منذ البداية، أن تواجدهم في غربي المتوسط يتطلب وجود مرافئ كثيرة لتسهيل عمليات إمداد المراكب بالمؤن والمياه، وتوفير الملجأ الآمن لها عند تعرضها للأخطار، ولابد وأنه مر وقت طويل قبل أن ينجح الفينيقيون في انتقاء الأماكن المناسبة لهذا الغرض بين السواحل الصخرية، لذا كان لقرطاج منذ البداية مركزا مميزا بين المراكز الفينيقية الكثيرة، وفوق ذلك فقد كان موقعها قريبا نسبيا من ساحل فينيقيا مقارنة بالمراكز الأخرى[2].

في الوقت الذي كانت فيه روما لا تزال قرية بدائية بسيطة، انحصرت تجارتها في نهر التيبر[3] (Tiber)،كان تجار ومغامرو فينيقيا الذين دأبوا على ارتياد مياه المتوسط، قد أدركوا بحس الخبير مدى أهمية موقع الرأس الداخل في البحر اتجاه صقلية، فأسسوا عنده المدينة التي ستغدو سيدة غربي المتوسط وأشد منافس لروما فيما بعد[4].

---

[1]-B. H. Warmingto, Op- Cit, pp14-15.

[2] -رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص ص 165-166.

[3]- **التيبر**: أحد الأنهار وسط إيطاليا يفصل بين إقليمي لاتيوم وأتروريا، وعلى مقربة من مصبه نشأت روما. ينظر: - إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، دار النجاح، ط1، بيروت، 1971، ج1، ص ص 73-74.

[4] - جيمس هنري براستد، العصور القديمة، تر: داود قربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط1، (ب م ن)، 1983، ص 513.

رغم وجود بعض النتوءات الصخرية بسواحل المنطقة، والتي أنشئت عندها عدد من المرافئ كمرفأ هادروميتوم[1] (Hadrumetum) "سوسة"، وثابسوس[2] (Thapsus) "رأس ديماس"، إلا أن محدودية تلك المرافئ وعدم قابليتها للتوسيع لمواكبة ازدياد حجم النشاط التجاري مستقبلا قلل من أهميتها، ودفع مرفأ قرطاج المميز ليحتل مركز الصدارة بين المرافئ الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط، لا سيما في بلاد المغرب القديم[3].

لقد أحسن الفينيقيون استغلال مزايا الموقع الذي أسسوا عنده مستوطنة قرطاج، لتتحكم في التجارة الدولية بحوض المتوسط، وكانوا بعيدي النظر بحيث لم يسعوا إلى بسط سلطانهم وإحكام سيطرتهم على المناطق الداخلية، وإنما انصب اهتمامهم الأكبر على الاستحواذ على الشريط الساحلي للبحر المتوسط والمحيط الأطلسي، واتخاذ نقاط ارتكاز على تلك السواحل وكذلك في الجزر المتناثرة بالحوض الغربي للمتوسط، لتأمين وجودهم السياسي، فضلا عن خدمة أغراضهم التجارية[4].

من الناحية العسكرية، كان لقرطاج عدة مزايا أهلتها للسيطرة على الحوض الغربي للمتوسط، والتحكم بصورة شبه كاملة في خطوط الملاحة البحرية به، نظرا لقربها من صقلية وبالتالي تحكمها في تسيير الحركة عبر المضيق الفاصل بينهما والمؤدي إلى سواحل إسبانيا والمحيط الأطلسي[5]، كما أنه يقع إلى الجنوب الغربي منها جبل يصل ارتفاعه إلى حوالي "600 متر" ولا شك في أن مؤسسي قرطاج قد حرصوا على أن يكون هذا الجبل مشرفا على الموقع، الذي سيؤسسون عنده مدينتهم لتسهيل الدفاع عنها، وتوفير الحماية لسكانها، وللمراكب التي تحل بمرفئها، بعد أن تبنى عليه القلعة برصا لاحقا، فضلا عن سهولة توفير الحماية الكاملة للمدينة

---

[1] – **هادروميتوم:** من أوائل المحطات التجارية التي أسسها الفينيقيون بسواحل بلاد المغرب القديم، وتتميز المنطقة الواقعة خلفها بأراضيها الزراعية الخصبة، ووفرة إنتاجها من الحبوب. ينظر: –عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي، المرجع السابق، ص150.

[2] –**ثابسوس:** من المراكز الفينيقية المهمة على سواحل بلاد المغرب القديم إلى الجنوب من لبدة الصغرى "لمطة"، وفيها وقعت المعركة الفاصلة بين قيصر وخصومه من أنصار بومبي عام (47 ق.م). ينظر:

-Ch. A. Julien, Op- Cit, pp81-82.

[3] – عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي، المرجع السابق، ص9.

[4] - Ch. A .Julien, Op- Cit, p118.

[5] –يسرى الجوهري، جغرافية بلاد المغرب العربي، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، 1981، ص 63.

باعتبار أنها أشبه ما تكون بلسان طويل بين سطحين مائيين، وهذا ما ساعد على اتخاذ مراكز دفاعية جيدة فيها، ومن ناحية أخرى فإن ضيق البرزخ الذي كان يصلها باليابس سهل وقلل تكاليف حراسته والدفاع عنه، وكل ذلك جعلها في مأمن من أي هجوم قد تتعرض له من الداخل، وتحدي أي حصار قد يفرض عليها من الخارج[1].

إن قرب قرطاج من سواحل صقلية وإيطاليا خدم مصالحها التجارية والعسكرية بشكل كبير، فالرحلة البحرية من ميناء قرطاج إلى سيراكوزة، التي تبعد عنها حوالي "260 ميلا"، لم تكن تستغرق أكثر من يومين ونصف[2]، أما الرحلة إلى روما فتستغرق حوالي ثلاثة أيام على غرار رحلة ماركوس كاتون عام (155 ق.م) في سفارته إلى قرطاج لحل النزاع بينها وبين جارتها نوميديا[3] (Numidia)، أما الرحلة إلى أوستيا[4] (Ostia) التي تبعد حوالي "200 ميلا" عن قرطاج فكانت تتم في يومين [5]، والأهم من كل ذلك أنه كان بمقدور المدينة أن تواجه أي حصار بحري وحرب دون أن تخشى مشكلة الغذاء، فقد كان يسندها ظهير زراعي يجري فيه نهر بجرداس بروافده الكثيرة، ويعد أكبر مساحة زراعية ببلاد المغرب القديم[6]، لقد كانت مياه هذا النهر تروي تربة الوادي الخصيب لتزدهر فيه زراعة الحبوب والفواكه، وهي تفيض عليه بالنماء والخير العميم ليعود إلى الانتعاش بعد ما كان يتعرض إلى خراب متكرر، كما حدث

---

[1] - محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص66؛ ينظر أيضا: - عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي، المرجع السابق، ص 23.

[2] - عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي، المرجع السابق ، ص 24.

[3] - **نوميديا**: كان سكانها بدو رحل لذلك سموا النوميديين، وظل هذا الاسم ملازما لهم رغم استقرارهم، وقد تأثر النوميديين بالمدنية القرطاجية، والتحق الكثير منهم بالجيش القرطاجي كخيالة، وظلت نوميديا تتمتع باستقلالها تحت= =حكم ملوك نوميديين، ولم تخضع لحكم القرطاجيين إلى أن ضعفت قرطاج من جراء حروبها مع الرومان، فأخذت نوميديا تتحرش بها وتحاول التوسع في أراضيها. ينظر: -حلول عزونة، دراسات حضارية عن تونس (أعلام-مدن-كتب)، دار الإتحاف، ط1، تونس، 2001، ص8.

[4] -**أوستيا**: مدينة عند مصب نهر التيبر أنشئ بها ميناء روما، لكن تراكم رواسب النهر عند المصب اضطرت الرومان عند منتصف القرن الأول الميلادي، إلى نقل الميناء عدة كيلو مترات شمال الموقع القديم. ينظر: -إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 15-16.

[5] - عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي، المرجع السابق، ص24.

[6] - يسرى الجوهري، المرجع السابق، ص63.

عام (310 ق.م) على يد الإغريق[1]، وعام (256 ق.م) على يد الرومان [2]، إضافة إلى وجود الأحراش والغابات التي أسهمت أخشابها في ازدهار صناعة السفن[3].

رغم أن البعض يذكر أن وجهة قرطاج بحكم موقعها كانت بحرية أكثر منها برية، إلا أن طبيعة البقعة التي أقيمت عندها قرطاج، سمحت بالتوغل والتوسع نحو الداخل، حيث لم يكن يعترض ذلك أي عوائق طبيعية كالجبال أو ما شابه كما في جهات أخرى [4]، لقد هيأ لها هذا الموقع فرص التجارة بحرا، وفي منتجات المناطق الداخلية، وذلك لوقوعها عند ملتقى طرق التجارة البرية[5]، وشرقا كانت هادروميتوم أهم مواطن زراعة الغلال بالمنطقة، بينما انتشرت في تاكابس[6] (Tacapis) "قابس (Gabes)" جنوبا غابات النخيل، وإلى الجنوب من وادي بجرداس تقع طرق القوافل الصحراوية التي تربطها بالمدن الداخلية والواحات، والتي كانت ترد عبرها سلع ومنتجات أواسط إفريقيا[7].

لا شك في أن توسط قرطاج للمستوطنات الفينيقية ببلاد المغرب، قوى صلتها بالمناطق الواقعة إلى شرقها وإلى غربها، وبالتالي ساعدها في السيطرة على تلك المناطق التي كانت بمثابة الشرايين التي تغذيها وتمدها بما تحتاجه، زمن السلم من سلع وأيدي عاملة وما تحتاجه زمن الحرب من عتاد ورجال وخيول[8]، ولعل المصادر القديمة خير شاهد على شهرة فرق المشاة والفرسان الليبيين والنوميديين في الجيوش القرطاجية[9].

---

(1)-Diodorus Siculus, XX, 40.1-2

(2)- Polybius, Histories, Translation by : H. J. Edwards, **(L. C. L)** , 1922-1927,Vol, 1, I, 29.1-7.

(3)- ج.ل. ميزر، المرجع السابق، ص 496.

(4) – دينزبولم، الحضارات الأفريقية، تر: نسيم نصر، منشورات عويدات، ط3، بيروت، 1988، ص44.

(5) – ج.ل. ميزر، المرجع السابق، ص 496.

(6) – **تاكابس**: مدينة قابس الحالية على الساحل التونسي، تقع في مركز خليج سرت الصغرى، وقد قامت على أنقاض مدينة فينيقية تاسست قبل قرطاج، والمتفق عليه أنها نشأت في زمن ما بين القرنين الخامس والثالث عشر قبل الميلاد، ولا يعرف عن آثارها التاريخية الكثير. ينظر: –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص119.

(7)- Titius Livius, History of Rome, Translated by: C. Evans, London, 1850, XXIX, 25.12.

(8) – سترابون، المصدر السابق، XVII، 14-15.

(9) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...، المرجع السابق، ص72.

كل هذه العوامل وأكثر، منحت قرطاج الفرصة لتجاوز انتكاسة هيميرا، ولم يكن تراجع الوطن الأم "صور" ليؤثر سلبا على الدولة القرطاجية لأنها كانت منذ البداية تحمل كل مقومات النهضة الفعلية، حتى أنه لا يستبعد أن تكون صور ونتيجة لتدهور قوتها وانشغالها بأزماتها الداخلية منذ (480 ق.م) بعد كارثة سيلاميس، هي من تنازلت أو فوضت لقرطاج مبدأ أحقية إدارة المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط والاضطلاع بدور المدينة الأم، وذلك بهدف المحافظة على وحدة العالم الفينيقي الغربي، الأمر الذي استغلته هذه الأخيرة وبدأت تفرض سيطرتها البحرية على غربي المتوسط[1]، ومنه يبدأ التاريخ الحقيقي لمدينة قرطاج التي كانت بحكم ما تمتلك من مؤهلات مميزة تسير حيثيا في طريق بناء امبراطورية قوية[2].

بدأت هذه الحكومة الجديدة بعد كارثة هيميرا في مراجعة قوانينها على جميع المستويات فعدلت من دوائر نفوذها، وغيرت أساليب سياستها ومسالك حكمها وموارد اقتصادها فتطورت نظمها بخاصة السياسية والاقتصادية، كما كان للدين أثر واضح لدى ساستها وقادة جيوشها[3]، وكانت معظم نشاطاتها وعلاقتها في هذه الفترة في المجال الإفريقي الممتد من مذبحي الأخوين فيلين إلى ما وراء أعمدة هرقل[4] (Pillars of Hercules)[5]، ضف إلى ذلك بأنه خلال هذه المرحلة بدأ الضعف يدب في مدينة صور بشكل واضح وجلي، حتى إنها عجزت عن متابعة مراكزها ومستوطناتها في غربي المتوسط، ومد يد العون لها، نتيجة لتعرضها للأخطار الخارجية والداخلية[6]، ما دفع تلك المستوطنات إلى اللجوء لقرطاج، التي تمتعت باستقلالية شبه كاملة اتجاه صور، وعملت هذه المستعمرات على توثيق صلاتها مع قرطاج

---

[1] – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص172؛ ينظر أيضا: –لبيب عبد الستار، الحضارات، دار المشرق، ط14، لبنان، 1986، ص 80؛ ينظر أيضا: – هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدوبلي، ط1، القاهرة، 1991، ص102.

[2] – أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة، 1963، ص ص 114–115؛ ينظر أيضا: – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 172.

[3] – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ص77–78.

[4] – **أعمدة هرقل**: هو الاسم الذي أطلقه الإغريق على مضيق جبل طارق، الواقع بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي جنوب أسبانيا، ونسجت حوله العديد من الأساطير في الميثولوجيا اليونانية. ينظر: –حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص ص 209–217.

[5]- Polybius, Vol, 2, III, 39.1-3.

[6] –أحمد فخري، المرجع السابق، ص ص112–113.

بهدف ايجاد حليف قوي يرد عنها الأخطار ويوفر لها الحماية[1]، ولا شك أن هذه العلاقات تدعمت إثر سقوط مدينة صور على يد الاسكندر المقدوني (332 ق.م) [2].

هناك من الأبحاث من تعتبر أن هذه الحقبة، والتي بدأت منذ أواسط القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا، قد وصلت فيها قرطاج إلى أوج مجدها، وصارت قوة ثنائية تمثلت في امبراطورية بحرية وأخرى برية[3]، وظهرت كأكبر وأغنى دولة بحوض المتوسط، في غضون القرن الرابع والثالث قبل الميلاد[4]، على أن قرطاج لم تستطع الحفاظ على هذا الازدهار والتقدم في مسيرتها الحضارية مدة طويلة،كونها لم تعد القوة الوحيدة بالحوض الغربي للمتوسط، حيث أصبح للإغريق أولا ثم الرومان ثانيا حضورهم الدائم، ويبدو أن خطر الإغريق كان أقل وطأة وشدة على القرطاجيين بعكس الرومان الذين لم تقدر أرستقراطية قرطاج قوتهم حق قدرها[5].

خطت روما بعد تخلصها من مشاكلها الداخلية أهدافا بعيدة المدى تساندها إمكانيات بشرية، ومادية لا يستخف بها أدت إلى نشأة جغرافية سياسية جديدة في الحوض الغربي للمتوسط، فما إن تنامت قوة روما، حتى بدأت ترغب في التسلط على مناطق النفوذ وممتلكاتها، في مقابل ذلك كان لقرطاج مصالح تجارية واستراتيجية، كانت ملزمة للدفاع عنها أمام تحركات الرومان، وهذا ما أفرز أوضاعا متأزمة تولدت عنها الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م)، والتي انتهت بهزيمة قرطاج. ونجم عن هذا الانهزام انعكاسات هامة كان أبرزها انتفاضة الحرب اللوبية، وإن كان يتم توصيفها في أكثرية الكتابات "بثورة الجنود المرتزقة" (241 ق.م-237 ق.م)، التي تعتبر أعظم محنة تعرضت لها أرستقراطية قرطاج، وقد مكنت هذه الظروف المضطربة التي تمر بها المدينة البونية عامة، والطبقة الأرستقراطية خاصة أسرة آل برقة (Barca) من التنفذ في أمور الدولة وسلطتها، خاصة بعد قضائهم على تمرد الجنود المرتزقة، في سنة (237ق.م)، وقد ساعدها في ذلك عدد كبير من المؤيدين والأنصار من

---

[1] – نبيل قلالة، قرطاج...، المرجع السابق، ص51؛ ينظر أيضا: – محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي...، المرجع السابق، ص44.

[2] – جمعة شيخة، المرجع السابق، ص332.

[3] – نبيل قلالة، قرطاج...، المرجع السابق، ص57.

[4]– ويل ديورانت، قيصر ...، المرجع السابق، ص87.

[5]– عاطف عيد، المرجع السابق، ص ص 24-25.

الطبقات الشعبية التي صار لرأيها وزن لا يستهان به في تقرير شؤون الدولة، وبذلك كسرت شوكة الطبقة الأرستقراطية، وتراجعت، ودخلت قرطاج في حقبة تاريخية جديدة عرفت بالمرحلة الديمقراطية[1].

ثالثا) المرحلة الديمقراطية (237–146 ق.م):

من أبرز سيمات هذه الحقبة هي محاولة التوفيق بين النظام الملكي والأرستقراطي، حتى أنها سميت بمرحلة النظام التوافقي[2]، وهناك من الباحثين من يطلق على هذه الفترة قرطاج الهيلينستية[3] (Hellènistique)، ويفترض على كل دارس لتاريخ البحر المتوسط القديم ولاسيما في طرفه الشرقي، أن يحسن التصرف مع هذه الإسقاطات الصريحة لواقع الحضارة الإغريقية، من حيث التسميات المتعددة للحضارة البونية بفطنة عند التعامل معها[4]، لقد باتت السلطة العليا خلال المرحلة الديمقراطية في يد عائلة آل برقة [5]، حيث لم تكن ضمن الأسر ذات التأثير والسطوة، لكنها اكتسبت بتعاقب الزمن مكانة ذائعة الصيت لاسيما بعد نهاية الحرب البونية الأولى[6]، وكان أشهر شخصياتها هملكار برقة "اسمه هملكار ولقبه برقة وتعني سرعة حركته [7]"، و حنبعل، و هسدروبال [8]، فكيف وصلت هذه العائلة إلى الحكم؟

---

(1) – الهادي وناس الزريبي، قابس دورة خليج السرت، مطبعة الجنوب، ط1، قابس،2015، ص 46؛ ينظر أيضا: – محمد أسد الله، المرجع السابق، ص ص73-77.

(2) – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، الجزائر، 2008، ص88؛ ينظر أيضا: – ميلود التوري، المرجع السابق، ص40.

(3) – **الفترة الهيلينستية**: وهو عصر امتزاج حضارة الإغريق مع حضارة الشرق، وتطلق على القرون الثلاثة التي اعقبت حروب الإسكندر المقدوني وأطلق عليها العصر الهلنستي، وهو مصطلح عرفت به الحقبة الزمنية التي تمتد (323-30ق.م)، أي بعد وفاة الإسكندر وحتى تأسيس الإمبراطورية الرومانية من قبل أوكتافيوس "أغسطس".ينظر: – قيس هاني حاتم الجنابي، "الإسكندر المقدوني ومشروعه العالمي في بابل"، **مجلة بابل**، مركز بابل للدراسات التاريخية والحضارية ، العراق، ع1، مج5، 2015،ص ص 34-35.

(4) – الشاذلي بورونيه ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص129.

(5)- M. Sznycer, Carthage et la civilisation punique dans Rome et la conquête du monde Méditerranéen (Genése d' un empire), Paris, 1978, T, 2,Vol, 1, p566.

(6) – محمد أسد الله صفا، المرجع السابق، ص68.

(7) – مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص41.

(8) – **هسدروبال (270-221 ق.م)**: ويعرف بالعادل (The Rightful) صهر حنبعل، وقد حكم بعد موت هملكار برقة (229 ق.م) لمدة ثمانية سنوات، وأسس مدينة قرطاج الجديدة (Carthago Nova)"قرطاجنة"، عقد اتفاقا=

يذكر المؤرخون أن سبب وصولها إلى الحكم كان على إثر الثورة اللوبية، حيث كلف هملكار البرقي بإبادة هذه الثورة، وتمكن من إهلاكها (237 ق.م)، وذلك بعد ثلاث سنوات و أربعة أشهر من اندلاعها، وهذا ما أكسب هملكار ثقة الشعب والجيش معا، فالشعب هو الذي عينه خلفا لحنون[1] خلال الانتفاضة، ثم قائدا عاما للجيش بعد انتهائها، فتبوأ الشعب بذلك مكانة هامة في الحياة السياسية على حساب الأرستقراطية الحاكمة، وأعطى الأولوية للتوجه الديمقراطي بزعامة هملكار برقة، الذي تمكن من قلب موازين القوى بالمتوسط، عندما قرر التوسع بجنوب غرب إيبيريا[2] (Iberia) لتدارك الوضعية المتردية التي أصبحت تعيشها المدينة البونية[3].

تشير معظم الكتابات إلى أن الحكم في عهد آل برقة كان ذا صبغة عسكرية أكثر من كونه نظام مدني، حتى إن حكام هذه الأسرة كانوا يفكرون في بناء دولة على مثيل امبراطورية الإسكندر المقدوني، ومن أبرز المؤرخين الذين قدموا لنا معلومات عن قرطاج في هذه الفترة، لاسيما فيما يتعلق بدستورها، هو بوليب (Polybe)، وعلى عكس أرسطو الذي عاصر فترة ازدهار قرطاج ومجد مؤسستها السياسية، فإن بوليب الذي عاصر تلاشي قرطاج وشهد فناءها لم يتناول هذا الأمر بذات الحرص، مما يدل على انحطاط المنظومة السياسية بقرطاج واضطرابها فهو لم يذكر سوى أن السلطة العليا في الدولة كانت مركزة بيد آل برقة بالاستناد إلى الشعب[4]، أما مجلس الشيوخ الذي سماه بوليب (Syncletos) فقد تراجع نفوذه بعض

=مع الرومان سنة (226 ق.م)، يقضي بعد نفوذه شمال نهر إبرو مات في (221 ق.م). ينظر: -عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص41؛ ينظر أيضا: -الهادي وناس الزريبي، المرجع السابق، ص46.

[1] - **حنون**: ونعتقد أن المقصود به هنا حنون الموحد قائد ورجل دولة خلال القرن الثالث قبل الميلاد، لقب بالموحد نتيجة لنجاحه في حربه على صقلية، ويروى أنه كان يسعى إلى توحيد الليبيين والقرطاجيين في أمة واحدة، وإرساء قوة قرطاج على الأرض لا في البحار، كان رئيسا للحزب الأرستقراطي، وأكبر المعارضين لأسرة آل برقة تسبب في ثورة المرتزقة برفضه صرف رواتبهم. ينظر: -هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص373؛ ينظر أيضا: -عبد النعم المحجوبي، ليبيا...، المرجع السابق، ص151.

[2] - **إيبيريا**: شبه الجزيرة التي تضم الآن إسبانيا والبرتغال، عمل الفينيقيون على استكشاف سواحلها، والتوغل في أراضيها قبل تأسيس قرطاج. ينظر: -عبد النعم المحجوبي، ليبيا...، المرجع السابق، ص 76.

[3] - نبيل قلالة، المتوسط الغربي: رهان الصراع القرطاجي الروماني 241-146ق.م (تونس عبر التاريخ- العصور القديمة) ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، (ب ط) ، تونس، 2007، ج1، ص ص 123-124.

[4] -Ch. A. Julien, Op .Cit, p125.

الشيء عما كان سائدا في المرحلة السابقة[1]، ويرجع ذلك إلى اعتماد آل برقة على الشعب وليس على الطبقة الأرستقراطية، كما تفكك توازن السلطة في الدولة بسبب النزاعات بين ساسة قرطاج، وبفعل ضغط الحرب البونية الثانية (218- 202 ق.م)[2]، والتي مثلت أهم حدث لقرطاج في هذه الفترة بل أهم حدث في حوض المتوسط، وأكبر خطر هدد الدولة الرومانية[3].

لقد شهد مجلس الشيوخ في تلك الفترة المعارضة المنظمة التي تمثلت في وجود حزب آل برقة، ويدافع عن قيادتهم للبلاد، بحيث صار له صوت مسموع في مناقشة أمور الدولة سواء الداخلية أو الخارجية [4]، ومن ذلك مساندتهم لسياسة حنبعل، وتأييدهم لحملته على إيطاليا[5]، ويمكن تسميته حزب الشعب، في مقابل معارضة حزب الأرستقراطية الذي حذر من قيادة البرقيين وعارض بشدة الحرب ضد روما حتى آخر لحظة، وكان زعيمه يسمى حنون[6] وعلى الرغم من المكانة التي حضي بها مجلس الشعب، ظل مجلس الشيوخ كثيرا ما يبت في المسائل الهامة، فهو الذي قرر مثلا إعلان الحرب البونية الثالثة والأخيرة في حياة المدينة[7] و إلى جانب مجلس الشيوخ ومجلس الشعب نجد مجلس العشرة، الذي تمثلت مهامه في كل ما يخص الجانب الديني، ومجلس الثلاثين الذي اختص بكل ماله علاقة بالإدارة المالية كفرض الضرائب[8].

الجدير بالذكر في هذه المرحلة استمرار ممارسة الرشوة وبيع الوظائف والمناصب على نطاق واسع، وبشكل علني وصريح، كما أشار بوليب إلى تدهور الدستور القرطاجي وفساد الحياة السياسية في تلك المرحلة، لاسيما مع بداية الحرب الحنبلية "الحرب البونية الثانية"[9].

---

(1) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص111.

(2)- S. Lancel,Op-Cit , pp167-168.

(3)-R. Charles,Op- Cit , pp468-479.

(4) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص111؛ ينظر أيضا: –حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 63-64.

(5) – ف. ن. بريس، المرجع السابق، ص 2666.

(6) – فوزي مكاوي، تطور...، المرجع السابق، ص ص 94-95.

(7) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 110-111.

(8) – بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، (ب ط)، الجزائر، 2005، ص58؛ ينظر أيضا:– أحمد صفر، المرجع السابق، ص111.

(9)- Polybius, Vol, 3, VI, 51.1-9.

مثلت إيبيريا بالنسبة لقرطاج خلال الحقبة الديمقراطية البديل عن ممتلكاتها ومستوطناتها في صقلية والجزر المجاورة لها، ولم يتجاوز نشاط عائلة هملكار في إيبيريا خط نهر أبرو[1] (Ebro)، إلى أن قام حنبعل سنة (219 ق.م) باحتلال مدينة ساغونت[2] (Saguntum) وعندما رفض التخلي عنها بادرت روما (218 ق.م) إلى إعلان الحرب، وقرر حنبعل أن يقود حملة برية يجتاح بها روما من الشمال، فأعد جيشا من النوميديين والغاليين أعداء روما والقرطاجيين والليبيين وأوكل قرطاجنة التي كانت أشبه بعاصمة إيبيريا القرطاجية إلى أخيه صدر بعل، وتقدم بقواته في نفس العام باتجاه جبال الألب، التي استغرقه اجتيازها مسير خمسة أشهر، انتصر فيها في جميع المعارك التي خاضها وتخلص من الكمائن التي نصبت له[3].

وتمكن بعد مسيرة " 1500كلم" من تحقيق انتصارات على الجيش الروماني في عقر داره وهي انتصارات أبهرت العسكريين قديما وحديثا، وأصبحت استراتيجية حنبعل تدرس في أكاديميات حربية أوربية إلى اليوم، لاسيما معركة كناياي[4] (Cannae)، ومعركة بحيرة تراسمنوس[5] (Trasimeno)، ورغم هذه الانتصارات الباهرة لم يهاجم حنبعل روما حتى أنه يذكر أن أحد ضباطه طلب منه مهاجمتها ولكنه رفض فأردف قائلا: **"حنبعل إنك تعرف**

---

[1] - **أبرو**: نهر في النصف الشمالي من أيبيريا ينبع من جبال القلاع، وقعت قرطاج مع روما سنة (226 ق.م) معاهدة يكون هذا النهر بموجبها حدا نهائيا للنفوذ القرطاجي في الشمال. ينظر: -عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 19.

[2] - **ساغونت**: مور فيدو الحالية مدينة إسبانية تقع جنوب نهر الأبرو، وكان حصار حنبعل عام (219 ق.م) السبب المباشر في اشعال فتيل الحرب البونية الثانية، حيث وصل إلى سدة الحكم فيها جماعة من المعارضين لقرطاج وتحالفوا مع روما مما أثار حفيظة حنبعل ودفعه إلى حصارها واقتحامها، ولا نستبعد أن تكون قضية ساغونت ذريعة حرب، والواضح أن روما كانت تبحث عن ذريعة تشرع بها تدخلها في شؤون البرقيين بإسبانيا، فالأسباب الحقيقية هي أعمق من ذلك بكثير ينظر:-إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 270-271؛ ينظر أيضا:- إبراهيم مكيد، صاغنتة بين استلاء حنبعل واسترجاع الرومان (أشغال الملتقى الوطني حنبعل وروما ومصير إفريقيا)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 1-2 مارس 2020.

[3] - عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص140.

[4] - **كاناى**: بلدة تقع على بعد ثمانية كيلومترات من ساحل بحر الأدرياتيك على الضفة اليمنى لنهر أفيدوس. ينظر:
- S. Lancel, Op- Cit, p519.

[5] - **تراسمنوس**: بحيرة إيطالية انتصر حنبعل بالقرب منها سنة (217 ق.م) على الرومان، فقتل منهم خمسة عشر ألف جندي، وكانوا بقيادة فلافيوس الذي قتل في هذه المعركة أيضا، وبنهاية موقعة تراسمنوس، كان حنبعل قد أحكم سيطرته على شمال إيطاليا. ينظر: -عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 113.

كيف تنتصر ولكنك لا تحسن استغلال انتصاراتك [1] "، فهل كان ذلك هفوة منه أدت إلى إفراغ هذه الانتصارات من كل أبعادها السياسية والعسكرية؟

تناول المؤرخون هذه المسألة، نظرا إلى فخامة الحرب وجسامتها، فمنهم من ذهب إلى أن حنبعل كان يهدف إلى إبادة روما معتمدين القسم الذي أداه بأن لن يكون صديقا للرومان أبدا، وهناك من رأى أنه كان ينوي سلوك سياسة متوسطية على غرار الإسكندر المقدوني اعتقادا منهم أن البرقيين بإيبيريا كانوا مستقلين عن قرطاج، ونهج سياسة على المنوال الهلينستي وموقف آخر يفترض أن حنبعل كان يريد نشر الديمقراطية بالمدن الإيطالية[2].

ولكن لن ندخل في تحليل هذه الآراء ومناقشتها، فالحديث يطول في هذا الشأن والرأي حسب ما توفر لدينا من مادة خبرية، هو أن حنبعل كان يهدف إلى قلب الموازين بالمتوسط فحسب.

لقد ذكر في الخطاب الذي ألقاه في الأسرى الرومان غداة واقعة كاناى: **"بأنه لا يقوم بحرب إبادية وأنه لا يحارب إلا من أجل العزة والكرامة والقوة"**، وبعد هذا الخطاب أرسل عشرة موظفين رومان من الأسرى ليفاوضوا مجلس الشيوخ الروماني على الفدية، وعين المندوب القرطاجي المدعو كرثالو (Carthalo) ليدير مفاوضات السلام، لأن حنبعل كان يتوقع أن يعرض الرومان عليه وضع حد لهذه الحرب بعد هذه الخسارة الكبيرة، إلا أن الرومان لم يفعلوا ذلك[3].

إن حنبعل لم يقبل الهزيمة التي تكبدتها قرطاج في الحرب الأولى، وما تبعها من فقدان الجزر المتوسطية، وتقلص حضورها بالبحر وهو عماد قوتها، فعمل على كسب انتصار تعترف روما بمقتضاه بقوة قرطاج وبحضورها المتوسطي، وبدورها الفعال في البحر، فتستعيد قاعدتها الاقتصادية ومكانتها الاستراتيجية وسالف مجدها. ذلك هو الهدف الأسمى لحنبعل من هذه الحرب[4].

---

[1]- R. Charles, Op- Cit, pp440-441.

[2] –نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص128.

[3] - F. Michael, Between Rome and Carthage Southern Italy during the Secon Punic War, **(C.A.H)**,New York, 2010, p53.

[4] – نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص129.

بقيت روما صامدة بالرغم من الوهن الذي أصابها، بل ستنقلب موازين القوى لصالحها بفضل مناعة الدولة والمؤسسات، وإحكام الحياة السياسية بها ولحمة الطبقة الحاكمة و إلتفاف المجتمع حولها[1]، وتمكنت سنة (209 ق.م) من إخضاع سيراكوزة ومن خلالها كامل صقلية. أما ترنتوم[2] (Tarentum) وهي أهم مدن جنوب إيطاليا، فتراوح موقعها بين حنبعل وروما إلى أن سقطت في يد هذه الأخيرة، وكذا حدث لكابوا[3] (Capua) سنة (211 ق.م) التي لم ينجح حنبعل في رفع الحصار عنها، علما وأنها كانت أهم حليف للقائد القرطاجي الذي سيشعر بالضعف بعد ذلك، لاسيما وقد التحقت بعض المدن الإيطالية بروما[4].

بدأ الوضع ينقلب شيئا فشيئا لصالح روما، بل وصار حنبعل في عزلة بجنوب إيطاليا، وزاد الأمر تعقيدا لما فشل أخواه هسدروبال ثم ماغون في الالتحاق به بإيطاليا، وفي المقابل تمكن بوبليوس كورنيليوس سكيبيو[5] (Popilius Cornilius Scibio) "الملقب بالإفريقي" من السيطرة نهائيا على إيبيريا سنة (206 ق.م)، وتحولت عزلة حنبعل إلى حصار فلم يعد بإمكانه التعويل على القاعدة الخلفية بإيبيريا ولا قرطاج نفسها التي أنهكهما تمويل الحرب خاصة، وقد اعترض الرومان سبيل " 80" سفينة مشحونة مؤنا كانت متجهة إليه في جنوب إيطاليا، في حين أصبحت روما هي المسيطرة على البحر وعلى الوضع عامة وستحول مسرح الحرب إلى بلاد المغرب القديم لفك الخناق على إيطاليا[6].

---

(1) – نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص 129.

(2) – **ترنتوم**: مدينة ترنتو الحالية الواقعة جنوب شرق إيطاليا على البحر الأيوني، أسسها الإغريق في القرن الثامن قبل الميلاد، شهدت (212 ق.م) معركة بين الرومان والقرطاجيين، بقيادة حنبعل الذي حقق فيها انتصارا كبيرا ساحقا. ينظر: –عبد المنعم الحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 117.

(3) – **كابو**: إحدى مدن جنوب إيطاليا، وكانت مركزا صناعيا مهما، سارعت إلى فتح أبوابها أمام حنبعل بعد انتصاره في كاناى، على أمل أن تحتل مكانة روما، ولم يلبث الرومان أن استرادوها عام (212 ق.م). ينظر: –إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص279-281.

(4) – نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص129.

(5) – **سكيبيو(235-183 ق.م)**: الابن كان في الخامسة والعشرين من عمره أثبت جدارته العسكرية كجندي، لكن لم يسبق له أن تولى أي وظيفة عامة تؤهله لممارسة سلطة عليا، وتولى قيادة عسكرية حسب أحكام القانون الروماني، لكن كفاءته وقوة شخصيته، ومتطلبات الموقف العسكري بإيبيريا، جعلت السناتو يستصدر قانونا خاصا يمنحه رتبة بروقنصل، وإسناد قيادة القوات في إيبيريا له. ينظر: –إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 284.

(6) – نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص130.

وفقا لهذه الظروف وجد حنبعل نفسه معزولا في مكان بعيد لا تصل إليه خطوط الإمداد، فتراجع إلى أبوليا، في الوقت الذي بدأ فيه الرومان بتسيير أسطولهم إلى قرطاج، لإبعاد مسرح الحرب عن إيطاليا، لاسيما بعدما نجحوا في استمالة ماسينيسا[1] (Massinissa) وعزل سيفاكس[2] (Sciphx) عدو ماسينيسا وحليف حنبعل، وأمام هذه التطورات قام مجلس شيوخ قرطاج بالاستنجاد بحنبعل طالبين منه العودة إلى قرطاج، ولم يكن أمامه سوى العودة بجيش غير كامل، والعمل على إعادة تشكيل جيش قرطاج بأسرع وقت ممكن، وفي معركة زاما[3] (Zama) (202 ق.م) اندحر القرطاجيون غير الأكفاء أمام جيش كان يضم الرومان والنوميديين وفرقا من المرتزقة اليونانيين وغيرهم، وأجبرت روما قرطاج على التوقيع على معاهدة تتنازل بموجبها عن ممتلكاتها في إيبيريا وعن أسطولها، باستثناء عشرة سفن يحق لها الاحتفاظ بها، مع دفع غرامة قدرها عشرة آلاف تالنت خلال خمسين عاما، بالإضافة إلى تعهدها بعدم إعلان الحرب ضد أي جيش أو الدخول في حرب مع أي جيش إلا بعد إعلام روما، التي تختار بين أن تأذن لها أو ترفض[4].

---

[1] - **ماسينيسا (238-148 ق.م)**: أشهر الملوك النوميد، كان قويا وطموحا، تمكن من توحيد النوميديتين والوصول إلى سدة الحكم (203-148 ق.م)، بمساعدة من الرومان بعد القضاء على غريمه سيفاكس ملك نوميديا الغربية، صهر النوميد بيديه القويتين، وجعل منهم أناس مستقرين ومدنهم، حقق العديد من الانجازات العسكرية والسياسية، وكاد يضم قرطاج إلى مملكته، إلا أن روما حالة دون أن يبلغ الملك النوميدي هدفه، الذي ظن أنه لا محالة بالغه ينظر: - محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، (ب ط)، الجزائر، 2003، ص ص 36-40.

[2] - **سيفاكس**: ملك نوميديا الغربية "المازيسول" انظم إلى القرطاجيين في صراعهم ضد روما، وظل مخلصا لهم حتى مقتله على يد الرومان عام (203 ق.م). ينظر: -ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص 469.

[3] - **زاما**: تقع جنوب قرطاج "سيدي يوسف الحالية"، على نهر مجردة شهدت التحام الجيش القرطاجي والفيلق الليبي، بقيادة حنبعل، مع الجيش الروماني والفيلق النوميدي، بقيادة سكيبيو سنة (202 ق.م)، وما تجدر الاشارة إليه بأن هناك بعض الدراسات الحديثة اخرجت معركة زاما من الواقعية التاريخية، إلى حرب زعامة مفتعلة من طرف المصادر الرومانية بين حنبعل القرطاجي، وسكيبيو، وذلك بناء على رصد بعض المشكلات التاريخية وحتى الأثرية. ينظر: -عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 185؛ ينظر أيضا: -عز الدين مجاني، قراءات نقدية حول أحداث معركة زاما ومصير حنبعل، (أشغال الملتقى الوطني حنبعل وروما ومصير إفريقيا)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 1-2 مارس 2020.

[4] - عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص ص 140-141.

بعد انتهاء الحرب البونية الثانية تمكن حنبعل وأنصاره من الامساك بزمام الأمور في الدولة، وسعوا إلى النهوض باقتصادها من جديد ونجحوا إلى حد كبير، وذلك من خلال إصلاح ما فسد من النظام الإداري والسياسي بقرطاج، لاسيما الشؤون المالية والقضائية(1).

لأن من طبيعة الحركات الإصلاحية أنها تقضي على أسباب الفساد والفوضى، فتدوس مصالح الاستغلاليين والانتهازيين، ودهاقنة الرشوة والخيانة، وهذا ما جرى في قرطاج، فأخذ عدد أعضاء حنبعل يزداد يوما بعد يوم بصورة مطردة، لكثرة الفاسدين بين الشيوخ كبار الموظفين وأقطاب النفوذ (2)، وأثبت أنه إداريا لا يقل كفاءة عن كونه عسكري، الأمر الذي أثار قلق أرستقراطية قرطاج نتيجة ما فرضته عليها إصلاحات حنبعل المالية والإدارية من قيود ولم يكن قلق روما بأقل من قلق البرجوازية القرطاجية حيث انزعجت روما وخافت من أن تستعيد قرطاج بناء قوتها ثانية(3).

بعث مجلس الشيوخ القرطاجي خفية إلى روما يبلغ مجلس شيوخها بأن حنبعل يجري اتصالات سرية مع أنتيوخيوس الثالث (223-187 ق.م)، ملك سلوقية (311-126 ق.م) وأنه يعد عدته ليستأنف الحرب ضد روما من جديد(4)، وما إن علم حنبعل بأن المؤامرة التي كانت تحاك ضده حتى آثر الانسحاب من قرطاج التي غادرها ليلا إلى الشرق(5)، في محاولة منه بهدف إنشاء حلف واسع غايته القضاء على الدولة الرومانية(6)، ولكن قصر نظر ملوك الشرق أحبط أهدافه الكبرى من التحقق، ولأن الدولة الرومانية ظلت تقتفي أثره حتى وهو في الشرق

---

(1)- R. Charles, Op- Cit, pp467-468.

(2) – إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 336؛ ينظر أيضا:

-Titus Livius, XXXIII, 47.3-10.

(3)–جورج مصروعة، هنيبعل، مطابع سيما، بيروت،1959، ج2.، ص ص 62-64.

- Titus Livius,XXXIII,48.3-4.

4– فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص215.

(5) – لقد حاول حنبعل عند فراره نحو الشرق التحالف مع الملوك:" أنطخيوس الثالث، وفليب الخامس، وبروسيا الثاني،" وأهم المناطق التي زارها: "صور، أفيسوس، جزيرة كريت، باثينيا". ينظر:

-R. Charles, Op- Cit, pp472-483.

(6) – وفرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص215.

خوفا من أي مفاجأة مادام على قيد الحياة[1] متبعة في ذلك العديد من المناورات لإفساد سمعته لدى الملوك الذين حل بقصورهم، ففضل أن ينتحر على أن لا يقع في قبضة الرومان وتم ذلك سنة (183ق.م) [2]، وهو يقول: "**إن هذا سيوفر على الرومان قلقهم في انتظار موت رجل مسن**"[3].

أما قرطاج التي نهضت طبقتها الأرستقراطية من جديد بعد هروب حنبعل، والتي بدأت تسيطر على تسير شؤون الدولة، و في مقدمتها حزب حنون فيبدو أن تآمرها على العائلة البرقية، لاسيما على حنبعل لم يكن نهجهم هذا سوى سلوك خاطئ انحصر على قصر نظر حاد لهذه الفئة، وافتقارها إلى السلاسة والتأني في معالجة الأمور، وهذا ما جعلهم لا يدركون أن روما لن تكتفي بالتخلص من عائلة آل برقة وخطر حنبعل، وبعدها ستظل متفرجة على الأحداث، بل كانت خطتها منذ البداية قائمة على اجتثاث قرطاج من الوجود، والحصول على ثرواتها[4].

عمل الرومان بعد التخلص من حنبعل وضعف نفوذ عائلة آل برقة، وتدهور أوضاع قرطاج، على تذكية بؤرة النزاع بين قرطاج و ماسينيسا، هذا الأخير الذي لم يكتف ببند معاهدة السلم (201 ق.م) الذي خول له نتيجة لتحالفه مع روما خلال الحرب البونية الثانية تنازل قرطاج عن كل الأراضي التي كانت بحوزة آبائه وأجداده بل تجاوز ذلك، وبدأ في أخذ المقاطعات القرطاجية منطقة بعد الأخرى[5] حتى تمكن من الاستلاء على سبعين بلدة وقلعة وسيطر على جميع الطرق والمسالك البرية المؤدية إلى العاصمة البونية، وما كان يقيد قرطاج هو أحد بنود معاهدة السلم، والذي يقضي أن لا تعلن قرطاج الحرب ضد أي كان دون إذن مسبق من روما[6].

---

(1) – محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومه، (ب ط)، الجزائر، 2013، ص51.

(2) – نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص ص134-135.

(3) – حنان قرقوتي، المرجع السابق، ص 319.

(4) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص، ص 113، 235؛ ينظر أيضا: – عاطف عيد، المرجع السابق، ص ص 34-33.

(5) – جلول عزونة، المرجع السابق، ص9.

(6)-R. Charles, Op- Cit, pp493-495.

في ظل استمرار غلاظة ماسينيسا على الأراضي القرطاجية،وذلك في سنوات (193-1982-172-162 ق.م)، وأخيرا سنتي (153-152 ق.م)، أمام نظر ومسمع الرومانيين الذين كانوا ينتحلون الحياد في الظاهر، ولكنهم في الواقع كانوا مؤيدين لأفعاله، وأمام تماطلهم في التدخل ووضع حد لتحركاته، وتهجماته المتوالية على مجال المدينة البونية، أعلنت هذه الأخيرة الحرب على ماسينيسا (150 ق.م) [1] دفاعا على سيادتها الترابية، وهو الأمر الذي تذرعت به روما للتدخل بدعوى خرق قرطاج لبند من بنود معاهدة زاما الذي يمنع عليها إعلان الحرب من دون موافقتها[2].

قد يكون ما حث روما استعجال التدخل والإسراع في الاستحواذ على قرطاج، هو خشيتها من أن يسبقها إليها حليفها ماسينيسا، ويمكن أن نضيف إلى ذلك فكر حكام روما، بعد أن أصبحت دولة الأثرياء وأقوى امبراطورية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وهو فكر عقيم لا يتقبل المنافسة، لاسيما إذا أضحى لها منافس يختلف عليها من حيث الإيديولوجية، فقرطاج في ذلك الوقت كانت تمثل توجه ثوري بكل أبعادها الشعبية[3]، وبذلك تجددت الحرب بين الطرفين القرطاجي والروماني في حرب بونية ثالثة عام (149 ق.م)، عندما أرسلت روما إلى قرطاج جيشا يتألف من "80 " ألف من المشاة وما يقارب "4000" فارس[4].

لم يكن بقدرة قرطاج أن تدخل في حرب مفتوحة مع الرومان، بعد ما أضاعت أسطولها وجنرالاتها وجيشها، فأباح القرطاجيون قبولهم التفاوض، مع ما يترتب على ذلك من شروط الرومان[5]، غير أنهم سرعان ما استنكروا ذلك، عند ما عرفوا المطلب الأكثر وقاحة من قبل الرومان، والذي يقضي بهجرة القرطاجيين من عاصمتهم، وبنائهم مدينة جديدة بعيدة عن البحر حوالي "15كلم" على الأقل حتى يتسنى للرومان تدميرها[6] فقرروا التصدي للأعداء

---

(1) – جلول عزونة، المرجع السابق، ص9.

(2) – محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي....، المرجع السابق، ص70؛ ينظر أيضا: – سيد أحمد علي الناصري، تاريخ وحضارة ....، المرجع السابق، ص172.

(3) – جمعة شيخة، المرجع السابق، ص 344.

(4) – محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي...، المرجع السابق، ص70.

(5)- R. Charles, Op- Cit, pp496-497.

(6) – فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص141؛ ينظر أيضا: – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص219.

وذلك بتأهب كل أطياف المجتمع البوني للحرب بعد أن بانت نوايا روما العدوانية، وباتت عبارة "لابد أن تدمر قرطاج" (Delenda est Carthaga) من المسلمات لدى مجلس شيوخها[1].

أعلنت الحرب وبعد عدة معارك لم تنته إلى نتيجة محددة بين الطرفين، استطاع سكيبيو إميليانوس[2] (Scipion Emilien) عزل مدينة قرطاج برا وبحرا، عمل القرطاجيون على مجابهة الحصار الذي فرضه الرومان عليهم لمدة ثلاث سنوات، ولكن لم يكن استعداد قرطاج كافيا فقد كان ميزان القوى لصالح روما، حيث تمكن جيشها بقيادة سكيبيو الإيميلي من اجتياح المدينة بسبب استشراء العداء والنزاعات السياسية وعدم وجود جيش منظم قوي، استسلم شيوخ وأثرياء قرطاج التي عمتها الفوضى والفتن والخيانة، وسمحوا للجيش الروماني بالدخول للمدينة، إلا أن المقاومة القرطاجية انتقلت إلى الأهالي، الذين بدؤوا حربا شعبية ضد الرومان شارعا شارعا وبيتا بيتا، بما نسميه في العصر الحديث "حرب العصابات" [3].

قرر سكيبيو مهاجمة بيرصا أقوى جزء في المدينة، حيث لجأ الجزء الأكبر من السكان إليه، وكان هناك ثلاثة شوارع تصعد من الساحة العامة إلى هذه القلعة، وعلى جانبي هذه الشوارع كانت تمتد منازل ترتفع ستة طوابق في الهواء، ومنها تم مهاجمة الرومان بالنبال، ولكن الرومان استطاعوا الاستلاء على بعض البيوت القصيرة، ومنها هاجموا البيوت التالية، وبينما كانت هناك حرب تدور بهذه الطريقة على الأسطح، كان هناك أخرى تدور في الشوارع في الأسفل، وعندما وصل سكيبيو إلى بيرصا أشعل النيران في الثلاثة شوارع في وقت واحد، ولقد انتشرت النيران وقضت على كل شيء تقريبا[4].

انقضت ستة أيام وليالي في هذا الاضطراب والدمار، وفي اليوم السابع جاء بعض المتوسلين إلى سكيبيو، وطلبوا منه الإبقاء على حياة هؤلاء الذين يرغبون في الاستسلام والرحيل من بيرصا، ولقد منح سكيبيو هذا العفو للجميع ماعدا الهاربين، وعلى الفور خرج من هناك

---

[1] – جمعة شيخة، المرجع السابق، ص344.

[2] – **سكيبيو الإيميلي (185-129 ق.م)**: هو قائد عسكري روماني والابن الثاني لبوبيلوس اميليانوس، انتخب قائدا على الجيش الذي تنقل إلى قرطاج سنة (149 ق.م)، وقد أشرف على تدمير قرطاج سنة (146 ق.م). ينظر: –محمد الصغير غانم، نصوص بونية–ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، (ب ط)، الجزائر، 2012، ص82.

[3] – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 141.

[4] - Appian, Roman History, Translated by: H. White, New York, 1899,XIX ,128.129.130

"55.000 " ألف رجل وامرأة أطفال، وعندئذ لجأ الهاربون من الرومان، الذين يمكن أن يتوقعوا الصلب كعقاب، وكان عددهم "900"، إلى معبد أشمون (Eshmun) مع هسدروبال وزوجته ووالديهما، واستمروا في المقاومة مع هسدروبال في إحاطة معبد أشمون، ولقد دافعوا على أنفسهم لفترة طويلة حتى أجبروا على التراجع إلى المبنى وهزموا في النهاية، فتركوا ملحقات المعبد وهربوا إلى السطح[1].

انهارت شجاعة هسدروبال الذي كان قد أعلن في كثير من الأحيان عزمه على القتال حتى الموت[2]، حتى توصل به الأمر للهرب سرا إلى سكيبيو حاملا غصن زيتون فأمره سكيبيو بأن يجلس عند قدميه، وعندما ألقى هسدروبال نفسه كخادم عند قدمي سكيبيو إلتفت الأخير، وعلق قائلا: **"أنظروا، يا أصدقائي، كيف يعرف الحظ الجيد أن يقدم لنا مثال على الرجال الطائشين، هذا هو هسدروبال الذي رفض مؤخرا أكثر العروض تسامحا أنا وهبته له، وقال أن مدينته الأم ونيرانها أحب الجنازات له، وها هو مع فروع شجرة يأتي متوسلا ومتضرعا من أجل حياته عندي، ويضع كل آماله علي كان عليه أن يفهم أنه مجرد رجل لا يجب أن يتصرف أو يتكلم بوقاحة؟**[3]".

أثار هذا الوضع المهين سخط الهاربين، وعندما رأوه صبوا كل لعناتهم وملامتهم عليه، وبعد ذلك أشعلوا النار في المعبد وألقوا أنفسهم فيها، وقيل أنه بينما كانت النيران مشتعلة ارتدت زوجة هسدروبال أفضل ما لديها، ووضعت ولديها بجانبها، ولهول المصيبة وغضبا من استسلام زوجها صاحت وقالت بصوت بلغ سكيبيو: **"أنت أيها الروماني! ليس عليك أن تخشى وعيد الآلهة، فأنت قد غزوت أرض أعداء، أما صدر بعل ذاك فلقد خان وطنه، ومعابده، وخانني أنا أيضا ومعي خان أبناءه، فلتحل عليه لعنة آلهة قرطاج وعقابهم ولتقتص منه أنت أيضا!"**، وبعد أن شتمته بهذه الكلمات قامت بذبح أطفالها وألقتهم في النيران ثم ألقت نفسها بعدهم أيضا[4].

---

(1) - B. H. Warmingto, Op- Cit, p208.

(2) - Ibid, p208.

(3) - Polybius, Vol, 6, XXXVIII,20.1-9 ; Il observe aussi:- Appian, XIX,131.

(4) – الحبيب بولعراس، تاريخ تونس (أهم الأحداث والتواريخ من عصور ما قبل التاريخ حتى الثورة)، تر: الصادق بن مهني، سراس للنشر، ط2، تونس، 2015، ص124.

إن الشيء الملاحظ على مدينة قرطاج بأنها بدأت بالانتحار، والنيران، والمرأة، حيث اقترنت بدايتها بإليسا ثم انتحارها، وانتهت المدينة بانتحار امرأة أخرى، هي زوجة هسدروبال فهل من رموز ودلالات تاريخية على ذلك؟ قد يتعلق الأمر بشعيرة دينية فينيقية، متمثلة في التضحية البشرية جاءت من الشرق، واستمر تطبيقها في العالم القرطاجي، وربما جاء هذا الانتحار افتخارا بالوطن، وحفاظا لكرامته، ولأن نظرتنا عامة ولم تكن بحكم الضرورة شاملة فلا يمكننا الاسترسال في هذا الطرح لأنه يحتاج لعنصر خاص، وتحليلات خاصة نتركها لدراسة أخرى.

وبعد أن أضحت قرطاج دمارا وأطلالا سمح سكيبيو لعساكره بالنهب، وأتاح لهم أن يغنموا كل شيء، ماعدا الذهب والفضة والنذر، وأرسل الغنيمة إلى روما، وأضرمت النيران في المدينة، أوفي ما تبقى منها، وظلت تشتعل فيها على امتداد سبعة عشر يوما، وهكذا تم الحريق الذي أتى بعد الحريق الأول حيث طال العديد من نواحي المدينة، ويسر تقدم الجيوش الرومانية وتدمير المدينة الكبرى، وفي الأخير تم تغطية أرض المدينة بالملح لمنع نموها وخصوبتها[1]، ويقال أن سكيبيو عندما نظر إلى المدينة وهي تدمر بتلك الطريقة البشعة، ذرف الدموع وبكى علانية من أجل أعدائه، حتى أن بوليب يروي لنا مقتطفات من حوار سكيبيو معه بعد تدمير قرطاج قائلا: **"وقد إلتفت لي فجأة وأمسك سكيبيو يدي وقال، يالها من لحظة عظيمة يا بولبيوس، لكن لدي حدس وتشاؤم مخيف أن يوما ما نفس المصير سوف ينصب على بلادي"**[2].

كل الأمور هكذا سارت واستقرت خلال المرحلة الديمقراطية، ولم تنفع محاولة الإصلاح التي قام بها القائد العسكري حنبعل، بعد الحرب البونية الثانية، اذ لم تكن هذه المحاولة إلا الصحوة التي تسبق الموت، فقد واصل الرومان ضغطهم على قرطاج، وما ساعدهم على ذلك تواطؤ الطبقة الأرستقراطية القرطاجية مع روما بهدف خدمة منافعها الخاصة على المنفعة العامة "الدولة والشعب"، وهذا ما جعل الأحداث تسير لصالح الرومان[3]، وكانت السنوات الثلاث

---

[1]- B. H. Warmingto, Op- Cit, p208.

[2] - Polybius, XXXVIII, 22.1-2.

[3] – محمد أسد الله، المرجع السابق، ص، ص251 – 258– 265.

الأخيرة شاهدة على نهاية حضارة عظيمة عندما وقعت قرطاج في قبضتهم، وتحولت أراضيها إلى مقاطعة رومانية سنة (146 ق.م)، بعد اشعاع حضاري دام أزيد من ستة قرون ونصف[1].

وإن كانت قرطاج اندثرت كمعلم جغرافي، وعمراني فإن تقليدها الحضاري لم ينته، ذلك أن الحضارات بل الثقافات لا تموت[2]، فقد أكدت العديد من الدراسات الحديثة على أن قرطاج كان لها فضل كبير على شعوب الحوض الغربي للمتوسط، حيث استفادت العديد من المدن، والممالك من تجارب قرطاج الحضارية، خاصة ما يعرف اليوم بالمغرب العربي[3].

تبقى فترة المخاض الكبرى، حسب اعتقادنا، والتي شكلت الملامح الأساسية للحضارة القرطاجية، هي المرحلة الأرستقرطية التي استغرقت الفترة الممتدة (480- 237 ق.م) تقريبا حيث هضم الفينيقيون الوافدون إلى قرطاج تلك الثقافات المتواجدة بالحوض الغربي للمتوسط والجذور المحلية لبلاد المغرب القديم، وأضافوا إليها تراثهم الحضاري، الذي تحدروا منه، وكونوا من كل هذا الخليط مؤسسة سياسية وعسكرية، ونظاما اقتصاديا وعقائد دينية، لقد جعلت هذه الأمور قرطاج تبدو وكأنها تدخل مرحلة جديدة أسفرت عن استقلال قرطاج السياسي والاقتصادي والديني عن أصله الفينيقي الأول، -وهنا نكون قد وصلنا إلى الإشكال المركزي المتمثل في البحث أوضاع قرطاج خلال الحقبة الأرستقراطية، لاسيما عندما تهيأت ظروف جديدة في (480 ق.م) انحدرت فيها صور، وصارت قرطاج عاصمة جديدة بديلة لكل الفينيقيين، ولذلك توسع القرطاجيون داخل بلاد المغرب، ومدوا نفوذهم وتجارتهم باتجاه دول الحوض الغربي للمتوسط وجزره، حتى إننا نلمح التأثيرات القرطاجية بوضوح وهي تتسلل إلى تلك المناطق.

---

[1] – محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، ط2، تونس، 1985، ص 23؛ ينظر أيضا: -محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي....، المرجع السابق، ص71.

[2] – نبيل قلالة، المتوسط الغربي... ، المرجع السابق، ص 138.

[3] – جمعة شيخة، المرجع السابق، ص344.

الفصل الثاني:

النظام السياسي والإداري في قرطاج الأرستقراطية

أولا) الدستور:

ثانيا) المؤسسات الحاكمة:

ثالثا)سياسة قرطاج تجاه المناطق التابعة لها:

احتل نظام الحكم والإدارة في قرطاج حيزا واسعا من اهتمام المؤلفين القدامى، لاسيما تلك التطورات في المنظومة السياسية، التي عرفتها المدينة البونية، وسياستها تجاه المناطق التابعة لها إبان القرن الخامس قبل الميلاد ونهاية القرن الثالث قبل الميلاد، وتسمح الأخبار والمعطيات التي جاءت في مؤلفاتهم بتتبع هيكلة النظام السياسي في قرطاج[1]، وإن كانت تواجه الباحث في هذا المجال جملة من العوائق المعلومة، والتي تعترض كل من دنا من تاريخ وحضارة قرطاج يدقق فيه فالمدينة دمرت والوثائق ضاعت، وما تبقى من مصادر حولها كتبه الخصوم الذين لا ينتظر منهم قسط القرطاجيين، أو إظهار ميزات حكومتهم، كما أن معظم المصادر القديمة تحدثت عن دستور قرطاج والمؤسسات المنبثقة عنه بصورة عمومية وبطريقة عرضية، ومن ثم قدموا أوصافا وأسماء لا تطابق الحقيقة تماما، وذلك لأنهم عالجوا الموضوع بمصطلحات لغاتهم الأم من جهة كما أنهم غير مختصين في هذا المجال[2].

كما حاولت المصادر الكلاسيكية في كثير من المواضع تشويه سياسة قرطاج تجاه الأقاليم التابعة لها، وربما هذا ما نلاحظه من قول بلوتارخوس[3](Plutarque) في وصف الشعب القرطاجي فيقول: "**إن هذا الشعب تغلب عليه الخشونة، نكد المزاج، يخضع لمن يحكمه، يستعبد الشعوب التي يحكمها يصبح أكثر تواضعا حينما يشعر بالخوف، أما عندما يثور فإنه يتحول إلى شعب شرس، وهو شعب حازم في قراراته، وقد أدت صراحته إلى الابتعاد عن الدعابة والمزاح**" لذلك وجب علينا توخي الحرص والحذر عند الاعتماد على كتابتهم سيما وأن هذه الصورة التي رسمها بلوتارخوس صورة قاتمة للغاية، لكنها طبيعية نتيجة العداء الشديد الذي كان بين الإغريق والقرطاجيين، وبتالي فليس من المتوقع أن

(1) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص165؛ ينظر أيضا: – محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص 197.

(2) – فوزي مكاوي، تطور...، المرجع السابق، ص ص72–73.

(3) – **بلوتارخوس (50-120م)**: مؤرخ وفيلسوف إغريقي كتب سير ومشاهير رجال اليونان والرومان، اعتمد على مؤلفات المؤرخ والفيلسوف السوري بوسيدونيوس الآفامي، الذي نقل العديد من أخبار القرطاجيين في مؤلفاته. ينظر: – عبد المالك سلاطنية،" المستوطنات الفينيقية–البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط"، (دكتوراه)، إشراف أ.د محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري–قسنطينة، (ب ت)، ص25.

يمدح الإغريق الدولة القرطاجية التي حرمتهم من الكثير من المكاسب والاحتكارات التجارية بعد ما أغلقت عليهم منافذ التوغل في البحار عدة قرون[1].

يضاف إلى المصادر الأدبية المصادر المادية المتمثلة في الحفريات الأثرية في قرطاج والمناطق التي كانت منخرطة في مجالها، لربما تساعد في إزالة ما غرب من معلومات، إلا أن مساهمة هذه الحفائر في نطاق بحثنا ما تزال قاصرة، على الرغم من أنها قدمت عدد من أسماء الوظائف والمؤسسات القرطاجية، ولكنها لا تعطي أي فكرة متكاملة عن طريقة تسييرها أو تطورها، كما أن جل ما تم كشفه من نقوش وبقايا مادية تعطي معلومات على القرنيين الأخيرين من حياة المدينة وهو ما يعد خارج مجال لحقبة المدروسة [2].

يلاحظ أيضا على أن الكثير من الدراسات الحديثة ترى أن المعلومات التي توصلنا إليها عن المرحلة محل الدراسة، يمكن تطبيقها على الفترة السابقة واللاحقة "أي أن نظرتهم ثابتة للنظم السياسية القرطاجية"، لكن هذا الرأي يبدو غير منطقي ومن الصعب الأخذ به وتأييده، لأن كل الحضارات عرفت تعاقب الأجيال والدورات التاريخية[3]، ودليل ذلك وجود دراسات أخرى تمثل النظرية التطورية، حيث اعتبروا أن قرطاج مثل المدن الإغريقية انتقلت من ملكية الحق الإلهي إلى الأرستقراطية وتوازن السلطة، ويؤكد أصحابها عن صحة رأيهم على اعتبار أن السلطة التنفيذية انقسمت من الملكية المطلقة إلى الحكم الثنائي للقاضيين المنتخبين وأن السلطة التشريعية انقسمت إلى طبقة أرستقراطية في مجلس الشيوخ، وطبقة العامة في مجلس الشعب، ثم نشأت بعد ذلك محكمة المائة والأربعة التي شرعها وكلفها مجلس الشيوخ لتكون سلطة قضائية على القادة العسكريين[4].

أولا) الدستور:

يمكن في هذا المحور تتبع المادة الخبرية بناء على منطلقات مختلفة، فمن حيث الشمولية فإن أهم مصادرنا عن هذا الموضوع تطرق إليه أرسطو في كتابه السياسة، ويجب أن نشير هنا

---

(1) – نقلا عن: – فرانسوا ديكريه، قرطاحة أو ...، المرجع السابق، ص111.

(2) – فوزي مكاوي، تطور...، المرجع السابق، ص74.

(3) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...،المرجع السابق، ص62.

(4) – حسام أبوسعدة، المرجع السابق، ص56؛ ينظر أيضا: – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 180.

أنه لم يدرس دستور[1] قرطاج وهيئاته لذاتها، بل في إطار المقارنة بينها، وبين مؤسسات إسبرطة وكريت[2]، لاسيما إذا ما علمنا أن جل اهتمامه كان متعلقا بالفلسفة السياسية والقوانين الدستورية، أكثر من اهتمامه بدراسة النظم السياسية للمدينة البونية[3]، وينوه أرسطو بجودة دستور قرطاج بقوله: "**لقد عرف القرطاجيون بأنهم منظمون بشكل جيد، كما أن دستورهم هو أرقى بكثير، وفي نواح عديدة، من الدساتير الأخرى المتعلقة بأمم أخرى[4]**".

أما عند بقية المؤرخين فجاءت المعلومات عن دستور قرطاج مقتضبة ومبعثرة في فقرات[5] كما اقترنت وتلازمت أغلب أخبارهم على الجانب السياسي للمدينة البونية مع تاريخها العسكري، ومع هذا تظل مصادر رئيسة تساعدنا على ايضاح نشأة دستور قرطاج، أو في تبيين التسميات البونية لبعض الوظائف السياسية لقرطاج خلال الحقبة الأرستقراطية [6].

نجد في الفترة السابقة للقرن الثالث قبل الميلاد، كل من ديودور الصقلي وطروك بومبي[7] (Trogue- Pomée) في ملخص جوستين، و لا يستبعد أن هذان الكاتبان أخذا معلوماتهما عن تيمايوس[8]، أما خلال عصر الصراع القرطاجي الروماني، فقد جاءت بعض الصفحات

---

[1] – **الدستور**: يعرف أرسطو الدستور على أنه ذلك النظام المرتب، والموضح لجميع الوظائف الأساسية، التي لها علاقة بسيادة الدولة، هذه السيادة التي تنحصر في كل الأحوال في يد الحكومة، كما أن الحكومة والدستور هما وجهان لعملة واحدة. ينظر:

- Aristotles, III,4.1.

[2] –**كريت**: هي أحد الحضارات التي ظهرت في جزيرة كريت ما بين (2400-1200 ق.م)، تميزت هذه الحضارة بمركز وسطي ممتاز ما بين فينيقيا وإيطاليا، وبين مصر واليونان، مما أتاح لها فرصة لتلاقي التيارات الحضارية بها، وتصنف حضارة كريت ضمن حضارات بلاد اليونان في العصر لبرونزي. ينظر: –محمد سهيل طقوش، الحضارة الكريتية (موسوعة الحضارات القديمة)، دار النفائس، ط2، لبنان، 2015، ص349.

[3] – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص165.

[4]-Aristotles, II,1.

[5] – فوزي مكاوي، تطور....، المرجع السابق، ص73.

[6] – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر ، المرجع السابق، ص165.

[7] – **بومبي طروك**: عاش في عهد الإمبراطور الروماني أوغسطس، وقد كتب تاريخا عالميا يتألف من "44" كتابا. لم تصلنا كاتبته بطريقة مباشرة، وإنما جاءت عن طريق جوستين، خاصة تلك التي تدور حول الممالك الهلنستية للإسكندر الأكبر حتى غزوها من قبل الرومان. ينظر:

-http://www.attalus.org/info/justinus.html,(13-07-2019/ 16:17).

[8]– استيفان قزال، تاريخ شمال أفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، (ب ط)، الرباط، 2007، ج2، ص135.

عند بوليب، وذلك من خلال تطرقه في كتابه التاريخ لتطور المنظومة السياسية للمدينة البونية وجاء ذلك من باب مبدأ البحث في أسباب تفوق النظم السياسية للجمهورية الرومانية وهيمنتها على البحر المتوسط، وانحلال مؤسسات خصومها بما في ذلك قرطاج، وهذا ما دفعه لعرض معلومات من خلال بحثه في التطور التاريخي لدستور قرطاج وهياكلها[1]، وكتب في هذا الصدد قائلا: "**إن أغلب المؤلفين يروون لنا ما اشتهرت به هذه النظم من قيمة وقدر....**"، وفي موضع آخر يقول: "**وفي خصوص نظام قرطاج في البداية يبدو لي أنه كان محكما جيد الإحكام في أهم خصائصه المميزة. فقد كان هناك ملوك وسلطة أرستقراطية كان يمارسها مجلس الشيوخ، كما كان للشعب صلاحيات يمارس فيها السيادة...، ولكن عندما خاضت قرطاج حرب حنبعل كان نظامها قد انحط** [2]".

نضيف إلى ما سبق ذكره من مؤرخين كل من تيت ليف وأبيان، وكذلك إراتراتوستين[3] (Eratosthene)، الذي لاحظ من جهته بأنه لا يمكن أن نطلق حكم عام على بعض الشعوب ونصفها بالبربرية، لاسيما القرطاجيين الذين يملكون دساتير سياسية راقية[4]، وبعد مضي حقبة طويلة على إبادة قرطاج، تكلم أيضا شيشرون[5] (Cicéron) عن دستور العاصمة البونية الذي أشاد به أيما إشادة[6].

---

[1] – نقلا عن: –استيفان قزال، المرجع السابق، ص 135؛ ينظر أيضا: –الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص165.

[2] – نقلا عن: –محمد حسين فنطر، دستور قرطاج ينوه به أرسطو (تونس أعلام ومعالم)، الوكالة القومية للتراث، (ب ط)، تونس، 1997، ص ص 44-45.

[3] – **إراتراتوستين:** عالم جغرافي وفلكي ومؤلف قوريني، ولد حوالي (276 ق.م) من تلاميذ كليماخوس القوريني، ألف كتابه الجغرافيا الذي اقتبس منه ونقل عنه سترابون كثيرا، حظي بمكانة كبير من قبل الملوك البطالمة، خاصة تلميذه بطليموس الرابع. ينظر: –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص29.

[4] – نقلا عن:– فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص83.

[5] – **شيشرون (106-43 ق.م):** من أبلغ خطباء روما وساستها، وضع ثمانية وخمسين خطبة وسبعة مؤلفات عن الخطابة وحوالي عشرين كتابا في الفلسفة، ومن أشهر كتبه كتاب الجمهورية، الذي سار فيه على نهج أفلاطون، وقد اطلع على مؤلف هيرودوت، وأطلق عليه أب التاريخ، كما نوه بالنظام القرطاجي، و تحدث عن يوغرطة. ينظر: –ابراهيم حليل خلايلي، "مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية المصادر التاريخية –المصادر الأثرية– النقائش"، (شهادة الدراسات المعمقة)، إشراف أ.د. محمد حسين فنطر، قسم التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1995، ص34.

[6] – نقلا عن: –محمد حسين فنطر، دستور قرطاج....، المرجع السابق، ص45.

الملاحظ أن دستور قرطاج كان المظهر الوحيد على التقريب الذي حظي بمديح الإغريق واللاتين، والذي لفتت انتباههم وانبهارهم مما جعلهم يهتمون بنظام الحكومة القرطاجية، وفي مقدمتها دستورها الذي حقق توازنا بين القوى واستقرارا داخل المجتمع[1]، وهو الدستور الأجنبي الوحيد "غير الإغريقي " الذي تم احتواءه في مجموعة الدراسات الدستورية التي قام أرسطو بإجرائها[2]، ويبدو أنه كان يكفل لها الاستقرار والأمن، وهو مطلب عزيز كانت تنشده المدن والممالك في العصور القديمة، وقد تمكنت قرطاج من تحقيق هذه الغاية إلى قدر ما، حيث وصلت إلى مرحلة من الاستقرار بفضل دستورها وهياكلها السياسية[3].

اتفقت أغلب الدراسات على مدح أرسطو لدستور قرطاج، وذلك لما فيه من محاولة لدمج سوي بين أصول الحكم الثالث الملكية، والأرستقراطية، والديمقراطية [4]، فهذه النظم الجيدة التي عرفتها قرطاج توحي عن دستور وثيق الهياكل، فالعنصر الشعبي وما نجم عن ثورة (450ق.م)[5]، التي عقبت الاضطرابات التي شملت قرطاج وأرباضها نتيجة انتكاسة (480 ق.م) جعلت الحكومة القرطاجية تعدل في نظامها وتتمسك بدستورها أكثر بعد ما تمكن الإقطاعيون من إحكام سيطرتهم وفرض نظام دستوري بنمط جديد يتيح لهم انتخاب، أو تزكية الحكام والمشاركين في الحكم، والحري بالذكر أن قرطاج لم تعرف حكومات مستبدة كما لم تشهد فيها ثورات ذات شأن، وهذا على عكس المدن الإغريقية، ويشير أرسطو في هذا الصدد قائلا: "**لأن الدولة تعد حسنة النظام إذا كان العامة أوفياء لدستورها على الدوام، وإذ لم يثر فيها نزاع اثيم يستحق الذكر، وإذا لم يستطع أحد أن ينصب نفسه ديكتاتورا فيها [6]**"

من المقولة "السابقة الذكر" نستشف أن أرسطو يعتبر أن الدولة المستقرة ذات النظام السليم المتكامل، تظهر فيها ثلاثة مزايا وهي:

---

(1) – محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، المرجع السابق، ص10.

(2) –B.H. Warmington, Op- Cit, p119.

(3) –ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص 464.

(4) – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص163.

(5) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص105.

(6) – نقلا عن: –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص164؛ ينظر أيضا:–محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، المرجع السابق، ص10.

- إخلاص الشعب للدستور.
- عدم اثارة مشاكل ونزاعات داخلية تعيق الدولة.
- تنحي مظاهر التفرد بالسلطة والاستبداد "الديكتاتورية".

ولكن المشكلة غالبا ما تكمن في صعوبة تطبيق هذه المزايا على أرض الواقع، حتى إن البعض اعتبر أن دستور قرطاج من الناحية الظاهرية ذو مبدأ أرستقراطي، ولكن من الناحية العملية يميل أحيانا إلى الأولغاركية[1].

بعيدا عن هذه الإشكالية يبقى أرسطو أهم مصدر تحدث عن دستور قرطاج في كتابه السياسة، الذي عالج فيه دساتير تلك الحقبة، وقد أثار انتباهه دستور الدولة القرطاجية عند مقارنته بدساتير المدن الإغريقية، وأكد من خلال هذه الدراسة على أن القرطاجيون يتمتعون بدستور جيد، وأن دستورهم أفضل في جوانب عديدة من دساتير غيرهم[2]، وربما ذلك لما رأى فيه من واقعية وتوازن بين الفئات، فكان يستجيب لمقتضيات المجتمع[3].

على الرغم من أن أرسطو مدح الدستور والمؤسسات المنبثقة عنه وعدد النقاط الإيجابية فيه، وأشار إلى أنه يكفل لكل مواطن الحق في مناقشة أي قضية تعرض على الجمعية الشعبية وهذا ما كان يطلب بلا جدوى في النظم الدستورية الأخرى في زمنه، إلا أن هناك ملاحظات عدة تبين نواحي القصور في الدستور ومؤسساته، أشار إلى بعضها أرسطو نفسه، نذكر منها[4]:

- الدور السيء الذي لعبه المال، وهيمن أصحابه على الشؤون السياسية باعتباره أحد الشروط الضرورية للترشيح لمناصب[5].
- ظاهرة الجمع بين الوظائف، وهي وإن كانت تعتبر شرفا كبيرا لقرطاج، إلا أنه كما ذكر أرسطو ليس باستطاعة المرء أن يقوم إلا بشيء واحد في وقت واحد، لأن ذلك سينجر عنه

---

(1) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...، المرجع السابق، ص ص65-66.

- S. Lancel, Op- Cit, p165.

(2) – نقلا عن: –حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص55.

(3) – نقلا عن:– محمد حسين فنطر، الحضارة في قرطاج (تونس عبر التاريخ–العصور القديمة) ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، (ب ط)، تونس، 2007، ج1. ص73.

(4) -Aristotles, II, 8.3.

(5) – نقلا عن: ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص 464.

ارتباك وربما حتى فوضى، لذلك يرى أرسطو أنه كان من الأفضل توزيع المهام والاختصاصات بين كثير من الأشخاص بدلا من تكديس كثير من المناصب في يد رجل واحد، وذلك من أجل ضمان للعمل بفاعلية وكفاءة، كما أن هذا يبدو أكثرا أمنا وسلامة للبلاد[1].

– بروز ظاهرة الرشاوي العلنية وشراء المناصب إضافة إلى إمكانية إعادة الانتخابات للمنصب نفسه مما كان له الأثر السيء في عرقلة التوجهات الديمقراطية للدستور القرطاجي[2]، إذ أن انتشار وتغلغل ظاهرة الارتشاء بشكل واضح، إنما يرجع إلى شرط دفع المتقدمين للمناصب العليا مبالغ مالية ضخمة يسهل عليهم استرجاعها مضاعفة عن طريق استغلال مناصبهم، وبهذا تغلب قانون الثروة على قانون الكفاءة والجدارة[3]، وقد علق بوليب في هذا الموضع بقوله: **"عند القرطاجيين يمكن الوصول إلى أعلى مناصب الحكم بواسطة العطاء وبذل المال[4]"**.

على الرغم من ذلك، امتدح أرسطو الدستور القرطاجي عامة، ولاحظ بعد صدوره ندرة الثورات والقلاقل الداخلية التي لا تستحق الذكر، وذلك لأنه لم يكن مع ذلك نظاما استبداديا بل كان يقوم ويعتمد على إرادة الشعب[5].

يمكن اعتبار أن السعي إلى تحقيق الأرباح المادية، وجمع الأموال في قرطاج جعل الغالبية العظمى من المواطنين ينصرفون عن متابعة الأمور السياسية الصادرة عن الدولة، إلا من حيث البحث عن مناصب في الدولة، لأنها أحد الأساليب المساعدة على زيادة الثروة، حتى إن بعض الباحثين يشير إلى أن هذا التفكير البراغماتي قد أنقص من مزايا الإجراءات الديمقراطية وأحلت أولغاركية المال محل أرستقراطية المولد[6]، بينما يرى آخرين أن المجتمع الدولة القرطاجية مقارنة بالدول التي عاصرته كانت منفتحة مدنيا ذات نظام دستوري، أساسه الانتخاب وعموده القانون، وكانت تضمن للمواطن المبادرة والإسهام في بنائها وإدارة شؤونه، ونرجح في الدراسة

---

(1) - Aristotles, II,8.8.

(2) – إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص248.

(3) -Aristotles, II, 8.4-7.

(4) – نقلا عن: – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 112.

(5) - Aristotles, II, 8.9.

(6) – جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، مكتبة الفرجاني، ط2، ليبيا، 1995، ص76.

الرأي الأخير، وإن لم يكن في كافة تاريخ المدينة القرطاجية فعلى الأقل ترسخت هذه الفكرة وطبقت في كثير من الأحيان خلال الحقبة الأرستقراطية [1].

ثانيا) المؤسسات الحاكمة:

كانت قرطاج أقوى المدن الفينيقية في المنطقة، وهي المدينة التي حظيت بالرعاية الصورية منذ تأسيسها، وإليها هاجر أغلب فينيقي الشرق من ذوي السلطة والمكانة الرفيعة[2]، وهذا ما نستشفه من رواية التأسيس التي تضمن الانتماء الأرستقراطي للمؤسسين على غرار إليسا التي كان لها علاقة مباشرة بالقصر والمعبد في نفس الوقت، أي أنها تجمع بين السلطة السياسية العليا في صور لأنها شقيقة الملك بغماليون، والسلطة الدينية لأنها زوجة الكاهن عاشرباص، ومعنى هذا أن طبقة المؤسسين كانت من الشيوخ والكهنة، وهذا ما يجعل لقرطاج منذ تأسيسها وزن نوعي ومستقبلي يختلف عن الطابع المعتاد للمرافئ الفينيقية[3].

بدأت معالم التاريخ السياسي لقرطاج تتضح منذ القرن الخامس قبل الميلاد، لا سيما بعد ما بدأ الوطن الأم "صور" يفقد استقلاله، الأمر الذي مكن قرطاج من إدارة شؤونها بنفسها، وتقرير سياستها الداخلية والخارجية[4]، بل تمكنت من الانفراد بمهمة المدينة الأم "صور" في الغرب، وهي حماية المستوطنات الفينيقية في غرب المتوسط بصفة عامة[5]، ولعل ذلك يعود لكون قرطاج أول دولة ذات أصول فينيقية تجمع بين عاملي القوة والثروة[6]، إضافة إلى أنها ظلت تستقبل وفود من المهاجرين من الساحل الفينيقي كأصحاب رؤوس الأموال والساسة، نتيجة لتضرر تجارة الوطن الأم "صور"، بسبب تكالب القوى الكبرى عليها الأمر الذي ساعدها بلا شك على التمتع بمقدرات سياسية واقتصادية[7].

---

(1) – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص 75.

(2) – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص ص20-21.

(3) – محمد الهادي حارش، التاريخ...، المرجع السابق، ص46؛ ينظر: –محمد حسين فنطر، الحرف والصورة....، المرجع السابق، ص ص20-21؛ ينظر أيضا: – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص ص 37-38.

(4) – أسد رستم، تاريخ اليونان، دار صادر، (ب ط)، بيروت،1969، ص27؛ ينظر:– رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص183 ؛ ينظر أيضا:– فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص109؛ ينظر أيضا:– عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص288.

(5) – صلاح أبو سعود، المرجع السابق، ص121.

(6) - J. B. Bury, Op- Cit, p350.

(7) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص93؛ ينظر أيضا: – أندريه إيمار وجانين أوبويه، المرجع السابق، ص48.

ليس من المستبعد أيضا أن المصلحة العليا كانت تفرض على صور إطلاق يد القرطاجيين بغربي المتوسط وتخويلهم حقوق غير اعتيادية أو بشكل آخر منحهم ميزات خاصة ذلك أن نشأة وتطور مستعمرات إغريقية بجزيرة صقلية، وتهديدهم لخطوط المواصلات الفينيقية في إسبانيا في مجال سعيهم لإيجاد موطئ قدم لهم، كان هذا سيكلف صور متاعب إضافية لن يكون بمقدورها تحملها في ظل ما كانت تمر به من ظروف صعبة، لذلك لم يكن هناك من سبيل غير تكليف قرطاج بمهمة حماية المياه الغربية رغم ما يحمل من ذلك بشكل أو آخر خطر على صور، إلا أنه لن يكون في جميع الأحوال بأشد خطر من خطر انتشار الإغريق[1]، وبدأت قرطاج التي أصبحت في هذا الوقت مدينة أعظم من صور تواصل تقاليد الحضارة الفينيقية الآسيوية حوالي قرنين ونيف متتاليين[2].

يبدو أن العوامل "السالفة الذكر" وغيرها أدت إلى صناعة الحياة السياسية في قرطاج وساعدت على ميلاد نخبة سياسية، بدأت مساهمتها الفاعلة تظهر نتيجة لتثمينها مقومات المدينة الجديدة "قرطاج"، ومع ازدهارها الاقتصادي وتزايد ثرواتها أصبحت في حاجة إلى مؤسسات لإدارة شؤونها السياسية والاقتصادية، وبما أن قرطاج مثلها مثل أي دولة في العالم قديما أو حديثا، يسطر فيها أصحاب النفوذ من رؤوس أموال وكبار التجار على أمور الدولة، فمن الطبيعي أن يكون تكوين تلك المؤسسات بأيدي أولئك الأشخاص، فيصبح من حقهم تشريع القوانيين وإصدار القرارات التي بفضلها تحمي مصالحهم وتنظم تجارتهم، وتحدد مصيرها في الخارج والداخل[3]، يضاف إلى ذلك الضغوطات الخارجية التي شهدتها قرطاج إبان القرن الخامس قبل الميلاد ولامست عصب الحياة الاقتصادية، لاسيما التجارة البحرية، اذا وجدت منافسة قوية من قبل الإغريق انعكست على أوضاعها الداخلية والخارجية الأمر الذي

---

(1) - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 280- 282؛ ينظر أيضا:-أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص92-93.

- Herodotus, The Persian Wars, I, 165-167.

(2) - جوان رايت، المرجع السابق، ص25.

(3) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 172-173.

استعجلها لإنشاء هيئات حاكمة شكلت القاعدة السياسية في الدولة القرطاجية وصرح بها الدستور القرطاجي[1].

وعلى هذا يكون هيكل النظام السياسي في قرطاج خلال الحقبة الأرستقراطية جاء وليدا للظروف السائدة ووفقا لمقتضيات الحاجة إليه، ويمكن تتبعه كالآتي:

1- سلطة السبطين (السلطة التنفيذية):

كان لثورة عام (450 ق.م) والتي تمخضت عما خلفته معركة هيميرا من تراكمات تأثير واضح في نظام الحكم داخل قرطاج، إذ تقلصت فترة ولاية الحاكم بعد استبدال لقبه من ملك إلى شفط[2]، وعبارة شفط لها مدلول القاضي وأيضا "القيادة والحكم[3]"، ويعتقد بأن هذه الوظيفة سطحت في الدولة القرطاجية في غضون منتصف القرن الخامس قبل الميلاد[4] وصارت قرطاج منذ ذلك الحين دولة تديرها الطبقة الأرستقراطية، وعلى رأس هرم السلطة السياسية في حكومتها شفطين يتم إسناد المنصب إليهما بناء على الثروة، والأهلية والاستحقاق أي "المال، والعقل، والكفاءة" [5].

وردت وظيفة القاضيان في الكتابات القديمة[6] بصيغة (Sufes) في المفرد و(Sufetes) في الجمع، ويقابلون بهما لفظا فينيقيا هو شوفيط (Shofet) وشوفيطم (Shofetim)[7] وكانت أصل هذه الكلمة "لقب الشفط" محل جدل بين الباحثين من حيث تطبيقها وأصلها، اذ استدل البعض على عراقة هذا الوظيفة في الحضارات السامية، فقد وردت في النصوص الأوغارتية منذ ألفي عام قبل الميلاد، وفي نقوش المدن الفينيقية- والنقائش البونية[8]، في حين

---

(1) - عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 163؛ ينظر أيضا: - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 94-95.

(2) - محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 77؛ ينظر أيضا: -أحمد صفر، المرجع السابق، ص106.

(3) - علي فهمي خشيم، هؤلاء الأباطرة وألقابهم العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، لبنان، 2002، ص 202.

(4) - مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص 179.

(5) - T. S. Jerome, Carthage (En Algérie et en Tunisie), Editeur Ernest Leroux, Paris, 1896, p61.

(6) - فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...، المرجع السابق، ص66.

(7) - المرجع نفسه، ص 64؛ ينظر أيضا: - ستيفان قزال، المرجع السابق، ص142.

(8) - الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص174.

رأى آخرين أن لها أصل ودلالة في اللغة العبرانية، وذلك بناء على أن هذه الوظيفية وردت في سفر القضاة[1]، بينما يعتقد آخرون أنها لا تعدو أكثر من كونها مصطلح يشير إلى نظام شبيه بنظام القناصل، الذي استحدث في روما بعد سقوط النظام الملكي واستحداثه بالنظام الجمهوري[2].

إن مصلح شوفيط أول مصطلح قرطاجي جاء في كتاب السياسة عند أرسطو، وهي كلمة تظهر منقوشة على الأحجار، والأنصاب النذرية، بما تبقى من لقى بأطلال قرطاج بعد دمارها على يد الرومان، وترجع العديد من الدراسات الحديثة أصل المصطلح إلى اللغة العبرانية من سبط جمع أسباط ويبدو أن المعنى المقصود منها على الأرجح لا يتعدى مدلولها بالعبرانية وهو معنى "الحاكم أو القاضي" [3]، والغريب في هذا الاتفاق أن لا أحد ينكر أن هناك من السمات المشتركة بين الفينيقيين والعبرانيين، أو ما يدفع إلى الشك في قبول هذا الإجماع، ومنها الأصل المشترك للعنصرين فضلا عن تجاورهما فكلا العنصرين الفينيقي والعبراني يرجعان إلى أصل واحد هو الأصل السامي، ومن الطبيعي أن يتولد على وحدة الأصل والجوار وجود جذور مشتركة للغة العنصرين وليس ذلك بالشيء الغريب[4].

جاءت كلمة شفط في نقوش قرطاج كوظيفة في نسب بعض نذور نصب آلهة بعل حمون وتانيت، حيث يعود استخدام هذا اللفظ بحسب ما أشارت إليه الدلائل الأثرية إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، وبما أن هذا المصلح كان مبهما لدى الإغريق والرومان عند تكلمهم عن نظم المدينة البونية، فقد شبهوه وقربوه بنظام الملك الذي عرفوه في مدنهم[5] وأعطوه ترجمات مختلفة لجعلها مفهومة لجمهورها، فمصلح باسيليوس (Basileus) الإغريقي وريكس (Rex) الروماني أو قنصل (Kconsul)، أو بريتور (Praetor)، والتي تعد تسميات

---

[1] – سفر القضاة (العهد القديم)، جمعية الكتاب المقدس ، ط4، لبنان، 1995،17.21.

[2] – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص184.

[3] — نقلا عن:– ف. ن. بريس، المرجع السابق، ص 256؛ ينظر أيضا: –أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص128.

[4] – علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص ص 201–202.

[5] – أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص ص127–128.

مختلفة تماما لمناصب كبيرة لكنها استخدمت كلها للتعبير عن منصب سلطة القاضيان بقرطاج[1].

يستبعد أن تكون وظيفة أو نظام الشوفيط جاءت مستلهمة من نظام القناصل الروماني كما تشير إليه بعض الدراسات، لأن الفترة القصيرة ما بين القضاء على الملكية بروما عام (509 ق.م)، وبين زوال الملكية بقرطاج (450 ق.م) حوالي "60 سنة" لا تكفي زمنيا لتغلغل عرف حضاري مشابه من شعب إلى آخر، لاسيما إذا ما علمنا من خلال الأخبار المتواردة في الكتابات القديمة عن وجود تنافس وعداء بين الجانبين، ومن باب أولى لا نستبعد أن يكون الرومان هم الذين تشربوا الكثير من الموروث الحضاري لأمم الشرق الأسبق والأنضج منهم مدنية، وفي هذا السياق تكون شوفيط منقولة عن البونية والتي كانت لقب لحكام الدولة القرطاجية[2].

المرجح أن هذه الوظيفة تم مزاولتها في المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ قرطاج، ففي ميدان السياسة أدخل القرطاجيون إلى مناطق نفوذهم مفاهيم المدينة والدولة والدستور والإدارة وغيرها من النظم، فالمدن في بلاد المغرب القديم وسردينا و العالم البوني عامة تبنت نظما لتصريف شؤون العامة تشبه تلك التي كانت في قرطاج[3]، وقد تبنى عدد كبير من مدن الممالك النوميدية والممالك المورية[4] الأسبطية، وهي من النظم السياسية الإدارية التي ثبتت في البلاد، ولم تضمحل بسقوط دولة قرطاج، بل عمرت وقتا طويلا بعد الغزو الروماني[5]، وهذا ما أشارت إليه العديد من الكتابات القديمة المتأخرة عن سقوط قرطاج بأن عدد من مدن بلاد المغرب القديم كان يطلق بها هذا اللقب على أصحاب السلطان فيها[6]،

---

[1] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص108.

[2] – علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص ص 200-201.

[3] – محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، المرجع السابق، ص31.

[4] – **الممالك المورية**: نسبة إلى الشعوب المورية وقد كانوا يعيشون في أقصى الغرب ما بين الأطلسي ووادي ملوية، وقد أطلق على إقليمهم اسم موريطانيا ومن قبل موريسا، ويعود تاريخ ظهورها على مسرح الأحداث خلال القرن الرابع قبل الميلاد. ينظر: -عبد العزيز أكرير، تاريخ المغرب قبل الإسلام (الممالك المورية الأمازيغية قبل الإحتلال الروماني)، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2007، ص19.

[5] – محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، المرجع السابق، ص 31.

[6] – استيفان قزال، المرجع السابق، ص142.

ويبدو أن وظيفة السبطين في مثل هذه الأوساط لم تبق كما كانت على عهد الحضارة البونية، بل تطورت وتكيفت للتأقلم والواقع الجديد[1].

كان انتقاء الشفطين يتم من أسرتين مختلفتين من الأسر الغنية في المدينة البونية، ممن يتنعم أفرادها بعضوية مجلس الشيوخ، ويشترط في من يختار لهذا المنصب أن يكون مواطنا ذا كفاءة شريف الأصل "ذا وجاهة" وافر الثراء، بالإضافة إلى القدرة على كسب الثقة والقيام بحملة انتخابية فاعلة[2]، وذلك على اعتبار أن مواطنا فقيرا ومعسرا لا يستطيع أن يكون صالحا لمهام الحكم، ولا أن يكون لديه الفراغ الضروري لذلك[3]، ولهذا كان يتم الحرص الشديد على أن الذي يترشح للانتخاب يجب أن تتوفر فيه الميزات "السابقة الذكر"، لأن وصول شخص لا يتمتع بالمقدرة ورصانة العقل وامتداد الأفق يجعل خطره واردا على الدولة، وهذا ما تسبب بالعديد من الصعوبات والانتكاسات لإسبرطة[4]، حيث كانت الأسبطية في إسبرطة وراثية تركزت بيد أسترتين من الأسر النبيلة فيها[5]، والأسرتان هما أسرة آجيس (Agis) وأسرة يوروبونتيس (Eurypontis) بحيث يتم انتخاب ملك من كل أسرة[6].

وصلنا من أخبار القرطاجيين الالتزام والجدية في استقامة وكفاءة من يتولون إدارة شؤون الدولة، حتى إن الخمر كان ممنوعا عمن يصل منصب شفط، وفي هذا المجال يشير أفلاطون[7] (Plato) الذي اهتم من خلال رحلاته وزيارته لمدينة سيراكوزة بالقرطاجيين[8] بقوله: "**إني أميل**

[1] – محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، المرجع السابق، ص 32.

[2] – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة ....، المرجع السابق، ص32.

[3]- Aristotles, II,8.5.

[4] – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة....، المرجع السابق، ص32.

[5] - Aristotles, III, 9.9.

[6] – سيد أحمد علي الناصري ، الإغريق تاريخهم....، المرجع السابق، ص176.

[7] – **أفلاطون (427-348 ق.م)**: فيلسوف يوناني كان له حضور في بلاد المغرب القديم عندما زار مدينة قورينة حوالي (400-399 ق.م)، ولا نعرف سبب زيارته بالضبط، والمرجح أنه زار ثيودوروس القوريني الفيلسوف وعالم الهندسة، وهناك من يقول زار المنطقة للمشاركة في الجدل الدائر حول القوانين. ينظر: –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص53.

[8] – نقلا عن: –حسام ابوسعدة، المرجع السابق، ص60.

لقانون القرطاجيين على قانون كريت ولاكيدايمون[1] (Lacedaemon) حيث نص الدستور القرطاجي على أنه لا يجوز لأحد أثناء الحملات العسكرية أن يتذوق الخمر على الإطلاق، وفي المدينة يمنع على العبيد ذكرا كان أم أنثى، كما يمنع على السبطين خلال سنة حكمهم، ولا ينبغي للقضاة أثناء القيام بأعمالهم الاقتراب منه، ولا لأي شخص يجري مشاورات حول أي مسألة ذات أهمية. كما يحظر في النهار ما لم يكن نتيجة لممارسة الرياضة، أو استعماله كدواء[2]"، هكذا يشير أفلاطون بوجود حكام يتمتعون بالحكم لمدة سنة واحدة فقط وهؤلاء الحكام هم القضاة[3].

كانت مهمة انتخاب الشوفيط تتم عن طريق مجلس الشيوخ لعدد من أعضائه أمام الجمعية الشعبية، التي تتولى اختيار مرشحين من أكفأ المرشحين لشغل هذا المنصب لمدة عام واحد، وبعد انقضاء هذه الفترة يعود القاضيان كعضوين مرة أخرى بمجلس الشيوخ[4]، مع إمكانية الترشح مرات عدة [5].بينما يرى البعض الآخر أنه لم يكن جائزا[6]، وتعد سلطتهما تنفيذية أكثر منها تشريعية، وفي معظم الحالات كانت توكل لأحدهما مهمة الإشراف على الإدارة بينما توكل للآخر مهمة الإشراف على العدل[7].

وتمثلت مهام الشفطان في ما يلي:

- الإشراف على النواحي الإدارية والقضائية بالدولة[8].

---

(1) -**لاكيدايمون**: وهي التسمية القديمة، التي عرفت بها مدينة إسبرطة في أشاعر هيومروس. ينظر: -عاصم محمد حسين، المرجع السابق، ص140.

(2) – Plato, Laws, Translated by: Benjamin Jowett, (S.D), II, 102.

(3) – نقلا عن: -حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 60.

(4) - Ch. A. Julien, Op- Cit, p123.

(5)- جمعة شيخة، المرجع السابق، ص334.

(6) – فوزي مكاوي، تطور نظام...، المرجع السابق، ص91.

(7) – الطاهر السويح، " حنبعل (العودة الثانية)"، **مجلة الحياة الثقافية**، تونس، ع80، ج21، ديسمبر 1996، ص11.

(8) – ويل ديورانت، قيصر...، المرجع السابق، ص91.

– دعوة المجلسين للانعقاد "مجلس الشيوخ، و مجلس الشعب"، وهما اللذان يسطران جدول الأعمال بالتعاون مع لجان مختصة ويترأسان الجلسات، ويديران النقاش ويقدما ما يجب معالجته من أمور[1].

– قيادة الجيوش العسكرية بنوعيها "البرية والبحرية"، إلا أنه وبعد تطور وتقدم أساليب الحرب والقتال أضحى مبعدين عن القيادة العسكرية، وذلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد حيث أصبحت هذه المهمة تسند للقادة المختصين[2].

– الاشتراك مع مجلس الشيوخ في مناقشة القضايا ذات الأهمية، وفي حال حدوث عدم التوافق حول مسألة، أو حدث بين المجلسين يفصل في الأمر برفعه إلى مجلس الشعب[3].

يعتقد بأن الأشفاط كان لهم مهام أخرى دينية وقضائية، ولكن لا يوجد من الدلائل التي تساعد المؤرخين لتحديدها[4]، وعلى الرغم من كل هذه الصلاحيات التي يمتلكها الشفطين، إلا أن قراراتهما غير نافذة أمام مجلس الشيوخ في العديد من الأمور المهمة، فمن حق مجلس الشيوخ الطعن فيها، بحيث لا تكون قراراتهم فاعلة إلا بعد موافقة مجلس الشعب عليها كما لا يحق لهما إصدار الأوامر للجيش، والأسطول إلا بتكليف رسمي من قبل مجلس الشيوخ ومن هنا يتبين بأن سلطتهما أقرب ما تكون إلى وزير أول في العصر الحالي منها إلى سلطة الملكية[5].

2– مجلس الشيوخ (السلطة التشريعية):

يمثل مجلس الشيوخ أحد أقدم المؤسسات السياسية التي عرفتها قرطاج وأقواها نفوذا، فهو أول مؤسسة تطرق إليها المؤرخون القدامى بعد القرنيين الثامن والسابع قبل الميلاد الفترة الغامضة [6]، حيث بدأت أخباره تتداول منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد، ولكن الملاحظ بأنه كان موجودا من قبل في الشرق الفينيقي، ويتضح ذلك من خلال رواية تأسيس

---

(1) – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة....، المرجع السابق، ص32.

(2) – ف.ن. بريس، المرجع السابق، ص265؛ ينظر: – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص61.

(3)- Aristotles, II,8.3.

(4) – محمد الصغير غانم، معالم....، المرجع السابق، 95.

(5) – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص180.

(6) – المرجع نفسه، ص180.

قرطاج حينما، تذكر أن إليسا اصطحبت معها بعض أعيان مجلس الشيوخ المارقين عن أخيها وهذا ما يوحي بأن قرطاج عرفت مجلس الشيوخ منذ البداية[1].

يعد مجلس الشيوخ أو "الهيأة التشريعية" مؤسسة أساسية في كل الحضارات السامية وقد عرف بمجلس كبار المدينة، وجاء في الكتابات الإغريقية بعدة تسميات، حيث ذكره أرسطو بتسمية جيروزيا[2] (Gerousia)، وجورنتس (Gerontes)، وعند بوليب ذكر بثلاثة تسميات مختلفة هي بوليه(Boulé) ، وسوندريون (Sunedrion)، وسينكوليتوس (Synkletos)، أما عن النصوص اللاتينية فقد أجمعت على تسمية موحدة هي سيناتوس (Senatus)، وهي نفس الصفة التي يطلقونها على مجلس الشيوخ الروماني، والتسمية الأقرب للفينيقية بمعنى كبار أو شيوخ قرطاج هي سنيراس (Seniores)[3]، ويشير فنطر بأن تسمية مجلس الشيوخ في المدينة البونية يطلق عليه بعول قرطاج، أما كل فرد داخل هذا المجلس يسمى بعل قرطاج[4]. وفي موضع آخر أطلق عليه مجلس القدامى[5].

بعد زوال الملكية استأثرت الأرستقراطية بحق تسير أمور الدولة[6]، وعملت على تطوير وتعديل مجلس الشيوخ خلال ما يعرف بالعصر القرطاجي، وذلك إبان القرن الخامس قبل الميلاد[7]، حيث عملت الطبقة الأرستقراطية على إعادة تهيئة الجهة الأعلى والأهم خلال هذه الحقبة والمتمثلة في مجلس الشيوخ، حيث قامت بإلغاء بعض المناصب واستبدالها بمناصب أخرى أملتها الظروف السياسية والاقتصادية السائدة في ذلك الوقت[8].

---

[1] - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 61.

[2] - **جيروزيا**: هي كلمة مشتقة من جيرون أي شيخ، ويدل هذا على أن أعضاء هذا المجلس لم يكونوا طاعنين في اللسن بمعنى الكلمة، بل كانوا على الأقل في سن الكهولة. ينظر: -أحمد صفر، المرجع السابق، ص 108.

[3] – نقلا عن: -الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص177.

[4] - محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص32.

[5] – المرجع نفسه، ص50.

[6] - جيمس هنري براستد، المرجع السابق، ص514.

[7] - مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص180.

[8] - المرجع نفسه ص181.

يمثل مجلس الشيوخ الطرف الأرستقراطي[1]، حيث يتكون أفراده من الأعيان والتجار وأرباب رؤوس الأموال، ولا نستبعد أن يكون أعضاءه على قدر عالي من الاتزان والفطنة بأمور السياسة، الأمر الذي جعل قرطاج دولة ذات شأن عظيم سبقت غيرها من دول وممالك تلك الفترة عظمة و إزدهارا [2]، ولعل هذا ما أشار إليه شيشرون إذ نجده بعد مائة عام من سقوط قرطاج ينوه إلى أن دولة قرطاج لم تكن لتستطيع صيانة امبراطوريتها لما يقارب ستة قرون ما لم تتوفر في حكومتها الاستقامة والمقدرة السياسية[3].

الحقيقة لا يمكن معرفة شروط الانتماء إلى هذا المجلس بوجه الخصوص والمدة النيابية وهذه الأشياء لا يمكن أن نصرح بها لعدم وجود أدلة واضحة في هذا الأمر، في حين نجد بعض المؤرخين يعتقدون أن عددهم كان ثلاثمئة، وجاء تحديد هذا الرقم بناء على حادثة وقعت في أحد المفاوضات بين الطرف القرطاجي والروماني[4]، حيث طلب الرومان في سنة (149 ق.م) أسر ثلاثمئة شاب من أبناء الأسر الشريفة فيها[5]، وتبقى هذه مجرد فرضية تفتقد إلى دليل قاطع[6].

هناك من يعد أن مجلس شيوخ قرطاج كان شبيها إلى حد كبير بمجالس شيوخ المدن الفينيقية بالساحل السوري، ويتم اختيار أعضائه البالغ عددهم ثلاثمئة عضو من الطبقة الأرستقراطية عضوية دائمة[7]، وأضحت عضوية مجلس الشيوخ وراثية في بعض الأسر الثرية ويظهر ذلك من خلال نقش ورد بإحدى اللوحات النذرية الإهدائية يشير إلى أن والد صاحب اللوحة وجده كانا عضوان بالمجلس[8].

يعتبر فنطر أن هذه المؤسسة استمدت جذورها من المدن الفينيقية إلا أنها أخذت في قرطاج بعدا دستوريا، ومن ذلك أن الأعضاء يختارون من طرف الشعب طبقا لما ينص عليه

---

[1] – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 62.

[2]-T. S. Jerome, OP- Cit, p62.

[3] نقلا عن: –ف.ن. بريس، المرجع السابق، ص266.

[4] –حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص61.

[5] -R. Charles, Op- Cit, p497.

[6] – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص61.

[7] – أحمد صفر، المرجع السابق، ص108.

[8] – ف.ن. بريس، المرجع السابق، ص266.

الدستور من شروط، كالمواطنة، والسن، والثروة، والمستوى الثقافي، فضلا عن الوجاهة والمقدرات الشخصية، كما لم يخف على القرطاجيين أهمية الدعاية للحصول على ثقة الناخبين وأصواتهم ولا يقل عددهم عن ثلاثمئة عضو كانوا يجتمعون في مقر خاص، وقد يكون ذلك في المعابد اذ ما دعت الحاجة[1].

إذا اتجهنا إلى أرسطو في مقارنته بين مجلس الشيوخ الإسبرطي الجيروسيا، ومجلس الشيوخ القرطاجي، يخبرنا أن شروط إختيار الشيوخ في إسبرطة هي بلوغ سن الستين عاما، والتزكية عن طريق التصفيق، وأرسطو يسخر من هذه الطريقة ويصفها بالصبيانية[2]، ويتكون هذا الأخير من ثلاثين عضو بما فيهم الملكان[3] في حين يرى طريقة اختيار الشيوخ في قرطاج أفضل من إسبرطة، وذلك لأنهم لا يتقيدون بسن محددة، بل فضيلة الشيوخ، وهؤلاء الشيوخ حسب رأيه يقومون على أمور هامة، وإذا لم تتوفر فيهم شروط الكفاءة أضروا بالدولة، كما أضر شيوخ لاكيدايمون بدولتهم، ووجه الشبه الوحيد بين المجلسين هو تمتعهما بصلاحيات واسعة وفاعلة[4].

على الرغم من أن مجلس الشيوخ القرطاجي ظاهريا كان يحتل المرتبة الثانية في الهرم السياسي بعد القاضيين[5]، إلا أن السلطة العليا الفعلية في الدولة انحصرت بيده على الرغم من وجود سلطة الشفطين على رأس الحكومة[6]، وهذا ما يوحي بأن صلاحياته كانت عديدة ومتنوعة تشمل كامل الميادين، لاسيما عند اتفاقه مع القاضيين[7] فكان بمثابة الهيئة المشرعة التي تصدر القوانين المنظمة للأمور السياسية والمعاملات الاقتصادية وحتى الدينية، فهو باختصار العقل المدبر و الجهة المخول لها وضع التدابير والتنسيق والمتابعة[8].

---

[1] – محمد حسين فنطر، الحرف...، المرجع السابق، ص ص 31-32.

[2] - Aristotles, IV,6.18

[3] – سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم...،المرجع السابق، ص ص 176-177.

[4] - Aristotles, IV, 6.17.

[5] – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص181.

[6] – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة....، المرجع السابق، ص66.

[7] – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص62.

[8] – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة....، المرجع السابق، ص32؛ ينظر أيضا:– محمد الصغير غانم ، معالم ...، المرجع السابق، ص ص95-96.

يمكن ايجاز أهم مهام مجلس الشيوخ في ما يلي:

- مساعدة الشفطين في تسير شؤون الدولة[1].
- إرسال واستقبال الوفود "السفارات" [2].
- عرض أسماء المرشحين من أعضائه لشغل منصب الشفطين على الجمعية الشعبية، وكانوا بطبيعة الحال من طبقته[3].
- اختيار القائد الأعلى للجيش مع تحديد مدة شغله لهذا المنصب لمدة عام وعزله في أي وقت كان[4]، لاسيما وأن قرطاج لم تكن بها هيئة للضباط المحترفين، وكان بقاء القائد في منصبه لفترات طويلة يتوقف على مدى نجاحه وقوته، وبهذا يستمر في منصبه، كما هو الحال مع بعض قادة عائلة آل ماغون[5]، وهذا على عكس ما عرف في روما، حيث كان منصب القائد العسكري محدود بفترة[6].
- الحق في إقرار السلم وإشهار الحرب على الأعداء، من ذلك قراره بإعلان الحرب على ديونيسيوس[7] (Dionysius) حاكم سيراكوزة عندما أرسل مبعوثين إلى قرطاج مهدد بمحاربتها[8] ، كما اتخذ قرار الحرب على الرومان كرد فعل على قيامهم بالاستلاء على

---

[1] - أحمد صفر، المرجع السابق، ص108.

[2] - صالح فركوس، تاريخ الجزائر مما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، القافلة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، (ب ت)، ص30.

[3] - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص248.

[4] - ويل ديورانت، قيصر...، المرجع السابق، ص91؛ ينظر أيضا: -أحمد صفر، المرجع السابق، ص108.

[5] - محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 132.

[6] -إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص251.

[7] - **ديونيسيوس**: استطاع كسب ثقة سكان سيراكوزة الأمر الذي مكنه من الوصول للحكم، ويحكى أن الفيلسوف أفلاطون زار بلاطه وأثار غضبه بنظرياته الفلسفية، مما دعاه إلى إلقاء القبض عليه، وعرضه في سوق النخاسة، وافتداه أحد أصدقائه، وعاد به إلى أثينا عام (378 ق.م). ينظر: -سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم...، المرجع السابق، ص592.

[8] - مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص183.

مسانا حوالي (264 ق.م)[1]، وكذلك قراره بالتفاوض مع الرومان لوقف الحرب البونية الأولى عام (241 ق.م) بإصدار الأمر لهملكار برقة بوقف الحرب في صقلية والعودة إلى قرطاج[2].

– عقد جلسات مغلقة لمناقشة القضايا ذات الأهمية الكبرى عند الضرورة، وله الحق في عدم الإفصاح على نتيجة المناقشات، أو تأجيل نشرها إذا ما استلزمت مصلحة الدولة ذلك[3].

– اتخاذ التدابير اللازمة لحماية الدولة "تبني المشروعات الجديدة ومراقبة تنفيذها" [4].

– إصداره لقوانين أخرى متعددة، لا سيما المتعلقة بالضرائب والشؤون المالية وتنظيم الخزانة العامة[5].

من أهم الأقسام السيادية التي ينقسم إليها مجلس الشيوخ، قسم أول من ثلاثين عضوا "مجلس الثلاثين"، ولا يستبعد أن السلطة الفاعلة تركزت بيد هذا المجلس، فهو يتألف من صفوة مختارة من أعضاء مجلس الشيوخ ممن تمتعوا بالثراء والنفوذ الواسع، فكونوا بذلك اليد الرئيسية للحكم [6]، وكانوا ثلاثين عضوا يعقدون اجتماعاتهم بانتظام لتسيير دفة الأمور في الدولة وهناك من يرجح أن السبطين كانا ضمن أعضاء هذه اللجنة أو المجلس، أما بقية أعضاء مجلس الشيوخ فهم على ما يبدو لا يعقدون اجتماعاتهم إلا في مناسبات خاصة[7]، وغالبا ما تنظم لجنة الثلاثين جدول أعمال مداولات مجلس الشيوخ من خلال تشريع القوانين، كما يتفرع من مجلس الشيوخ قسم ثاني يعرف بمجلس العشرة، كما يشير اسمه يتكون من عشرة أعضاء مكلفين بمساعدة ومراقبة الاقتراع في ممارستهم للسلطة، كان هذا النوع من المجالس بمثابة مجلس الوزراء قويا للغاية[8].

على الرغم من الصلاحيات والمهام التي كانت بيد مجلس الشيوخ، إلا أنه واجه منافسة قوية في فترات من قبل بعض القادة العسكريين الذين ظهروا فيما بعد، واستغلوا دورهم على رأس القوات الحامية للدولة وفرضوا أنفسهم عليه بالقوة نتيجة الحاجة إليهم لمواجهة الخطر

---

(1) - Diodorus Siculus, 1957, Vol, 10, XX III, 1.3.

(2)-Polybius, I, 60.

(3)- A ristotales, II, 8.4.

(4) -Titus Livius, XXI, 10.1-9.

(5) -S. Moscati, Op- Cit, p132.

(6) -Ch. A. Julien, Op- Cit, p123.

(7) –إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص248.

(8) - T.S. Jerome, OP- Cit, p62.

الخارجي، وأصبح هذا المجلس في كثير من الأحيان يسايرهم، ولا يستطيع مواجهة بعض القادة بالعداء[1].

3- مجلس المائة والأربعة (السلطة القضائية):

عرفت هذه المؤسسة بمجلس المائة أو "محكمة المائة" [2]، وكانت تتفرع من مجلس الشيوخ، وتعد من أبرز المؤسسات القضائية التي عرفتها قرطاج، ويوضح لنا جوستين ظروف نشأتها، فقد جاءت نتيجة لتنامي نفوذ العائلة الماغونية، حيث أضحت هذه الأخيرة تجمع بين السلطة السياسية والقضائية وقيادة الجيوش، ولذلك راحت تضغط بثقلها على العامة[3]، ونتيجة لذلك اضطر مجلس الشيوخ لاختيار مائة وأربع من بين أعضائه ذوي الكفاءة والمقدرة ليشكلوا المحكمة[4]، والهدف الأساسي من ورائها ترسيخ نفوذه والتحكم في شؤون الدولة[5]، ومن جهة أخرى للوقوف في وجه آل ماغون الذين أرادوا الاستئثار بالسلطة[6].

أما أرسطو فإنه يمدنا بالإطار الدستوري لتكوينها في سياق المقارنة بين مجلس القضاة في إسبرطة "نقباء الشعب-الأيفورات" ومحكمة المائة والأربعة في قرطاج، ففي إسبرطة يتم إختيار مجلس القضاة "الأيفورات" من طرف مجلس العامة أو مجلس الشعب[7]، أما في قرطاجة يتم اختيار الحكام المائة والأربعة من أعضاء مجلس الشيوخ نفسه، وكل من محكمة المائة والأربعة ومجلس القضاة يتمتع بصلاحيات واسعة اهمها مراقبة قادة الجيوش[8].

نلاحظ في هذه المقارنة أن أرسطو يميل إلى النظام القرطاجي، وذلك لأن نواب مجلس القضاة الإسبرطي ينتخبون من عامة الناس، ولما كان الأيفورات ينتمون إلى عامة الشعب فإنه يسهل إغراؤهم بالمال مما قد يدفع بعضهم إلى انتهاك حرمة القانون خفية، وبيع ذمته بسبب

(1) - مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص183.

(2) - المرجع نفسه، ص184.

(3) - نقلا عن:- حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص65.

(4)- Ch. A. Julien, Op -Cit, p124

(5) - محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص198.

(6) - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص249.

(7) - سيد احمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم...، المرجع السابق، ص177؛ ينظر أيضا:

- Aristotles, IV, 6.14.

(8) -Ibid, II, 8.4.

البؤس[1]، بينما محكمة المائة والأربعة القرطاجية تتكون من الأرستقراطية، ولا يخفى علينا أن الأرستقراطية عند أرسطو تتخذ مفهوما قيميا أكثر منه طبقيا[2].

يرجع تاريخ إنشاء هذه المحكمة إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، ويتم اختيار القضاة في هذه الهيئة من الطبقة الأرستقراطية، وقد أطلق على الهيئة التي تقوم باختيار القضاة في هذه المحكمة اسم الرقباء الخمسة (Les Ephores)[3]، وهذه الهيئة وغيرها من الهيئات أشبه ما تكون بلجان نشأت داخل مجلس الشيوخ لتولى النظر في بعض المسائل والقضايا، فاللجنة الخماسية مثلا كانت تتكون من خمسة أعضاء معتمدين من مجلس الشيوخ يحتفظون بصفاتهم كأعضاء بهذا المجلس، وتؤدي هذه اللجان المهام الموكل إليهما دون أن يتقاضوا أجورا عن أعمالهم[4]، وتظل في الحكم مدة أطول من غيرهما ويمارسن مهام عملهما أثناء وجودهما أو غيابهم عن المدينة، كما أن اختيارهم لم يكن يتم عن طريق القرعة أو بأي طريقة مشابهة "سمات أرستقراطية"[5]، بل يرى البعض أن الأعضاء هم الذين كانوا ينتدبون أنفسهم بأنفسهم من بين أعضاء مجلس الشيوخ، وتعتبر هذه الهيئات كلجان تتكون من مجلس الشيوخ وتتفرع عنه للاختصاص ببعض المهام مثل الشؤون الخارجية، والجيش، والبحرية والمالية، والأمور الدينية[6].

من المحتمل أن الوصول إلى منصب العضوية في هذه المحكمة يمر عبر تسلسل وظيفي فعلى الفرد أن يرتقي من الوظائف الصغرى، إلى وظائف تؤهله للوصول إلى تلك العضوية، فلا يكفي فقط أن يكون ضمن مجلس الشيوخ ليتم اختياره في مجلس المائة، بل عليه أن يتدرج في وظيفته أيضا[7].

---

(1)-Ibid, IV, 6.14-16.

(2)-Ibid, II, 8.4.

(3) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص185.

(4) - T. S. Jerome, Op- Cit, p62.

(5)- Aristotles, II, 8.4.

(6) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 108-109؛ ينظر:

– J. A. Church and A. Gilman, Carthage: Or the Empire Of Africa, 9nd Ed, London, 1912, p104.

(7) – الطاهر السويح، المرجع السابق، ص11.

كان القضاة المائة والأربعة يظلون في مناصبهم بهذه المحكمة مدى الحياة، وإن كان القانون القرطاجي لا يجيز هذا البقاء، وقد أضحت محكمة المائة والأربعة قبيل الحروب البونية تفرض كلمتها على كافة الإطارات الحكومية وحتى العامة[1].

يمكن الإشارة إلى أهم وظائف هذه المحكمة كالتالي:

–حماية الدولة من التفرد بالسلطة وظهور بوادر الديكتاتورية[2].

– استدعاء كل موظف في سلك الحكومة القرطاجية بعد انقضاء مدة عمله لمحاسبته عن أعماله[3].

– اشتراكها في الرقابة وتسير جميع شؤون الإدارة بهدف ضمان الاستقرار داخل الدولة[4].

هناك من الدراسات من اعتبرت أن صلاحيتها شهدت تطورا وتوسعا بمرور الوقت، حتى أنها أصبحت تحاسب وتحاكم كل من يحاول أن يستمر، ويستبد في الشؤون السياسية في الدولة، كما أنها فرضت كلمتها وقوانينها لمراقبة النشاط الاقتصادي، إذ يذكر أن هناك جهاز يسمى شرطة المائة يقوم على مراقبة عمليات التهريب، وذلك منذ أن قررت الحكومة القرطاجية تقنين وتنظيم السلع المستوردة من الإغريق، وحصرها في المنتوجات النادرة التي يتم استيرادها من طرف حلفائها في صقلية، فكانت شرطة المائة تراقب هذه العمليات، وتطبق القوانين على أكمل وجه[5].

الحقيقة لا تمدنا المادة الخبرية المتوصل إليها عن قوانين هذه المحكمة، ولا عن طرق سيرها، والوسائل المتبعة لإثبات التهم، أو نفيها على الجاني، ولا طبيعة العقوبات التي تفرض على المتهمين، ولا نعرف إن كان ثمة رشاوي وتجاوزات وتحايل على القانون؟، وربما– لم تثر هذه المسألة الكتاب القدامى كون الدستور ومؤسساته شأن داخلي لم يسترع اهتمامهم، ومع هذا يلاحظ أن المصادر اللاتينية تتهم القادة القرطاجيين بدفع الرشاوي، وشراء العامة بالوعود

---

(1) – ويل ديورانت، قيصر...، المرجع السابق، ص91.

(2) –محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 77.

(3) – ويل ديورانت، قيصر...، المرجع السابق، ص91.

(4) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص184.

(5) – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص186.

والامتيازات والأموال ولا شك أن هذه الأعراف كانت موجودة في الماضي وحتى في الحاضر، ولذلك لا يمكن اعتبارها نقيصة في حقة المنظومة السياسية لقرطاج وحدها [1].

بما أن المصلحة العليا للحكومة القرطاجية تقتضي بالضرورة أن يكون هناك توازن في القوى بين أفراد الطبقة الأرستقراطية "القضاة، والمتهمين"، بحيث لا يسمح إطلاقا للقاضي استغلال منصبه، أو وظيفته لإلحاق أي ضرر بمصالح طبقته، أو محاولة الانفراد بالسلطة على البقية[2].

وجدت بعض الإشارات تعطي فكرة مقتضبة عن بعض العقوبات الصارمة التي انبثقت عن هذه المحكمة، ولا يستبعد بأن تلك العقوبات إنما تم تقريرها وإصدارها بعد مداولات ومناقشات في محكمة المائة والأربعة، ومن أمثلة تلك المحاكمات استصدار حكم الإعدام في حق حنون القرطاجي، حيث يذكر أرسطو أن حنون القرطاجي سعى للانفراد بالسلطة في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، وقد كان يعتمد على عشرين ألفا من العبيد ومن اللوبيين، وسانده في ذلك ملك الموريين، لكن محاولته باءت بالفشل بعد تدخل محكمة المائة والأربعة، التي حكمت عليه بالإعدام، كما طالت العقوبات أفراد عائلته باستثناء ابنه جيسكون الذي عاش في المنفى بصقلية حدث ذلك حوالي (342ق.م)[3].

يذكر ديودور رواية أخرى حول ملك سيراكوزة أجاثوكليس الذي شن حملات عسكرية على قرطاج، وكانت قرطاج قد عينت قائدين للجيش للتصدي لهذه الحملات هما حنون وبوملكار[4] (Bomilkar) لكنهما هزما في المواجهة الأولى وقتل حنون أثناء المعركة، بينما بوملكار حسب ما نقله ديودور كان قد تواطأ مع أجاثوكليس بهدف الانفراد بالسلطة، وظهرت المؤامرة أمام الجميع سنة (308 ق.م)، وبمجرد فشله في محاولته، تم إدانته

---

[1] -أندريه إيمار وجانين أبوايه، المرجع السابق، ص ص46-47.

[2] - S. Lancel, Op- Cit, p197.

[3]- نقلا عن:- الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 186.

[4]- **بوملكار**: هو أحد افراد الطبقة الأرستقراطية بقرطاج حاول الاستلاء على السلطة في قرطاج، وذلك بتلازم مع غزو أجاثوكليس لقرطاج عام (310ق.م). ينظر:

- R. Charles, Op- Cit, p355-356.

بتهمة الخيانة، وأصبح بعد ذلك مناهضا للدولة، وحكم عليه القرطاجيون بالصلب، بينما صدر عفو عام على كل من يلقي السلاح من جنوده[1].

تعكس هذه الروايات دور هذه المحكمة، وتوظيفها في الصراع بين العائلات الأرستقراطية في قرطاج، كما نجد أن هذه المحكمة تدخلت كثيرا ضد القادة العسكريين أثناء الحرب القرطاجية الرومانية الأولى، ومن مظاهر ذلك إعدام الأميرال حنون قائد الحامية في مسانا سنة (264 ق.م) بعد أن وجهت له تهمة التقصير في الدفاع عن المدينة التي أرست بها الحملة الرومانية، إضافة إلى أمر المحكمة بنفس الحكم على حنون المنهزم بجزر أيغات[2] أمام القنصل الروماني لوتاتيوس كاتولوس (lutatius Catulus) وكان ذلك (241 ق.م) [3].

كانت هذه المحكمة بسلطان أعضائها الدائمين كسيف مسلول فوق رقاب الذين يتحملون المسؤولية، إدارية كانت أو عسكرية، مما جعل المواطن القرطاجي يخشى مخالب تلك المحكمة الرهيبة، وكانت سببا في الانكماش والابتعاد عن المبادرة، فضلا عن هذه المحكمة كانت توجد محاكم عادية تنظر إلى القضايا المدنية والجنحية تندرج السلطة فيها للشفطين، وكان بإمكانهما ممارسة القضاء، أو قد يفوضان ذلك إلى قضاة مختصين مكلفين بالنظر في قضايا المواطنين، ويصدرون أحكاما في ضوء القانون وعلى أساسه[4].

4- مجلس الشعب (الجمعية الشعبية):

مثل مجلس الشيوخ عرف مجلس الشعب في الحضارات السامية القديمة، وكان يسمى بشعب المدينة، مثل شعب صور، ويبدو أن كلمة شعب تعني التعميم[5]، وجاء مجلس الشعب أو الجمعية الشعبية في قرطاج بتسمية "عم قرت حدشت"، ويضم كل المواطنين الذين تتوفر فيهم شروط ضبطها وكفلها القانون، على أن الوثائق المعتمدة لا توفر لنا معلومات واضحة عن كيفية تكوين هذا المجلس[6].

---

(1) –Selon: -R. Charles, Op- Cit, p355-356.

(2) – **جزر أيغات**: مجموعة من الجزر تقع على عرض الساحل الغربي لصقلية ما بين دريبانا وليليبوم، وشهدت آخر معركة من مجريات الحرب البونية الأولى. ينظر:

-R. Charles, OP- Cit, p383.

(3) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص187.

(4) – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص 75.

(5) – حسام أبوسعدة، المرجع السابق، ص63.

(6) – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص31.

من المحتمل أن الأجانب والعبيد لا ينضوون في تكوينه ذلك أنهم كانوا محرومين من جميع الحقوق[1]، حتى عنصر الليبوفينيقي[2](Libophoenicians) الذين احتلوا مراكز مرموقة في الدولة[3]، ولا يتمتع بحق العضوية فيه إلا أصحاب الأصول الفينيقية أو القرطاجية، سواء بالولادة أو التجنيس، وكان يضم فئات المجتمع من غير الأرستقراطية، ونعتقد أنه ضم التجار وأرباب الحرف ممن أتيح لهم قدر معين من الثروة وبلغوا السن القانونية، إضافة إلى أنه لا يكفي أن يكون المواطن حرا، بل يشترط فيه أيضا أن يكون صاحب مال[4].

يتبين من نصوص أرسطو أن مجلس الشعب يتمتع بسلطة تشريعية فعلية، ويلعب دورا إيجابيا في إحداث التوازن بين المؤسسات، ويرى أن عدم اللجوء إلى مجلس الشعب إلا في حالة الاختلاف يعتبر ديمقراطية غير مباشرة، وهذا النوع من الديمقراطية حسب رأيه أفضل أنواع الديمقراطية، إذ ينجم عليه توازن في سياسة الدولة، ومن ذلك مساهمة الشعب الممثل في المنتجين والفئات الاجتماعية الوسطى إلى جانب الأرستقراطية ذات المثل، أو المرجعية الأخلاقية والملتزمة بالدستور، وهي نقيض حكم الأولغاركية الذي يتطور بالاستحواذ على الثروة وتركزها إلى المونارشية أو الملكية[5].

ظاهريا كان لمجلس الشعب سلطات على قدر كبير من الأهمية، وواقعيا كانت تلك السلطات محدودة ومقيدة بضوابط فرضها مجلس الشيوخ بهدف المحافظة على مركز، ومصالح الطبقة الأرستقراطية [6].

ومن مهام مجلس الشعب نذكر ما يلي:

---

[1] – محمد الصغير غانم، معالم....، المرجع السابق، ص96.

[2] - **الليبوفينيقي**: يقصد به تجمع القبائل أو العشائر ذات الصيلة الاجتماعية والتي حققت تصاهر مع الفينيقيين، ولا دلالة قبلية أو اثنية لاسمهم، وهم السكان الأصليون على امتداد الشريط الساحلي إمبوريا "إقليم المدن الثلاث"، وغربا إلى قرطاج حيث شهد جنوبها وغربها موطن ومجال حركة القبائل. ينظر: –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص293.

[3] – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص187.

[4] – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص188؛ ينظر أيضا: –أحمد صفر، المرجع السابق، ص109.

[5] – نقلا عن: –الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص181.

[6] – إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 248.

– حق انتقاء السبطين وقادة الجيش[1] إلا أن هذا الحق كان يقيده مجلس الشيوخ عن طريق اختيار أسماء المرشحين لهذا المنصب للتولي فيما بعد الجمعية الانتقاء المناسب من بينهم ومن الطبيعي ألا تحتوي قائمة المرشحين سوى على أسماء من داخل المجلس[2].

– إعادة النظر فيما كان يعرضه مجلس الشيوخ من خطط وتصورات، والرد عليها بالموافقة أو الرفض فقط دون مناقشة مسألة معينة أو إدخال تعديلات، كما يحق لمجلس الشيوخ ألا يعرض جدول أعماله على مجلس الشعب طالما تم الاتفاق بشأنها بين أعضاء المجلس[3].

– التدخل في حال حدوث خلاف وعدم توافق بين السبطين ومجلس الشيوخ[4]، وفي الحقيقة أن مثل هذا التدخل قلما يحدث، فالمصلحة المشتركة بين السبطين، ومجلس الشيوخ تجعلهما يتحاشيان ذلك، ويمكن اعتبار أن جميع صلاحيات الجمعية الشعبية في تلك الفترة كانت تخدم بالدرجة الأولى مصالح الطبقة الحاكمة، أما الشعب فكان مجرد وسيلة تمكنت السلطة الحاكمة من توهيمه بأنه يساهم في الحكم، وإشراكه في تحمل مسؤولية ما تتعرض له الدولة من أخطار[5].

يجب التنويه إلى أن أغلب الدراسات أكدت أن مجلس الشعب خلال المرحلة المدروسة كان هامشي، ولم يلعب دورا فعالا، وذلك نتيجة لمحدودية صلاحياته وتركز السلطة بيد مجلس الشيوخ والشفطين، ولم تظهر فعاليته إلا منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد[6]. حيث نشهد تطورا ملحوظا في دور مجلس الشعب بعد المصاعب التي جابتها قرطاج أثناء الحرب البونية الأولى والثورة اللوبية، ولا شك أن هذا أثر كثيرا على مصالح الأرستقراطية القرطاجية[7].

يعتبر بوليب بأن هذه المرحلة الحقبة الأرستقراطية عرفت فيها الدولة القرطاجية القوة والازدهار، ذلك لأن كل سلطة كانت تؤدي دورها ضمن مسائل اختصاصاته، وكان رأي النخبة يتغلب على المواطنين، ولكن منذ أن أصبح صوت الشعب في قرطاج في عهد البرقيين

(1) - Ch. A. Julien, Op- Cit, p124.

(2) – إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 248.

(3) - Aristotles, II,8.3.

(4) – محمد الصغير غانم، معالم...، المرجع السابق، ص96.

(5) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص109.

(6) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة....، المرجع السابق، ص69.

(7) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص64.

مرجحا في المداولات تحول مجلس الشعب إلى ساحة للمجادلات العنيفة حول ماهية الوسيلة الأنجح والأصلح لتسيير شؤون الدولة، مما تجاوز مرحلة الذروة والعصر الذهبي تماما[1]، ولعل هذه الديمقراطية المباشرة التي حذر منها أرسطو، والتي قد تتحول إلى ديماغوجية وتملق من أعضاء مجلس الشعب[2].

الجدير بالذكر بأن مجلس الشعب القرطاجي شبيه بالجمعية العامة في إسبرطة، والتي تعرف بالأبيلا (Apella) ، هذه الأخيرة تضم جميع المواطنين الأحرار ممن تعدوا سن الثلاثين عاما من أعمارهم وصلاحيات الجمعية واسعة من الناحية الإسمية، أما فعليا فإن تلك الصلاحيات تحدها قيود رغم أنها تمثل الشريحة الأكبر من الإسبرطيين، ولا تتعدى تلك الصلاحيات حق انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ ونقباء الشعب، والبث في شؤون السياسة الخارجية لكن ذلك لم يكن يتم عن طريق التشاور والمناقشة، بل عن طريق التصويت على القضايا المطروحة قبولا أو رفضا، وكان يترأس اجتماعات الجمعية التي تعقد مرة في الشهر نقباء الشعب الأيفورات (Ephors) التي تماثل مجلس المائة والأربعة في قرطاج "كما سبق الإشارة إلى ذلك"[3].

أشار أرسطو في بداية حديثه عن الدستور القرطاجي وتنظيماته المختلفة إلى المآدب الجماعية لأعضاء جمعيات الأصدقاء أو الرفقاء الهيتيريات (Hetairies)، ويعتقد أنها كانت وحدات ممثلة للعائلات الأرستقراطية القرطاجية، ويضيف قزال إلى هذا الرأي كل المواطنين لا الأرستقراطية فحسب، وقد كانوا موزعين على الهيتيريات التي كونت وحدات انتخابية، وتحتسب نتيجة تصويت المواطنين في كل واحدة منها صوتا واحدا في الانتخاب العام[4]، وكانت هذه الهيتيريات جمعيات قانونية يتم إنشاؤها بتصريح من القانون العام، ويعتقد أن تكلفة ولائمهم هذه كانت على نفقة رؤساء هذه الجماعات، الذين يستفيدون لاحقا من

---

(1) -Polybius,VI,51.1-7.

(2) – نقلا عن: –حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص63.

(3) – سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم...، المرجع السابق، ص177.

(4) – نقلا عن:– الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص ص 182-183؛ ينظر أيضا: – شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاواليت الثقافية، 2011، تونس، ص95.

مساندة زملائهم في أعماهم السياسية[1]، هذا ووجدت بعض الدراسات لا توافق ظهور هذا النوع من الجمعيات خلال المرحلة محل الدراسة مبررين ذلك بأنه لا ضرورة تدفع بالحكومة القرطاجية لتنظيم الشعب في جمعيات انتخابية مدام اللجوء إليه يتم في حالات استثنائية، لكن المشاركة الحقيقية للشعب في الحياة السياسية بدأت فاعليتها تظهر عقب الحرب البونية الأولى وإلى غاية سقوط قرطاج[2].

المرجح أن جمعيات الأصدقاء تكون ظهرت خلال الحقبة الأرستقراطية لعدة أسباب منها أن جميع الفرضيات التي حاولت تقديم تفسيرا لنص أرسطو حول هذه المسائلة لم تجد سندا في المصادر الكلاسيكية، كما أن أغلب الدراسات تتفق بأن مؤلف أرسطو السياسة، يغطي في جميع حالاته واقع الأوضاع السياسية القرطاجية خلال منتصف القرن الرابع قبل الميلاد وما سبقه، يضاف إلى ذلك أن الشعب خلال هذه المرحلة كان يتمتع بسلطات كبيرة، حيث تخبرنا المادة العلمية المتوصل إليها بأنه في حالة الاختلاف يتم اللجوء إلى الشعب من أجل حسم القضية، وكان يسمح للشعب بالحديث أثناء هذه الاجتماعات بحرية تامة، وليس مجرد الإصغاء لقرارات الحكومة في القضايا المعروضة عليه، والأكثر من ذلك، أنه كان بمقدور كل مواطن أن يناقش هذه القضايا بحرية مطلقة، وهذا ما كان أرسطو يعتبره ميزة في الدستور القرطاجي، حيث لم يكن هذا متاحا في دساتير أخرى[3].

تلك هي الملامح الكبرى لهيكلة الحكم ونظامه في قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية وإلى جانب المؤسسات "السابقة الذكر" المنبثقة عن الدستور [4]، وجب الإشارة إلى أنه ونظرا إلى التطور الذي عرفته المدينة البونية، وتشعب الحياة فيها وتداخل سلطاتها وتعدد لجانها المنتخبة، كانت الحاجة تقتضي على الدستور القرطاجي استحداث مؤسسات تقوم بتسيير الشؤون اليومية ومراقبة التنفيذ والتطبيق، ومن بين الوظائف الإدارية الراقية وظيفة القابض، وقد كان بمكانة وزير المالية فهو المسؤول على أموال الخزينة الداخلة والخارجة، حتى أن بعض الدراسات اعتبرته بأنه لا يقل مكانة وسلطة على الحاكم، بل قد لا يستطيع الحاكمان تأدية

---

(1) – G and Ch. Picard, Daily Life In Cartage At The Time Of Hannibal, Translated From By: A.E. Foster, London, 1961,p 97.

(2) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 184.

(3) - Aristotles, II,5.2.

(4) – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص110.

المشاريع بدون أخذ إذنه، كذلك نجد المحتسبون، وهم المكلفين بسك العملة وبالضرائب، وقد تم الإشارة إليهم في النقوش البونية وعلى العملة التي كانت تصدرها دار السكة بقرطاج، كما نجد وظيفة مراقب الأخلاق، حيث كانت الحكومة القرطاجية مهتمة بسلامة المجتمع مما جعلها توكل خطة مراقبة الأخلاق إلى ناظر يتدخل في شؤون الناس عند الحاجة بهدف حماية المجتمع في نطاق العادات والتقاليد الأصيلة، ومن ذلك رفض كل سلوك مشبوه أو خاطئ لأنه في نظرهم يهدد المجتمع بالانحلال[1].

ثالثا) سياسة قرطاج تجاه المناطق التابعة لها:

تذهب الدراسات لاعتبار أن قرطاج مثلها مثل المدن الفينيقية في الشرق القديم لم تجمعها دولة بسيطة أو اتحاد فدرالي، فلم تكن هذه المدينة إمبراطورية بمعنى الكلمة مع أنها أخضعت لسلطانها أكثر المدن الفينيقية الأخرى في الغرب نظرا لتفوقها التجاري والعسكري، إلا أنها لم تنظر إلى هذه المدن على اعتبارها أنها ممتلكات لها، ولم تعتبر مواطني هذه المدن مواطنين قرطاجيين، فمن ناحية يتضح أن هذه المدن أصدرت عملتها الوطنية المستقلة عن عملة قرطاج كما هو الحال في مدن صقلية الفينيقية وفي قادس و إيبيزا[2] (Ibiza) "بالبيليار"[3]، وكذلك مدن الإقليم الثالث في ليبيا التي احتفظت بكيانها[4]، ومن ناحية أخرى كان لهذه المدن أسوارها وحصونها الأساسية للدفاع عنها[5].

يستدل هنا بما أشار إليه أقزال عندما كتب **"على الرغم أنها أضحت عاصمة لإمبراطورية واسعة مترامية الأطراف، بقيت قرطاج محافظة على أسس نظام المدينة –**

---

(1) – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص 75.

(2) – **إيبيزا:** جزيرة من جزر البليار الأسبانية قام القرطاجيون باستيطانها سنة (654 ق.م)، عثر فيها على أحواض كانت مخصصة لتجفيف الأسماك، واستخلاص صبغة الأرجوان، كما عثر فيها على معبد للربة تانيت يعود للقرن الثالث قبل الميلاد، ينظر: – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 76.

(3) – عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 286.

(4) -D.E.L. Haynes, The Antiquites of Tripoliania, Published by Department of AntiquitiesTripol, 4th Ed, Tripoli, 1981, p29.

(5) – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص99.

الدولة" وعلى أي حال لا يمكن أن نتجاهل بأن قرطاج ابنة صور، ومهما ما مر على البنت من تغييرات لابد أن تحتفظ ببعض الصفات من الوطن الأم [1].

في حين توجد دراسات أخرى تعتبر أن قرطاج إبان القرن الخامس قبل الميلاد، أصبحت تشكل إمبراطورية ثنائية برية وبحرية ذات سلطة مركزية، وما الاستقلال الذي منحته قرطاج للمناطق التابعة لها إلا استقلال شكلي والدليل ذلك منع قرطاج لهذه المدن من الاحتفاظ بقوات عسكرية، حيث تكفلت بالدفاع عنها بعد أن حلت محل المدينة الأم "صور"[2]، ونتبين هذه الحقيقة مما أشار إليه المؤرخ ثوكوديدس [3] (Thucydide) فيما يختص بعلاقات المستعمرات الفينيقية في صقلية حيث يذكر إلى أنها تركزت بالقرب من قرطاج التي كانت تمثل دور الحامية والرئيسة عليها[4].

وعليه لاقت قرطاج نقدا من قبل أعدائها بسبب المعاملة القاسية، واستغلالها لسكان مناطق نفوذها، وهم سكان المستوطنات الفينيقية القديمة والمستوطنات اللاحقة، التي أقامتها قرطاج بنفسها[5]، وعملت قرطاج في تسيير المناطق التي تدور في مجالها على المحافظة عن مصالحها الأمنية والاقتصادية بالدرجة الأولى[6]، وكانت قد التزمت بمسؤولية حماية المستوطنات والمدن التابعة لها والذود عنها ضد أي خطر خارجي يتهددها[7]، وبالمقابل كانت تدفع الجزية

[1] – نقلا عن: –حبيب البقلوطي، دور اللوبيين في حرب المرتزقة 241–238 ق.م (المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي)، بيت الحكمة، (ب ط)، تونس، 1999، ص ص 304–305.

[2] – عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص123؛ ينظر أيضا: – نبيل قلالة، قرطاج...، المرجع السابق، ص57.

[3] – **ثوكوديدس (460-399 ق.م)**: مؤرخ إغريقي عاش في اثينا ويعد أول مؤرخ علمي، عاصر الحروب البلوبونزية، وكتب عليها باحترافية عالية، كما تطرق في كتاباته إلى حرب صقلية، وترنح الحملة القرطاجية عليها عام (480 ق.م) ينظر: – النهيوم الصادق وآخرون، الحضارة المينوية واليونان الكلاسيكية (بهجة المعرفة– مسيرة الحضارة)، مر: شاكر مصطفى، الشركة العامة للنشر والتوزيع، (ب ط)، طرابلس، 1982، مج1، ص157؛ ينظر أيضا: – عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق، ص17.

[4] – نقلا عن: –محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص108.

[5] –ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص458.

[6] – جيمس ويللارد، المرجع السابق، 1976، ص 76.

[7] - Diodorus Siculus, 1957, Vol,11, XXV, 3.2.

لها وتمدها إبان الحروب بالعتاد العسكري والمعونة والمؤن، وفي الوقت نفسه، لم يكن يحق لتلك المدن أن تحتفظ بأي نوع من القوات سواء كانت برية أو بحرية[1].

توافقت هذه السياسية الجديدة لقرطاج[2]، بفضل موقعها المميز وروح المبادرة الأرستقراطية القوية، التي حملت بوادرها العائلة الماغونية المباركة بأصولها المرموقة، والتي يخدمها سياسيون ذوي قيمة كبيرة[3]، حيث استغلت قرطاج معاهدة السلام التي عقبت معركة هيميرا وحاول القرطاجيون قدر الإمكان تجنب الدخول في الصراع مع الإغريق لحوالي سبعين عاما والأهم من هذا اتجهت لكسب نفوذ في بلاد المغرب القديم، و جاء هذا التحول في الفترة التي كانت تزداد فيه عزلة قرطاج نتيجة للتفوق الإغريقي في كل مكان، أولا ضد الفرس والذي خسر فيه الفينيقيون كثيرا، وثانيا ضد الأتروسكيين[4] في شبه الجزيرة الإيطالية[5].

مهما يكن من أمر فإن سياسة قرطاج تجاه المناطق التابعة لها موضوع يكتنفه الغموض ويغلفه الابهام، بحيث نجد صعوبة في تتبعها، لا سيما وأن قرطاج، وحتى الأقاليم التي كانت تسير في فلكها هي الأخرى خضعت لعوامل عديدة قضت عليها بالتحول والتبدل، لذلك سيبقى سؤال مرسوم على الشفاه وسيبقى على الأغلب دون جواب واضح[6] في ظل سكوت المصادر الأدبية وعدم التمكن من استنطاق المادة الأثرية بشكل واضح، لأن أغلب البقايا التي تم العثور عليها نصوص نذرية وجنائزية، والكثير منها تحتفظ بأسرار بسبب الثغرات التي

---

(1) - محمد علي عيسى، مدينة صبراته منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر، الدار العربية للكتاب، ط1، طرابلس، 1978، ص 21.

(2) - ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص457.

(3) - H. Slim et autres, Op- Cit, p34.

(4) - **الأتروسكيين**: يعد الشعب الأتروسكي أول شعب وصل إلى إيطاليا، وذلك فيما بين (900-800 ق.م)، حيث تمركزوا في البداية في شمال غرب إيطاليا، وقد شكل هذا الشعب نسيج الحضارة المبكرة لروما، وكان من أمهر صناع البرونز في عصره، أما عن أصله فمازال منذ هيرودوت حتي يومنا يثير عديد الأسئلة، وتنقسم الآراء والنظريات حول أصل هذا الشعب إلى ثلاثة. ينظر: -حسين الشيخ، الرومان، دار المعارف الجامعية، (ب ط)، الإسكندرية، 1989، ص34؛ ينظر أيضا: -خزعل الماجدي، معتقدات رومانية، دار الشروق، ط1، عمان، 2006، ص ص 28-38.

(5) - ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص457.

(6) -أندريه إيمار وجانين أبوايه، المرجع السابق، ص ص 41-46.

تشكوها لذلك تبقى ترجمتها منقوصة وفي أغلب الأحيان عقيمة على تقديم معلومات كاملة[1].

ومع ذلك حاولت الدراسة تتبع هذا المحور، وفق المبدأ التالي:

1- على مستوى العلاقات:

مكنتنا المادة العلمية المتوصل إليها في دراستنا إلى تقديم نماذج عن علاقة قرطاج ببعض المناطق التابعة لها، اذ نجد في المجال الأوربي جزيرة صقلية التي اتبعت معها حكومة قرطاج سياسة اللين، وقد يعود السبب في ذلك إلى تزايد نفوذ الإغريق وقوتهم في المدن الصقلية مما جعل الوضع في الجزيرة أكثر حساسية، خاصة إذا ما علمنا بأن مركز قرطاج في غرب صقلية لم يكن قويا بقدر المناطق التي يسيطر عليها الإغريق، كما أن القرطاجيين كانوا يحاولون من خلال مراكزهم في الجزيرة بسط سلطانهم قدر الإمكان، الأمر الذي دفع الحكومة القرطاجية إن لم نقل أجبرها بأن تمنح رعاياها هناك مساحة من الحرية أكبر مما أعطتها لرعاياها في مناطق أخرى[2]، ولربما في متاخمة المستوطنات القرطاجية بصقلية لمستعمرات الإغريق، وتخوف القرطاجيين من إمكانية انحياز وتحالف بعضها مع الإغريق هربا من المشقة والقيود، ما يعلل تساهل الحكومة القرطاجية مع رعاياها في الجزيرة لكي تتفادى ما حدث معها بعد واقعة هيميرا (480 ق.م)[3].

تشير بعض الدراسات إلى أن العديد من المستوطنات القرطاجية في الحوض الغربي للمتوسط على غرار صقلية، ومالطا، وسردينيا، وإن كانت تتمتع باستقلالها الداخلي، حيث استمرت السلطات المحلية في هذه المدن تسك عملتها وتحتفظ بجنسيتها الفردية، إلا أن منظومتها السياسية كانت مماثلة لما هو متبع في قرطاج، ويؤكد ذلك ما جاء في نقش عثر عليه في مالطا يذكر نظام الشوفيطم، ومجلس الشيوخ، ومجلس الشعب[4].

بخصوص المناطق التي تمكنت قرطاج من السيطرة عليها في شبه جزيرة إيبيريا، فكانت تسير من جانب قضاة، وعاملين محليين تابعين لقرطاج، وتقوم بدفع الجزية وتساعدها خلال

---

[1] – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص ص74-75.

[2] -إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص247.

[3] - P. Jonthan, Op-Cit, p 60.

[4] – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص100.

الحروب بالمؤن والجند المدربين، ومن الصعب علينا حصر مساحة المنطقة القرطاجية في شبه جزيرة إيبيريا، ولكن من المرجح أنها كانت مترامية الأطراف[1]،إذ نجد من الدراسات ما تشير إلى أنه وحتى عام (348 ق.م) كان معظم الجنوب وجزء كبير من الناحية الجنوبية لشبه الجزيرة الإيبيرية تحت حكم القرطاجيين[2].

أما لكي نعرف العلاقة بين قرطاج ومجالها في بلاد المغرب القديم، يجب أن نشير إلى أنه حدثت ردود أفعال سلبية من اللوبيين نحو قرطاج، وذلك عندما تفشى بها الوباء خلال سنوات (378-365-367 ق.م)[3] كما يجب أن نشير إلى أن حنون الأكبر عندما أراد الانفراد بالسلطة في قرطاج، وذلك عام (340 ق.م) توجه لطلب مساعدة قبيلة المور، وهي القبيلة نفسها التي كان يتزعما باجا[4] (Baga) (206 ق.م) [5] وقد يدل هذا على وجود كيان سياسي في بلاد المغرب القديم منظم لكننا لا نعلم شيئا عن هذا التنظيم ولا نعرف ماهي حدوده الجغرافية[6].

ديودور يؤكد لنا وجود هذا الكيان اللوبي المستقل في وصف حملة أجاثوكليس قام أجاثوكليس بحملة عسكرية سنة (310 ق.م) اكتسح الوطن القبلي، وهاجم هادروميتوم، ثم قام أحد معاونيه أوماكوس (Eumakos) بالتوغل داخل البلاد حتى استولى على دقة[7] (Tocai) ونجح أوماكوس في إقامة تحالف مع معظم ملوك النوميديين، كما نجح في اكتساب ثقة إيمليياس

---

(1) – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص109.

(2) – يولي بركوڤيتش تسيركين، الحضارة الفينيقية في إسبانية، تر: يوسف أبي فاضل وجروس برس، ط1، لبنان،1988، ص ص 61-62.

(3) – الشاذلي بورونية محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 200.

(4) – **باجا**: ملك موري لا نعرف عنه الكثير سوى أن تيت ليف أشار إليه خلال مجريات الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م)، حيث كان قد قدم مساعدة للأمير النوميدي ماسنيسا حليف روما، وذلك بتمكينه من الحصول على أربعة ألف محارب لمرافقته لحدود نوميديا الشرقية (206 ق.م). ينظر: -عبد العزيز أكرير، المرجع السابق، ص44.

(5) –المرجع نفسه، ص، ص21،41؛ ينظر أيضا: – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص41.

(6) – فتيحة فرحاتي، نوميديا (من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213-46 ق.م)، منشورات أبيك، (ب ط)، الجزائر، 2007، ص 44.

(7) – **دقة**: مدينة ذات امتداد بديع بحيث ما أشار إليه ديودور، ولا يستبعد ان تكون عاصمة إقليم الملك أوماكوس ينظر: – فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 44؛ ينظر أيضا: – الشاذلي بورونية و محمد الطاهر، المرجع السابق، ص201.

(Ailymas) ملك اللوبيين الذي كان حليف للإغريق في البداية، ثم انقلب ضدهم بعد أن تحالف مع القرطاجيين[1].

الشهادات المتعلقة بأحداث القرن الثالث قبل الميلاد تقول أن اللوبيين قاموا بنهب المجال الزراعي لقرطاجي أثناء حملة القنصل الروماني ريغولوس[2](Regulus) سنة (256 ق.م) أثناء الحرب البونية الأولى، وكان رد فعل قرطاج هو إرسال حملة حنون لتأديبهم[3].

يجب أن نشير هنا إلى أن معظم المدن في هذه المنطقة يطلق عليها أسماء فينيقية اختلف المؤرخون حول دلائل هذه الظاهرة، البعض يعتبر أن هذه التسميات جاءت من منطلق تأثرهم بالحضارة القرطاجية، والبعض الآخر يرى أن هذه التسميات فرضها القرطاجيون في كتابتهم دون أن يكون لهم سلطة عليها، بينما يدعي آخرون أن هذه الظاهرة تؤكد سيطرة قرطاج التامة على كل المناطق اللوبية المحيطة بها[4].

نذكر هنا شهادة أبيان، الذي يؤكد أن قرطاج تحكمت في نصف لوبيا، وذلك من خلال الاستيطان في مدن معزولة في ما وراء الخندق الحدودي، وفرضت عليهم نظام إستخلاص الضرائب وجندتهم في جيشها[5].

أما بوليب اعتمد على موارد لوبيا، أي المجال اللوبي العقاري في كل ما يتعلق باحتياجاتها اليومية، ووفقا لرؤيته يمكننا اعتبار لوبة مجالا ممونا خاضعا إداريا لقرطاج دون أن يكون مجال استيطان[6].

---

[1] – نقلا عن:– الشاذلي بورونية و محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 201–202.

[2] – **ريغولوس**: قنصل روماني قاد الجيش الروماني خلال الحرب البونية الأولى في أول المعارك البحرية ضد القرطاجيين، وحقق عليهم انتصار فقرر النزول إلى السواحل القرطاجية، ليخوض جيشه معركة ثانية كاد أن يفنى ووقع حتى أنه ووقع في الأسر (255 ق.م)، وتم تعذيبه بحرمانه من النوم حتى مات. ينظر: –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص180.

[3] – الشاذلي بورونية و محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 201.

[4] – الشاذلي بورونية و محمد الطاهر، المرجع السابق، ص202.

[5] – نقلا عن: – الشاذلي بورونية و محمد الطاهر، المرجع السابق ، ص202.

[6] – نقلا عن: –حبيب البقلوطي، المرجع السابق، ص ص 305–306.

تستوجب الإشارة بأن النموذج الإداري الذي انهجته أغلب المدن اللوبية الكبرى على الأقل هو النموذج القرطاجي المتقدم نفسه وبنفس الترتيب السبط، مجلس الشيوخ ومجلس الشعب[1].

الحقيقة لا نعرف إن كان هذا النموذج الإداري شرعته قرطاج، وفرضته على هذه المدن أم هو بفعل الارتباط الوثيق بين القرطاجيين وسكان بلاد المغرب القديم، الذي تأصل وتعمق على مر السنيين؟.

أغلب النصوص التاريخية تبرز لنا إنتفاضات الأهالي في صورة رفض الخضوع، والعداء الدائم لقرطاج، وهذا يدل على وجود نخبة من اللوبيين قادرة على تجميع الأهالي وتنظيمهم وتعبئتهم وتحديد أهدافهم[2].

لم تسجل الكتابات المصدرية حسب العديد من الدراسات الحديثة، وصول أي قائد عسكري أو حاكم في مجلس بلدي لوبي أو من أصل لوبي ضمن التنظيم السياسي في قرطاج أو في مدنها الكبرى، إذ على ما يبدو أن الوظائف العليا كانت محصورة بين يدي ذوي الأصل الفينيقي[3].

الجدير بالذكر بأن بعض الدراسات تشير إلى أنه لم يحدث الاندماج التام بين القرطاجيين والأهالي، ولعل ذلك يظهر بوضح مع تشكل الإرادة السياسية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، كطرف قائم الذات رغم ارتباطه بأوج الحضارة القرطاجية، إلا أن العلاقة السياسية بينهم كانت هشة، أدت هذه الهشاشة إلى تحالف بعض الممالك النوميدية مع الرومان ضد قرطاج ويظهر ذلك واضحا وجليا خلال الحقبة الديمقراطية[4].

2- على مستوى الضرائب:

يرى كثير من الباحثين بأن النظام الضريبي كان معلوما لدى الفينيقيين في الشرق ومعمولا به في الوطن الأم "صور"، كما أنه كان طقسا من طقوس الطاعة الدينية، إذ كان للآلهة

---

[1] - محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص42؛ ينظر أيضا: -عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية...، المرجع السابق، ص، ص 122، 124، 128.

[2] - محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى، (ب ط)، الجزائر،2006، ص 34.

[3] - مها عيساوي، المجتمع اللوبي...، المرجع السابق، ص 45.

[4] - الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق ص ص 211-212.

ومؤسساتها الدينية نصيب من أموال السكان، فضلا على أنه كان يمثل في الشرق مظهرا من مظاهر السيادة للملك، وذلك من خلال خضوع الرعية له، كما أنه يمثل أحد حقوق الملك في البلدان التابعة للوطن الأم، يتمتع بها ويعفي من يشاء من رعيته منها[1].

كانت قرطاج واحدة من المدن التابعة للشرق الفينيقي، وتقدم هذه الأموال التي أطلقت عليها الكتابات الضريبية للمدينة الأم "صور"، إلى غاية ضعف وترنح هذه الأخيرة، فقد ثبت أن القرطاجيين، كانوا يقدمون لصور ضريبة العشر من ثرواتهم، زيادة عما يكسبونه أثناء حروبهم وغزواتهم، ولكن تراجعت وتقلصت هذه الضريبة خلال القرن الخامس قبل الميلاد وما بعده، وانحصرت على الضريبة الدينية التي كانت تقدم للإله ملكارت عند المشاركة السنوية في الاحتفالات الدينية، والجدير بالذكر أن ما كان يرسل قبل القرن الخامس قبل الميلاد يفوق حاجات المعبد التي تبين وثائق أخرى تبعيته للحكم المدني[2].

ولأن قرطاج أضحت منذ القرن الخامس قبل الميلاد دولة مستقلة لها كيانها السياسي وجهازها الإداري الخاص ومؤسساتها السياسية، كان عليها العمل على ايجاد موارد اقتصادية تكون أساسا داعما لاستقرار هذا الكيان، فبالإضافة إلى نشاطها الاقتصادي، تبين لها نتيجة للظروف التي مرت بها إبان القرن الخامس قبل الميلاد، أنها بحاجة إلى خزينة عمومية لا يملكها الأفراد، وتكون مخصصة بالمصاريف العامة، حيث كانت النشاطات الاقتصادية حكرا على الأفراد فهي ملكيات خاصة. ونتيجة لذلك أصبحت الضرائب موردا مهما لتسير شؤون الدولة[3].

باتت أرستقراطية قرطاج تعتمد على دخل الرسوم الجمركية والمكوس التجارية والضرائب المفروضة على المدن، لتوفير مصاريف الميزانية العامة للدولة[4]، وظهرت الحاجة الملحة لهذه الضرائب عندما صارت الدولة في حاجة للأموال بشكل مستمر، للصرف على الدفاع عن

---

(1) - أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص ص 40-44.

(2) - المرجع نفسه، ص، ص 40، 43، 48.

(3) - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 97؛ ينظر أيضا: - عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص252.

- G. Herm, Op- Cit, pp210-211.

(4) - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 97.

مصالحها الاقتصادية في الجهة الغربية من المتوسط، من خلال تكوين الجيوش والنفقة عليها تلك الأموال التي يجب أن لا تكون حكرا لأحد حتى لا يمنعها وقت الحاجة[1].

كان لهذا المورد أهمية لدى ساسة قرطاج، عملوا على تكوين جهاز إداري خاص في كوادر الدولة السياسية، يضم مجموعة من الموظفين للقيام بمهام الإشراف العام وجمع الإمدادات، وتجنيد المحاربين وقت الحرب، فضلا عن متابعة جباية الضرائب[2]، وأعلى الموظفين رتبة هو الموهازيم (Muhzim) "أي الجابي أو المحصل"، ويقع ضمن اختصاصاته جمع الضرائب سواء العينة، أو الجمركية على السلع المصدرة والمستوردة، وتوفير احتياجات الأسواق من معدات وأدوات ومؤن[3]، ويرجح وجود نوع آخر من الموظفين يدعى سهم (Shum)، وكان هذا الموظف مسؤولا عن الشؤون الزراعية[4].

لا يستبعد أن الضرائب كانت تفرض على جل المدن والأقاليم التابعة لقرطاج، على غرار أقاليم بلاد المغرب القديم، وسردينيا وصقلية، وكانت تفرض هذه الضرائب على الإقليم كوحدة واحدة، ثم تترك طريقة جبايتها ومقدارها على الأفراد بأيدي المجالس الحاكمة في تلك الأقاليم، وتقدر هذه الضرائب حسب حالة الإقليم الاقتصادية، وعلى الرغم من عدم توصلنا إلى معلومات كافية عن الأقاليم الأخرى، إلا أن الضرائب المفروضة على أسوق تريبوليتانيا "المدن الثالث" لبدة، طرابلس، صبراته تعد مثلا على ذلك، حيث يذكر تيت ليف أنها بلغت حوالي تالنت واحد في اليوم[5]. أي ما يعادل أجرة "2500" عامل[6]، وكانت هذه المدن تدفع الرسوم على الصادرات من موانئها والواردات إليها[7].

---

[1] – محمود الصديق أبو حامد، مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس (ليبيا في التاريخ)، دار المشرق، (ب ط)، بيروت، 1968، ص129.

[2] -G. Herm, Op- Cit, pp210-211.

[3] - D.E.L. Haynes, Op- Cit…, p29.

[4] – أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراته، 1993، ص42.

[5] -Titius Livius,XXXIV,62.3.

[6] – محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص ص 21–22؛ ينظر أيضا:–

- D.E.L. Haynes, Op- C it,p30.

[7] – محمود الصديق أبو حامد، المرجع السابق، ص 128.

المرجح أن هذه الضرائب كانت تصرف في النشاطات الرئيسية للدولة، ومن ذلك إنشاء الأساطيل الحربية، وإنشاء الموانئ وتصليحها [1]، وتفترض الدراسات أن معدل ضريبة الدخل التي كانت قرطاج تفرضها على المناطق التابعة لها، تصل إلى نصف المحصول، وقد ترتفع إلى النصف عند الطوارئ[2]، وهذا ما حدث عقب الحرب البونية الأولى، إذ اضطرت قرطاج أمام تضاؤل مواردها الجمركية إلى رفع قيمة الضريبة إلى نصف المحصول[3]، وهي لا شك إذا تقاعس أحدها في تأدية الضرائب المفروضة فإنها ستتخذ نفس الإجراء الذي اتخذته صور في عهد ملكها أحيرام، الذي أرسل حملة تأديبية إلى مدينة أوتيكا عندما تثاقلت على دفع الجزية المفروضة عليها[4].

يضاف إلى هذه النوع من الضرائب، ضرائب كانت تجبى من الرعية غير قرطاجية، وهؤلاء كان معظمهم من الرعايا الأجانب، الذين كانوا يعيشون في كنف الدولة القرطاجية، وكانوا يمارسون مختلف النشطات الاقتصادية[5]، كذلك أشارت الدراسات إلى الضرائب المفروضة لصالح المعبد، واصطلحت عليها الضريبة الدينية، وهذه الضرائب كان يؤديها القرطاجيون بمختلف فئاتهم الاجتماعية[6].

يبدو أن ساسة قرطاج خلال المرحلة المدروسة أولوا النظام الضريبي عناية خاصة لاسيما بعد ما أصبح هناك مال عام كمورد سيادي، كان عماده الضرائب التي تفرضها وتحصله السلطة السياسية في الدولة، على المناطق التابعة لها في الحوض الغربي للمتوسط لاسيما مناطق فضاء بلاد المغرب القديم، ولا شك أن اهتمام الدولة القرطاجية بتحصيل الضرائب وتنظيمها أدى بالضرورة إلى ثراء الدولة القرطاجية وهذا على عكس النظام الإسبرطي حيث أشار أرسطو إلى ظاهرة الموائد العامة في إسبرطة، والتي يجب أن يحمل إليها كل مواطن نصيبه المقرر بالقانون

---

(1) – ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص459.

(2) –المرجع نفسه، ص459؛ ينظر أيضا:–ف. ن. بريس، المرجع السابق، ص 42.

(3) – Titius Livius, XXXIV, 62.3.

(4) – عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية....، المرجع السابق، ص124.

(5) - J. A. Church and A. Gilman, Op- Cit, p116.

(6) – أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 41.

ومن لا يستطيع تحمل هذا العبء لفقره يفقد حقه السياسي لأن الاشتراك في هذه الموائد يعد شرطا لاكتساب هذا الحق[1].

وبما أن دولة إسبرطة كانت ملكا لجميع المواطنين دون تمييز والأراضي الزراعية مملوكة لهم فإنه لم يكن هناك اجتهاد بتحصيل الضرائب، وزيادة على ذلك كان والد الأبناء الأربعة يعفى من دفع أي ضريبة، وهذا النوع من اللامبالاة في تنظيم الضرائب وجبايتها أدى بالنتيجة إلى فقر الدولة[2].

3- على مستوى المواطنة:

أشار سترابون إلى أن عدد سكان مدينة قرطاج وحدها قد بلغ حوالي (700.000) نسمة، وذلك عندما بدأ القرطاجيون في شن الحروب البونية ضد روما في القرن الثالث قبل الميلاد[3]، ولكن يكاد يجمع الباحثون على أن هذا الرقم يعد مستحيلا، وأن الرقم الذي يبدو معقولا لعدد سكان قرطاج أثناء الحرب البونية الثالثة (149-146 ق.م) هو حوالي مائتي ألف نسمة، بما في ذلك العبيد الذين تم تحريرهم في ظل هذه الأزمة، وأن هذا الرقم ارتفع إلى الضعف أي "أربعمائة ألف نسمة" تقريبا في فترة أوج قوة قرطاج ومجدها بما في ذلك العبيد والسكان الأجانب، ولا نستبعد أن يكون ذلك خلال المرحلة الأرستقراطية، ويعتقد أيضا أن الرقم الذي أورده سترابون قد يكون صحيحا، إذا ما شمل أيضا سكان المناطق الخاضعة لقرطاج[4].

لا أحد ينكر الرقعة الجغرافية الشاسعة التي شغلتها قرطاج [5]، كما كان للنشاط الاقتصادي الذي عرفته خلال هذه المرحلة[6] مورد كسب لعدد كبير من السكان، أغلبهم من الطبقة الفقيرة، ومن مختلف الأعراق والأصول لا سيما الفينيقيين الشرقيين الذين ظلوا يترددون على قرطاج المزدهرة والمتدفقة حركة ونشاطا، وكذلك إغريق صقلية أنفسهم، كانوا يتوجهون إليها ويقيمون فيها [7] كما كانت الدولة القرطاجية منفتحة إلى حد ما يستدل من ذلك عادة الزواج بالأجنبيات كانت منتشرة بشدة[8].

---

(1) –Aristotles, IV, 6.21.
(2) -Ibid, IV, 6.13-24.
(3) – سترابون، المصدر السابق، XVII، 15.
(4)- B.H. Warmington,Op- Cit, p124.
(5) – سترابون، المصدر السابق، XVII، 15.
(6) – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص55.
(7) – أندريه إيمار و جانين أوبويه، المرجع السابق، ص 48.
(8) - D. Harden, The Phoenicians, London, 1963, p81.

إن السؤال الذي يطرح نفسه علينا بإلحاح، بناء على "ما تقدم ذكره" هل يعنى هذا أنه كان يوجد اندماج سياسي بين القرطاجيين وبين الفئات الاجتماعية غير قرطاجية المقيمة في قرطاج؟ وبمعنى أكثر وضوحا هل كان حق المواطنة متاح لجميع سكان قرطاج بما فيهم سكان الأقاليم التابعة لها، والأجانب؟

الحقيقة تبقى المعلومات عن المواطنة القرطاجية وشروط منحها قليلة، وأغلب ما جاء حول هذه المسألة تبقى فرضيات لا يوجد لها دليل تاريخي يفصل فيها، حيث نجد بعض الدراسات تشير إلى أن الأثرياء من سكان المدن التابعة لقرطاج، تمكنوا من الحصول على نفس الحقوق التي تمتع بها مواطنو قرطاج من حيث الإعفاء من الضرائب والتجنيد[1]، كما كان لهم الحق في الاقتران بنساء قرطاجيات[2]، وكان الباب مفتوحا أمام كل الأجانب من استطاع بمجهوده أن يجمع ثروة ترفعه إلى مصاف الأشراف وعلية القوم[3]، وذلك مقابل الخدمات التي أدوها للدولة كجنود في جيشها بشكل خاص[4]، في حين نجد دراسات أخرى تميل إلى أن المواطنة القرطاجية كانت من حق كل من تحدر من أبوين قرطاجيين "ذوي الأصل الفينيقي"[5]، وأنها كانت ممنوعة على الحلفاء، حتى ولو كانوا من نفس الأصل،[6] وحرمة المواطنة على العبيد والمحررين[7]، ولعل ما يؤكد ذلك أننا لا نعلم من العائلات القرطاجية إلا العائلات الأرستقراطية التي كانت تتمتع بنفوذ سياسي واجتماعي واقتصادي على غرار عائلة ماغون وعائلة حنون المعروفة بنزعتها المحافظة[8].

يتبين من وضعية اللوبيين والقرطاجيين والفينيقيين في مجال دولة قرطاج، لا سيما في جيشها، بأنه كان وضعا قائما على التباين، فتيمايوس عندما يتطرق إلى القرطاجيين في جيش قرطاج، يشير إليهم بصفتهم مواطنين، أي يتمتعون بحق المواطنة القرطاجية، بينما هو لا يلحق تلك الصفة باللوبيين، ولا حتى بالفينيقيين، وهنا نستشهد بدليل بالغ الأهمية، فالواضح أن الميزة

(1) -Polybius, VII, 9.15.

(2) - Diodorus Siculus, XIV, 41.6.

(3) – ف.ن. بريس، المرجع السابق، ص 266.

(4) – مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 76.

– M.P. Motley, Africa (Its Empires, Nations, and People), Detroit, 1969, p59.

(5) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو ...، المرجع السابق، ص78؛ ينظر: – الشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص ص 259-258.

(6) – G and Ch. Picard, Op- Cit,p63.

(7) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو ...، المرجع السابق، ص78.

(8) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص128.

التي كانت تميز القرطاجيين على اللوبيين لم تكن صفة عرقية، فلو كانت كذلك لما ميز تيمايوس بين القرطاجيين والفينيقيين، وبالتالي يكون تمييز القرطاجيين عن اللوبيين والفينيقيين في الواقع صفة سياسية تشريعية، فالقرطاجي في التعريف التشريعي للدولة القرطاجية هو كل من يتمتع بحق المواطنة القرطاجية، وعلى ذلك يفترض أن يكون للقرطاجي مكانة أعلى حظا وأوفر، ونفوذ أكثر ولا يستبعد أيضا أن يكون ذلك على حساب غير المواطنين من السكان الأحرار، الذين يسيرون في فلك نفوذ الدولة القرطاجية[1].

يتضح على الأقل خلال القرن الثالث قبل الميلاد، أن السكان الذين كانوا يدورون في فلك الإدارة القرطاجية، لا سيما اللوبيين بأن وضعهم السياسي- التشريعي، كان من غير مستوى وضع القرطاجيين[2]، وكان هذا يعد عيبا خطيرا عانت قرطاج منه كثيرا[3] وأنه ليس من الغريب أيضا، أن نشهد في الثورة اللوبية، إلى جانب اللوبيين تواجدا بارزا للفينيقيين وبالأخص الليبوفينيقيون، إذ مثل اللوبيين كان هؤلاء أيضا من غير المواطنين القرطاجيين، وكانوا هم أيضا ينتمون إلى صنف العامة وعليه هم سياسيا أقرب الطبقة الشعبية منهم للطبقة الأرستقراطية القرطاجية، ولا يستبعد كذلك أنهم كانوا يشعرون بنقص سياسي تجاه قرطاج، حتى وإن كان نسبيا أحسن حالا من اللوبيين[4].

هكذا تميزت الأوضاع السياسية في قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية، والتي استقرت نهائيا على مؤسسات يشكل كل منها مهام خاصة بذاتها، وقد انتهجت هذه الهيئات وظائف مختلفة، كل بحسب الظروف والتطورات التي كانت تحيط بدولة قرطاج، سواء داخلية أو خارجية، كما أن جل الكتابات الرائدة في مضمار البحث حول سياسة قرطاج، تجاه المناطق التابعة لها وهي أغلبها كتابات أجنبية أو بتعبير أدق، فرنسية عملت على وصف هذه السياسة بتجني قرطاج على الأقاليم السائرة في مجالها، بل وصل بها الأمر لوصفها على أنها دولة استعمارية، ولتجاوز هذا الحكم يمكن تقديم قراءتنا حول هذا الأسلوب من السياسة باعتباره مصالح متبادلة بين الطرفين، فقرطاج عندما حصرت جميع الشؤون الخارجية الخاصة بهذه

---

(1) - نقلا عن: -حبيب البلقوطي، المرجع السابق، ص ص292-293.

(2) - المرجع نفسه، ص 293.

(3) – G and Ch. Picard, Op- Cit, p63.

(4) - حبيب البلقوطي، المرجع السابق، ص 293-294.

المقاطعات في يدها، كانت تهدف ضمان الاستقرار والحماية من أي اعتداء، لا سيما وأنها تكفلت بمهمة الدفاع عنها والسهر على توفير الأمن لها، وبمقاربة تاريخية يلاحظ في تاريخ بلاد المغرب الحديث استنجاد سكانه بالعثمانيين ورضوا بسيطرتهم مقابل رد الاعتداءات الأجنبية لا سيما اعتداء الإسبان على المناطق الساحلية.

الفصل الثالث:

النظام العسكري ومجال نشاطه في قرطاج الأرستقراطية

أولا) الجيش:

ثانيا) حروب قرطاج الأرستقراطية:

ثالثا) العتاد الحربي والسلاح:

بدأ القرطاجيون يحسون بالخطر يتهددهم ويدور من حولهم، مع بداية الاستيطان الإغريقي لصقلية، ثم المحاولات المتكررة للإغريق لإخراجهم منها، فعلموا بأنه لابد لهم من مواجهة هذا الخطر، الأمر الذي لا يتأتى إلا بتشكيل قوة عسكرية منظمة وصلبة، وربما ما زاد ترسيخ هذه الفكرة لديهم انتكاستهم في معركة (480 ق.م)، ومن هنا بدأت الحكومة القرطاجية تهتم بالتنظيمات العسكرية وتوليها أهمية خاصة، حتى أصبح لها جيش نظامي تساعده فرق من المرتزقة يتم جلبها أثناء الأزمات، وهذا ما جعلها تتحول إلى دولة حربية من الطراز الأول، وامتلكت واحدة من أقوى المؤسسات العسكرية في الحوض الغربي للمتوسط[1]، سواء من حيث الجيش بقوته البرية والبحرية أونوعية السلاح والتحصينات، وهذا ما وضحته الحروب التي خاضتها دولة قرطاج[2].

أولا) الجيش:

لا ريب في أنه من الصعوبة بمكان أن نقدم صورة واضحة عن تركيبة الجيش القرطاجي في المرحلة المدروسة، ذلك لأن أغلب الكتابات التي تطرقت إلى هذه الحقبة، لا تقدم لنا أكثر من الحروب التي عرفتها قرطاج مع منافسيها، ومن ثم فليس أمامنا سوى الاعتماد على نصوص المؤلفين القدامى، فضلا عن بعض الأخبار الواردة عن الحقبة الديمقراطية، والتي قد تتفق أو لا تتفق مع المرحلة محل الدراسة، وعلى أي حال فإن اتساع مجال السيادة القرطاجية أوجب عليها بالطبع الدفاع ضد الهجمات الخارجية من خلال اعتمادها على جيش يبعد عنها الخطر، وبغض النظر عن طبيعته فقد كان يتكون من عدة أقسام أهمها:

1- القوة البرية:

1-1- القيادة:

كلفت السلطات التشريعية في الدولة القرطاجية قادة ذوي خبرة عسكرية واسعة لقيادة القوات وتنظيمها، وتحويلها لأداة مرنة بقصد تحقيق أهداف ومساعي السلطة الحاكمة، وفي الحقيقة لم يكن لقرطاج هيئة للضباط المحترفين، وكان قادتها يعينون لمدة عام وحينما يكونون

---

[1] - مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص، ص203، 205.

[2] - الصادق النيهوم، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد (سلسلة تاريخنا)، دار التراث، (ب ط)، بيروت،1977، ج1، ص ص 236-237.

ناجحين وأقوياء يظلون في القيادة لسنوات طويلة[1]، كما كان الحال بالنسبة لماغون وأبنائه، وهملكار برقة وأبنائه، فقد ظل كل منهم في القيادة سنوات طويلة مما كان سبب رئيسي في اكتسابهم الكثير من الخبرات، ولا شك أن هذا ما مكن قرطاج من التفوق على خصومها في العديد من المعارك[2].

إن من أصعب المهام التي كانت تواجه القادة هي التحكم في الجنود الذين كانوا تحت أمرتهم خصوصا فرق المرتزقة، ولما كان من الصعب ضبط مثل هذه القوات فإن القادة كانوا يتمتعون بصلاحيات واسعة تمكنهم من التحكم بزمام الأمور، في قبال ذلك لم يكن القادة يحاسبون على الخسائر في الأرواح بقدر ما كانوا يحاسبون حسابا عسيرا على الفشل في تحقيق الأهداف التي تحددها لهم القيادة العليا للدولة القرطاجية، ففي أكثر من مرة عملت محكمة المائة والأربعة بمحاسبة القادة الفاشلين وإعدامهم، بأمر من القيادة المسؤولة عن إدارة شؤون الدولة "كما سبقت الإشارة إلى ذلك" [3]، وهذا من شأنه أن يثبط العزائم ويضعف القيادة[4].

يتضح أن الحكومة القرطاجية لا تعرف التساهل ولا التسامح مع القادة المهزومين، كما أنهم اذا أحرزوا انتصارات عظيمة، فإنهم يصبحون في أعينهم موضع شبهات يخططون للتمرد وربما الانقلاب، وبالتالي يهددون مصالح المؤسسات الدستورية للمدينة البونية، ولا شك أن هذا التفكير مع مبالغته ونتائجه قد أدى بإضرار وتعطيل في بعض الأحيان بمصلحة الدولة الحقيقية بسبب التناقض الذي طغى على الطبقة الحاكمة في قرطاج عند تعاملها مع القادة[5]، إذ كان يحكم على أغلب القادة المهزومين بالموت صلبا، وهذا ما دفع الكثير منهم إلى الانتحار لتحاشي قسوة هذه العقوبة[6].

---

(1) – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 107.

(2) – إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص251.

(3) – صلاح أبو السعود، المرجع السابق، ص170.

(4) – نبيل قلالة، المتوسط ...، المرجع السابق، ص122.

(5) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...، المرجع السابق، ص ص 74-75.

(6) – المرجع نفسه، ص 92.

تشير بعض الدراسات إلى أن القائد المكلف بمهمة إعداد الجنود، كان يعرف بالضابط السامي، وهي مرتبة عسكرية وجدت مكتوبة في النقوش البونية[1].

لا شك أن قادة الجيش القرطاجي استفادوا من الخبرات والتجارب الشرقية على غرار التجربة المصرية، والأكادية، والأشورية، وحتى الإغريق لمعرفة كيفية التعامل مع المرتزقة، ومن أبرز هؤلاء القادة ماغون الذي أشار جوستين لانضباطه العسكري بقوله: "**لقد تعلق الأمر بجنود كان عليهم أداء الخدمة في إطار منظم وانضباط يمثله القائد المسؤول عن تجنيدهم، ومقابل ذلك كان عليهم الطاعة التامة حتى نهاية الحرب التي جندوا من أجلها**[2]".

استعان ساسة قرطاج في بعض المرات بقادة ذوي كفاءة من الإغريق للاستفادة من خبرتهم في تدريب الجنود، ومن ذلك استعانتهم بالضابط الإسبرطي المدعو اكسانثيبوس (Xanthippos)، حيث يشير بوليب بأنه حل بقرطاج مع قواته من مرتزقة إسبرطة حوالي (256 ق.م)، وقد قدم تقرير أمام الحكومة القرطاجية حمل فيه الهزائم المتتالية لقرطاج في الحرب البونية الأولى إلى جنيرالاتها وقلة خبرتهم، وعرض حلولا بديلة تمكن القرطاجيين من التفوق على الرومان وابعاد خطرهم، وقد كلفه مجلس الشيوخ القرطاجي بتدريب الجند، والذود على قرطاج خلال هذه الفترة[3]، فأخذ يدرب الجيش القرطاجي وفقا لأفضل الأساليب القتالية عند الإغريق،واشتبك بعدها مع الجيش الروماني فهزم الرومان وأسر قائدهم ريغولوس[4].

هناك من يعتقد بأن الاستعانة بقادة من جنسية غير قرطاجية يشكل خطرا على أمن قرطاج، لاحتمال خيانتهم في أي وقت، خاصة في ظل إلحاح ورغبة الإغريق في السيطرة السياسية والاقتصادية على قرطاج[5]، ولكن من المرجح أن هذا الأمر لم يكن ليغيب عن بال السلطات الحاكمة في قرطاج، والتي كانت قد تعاملت مع القادة من ذوي جلدتهم على مبدأ الحذر والشك، فالمرجح أنهم قد احتاطوا من القادة الأجانب من خلال تشجيعهم بالهبات

---

[1] – محمد الصغير غانم وآخرون، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، (ب ط)، الجزائر، 2007، ص135.

[2] – نقلا عن: – محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص134.

[3] - Polybius, I, 32.1-6.

[4] – ابراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، ط1، لبنان، 1995، ص121.

[5] – محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص201؛ ينظر أيضا: –رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص186.

والمنح لاسيما وأن عددهم لابد أن يكون قليلا، وبالتالي من السهل رشوتهم والتعامل معهم، وفي نفس الوقت حراستهم برقابة مشددة[1].

وعموما يبدو أن مهنة القيادة لم تكن بالأمر اليسير بل كانت أكثر صعوبة من مهمة الجنود على الرغم من أن العديد من القادة أظهروا براعة وعبقرية حربية مدهشة[2].

1-2- الجند:

ربما من قبيل المبالغة عندما تشير النصوص القديمة إلى أن الحكومة القرطاجية كانت تقوم على مبدأ الشك والحذر من جنودها، كما أن مهنة السلاح في حد ذاتها تؤدي إلى التوجس والارتياب ما جعل ديودور الصقلي يصف هذا الوضع بقوله: **"لقد شن القرطاجيون الحرب دائما دون أن يضعوا ثقتهم في الجنود المواطنين"**، ويعتقد أن قرطاج إنما ظلت بعيدة عن النشاط العسكري كونها كانت تتقلد المفهوم الفينيقي، الذي يعتبر الخدمة العسكرية وظيفة غير طبيعية، ومع ذلك كان يوجد استثناءات في هذه الرؤية العامة، ويمكن الإشارة في هذا المجال[3] للفوج المقدس[4]، الذي هو عبارة عن كتيبة يتم اختيارها من نخبة الشباب الذين يمثلون أحسن العائلات الأرستقراطية، وكانت هذه الفرقة تتألف من " 2500 " جندي قرطاجي[5].

أجبر الصراع الإغريقي القرطاجي أرستقراطية قرطاج على استحداث هذا النوع من الكتائب، الذي أخذته عن الجيش اليوناني في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، وكان جنود الكتيبة المقدسة مجهزين ومدربين بشكل ممتاز، ودروعهم مستديرة كبيرة كانت مشابهة للدروع اليونانية، وغطوا أجسادهم بجلود الفيلة ولبسوا خوذا مماثلة لخوذ اليونانيين ودرعا لصدورهم وأخرى واقية للساقين[6] (ينظر الملحق رقم "1"، ص278).

---

(1) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...، المرجع السابق، ص71.

(2) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص92.

(3) – نقلا عن:– فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة....، المرجع السابق، ص71.

(4) – **الفوج المقدس**: أو ما يسمى بالوحدة الخاصة كان قد أصبح مصطلحا شعبيا في بلاد اليونان، وأول من شكلها كان بيوبيداس في سنة (371 ق.م)، ولقد أدرك القرطاجيين أن سبب هزائمهم، وتفوق خصومهم عليهم عسكريا مرده لفرقة المجند باحترافية، لذلك عملت على تشكيل الفوج المقدس في (339 ق.م). ينظر:

- M. A. Deluxe, Op- Cit, p19.

(5)- H. Slim et autres, Op- Cit, p87.

(6) - M. A. Deluxe, Op- Cit, p17.

اشتهرت فرقة الفوج المقدس بصمودها وقتالها ضد تيموليون[1] (Timoleon) (343-338 ق.م)[2]، ثم فنيت كلها فيما بعد في صقلية في معركة نهر كريميوس[3] (Crimisus)، ومنذ ذلك الحين، أصدرت الحكومة القرطاجية تشريعا يقضي منع تجنيد المواطنين وخوضهم الحروب، وعلى الأخص فيما وراء البحار، إلا في المحن الكبرى التي تهدد مصير الدولة بحق[4]، وخلال عام (311 ق.م) عادت وجندت ما يقارب "2000 " مواطن في حملة عسكرية أخرى إلى صقلية تعرضت للغرق بفعل عاصفة هوجاء[5].

لا يستبعد أن تكون هذه الحادثة سببا في الإقلاع النهائي عن تجنيد المواطنين، وإرسالهم في مهام خارج الدولة، والاكتفاء باستخدام المرتزقة، وقد أدى إبعاد القرطاجيين عن الجيش وانقطاعهم عن التدريبات العسكرية وإهمالهم لها إلى إضعاف نزعة الحرب فيهم[6]،كما حال بينهم وبين تعميق الشعور بحسهم القومي[7]، إلا أن ما أظهره القرطاجيون في المجريات الأخيرة من الحرب البونية الأولى من صمود أمام النزول المفاجئ للقنصل الروماني ريغولوس بالسواحل القرطاجية، والعمل على عرقلة مسيرته حوالي (255 ق.م) [8]، وكذلك صمودهم و التفافهم حول هملكار برقة وتأييده للتصدي للثورة اللوبية عقب الحرب البونية الأولى، حتى أننا نقرا في الكتابات التاريخية صفحات رهيبة عن القساوة المروعة التي حدثت إبان إخماد هملكار القرطاجي لهذه الثورة ينافي أو يناقض حسب اعتقادنا صحة هذه الآراء [9].

[1] - **تيموليون**: مغامر كورنثي أرسلته كورنثه عام (342 ق.م) إلى صقلية، لتحسين أوضاع الإغريق هناك، ومواجهة القرطاجيين. ينظر: -محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص ص 248-249.

[2] -R. Charles, Op- Cit, p343-345.

[3] – **كريميوس**: نهر يجري شمال غرب صقلية على مقربة من مدينة بانورمس، وعنده حقق تيموليون الكورنثي انتصارا كبيرا على القرطاجيين خلال (339ق.م). ينظر: -محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص79.

[4]-H. Slim et autres, Op- Cit, p87.

[5]-Diodorus Siculus, Translated by: M. G, Russel, 1947, Vol, 9, XIX, 6.1-9.

[6] – أندريه ايمار وجانيين أبويه، المرجع السابق، ص44.

[7] – محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص 200.

[8] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص128.

[9] – هـ. ج. ولز، المرجع السابق، ص538.

مع ذلك فإن هذا الرأي يفرض نفسه بوضوح ، فإن مسألة التجنيد هذه كانت تتم في حالات نادرة، ويتم اللجوء إليها في الظروف الاستثنائية[1]،و ربما هذا ما أدى إلى نتائج ليست في جميع الأحوال من مصلحة الوطن القرطاجي، ويمكن هنا الاستشهاد بشهادة مميزة قدمها بوليب بقوله: "**فيما يتعلق بالحرب البرية كان الرومان أفضل يمتلكون أحسن الجند لأنهم أولوا عنايتهم كلها لتدريبهم على عكس القرطاجيين يهملون تماما مشاتهم ولا يهتمون إلا قليلا بفرسانهم**[2]"، وهذا ما يفسر سعي القرطاجيين الدائم لاستخدام الأجانب في جيشهم في شكل مرتزقة [3].

إن أهم النصوص التي وردت عن كيفية تعبئة قرطاج لجيشها البري ما أورده تيمايوس، والذي وصل على لسان ديودور، إذ أصدرت الحكومة القرطاجية أمرا حوالي (407 ق.م) بتجهيز الجيش وتهيئته، فاختاروا[4] حنبعل بن جزجو[5] (Hanibal Gizgu) ضابطا أعلى مسؤولا بالمتابعة الشخصية للتعبئة والتجنيد، ونظرا لتقدمه في السن اعتذر عن هذه المهمة، فعينت الحكومة القرطاجية إلى جانبه في القيادة هملكون بن حنون[6].

شرع القائدان على الفور في تنفيذ ما كلفا به فبعثوا بموكلين من أهم وجهاء قرطاج بثروات كبيرة إلى كل من إيبيريا وجزر البليار، لتجنيد أكبر عدد من المرتزقة، كما قاما هما بشخصيهما يجوبان لوبا لتجنيد ما يمكن تجنيده ممن لهم القدرة على رفع السلاح، من لوبيين وفينيقيين ومواطنين قرطاجيين، كما ناشدا الممالك والمدن الحليفة من موريطانيين، ونوميديين حجز كتائب معاضدة لضمها للجيش القرطاجي، وكان نفر القوات التي تم جمعها مع سلاح الفرسان ما يزيد قليلا عن "120" ألف فارس [7].

---

[1] - فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...، المرجع السابق، ص71.

[2] - نقلا عن: -فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو....، المرجع السابق، ص89.

[3] - فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...، المرجع السابق، ص71.

[4] - نقلا عن: -حبيب البقلوطي المرجع السابق، ص ص289.

[5] - **حنبعل بن جزجو**: قائد قرطاجي ويسمى في بعض الكتاب حنبعل بن جيسكون، قاد جيشه في صقلية واستولى على مدينة هيميرا سنة (409 ق.م). ينظر: -عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص149.

[6] - Diodorus Siculus, XIII, 80.1-4.

[7]-Ibid, XIII, 80.5-6.

يتضح من خلال هذا النص، بأن قرطاج اعتمدت في جيشها على جملة من الجنود المرتزقة، الذين شكلوا فسيفساء متنوعة من شعوب مختلفة، وسنعمل على انتهاج وسيلة واضحة في تقسيمهم لتفادي التضارب والتباين، الذي ورد في الدراسات السابقة كالتالي:

أ- جنود مرتزقة (رعايا):

من أبرز الفرق الأجنبية في الجيش القرطاجي الليبيين الذين فرضت عليهم قرطاج التجنيد قسرا، وكانوا يشكلون النسبة الأكبر في تلك الجيوش، كفرق مشاة خفيفة الحركة، خاصة بعد ما توسعت قرطاج في الأقاليم الداخلية[1]، ويبدو أن أول استعانة للقرطاجيين بالمشاة الليبيين كانت (480 ق.م)[2]، حيث تذكر الكتابات التاريخية بأن هملكار قاد جيشا لمجابهة الإغريق في صقلية تعداده نحو "300" ألف جندي، معظمهم من الليبيين الذين اعتمدت عليهم المدينة البونية اعتمادا شبه كامل في قوتها البرية[3]، ونتيجة لتحطم أسطول قرطاج أمام الإغريق في معركة هيميرا[4]، أصبحت حاجة قرطاج إلى تجنيد الليبيين ضرورة ملحة[5]، إضافة إلى أن إقليم المدن الثلاث أصبح يمد العاصمة البونية بالقوات أثناء الحروب، أو يدفع أجور المرتزقة، إلى جانب الضرائب المرتفعة في شكل بضائع ما لم تكن نقودا عينية[6].

تذهب بعض الدراسات للقول، بأن المقصود بالرعايا هم الأهالي المولودين في النطاق الترابي الذي تملكه قرطاج لا سيما في بلاد المغرب القديم وشبه جزيرة إيبيريا، وربما حتى في سردينيا وصقلية أيضا، ولا يمكن تصنيفهم كمرتزقة بل هم رعايا[7] سوماخوي (Sùmmachoi) أي "الأعوان" [8]، وذلك لسبب واضح وهو أن مجال هؤلاء خاضع لسيطرة

---

[1] -ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص 456.

[2] - عبد الحميد رجب الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، دار الكتب الوطنية، ط 3، ليبيا، 1998، ص ص 157-158.

[3] - فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص89.

[4] - أحمد صفر، المرجع السابق، ص 144.

[5] - محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع نفسه، ص200.

[6] - جون رايت، المرجع السابق، ص 26.

[7] - مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص ص 203.

[8] - استيفان قزال، المرجع السابق، ص 261.

قرطاجية مباشرة وعليه فقد كانوا يجندون لأداء الواجب ولا يلتحقون بالجيش مقابل مبلغ مالي(1).

هناك بعض الأبحاث التي تحاول تأكيد وإثبات أن وضعية الليبيين في الجيش القرطاجي كانت تختلف اختلافا تاما عن وضعية المرتزقة، فقد كانت مشاركتهم مشاركة فاعلة تسوسها علاقة الانتماء للدولة القرطاجية(2)،ولعل ما يدعم هذا الرأي هي تلك الإشارات التي توحي بأنه ونتيجة لدور الليبيين في حروب قرطاج اكتسبوا مكانة مرموقة، حيث أصبح يحق لهم الاقتران بقرطاجيات(3)، حتى إن هناك من اعتبر أن اللوبيين في هذا الإطار لا تربطهم بالدولة القرطاجية تجارة ولا منفعة بل يربطهم بها "نداء الواجب"، في هذا المجال يندرج تعاون اللبيين في الجيش القرطاجي لا فرق بينهم وبين الفينيقيين والقرطاجيين، إذا يساهمون كلهم بالامتثال لأداء الواجب إزاء الوطن الذي يعتبر وطن واحد للجميع، وبالتالي دولة واحدة "الدولة القرطاجية" وسلطة مركزية واحدة "سلطة مدينة قرطاج"، وعلى نقيض تعاملها مع الحلفاء والمرتزقة الصرف من جنود جيشها، كانت الدولة القرطاجية هي التي تستلزم بعموم تكاليف معدات الجنود اللبيين من سلاح ومؤونة، بل كانت تدفع لهم مرتبا ثابتا يتوقف عقب تسريحهم(4).

على ما يبدو أن اغلب مرتزقة قرطاج كانوا يهربون ويسببون القلاقل السياسية للدولة على عكس الليبيين الذين اختلطوا بالقرطاجيين سليل الفينيقيين وتزاوجوا معهم(5)، ونجم عن ذلك عنصر جديد هو الليبوفينيقي(6)، وهذا ما يعني إدخال عنصر الليبيين ضمن الرعايا القرطاجيين ونفي صفة المرتزقة عليهم(7)، في حين يعتقد البعض أن مجموعة الاجراءات التعسفية

(1) – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص ص 203-204.

(2) –حبيب البقلوطي، المرجع السابق، ص ص288-289.

(3) – يولي بركوفيتش تسيركين، المرجع السابق، ص64.

(4) – حبيب البقلوطي، المرجع السابق، ص 296.

(5)- Ch. A. Julien, Op- Cit, p126.

(6)– عبد الحفيظ فضيل الميار، "ظاهرة استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس خلال العصر الروماني"، **مجلة آفاق تاريخية**، طرابلس، ع1، 1996، ص117.

(7) – مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص204.

التي مارستها قرطاج بعد انهزامها في هيميرا على المدن الليبية جعلت الليبيين يلتحقون بالجيش إما طالبا للرزق، أو تخلصا من الضرائب[1].

مهما يكن من أمر فإن عموما الدراسات تتفق على أن الليبيين منذ كارثة هيميرا أصبحوا يقفون جميعا إلى جانب قرطاج دون قيد أو شرط[2]،ويبدو أنه لم تكن لديهم مكانة مهمة واضحة في الجيش القرطاجي، كأن يكون منهم قادة، فالمصلحة التي رآها القرطاجيون حتمت عليهم حالات التزاوج والتصاهر، ومن ثم الاستعانة بخدماتهم في مختلف المجالات ولا سيما العسكرية منها، ولذلك حاولوا قدر الإمكان تجنب الاصطدام مع السكان المحليين حفاظا على بقائهم[3].(ينظر الملحق رقم "2"، ص279).

ب- جنود مرتزقة (حلفاء):

يمثلون في الغالب المطلق الفرسان النوميد الذين شكلوا القسم الأهم من عدد الخيالة ونالوا شهرة واسعة[4]، بالإضافة إلى الموريين، وقد انفردوا بتمكنهم من المناورة وحرب العصابات على خيول صغيرة الحجم سريعة الحركة وقوية التحمل[5]، ويمكن أن نتخذ النوميد وفرسانهم من حلفاء الدولة القرطاجية، وإذا كانوا خلاف ذلك فعلينا أن نعتبر القائد النوميدي ماسينيسا جندي من الجند المأجور في الجيش الروماني عندما حارب إلى جانب الجمهورية الرومانية ضد قرطاج [6]، وعلى عكس الليبيين فقد تمتعوا بقدر لابأس به من اللين[7]، واستزاد الاهتمام بهم من قبل الدولة القرطاجية منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد، حتى أن الدولة القرطاجية دانت

---

(1) – عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية....، المرجع السابق، ص122.

(2) – محمود الصديق أبو حامد، المرجع السابق، ص128.

(3) – الصادق النيهوم، ليبيا من القرن السابع قبل الميلاد حتى سقط قرطاجة (سلسلة تاريخنا)، دار التراث، (ب ط)، بيروت، 1977، ج2، ص146.

(4) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص68.

(5) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص90.

(6) – أندريه ايمار و جانيين أبويه، المرجع السابق، ص44.

(7) – ف.ن .برايس، المرجع السابق، ص199.

لهم بتحقيق تحول لصالحهم في معارك عديدة[1]، وكانوا يعدون بناء على ما وصف تيت ليف **"أنهم أفضل فرسان إفريقيا إذ أن تدخلهم في أغلب المعارك كان حاسما[2]"**.

كانت العلاقة بين الحكومة القرطاجية والحلفاء عبارة عن تعاقدات ظرفية ومتقابلة، تقوم بالأصل على الصداقة والنصرة في جانب تبادل المصالح المشتركة بين الطرفين[3].(ينظر الملحق رقم "3"، ص280).

ج- جنود مرتزقة صرف:

يقصد بهم أولئك الجنود الذين كانوا يتطوعون بشكل فردي، أو ينضوون تحت زعامة أحد قادتهم[4]، وقد تميزوا باحترافهم للحرب فهي مصدر رزقهم[5]، وكانوا يرتبطون بالإدارة القرطاجية بميثاق عمل ينقضي بنهاية الحرب التي انضموا من أجلها[6]، وقد شكلوا خليطا متنوعا من كل مناطق البحر الأبيض المتوسط أهمهما الإغريق و وشبه جزيرة إيبيريا وغالة، ومن جزر البليار، وكورسيكا وغيرها[7].(ينظر لملحق رقم "4"، ص281)، حتى أنه بنزول أجاثوكليس بسواحل قرطاج وجد أمامه أغارقة، ومئات من السيراكوزيين الذين كانوا يشكلون جزءا من جيش قرطاج[8].

أما عن كيفية تجنيدهم فقد كانت في العموم تتم تحت إشراف قائد يحارب في أرض قريبة منهم، أو في نفس الأرض التي يؤخذون منها، وتارة كانوا يتوجهون إلى الشعوب الخارجية ويأتون بالجنود الذين جمعوهم، وقد كان يساعدهم عصبة من الجنود وزعماء المجموعات المكلفة، ولا يستبعد أن تكون هذه الخطوات تقتضي معاونة من قبل الحكومات المحلية أو على الأقرب موافقتها، ومن المرجح أن تكون قد أشرفت على المواثيق والضمانات أو ساعدت

---

(1) – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص 112.1

(2) – نقلا عن:-فرانسوا دوكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص90.

(3) – حبيب البقلوطي، المرجع السابق، ص 292.

(4) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص90.

(5) – حبيب البقلوطي، المرجع السابق، ص291.

(6) – استيفان قزال، المرجع السابق، ص260.

(7)- Ch. A. Julien, Op- Cit, p126.

(8) – فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة...، المرجع السابق، ص73؛ ينظر أيضا:-

-A. Garcia, "Les mercenaires espagnols dans les armées carthaginoisesau moment de la bataille de Zama ", **(R. Af)**,Tunisie, Vol, 3 et 4, 1969-1970, pp111-121.

عليها[1]، حيث ينص بند من شروط معاهدة الصلح التي أعقبت نهاية الحرب البونية الأولى بمنع قرطاج من تجنيد المرتزقة في شبه الجزيرة الإيطالية وعند حلفاء روما[2].

تحاول بعض الدراسات محاولة التمييز بين الأنواع الثالث "السابقة الذكر"، بينما تتركنا دراسات أخرى في نوع من الغموض، ويبدو أنه لا يوجد اختلاف كبير إن لم نقل واضحا بين هذه الأصناف، لا سيما إذا علمنا بأن الرعايا والحلفاء كانوا يتقاضون أجرة مقابل الاشتراك في حروب الدولة القرطاجية، وإن لم يكن ذلك في كل الحروب فعلى الأقل في بعضها لذلك فيمكن أن نطلق عليهم صفة المرتزقة، ويبدو أن القيمة المالية لهؤلاء الجنود لم تكن واحدة للجميع، إذ كانوا يتقاضون أجورهم على حسب طبيعة ونوعية السلاح، إلا أن هؤلاء المرتزقة بمختلف تشكيلاتهم غالبا ما كانوا يشكلون خطرا على الدولة القرطاجية نتيجة للعديد من العوامل نذكر منها[3]:

- توقف إخلاصهم وجديتهم في القيام بالأعمال الموكلة إليهم على قيمة الأجر المدفوع[4].
- صعوبة تسييرهم والتحكم فيهم، نتيجة لتعدد ألوانهم وتباين جنسياتهم، وتنوع واختلاف تقاليدهم[5].
- ميلهم المبالغ في التمرد والثورة في حال ما إذا تأخر الحكومة القرطاجية في دفع مستحقاتهم، كما حدث في ثورة سنة (241 ق.م)[6].
- تزايد شعورهم بقيمتهم وأهميتهم تبعا لتزايد اعتماد السلطات الحاكمة في قرطاج عليهم، لا سيما بعد ابعاد مواطنيها على الخدمة العسكرية، وكان هذا الشعور ملحوظا خاصة عند النوميد[7].

---

(1) - استيفان قزال ، المرجع السابق، ص ص 260-261.

(2) - محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي...، المرجع السابق، ص61.

(3) - استيفان اقزال، المرجع السابق، ص261.

(4) -رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص253.

(5) - أندريه ايمار و جانيين أبويه، ص44.

(6) -Polybius, I,72. 6-7, 79. 1-6.

(7) - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص250.

إن هذه الأسباب وأكثر تؤدي إلى نتيجة حتمية مفادها أن عدم انتساب هؤلاء الجنود المرتزقة بمختلف أصنافهم، وقومياتهم للوطن الذي يحاربون من أجله كان يقلل من بذل جهدهم، وانضباطهم في القتال.

هذا ما دفع بالدولة القرطاجية ببذل قصارى جهدها في الاعتماد على طرق الحيلولة لكي لا يشكل هؤلاء الجنود سلاح ذو حدين، كما حاولت الادارة القرطاجية قدر المستطاع لتوفير الإمكانيات وتهيئة الظروف المناسبة للاستفادة من قدراتهم وإمكانياتهم إلى أقصى حد ومن هذه الأساليب المتبع نذكر[1]:

– تعبئة هذه الجيش في شكل كراديس "أقسام" بناء على قومياتهم يدير أمرهم ضباط من بني جلدتهم تلقوا تعاليمهم العسكرية من قادة ورؤساء قرطاجيين، توكل لهم أعمال متباينة تتوافق وطبيعة الأسلحة التي بين أيديهم، وهكذا يتدربون على فنون الحرب حتى يتمكنوا من أصولها[2].

– عمل السلطات الحاكمة في قرطاج على حث جنودها المرتزقة لبذل المزيد من الجهد والثبات في المعارك، وذلك من خلال إغراءهم بالامتيازات ورفع القيمة المالية[3]، وفي هذا المجال يلاحظ أن قرطاج اتجهت إلى سك عملتها البرونزية والفضية في عصر متأخر[4]، وربما اضطرت لذلك من أجل دفع مرتبات جنودها في جبهات القتال، وما يميز هذه العملات في تلك الفترة التي أرخت بمنتصف القرن الرابع قبل الميلاد، ووجدت قطعة منها في المتحف البريطاني أنها تحمل رمز الآلهة تانيت على وجه، والأسد وشجرة نخيل على الوجه الآخر، مع نقش كلمة رجال المعسكر[5].(ينظر الملحق رقم "5"، ص282).

– انتهجت السلطة الحاكمة بقرطاج استراتيجية احتياطية تفاديا للأعباء، إذ كانت تقــوم

[1] – أندريه ايمار وجانيين أبويه، المرجع السابق، ص44.

[2]– المرجع نفسه، ص44.

[3]– محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص20.

[4]- Ch. A. Julien, Op- Cit, p120.

[5]– محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص ص236-237.

بتسريح جنودها المرتزقة مباشرة بعد انتهاء أي حرب تخوضها[1]، وظلت تسير على هذه الطريقة إلى ما بعد ثورة (241 ق.م) [2].

إن ميل قرطاج إلى صرف جنودها من المرتزقة بعد نهاية كل معركة مباشرة، وإن كانت له آثاره الإيجابية في بعض الجوانب، كتقليل التكاليف المالية من جهة على خزينة الدولة، وعدم إتاحة الفرصة لهم لسلوك الشغب والفوضى نتيجة لتجمعهم في أماكن معينة من جهة أخرى، إلا أن سلبيات هذا التفكير كان أكبر من أن يشعر به ساسة قرطاج حينما كانت في أوج مجدها تتموقع بعيدا عن أي خطر يمكن أن يتعرض له مجالها الترابي مكتفية بقوة صغيرة لأعمال الحراسة، وقد ظهرت أخطاء هذه السياسة بوضوح عندما تعرضت قرطاج للغزو المفاجئ على يد أجاثوكليس من عام (310 ق.م)، والذي استطاع أن ينزل قواته على حدود الاقليم الترابي للعاصة القرطاجية بدون عناء يذكر، واستحوذ على عدة مدن دون مجابهة فاعلة[3].

لكن ما يحيرنا هو لماذا لم تتعلم قرطاج من أخطائها ومن الدرس القاسي الذي لقنه إيها أجاثوكليس؟.فبعد سنوات نرى بيروس يقوم بحملة دعائية[4]، وكذلك فعل ريغولوس عام (256 ق.م)[5]، اللذان أدركا هذه الحقيقة جيدا، وإلا لما تجرأ في التفكير لغزو قرطاج في عقر دارها، ولا شك أن تساهل بل تهاون الدولة القرطاجية في تكوين جيش بصورة مستمرة وثابتة واستهتارها في تطويق حدوها بترتيبات عسكرية منظمة كانت له عواقبه الغير محمودة، ويجبر في كل حين الدولة القرطاجية لاتخاذ قرارات مستعجلة وغير مدروسة بدقة، ومن ذلك عندما غزى أجاثوكليس سواحلها أخذت تحاول تجنيد وتشكيل قوات جديدة للذود عنها[6]،ونفس الشيء بعثت تتلمس المدد والإغاثة من هملكار في صقلية بعد ما لاحظوا بأن الرومان يستعدون لاحتلال طويل، محاولة نزولهم بالأراضي القرطاجية[7].

---

[1]- ف.ن .بريس، المرجع السابق، ص 269.

[2] – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص133.

[3] -Diodorus Siculus, XX, 31.3-4,33.1-6.

[4] - M. A. Deluxe, Op- Cit, pp 32-35

[5] -Polybius, I.29.5-9.

[6] - Diodorus Siculus, XX, 5.2-8.

[7] - Polybius, I, 30.1-3.

2- القوة البحرية:

2-1- الأسطول:

لم تقتصر قوة الدولة القرطاجية على القوة البرية فقط، بل كان لأسطولها دورا رئيسا في قوتهم العسكرية[1]، إذ ألزمت حاجة القرطاجيين لحماية مجالهم الحيوي من مساحات مائية ومضائق وجزر وثغور بحرية، وعلى الأخص مصالحهم التجارية إلى صنع أسطول من السفن الحربية تكميلا للسفن التجارية[2]، ولما كانت الغابات الكثيرة والموزعة على ضفاف المتوسط لاسيما ببلاد المغرب القديم وشبه الجزيرة الإيبيرية [3]، فإنه ليس من المستبعد استغلال هذه الأخشاب في إنشاء السفن أو على الأقل صناعة ما أمكن من أجزائها، كذلك ساهم سعف النخيل الذي استعمل لأغراض متعددة منها ضفره لاستخدامه حبالا حيث كانت الحبال تستعمل في شد الصواري وصناعة السفن، لاسيما تلك المصنوعة من لفائف أشجار النخيل كما كان لنبات الحلفاء (lygeumspartium)، الذي وجد بوجه الخصوص في المناطق الداخلية من بلاد المغرب القديم نتائج باهرة في صناعة الحبال القوية فيما يعرف بالألياف المفتولة، ومن المرجح أن هذه الحبال استعملت في الصناعات الحربية بما فيها صناعة المخاطيف ومراسي السفن[4].

أمام هذه الإمكانيات كان لازما على قرطاج استثمار كل ما من شأنه أن يرسى أركانها[5]، وذلك من خلال توفير المعدات الضرورية لتشييد الأساطيل، وبناء الأحواض وايجاد البحارة والمجدفين، فهو السبيل الوحيد لديمومة هيمنة قوتها على الفضاء الحيوي في الحوض الغربي للمتوسط[6].

---

(1) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 186.

(2) - عاطف عيد، المرجع السابق، ص24.

(3) - Pliny the Elder, Natural History, Translation by: J. Bostock and H. T. Riley, **(F.R. H)**, 1851, V, 3.1-5.

(4) - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 133.

(5) - محمد بيومي مهران، المغرب....، المرجع السابق، ص ص 200-201.

(6) -S. Moscati, Op- Cit, p180.

تمكن القرطاجيون من تشكيل السفن بدقة وتماسك وقد اقتبسوا طرق صناعتها بدون شك من أسلافهم الفينيقيين[1]، حيث ورثت قرطاج تجربة صور البحرية وعرفت شهرة ذائعة الصيت وسمعة طيبة[2]، لاسيما إذا ما علمنا أن عامل التعامل مع البحر وتقلباته يمنح للفرد القرطاجي الأولوية على غيره من أفراد الشعوب المحيطة به[3].

يفترض أن تكون ورشات تصنيع السفن كبيرة وواسعة، إذ كانت تتواجد داخل المرفأين "الميناء التجاري والعسكري" ويحميها سور محصن، ويعتقد أن الصناع والحرفيين الذين يشرفون على انجاز السفن هم من أفضل العمال في العالم القديم لأنهم يمتازون بخبرات واسعة، وتجمع أغلب الشهادات في كل العصور القديمة على أن أسطول قرطاج كان من أشهر وأهم الأساطيل في تاريخ الدول والامبراطوريات القديمة، وأكبر دليل على براعة الحربية القرطاجية ودورها محاربتها للإغريق خلال القرن الخامس قبل الميلاد والرومان بداية من القرن الثالث قبل الميلاد[4].

تميزت المراكب الحربية بتصاميمها المختلفة فمؤخرتها كانت مرتفعة بينما مقدمتها تلامس سطح المياه وتنتهي بنتؤ بارز، وهذا لتعطيل سفن الأعداء من الاقتراب وبهذه الخاصية يمكن إتلاف وتدمير سفن أعداءها إذا ما كانت القيادة متضلعة وحاذقة[5]، وقد صنعوا السفن الثلاثية (Trireme) والرباعية (Quadrirme, Tetrére,) والخماسية (Pentére, Quinquereme)، وتشير بعض الكتابات إلى أنها ابتداع قرطاجي محض وتعود تسمية كل منها إلى عدد صفوف المجاديف على كل جانب[6]، هذا وامتازت السفن الحربية القرطاجية

---

[1] - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص186.

[2] - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص70.

[3] - استيفان قزال، المرجع السابق،ص329.

[4] – المرجع نفسه، ص71.

[5] - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 70.

[6] - سامي ريحانة، الفينيقيون...، المرجع السابق، ص ص 79-80؛ ينظر أيضا:- ريمة مليز، "قرطاجة والبحر (814-146 ق.م)" ،(ماجستير)، إشراف د. محمد الهادي حارش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2-، 2010-2011، ص ص 70-71.

بالخفة وسرعة الحركة والمناورات أثناء المداهمة والانسحاب وتمويه العدو[1].(ينظر الملحق رقم "6"، ص283).

يعتقد أن سر صناعة السفن الخماسية بقي ثني الكتمان ولم يعرفه الرومان حتى عام (260 ق.م)[2] عندما استحوذوا على سفينة خماسية، وبهذا استطاعوا بناء أسطول بحري شبيه إن لم نقل طبق الأصل بأسطول قرطاج [3]، وإن كان الرومان قد أدخلوا بعض الاختراعات على سفنهم أهمها لوح خشبي ذو كلابة "كوبري متحرك" [4]، وذلك حتى يتمكنوا من تحويل المعركة البحرية إلى معركة شبه برية بعد أن تيقنوا بأنهم غير قادرين على مقارعة القرطاجيين في البحر وعرف هذا النوع من سفنهم بالغراب (Corvus)[5].

كان عدد المجدفين القرطاجيين في السفن الثلاثية "100 " مجذفا، وفي الخماسية "300" مجذفا، والرباعية " 200" مجذفا [6]، إضافة إلى الموظفين والمراقبين ورماة السهام والنبال[7]، هذا وعثر في حطام سفينة بمرسالا على مكنسة صغيرة وبقايا أواني فخارية في مطبخ، مما يدل على وجود الطباخين والمنظفين، وكذلك وجود الكهنة والمترجمين، أما بخصوص أصول هؤلاء فهم من مواطني قرطاج والمستوطنات التابعة لها، بالإضافة إلى المرتزقة كالجنود والعبيد كمجدفين[8] وفي الحقيقة نجهل معظم المعلومات عن كيفية تسليحهم وتجنيدهم[9].

على الرغم من الإشادة التي حظى بها الأسطول القرطاجي من قبل المؤرخين، إلا أن حروب قرطاج البحرية لم تكن بالأمر اليسير، حيث كانت المناورات البحرية صعبة للغاية فمنذ أول ضربة كان يجب ثقب السفينة المعادية دون تعريض جانب السفينة لنفس النهاية

---

(1) – ميلود التوري، المرجع السابق، ص 40.

(2)- Polybius, I, 20.9-16.

(3) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص70.

(4) – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص111.

(5) – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص127.

(6) –سامي ريحانة، الفينيقيون...، المرجع السابق، ص 80.

(7) – الزراد فريد ، البحرية التونسية من العهود القديمة إلى عهد الولادة، (أعمال ندوة تاريخ الجيش التونسي من العهود القديمة إلى عهد التحول)، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 30-31أكتوبر1997، ص ص 89-94.

(8) – ريمة مليز، المرجع السابق، ص77.

(9) – أندريه ايمار و جانيين أبويه، المرجع السابق، ص ص 43-44.

ويفضل القرطاجيون الأساطيل المصطفة على صف، حيث يسرعون والشراع منزل، ويتوغلون بين السفن وطعنها من جوانبها، وكان الجنود مجهزين بماسك حديدية يعرف "بسلاح هارباقو" [1] لمسك سفن العدو لكنهم لم يكونوا يستعملونها لأنهم لا يحبون القتال البري[2]، ولكون الجنود أقلية فإنهم يستعملون لإرسال القذائف والأسهم والحجارة على السفن المعادية[3].

يساند الأسطول الحربي صفوة من السفن المعاونة منها السفن المراقبة لكشف الطريق أمام الأسطول، وتحذيره لأي خطر آت، وسفن الحراسة لحراسة الموانئ وسواحل المدن البحرية من الغزوات المفاجئة، لاسيما بعد غارة أجاثوكليس لسواحل بلاد المغرب القديم عام (310 ق.م) وكذلك حملة ريغولوس عام (256 ق.م)، والقوارب الصغيرة التي كان بعضها ملحق بالسفن لاستعمالها في طلب النجدة عندما تواجه السفينة حالات غرق، وبعضها مفردة كانت وظيفتها اجتياح موانئ الخصوم في حال ما لم تتمكن السفن الكبيرة من ذلك، جاء في بعض الكتابات القديمة أن "50 " قاربا قرطاجيا صغيرا قام عام (311ق.م) بغزو ميناء سيراكوزة المحاصر بعد عجز السفن الحربية الكبيرة عن ذلك، بالإضافة للسفن المراسلة التي كانت بمثابة الواسطة بين الإدارة القرطاجية وقادة الأسطول لإرسال أخبار المعارك وتلقي الأوامر والتعليمات[4].

طور القرطاجيون مراكب "تارشيش" [5] التي عرفت بها صور، وكانت هذه السفن تحت تصرف صانعيها وتجارها[6]، واستثمرت الحكومة القرطاجية هذه المراكب بتجهيزاتها لنقل جنودها ومعداتهم عند اندلا ع الحروب، وذلك بسب أن السفن الحربية لم تكن كثيرة العدد وفي فترات السلم تعمل البحرية الحربية على حماية وصيانة مداخل الأقاليم الخاضعة للحكم القرطاجي من القراصنة، كما تقوم في نفس الوقت بحراسة المراكب البحرية التجارية وفي زمن الحرب تهاجم أساطيل العدو[7]، و كان مجموع قوات الأسطول الحربي يتراوح بين "100و 200

---

[1] – ريمة مليزي، المرجع السابق، ص73.

[2] – استيفان قزال، المرجع السابق، ص330.

[3] – سامي ريحانة، الفينيقيون...، المرجع السابق، ص ص 81-82.

[4] – عبد العزيز حجازي عبد الفتح عمر حجازي، المرجع السابق، ص ص 70-74؛ ينظر أيضا:– سامي ريحانة، الفينيقيون...، المرجع السابق، ص ص79-80.

[5] – حول هذا النوع من السفن ينظر: – ريمة مليز، المرجع السابق، ص57.

[6] – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص70.

[7]– سامي ريحانة، الفينيقيون...، المرجع السابق، ص ص79-80.

" سفينة [1]، وفي حالة الحروب الشديدة يمكن للدولة تداول حوالي "350 " سفينة في آن واحد[2].

وكلت عمادة الأسطول لقائد من الأرستقراطية القرطاجية كان محله بحيرة صغيرة وسط الميناء الحربي منها يتولى أمر الأسطول، ويقضي الأوامر والإرشادات لرؤساء الملاحين والجدير بالذكر أن الإدارة القرطاجية لم تكن تميز بين قادة الأسطول "الأميرال البحري"، وقادة القوات البرية "الجنيرال البري" [3]، و غالبا ما تسند هذه المهمة لقائد ذو كفاءة يتولى قيادة الأسطول، وتارة قيادة القوات البرية، بل ربما تكلفه بالإشراف العام على الجيش برا وبحرا، لاسيما إذا ما كانت المعركة برية وبحرية، ومن المؤكد أن ساسة قرطاج كانوا حريصين على خلق الانسجام بين القوات البحرية والبرية لإحكام الحصار على الأعداء وتبديد جهودهم[4]. ففي أواخر الحرب البونية الأولى كان هملكار برقة قائدا عاما للجيش في صقلية بينما كان على رأس الأسطول البحري القائد حنون، وتحاشيا لما قد يحدث من تشويش وعدم توازن في حال ما تعرض قائد الأسطول لأي خطب يمنع بينه وبين القيام بمهامه، فقد كان لهذا القائد مساعد مكلف بالأسطول خصوصا ويخلفه بالنيابة عند الضرورة، وأيضا تتم استشارته فيما يمكن اتخاذه من تدابير خلال المعارك، ورغم أن الهيئة الحاكمة كان لها تدخلات بارزة في تحركات الأسطول الحربي إلا أنها كانت تترك لقادة الأسطول الحرية التامة في تجهيز سير الحملة، واتخاذ القرارات الملائمة للتصدي لأي عارض[5].

تمتع قائد الأسطول ايضا بأحقية التخلص من أي فرد على سفن الأسطول في حالة عصيانه، أو استغلاله لحظات إخفاق الأسطول لتأليب وخلق البلبلة، ففي عام (248ق.م) تمرد مرتزقة أسطول قرطاجي بمياه صقلية، فعمل قائده فصل بعضهم بنفيهم في مناطق نائية بالجزيرة وعاقب البعض الآخر بقبضهم وأسرهم ثم إرسالهم إلى عاصمة الدولة، وفي الوقت نفسه لم

[1] – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص70.

[2]- H. Slim et autres, Op- Cit, p88.

[3] – استقيان قزال، المرجع السابق، ص329.

[4] – سامي ريحانة، الفينيقيون...، المرجع السابق، ص ص80-81؛ ينظر أيضا: - ريمة مليز، المرجع السابق، ص ص 75- 76.

[5] – عبد العزيز حجازي عبد الفتح عمر الحجازي، المرجع السابق، ص ص89-90.

يكن للقائد الذي يخفق في أداء أعماله التي كلف بها من سبيل في مواجهة عقاب صارم وقاصي من الجهة المسؤولة "كما سبقت الاشارة إلى ذلك" [1].

في البحر المتوسط وعلى سواحله وجزره كدحت قرطاج إلى بسط سيطرتها العسكرية على أكبر عدد ممكن من المدن والجزر، وذلك حتى تضمن وجود مراكز ووكالات لتزويد سفنها بالمؤن، فضلا عن إنشاء الموانئ الحربية بها لاستخدامها كقواعد دفاع أولى عن سواحل بلاد المغرب، وأيضا كمحطات حراسة ومراقبة لمحاولة منع أي خطوة من جانب الإغريق تهدف للوصول إلى سواحل إسبانيا، وقد أوضحت حروب قرطاج مع الإغريق استراتيجية قرطاج واتجاهها للسيطرة على أكبر عدد من جزر المتوسط، فهي بذلك انفردت بموانئ على قدر كبير من الأهمية كما أضحت تلك الجزر نفسها قاعدة مهمة لتشكيل فرق من المرتزقة، وتوفرها على العديد من مقدرات الطعام والمؤن مكن الدولة القرطاجية من تموين قواتها في مناطق حروبها المختلفة[2].

لا شك أن خسارة تلك الجزر وسيطرة الرومان على جزء كبير منها مع نهاية الحرب البونية الأولى وما بعدها، أدى إلى انشقاق واضح في صلب الدولة القرطاجية وهشاشة جبهتها العسكرية، وذلك نتيجة لفقدانها مناطق نفوذ مهمة كانت عبارة عن مصادر تموين وأسواق تجارية عامرة[3].

2-2- الميناء العسكري:

إن من بين أهم ما يدل على عبقرية القرطاجيين في المجال البحري، هو مينائهم الضخم إذ استطاعوا انشاء ما يسمى بالميناء الاصطناعي والمعروف بالقاطون[4] (Cathon)، وهذا دليل على قدرتهم في التحكم والتعامل مع الظروف الطبيعة[5]، وقد بدأ هذا الميناء يشهد

---

[1] - عبد العزيز حجازي عبد الفتح عمر الحجازي، المرجع السابق، ص ص92-98.

[2] -Herodotus, Phoenicians, I,166; Il observe aussi:- Diodorus Siculus, XIV, 63.3-4.

[3] - نبيل قلالة، المتوسط....، المرجع السابق، ص ص122-123.

[4] - **القاطون**: اسم على ما يبدو مشتق من فعل سامي "قطع" "قص" أي "نحت أو اقتطع في الصخر"، وهي تشمل الميناءين التجاري والحربي. ينظر: -محمد الصغير غانم، معالم...، المرجع السابق، ص ص 86-87؛ ينظر أيضا: -فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو ...، المرجع السابق، ص71.

[5] - محمد الصغير غانم، معالم....، المرجع السابق، ص87.

توسعا وتطورا منذ القرن الرابع قبل الميلاد[1]، وتعد الموانئ بالنسبة لقرطاج قلب المدينة النابض وعمود حياتها، وذلك نظرا لارتباطها بحياة المدينة الاقتصادية والحربية والبحرية، وكان للمدينة البونية مرفآن واحد تجاري، والآخر حربي، ومن الجدير بالذكر أن شاتوبريان (Chateaubriand) هو أول من صرح بذلك خلال زيارته لقرطاج (1807 م)[2]، ثم عمل بيلي (M. Beule) على البحث في سنة (1859م) عن موقع هذين المرفأين فوجد آثارهما[3]، حيث أن الأسبار لم تسفر عما يتجاوز حدود القرن الخامس قبل الميلاد[4].

الجدير بالملاحظة أنها صدفتنا دراسات تعتقد أن نشأة الحوض التجاري كان في المنتصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد، بينما الحوض العسكري أنشئ بعد معركة زاما وقبل هذه الفترة اكتفى القرطاجيون بساحل رملي بسيط لإرساء سفنهم [5].

نود أن نعلق على أصحاب هذا الرأي بالقول، بأنه لا يمكننا موافقة هذا الطرح لسبب بسيط، وهو هل يمكن أن يتقبل عقل الباحث بأن يكون لقرطاج ميناء لا يليق بمكانتها حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد؟ وهي التي شهدت نموا وتطورا حضاريا كبيرا وصل ذروته في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، حتى إنها لقبت بمملكة البحار أو إمبراطورية البحر.

أشارت بعض الدراسات، إلى رفض فكرة اعتبار البحيرات الحالية هي مكان ميناء قرطاج، إلا أن الحفريات التي شغلت البحيرة المستطيلة ،تم العثور فيها على أنقاض مباني مهدمة، وكمية معتبرة من المسامير وبعض الأدوات اللازمة لصناعة السفن، وهذا ما يشير إلى أن المكان كانت به دور لصناعة السفن مما يرجح أن البحيرة القديمة كانت عبارة عن ميناء[6].

تم تحديد مكان الميناء شمال جون الكرم بين سلامبو ودرمش، حيث نشاهد اليوم بحيرتين إحداهما منبسطة ومستطيلة وهي القريبة من جون الكرم والأخرى مستديرة[7]، وعلى ما يبدو أن حجم هاتين البحيرتين كان صغيرا جدا مقارنة بالشهرة العالمية التي عرفتها موانئ

---

[1] – فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص36.

[2] – محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، المرجع السابق، ص17.

[3] - B.H. Warmington, Op- Cit, p114; Il observe aussi:- L.Carton, Le port marchand de Carthage, **(R.A)**, Paris, (Renet et S. Renach), T XVIII, 1911, pp 5-6

[4] – محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، المرجع السابق، ص17.

[5] -S. Moscati, Op- Cit, pp76-77.

[6]– ريمة مليز، المرجع السابق، ص95.

[7] -B.H. Warmington, Op- Cit, p140; Il observe aussi: - Ch. A. Julien, Op- Cit, p157.

قرطاج، فقد كانت بقايا المرفأ المستطيل حوالي "50 متر" عرضا "150 متر" طولا، بينما كانت بقايا المرفأ المستدير أكثر من "100 متر" في قطر الدائرة[1]، ومع ذلك لا يمكن تفنيد فرضية تطابق المرفأين مع البحيرتين السابقتين، لاسيما وأنه كان قد تم تدمير حي الموانئ هذا أولا وقبل سقوط المدينة أثناء الحرب البونية الثالثة، كما أعيد ترميمه واستخدامه مرة أخرى في العصر الروماني، ولقد تم إضافة منشآت هامة أخرى إلى الغرب من البحيرة المستطيلة، إلا أنها تعرضت لتدمير عام "306 م" بفعل زلزال قوي أدى بكل تأكيد إلى إجهاض ما تبقى من الآثار القديمة[2]. كما تبين من خلال الحفريات الأثرية التي قام بها بيلي أن هذا المرسى قد غطى التراب أكبر جانب منه، إلى درجة جعلت السكان هناك يزرعون الكروم والتين في ذلك المكان، الذي أطلق عليه اسم الكرم والذي كان في الماضي البعيد مجمع لسفن من مختلف أنحاء العالم القديم[3].(ينظر الملحق رقم "7"، ص284).

يهمنا في هذا الموضع هو الميناء الحربي والذي خصص للسفن الحربية، ولذلك عرف بالمرفأ الحربي[4]، وقد وصفته الكتابات الكلاسيكية على أنه مرفأ داخلي ذو شكل مستدير وكان قطر دائرته "1100 قدم" أي "325 متر"، وحوله أحواض تتسع ل "220 " سفينة حربية ومخازن للمعدات والأدوات البحرية[5]، وكانت السفن تصل من المرفأ التجاري إلى المرفأ الحربي بعد اجتياز قناة بمثابة المدخل المشترك الموجودة بينهما عرضها "70قدم" وقد جهزت بسلاسل ضخمة لفتحه وغلقه[6]، وقد أحيط هذا المرفأ بسرية تامة [7]، حيث لم يكن باستطاعة القادمين من عرض البحر أن يروا[8] بدقة ما يدور بالمرفأ، وحتى التجار الذين كانوا يدخلون

---

(1) - G. Herm, Op- Cit, p185.

(2) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص74.

(3) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 94-95.

(4) – محمد الصغير غانم، معالم ....، المرجع السابق، ص87.

(5) – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص 110. ينظر أيضا:

- Appian, XIV, 96.

(6) – محمد الصغير غانم، معالم ...، المرجع السابق، ص87؛ ينظر أيضا: – جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، تر: ربا الخش، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سورية، 1998، ص 164.

(7) – المرجع نفسه، ص164.

(8) – وما يدل على أن المرفأ الحربي كان مستتر لا يشاهد من الخارج يقال إنه عندما حاصر الرومان المرفأ حفر القرطاجيون ترعة وبنوا أسطولا دون أن يشاهدهم الرومان. ينظر: –سامي ريحانا، الفنيقيون...، المرجع السابق، ص79.

بسفنهم إلى المرفأ لم يكن بمقدورهم أن يلاحظوا بوضوح ترسانات الأسلحة، فقد أحيط كل ذلك بسور مزدوج يحتوي على بوابات يمر التجار عبر أول بوابة منها إلى المدينة دون المرور على المعدات العسكرية وأحواض السفن[1]، ولذلك كان من الطبيعي وجود الميناء الحربي بعد الميناء التجاري فكان الأول بمثابة الميناء الداخلي، والثاني بمثابة الميناء الخارجي[2].

كان الميناء الحربي يحتوي على رصيف كبير عرضه "9.35 م" وطول محيطه "1.21م" وبه أيضا حجرات لإيواء السفن عرض كل واحد منها حوالي "5.90م" وكان يوجد في مدخل كل حجرة عمودان من المرمر، وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأعمدة قد أقيمت كاملة بتيجانها وأفاريزها، مما جعلها في النهاية تبدو كرواق مستدير رائع المنظر، وقد أقيم فوق هذه الحجرات مخازن من أجل مستلزمات السفن وعتادها، ويوجد في وسط الميناء جزيرة مستديرة أيضا قطرها " 106م" ويحيط بها رصيف مماثل تماما للرصيف المقابل لها بحجراته وأعمدته، وكان طول محيطه " 333م" وكانت جملة الحجرات بالرصيفين المتقابلين "220 " حجرة منها "160-170" من أجل السفن الخماسية الصفوف من المجاديف[3]. وكان هناك أيضا رصيف عرضه "9.60 م" ويربط بين الجزيرة والرصيف المقابل ثم يؤدي إلى الطريق الموصل إلى السوق والساحة العامة[4].

أقيم في هذه الجزيرة مقر لمؤسسة عسكرية بمثابة وزارة البحرية والدفاع في الوقت الحالي[5]، كما شيد عليها المقر الخاص لسكنى الأميرال، وبرج عال يمكن من خلال شرفاته مراقبة الحركة في المياه المحيطة، وتصدر منه الإشارات بواسطة الأبواق والنداءات التي تنذر بالحرب[6]، وكذلك المرايا العاكسة لأشعة الشمس على مسافة طويلة[7]، فضلا عن الطرق والجسور الموصلة منه وإليه[8].

---

[1] – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو ....، المرجع السابق، ص ص 71-72.

[2] – جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، (ب ط)، القاهرة، 1948، ص311.

[3] – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص173.

[4] –أحمد صفر، المرجع السابق، ص97.

[5] – سامي ريحانا، الفنيقيون...، المرجع السابق، ص79.

[6] – فنيفريد إللغير، المرجع السابق، ص35.

[7] – جان مازيل، تاريخ الحضارة...، المرجع السابق، ص 165.

[8]– فرانسوا دوكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص71.

ثانيا) حروب قرطاج الأرستقراطية:

كانت الأرستقراطية القرطاجية مضطرة لاستخدام جيشها في مناسبات عديدة لاسيما وأنها استطاعت خلال هذه الحقبة مد سيطرتها الاقتصادية على نطاق واسع، وفي الحقيقة لم تتأت هذه السيطرة بسهولة بل لاقت مقاومة من قبل السكان المحليين، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه "التحديات الداخلية"، إضافة إلى مواجهتها مع منافسين آخرين، كما حدث أمام طغاة صقلية و الرومان ويمكن أن نطلق على هذه الحالة "التحديات الخارجية" ولابد من الإشارة قبل الشروع في بحث هذا العنصر بأننا لن ندخل في التفاصيل العسكرية لهذه الحروب، وسنقتصر على ذكر الأطوار والأحداث المهمة والمحددة لمسار بحثنا، وهي كتالي:

1- حروب قرطاج مع طغاة صقلية (409-272 ق.م):

تمت الإشارة فيما سبق بأن قرطاج في صراعها ضد الإغريق في الحوض الغربي للمتوسط كان موقفها في الغالب الأعم، يمثل موقف دفاعي عن مجالها الحيوي "الاقتصادي" وكانت طبيعة هذا الصراع في معظم الأحيان سلمية لا يهدف أي طرف من أطراف الصراع إلى إقصاء الآخر[1]، إلا أن التحدي الذي واجهته أرستقراطية قرطاج من طرف إغريق صقلية لم يكن تقلدي في كل مساره، بل اتخذ فيما يبدو أساليب متنوعة تداخلت فيها الأحداث وارتفعت فيها الخسائر، وتناقصت فيها الغنائم، واشتملت على العديد من المظاهر،كان أبرزها ظهور شخصيات إغريقية جرئية لعبت دورا بارزا في تأزم الموقف في جزيرة صقلية[2]، وقد عرفت هذه الشخصيات بالطغاة ونظام الطاغية (Turannos)، هنا ليس بالمفهوم المتجبر المتداول وإنما هي سياسة انتهجها هؤلاء الحكام يصبون من ورائها إلى هيمنة مدينة على المدن الأخرى، وهو ما فعله أغلب طغاة مدينة سيراكوزة بجنوب شرق صقلية ومدن أخرى[3].

كانت قرطاج تعمل على تقوية نفسها تحسبا إلى أي صراع قد ينشب بينها وبين إغريق صقلية بعد واقعة (480 ق.م)، وبالفعل حدث في عام (409ق.م) وأن هددت مدينة

---

[1] - نبيل قلالة، المتوسط ...، المرجع السابق، ص62.

[2] - B.H. Warmingoton, Op- Cit, pp45-113.

[3] - نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص58؛ ينظر أيضا: - ورويرت. ج. ليتمان، التجربة الإغريقية حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي 800-400 ق.م، تر: منيرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة، (ب ط)، (ب م ن)، 2000، ص65.

سيلينوتته "وهي ذات ولاء إغريقي" مدينة سيجيسته "وهي ذات ولاء قرطاجي"، واستنجدت هذه الأخيرة بقرطاج التي أرسلت جيشا إلى صقلية بقيادة حنبعل بن جزجو، وهو أحد خلفاء هملكار الذي فشل في هيميرا وقد نجحت حملة حنبعل تماما حيث دمر سيلونتته و هيميرا وذبح "3000" من الأسرى في المكان الذي سبق أن هزم فيه هملكار[1].

بعد ذلك بوقت قصير قاد حنبعل وهملكون بن حنون حملة أخرى في عام (406 ق.م) هاجمت أكريكانتوم وهزمتها ودمرتها بعد حصار طويل ومات حنبعل بالطاعون، ولكن ابن عمه هملكون استمر في هذه الحملات ودمر مدينة جيلا، وهكذا أصبحت صقلية مهددة بأكملها[2] بعدها تزعم ديونيسيوس السيراكوزي الحكم (405- 367 ق.م)، وبدأ في رد الفعل الإغريقي على الحملات القرطاجية فأنهى حالة السلم مع قرطاج (405 ق.م)، وتحرك للهجوم فأحرز انتصارات متتالية، وأخضع موتيا وخربها عام (398 ق.م)، وتدخل الأسطول القرطاجي بقيادة هملكون وهزم ديونيسيوس في معركة بحرية بالقرب من كاتانا، ثم حاصره في سيراكوزة ولكن ديونيسيوس استطاع أن ينجوا نظرا لانتشار وباء الطاعون في الجيش القرطاجي، وكان ذلك عام (396 ق.م)، ثم دارت بينهما معارك عام (393 ق.م) وسنة (392 ق.م)، انتهت بعقد معاهدة أعيدت بموجبها الحالة إلى ما كانت عليه (405 ق.م)، وتلت ذلك معارك من عام (382 ق.م) إلى موت ديونيسيوس عام (367 ق.م) أدت إلى مد الحدود القرطاجية إلى نهر هاليكوس[3] (Haycus)، وظلت كذلك نحو قرن من الزمن، وبذلك امتد سلطان قرطاج إلى نحو ثلث صقلية[4].

استؤنفت الصراعات بين القرطاجيين والإغريق في عهد تيموليون (Timoleon) الكورنثي الذي أعاد الديمقراطية إلى سيراكوزة، وفي عام (340 ق.م) حاز نصرا كبيرا على نهر كريميوس

---

[1] -يحي لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 154.

[2] - المرجع نفسه، ص 154.

[3] - **نهر هاليكوس**: يجري جنوب غرب جزيرة صقلية، وكان يشكل حدا فاصلا لأملاك القرطاجيين بالجزيرة منذ عام (367 ق.م)، وبالتالي صاروا يمتلكون ثلثها تقريبا، وقد تأكدت تلك الحدود مرة أخرى بعد عقد صلح عام (339 ق.م). ينظر: -محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ص 79-80.

[4] -فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص 121.

- R. Charles, Op- Cit, p338.

وأبرم في السنة التالية (339 ق.م) معاهدة بمقتضاها أصبحت الحدود عند نهري هيميرا وهاليكوس[1].

في ظل هذه الأوضاع التي كانت تجري في صقلية كان الإسكندر المقدوني قد وصل إلى الساحل الفينيقي عام (333ق.م)، وقد كانت "صور المدينة الأم لقرطاج" من أشد الرافضين له، ففرض عليها حصارا حتى سقوطها بيده بعد سبعة أشهر من الحصار، وجعل من الشاطئ الكنعاني منطقة للنفوذ الإغريقي، وكان ذلك يعد بمثابة ضربة عنيفة لقرطاج التي أصبحت تواجه، فضلا عن الوجود الإغريقي في صقلية خطر إمبراطورية إغريقية يمكن أن يمتد نفوذها إلى سواحل بلاد المغرب القديم[2].

يشير بعض المؤرخين [3] إلى أن الإسكندر كان يخطط لغزو قرطاج، حيث وجد معه بعد موته مخطط لبناء أسطول كبير يمكنه من احتلالها والوصول إلى أعمدة هرقل، وقد أرسلت قرطاج إلى الشرق ربما بدافع الخوف من التوسع المقدوني هملكار مبعوثا إلى الإسكندر لينال صداقته، وليعرف توجهاته العسكرية، وقد أرسل هملكار معلومات قيمة إلى المدينة البونية، ولكن عند عودته إلى وطنه أعدم بتهمة الخيانة ولم تشر المصادر إلى نوع خيانته، وفي هذا السياق يرفض الكثير من المؤرخين بأن قرطاج أرسلت وفدا للإسكندر لإعلان الصداقة والولاء لاعتبارها معلومات غير صحيحة فهي متأخرة أولا، ولا تستند إلى دليل تاريخي ثانيا ولا تنسجم مع سير الأحداث ومهما يكن من أمر الروايات القديمة فإن قرطاج شعرت بأهمية الخطر الذي يتهددها، ولا شك بأن تبدد ذلك الخوف بموت الإسكندر[4].

رأى بعض المؤرخين أن قرطاج قصرت في حق مدينتها الأم "صور"، لاسيما أن العلاقات التي كانت تربط قرطاج بمدينتها الأم كانت متميزة منذ التأسيس حتى الحدث الراهن، وتشهد

---

[1] - السيرجون.أ. هامرتون، العصر اليوناني المتأخر (تاريخ العالم)، تر: فؤاد أندوراس، مكتبة النهضة المصرية، (ب ط)، القاهرة، (ب ت)، مج3، ص 22.

[2] - محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص30.

[3] - محمود أمهز، مذكرات في تاريخ المدن الفينيقية، مطبعة كريدية إخوان، (ب ط)، بيروت، 1972، ص100.

[4]- محمود أمهز، المرجع السابق، ص101.

- Justinus, XII,13.

ذلك الاتفاقية التجارية التي وقعتها قرطاج مع مدينة روما سنة (348 ق.م) والتي أظهرت صور كشريكة لقرطاج في تجارة الحوض الغربي للبحر المتوسط[1].

قبل التسرع في إطلاق الأحكام نحتاج إلى نظرة واقعية على أحداث العاصمة البونية حيث لم يكن بوسعها أن تقدم أي شيء على الإطلاق، فالحرب التي خاضتها في صقلية طوال الفترة الماضية أرهقتها، هذا بالإضافة إلى تناحر العائلات الأرستقراطية القرطاجية على الحكم كما لم يكن بوسع قرطاج أن تقاتل في شرق المتوسط، وتترك حوضه الغربي، ومعه كل تجارتها تحت رحمة الإغريق، يضاف إلى ذلك قوة جيش الإسكندر، وتصميمه على فتح المدينة لعب دورا حاسما في ثني قرطاج على القيام بأي تحرك عسكري، فالإسكندر كان يريد صور لسببين الأول ديني وهو ادعاؤه أنه سليل الآلهة "زيوس-ملكارت"، وبالتالي من حقه أن يتصل بوالده ملكارت إله المدينة والثاني عسكري يتمثل في رغبة الإسكندر في حرمان الفرس من قوة صور الضاربة، وقد يكون الإسكندر يرمي أيضا إلى تأديب صور على دورها الفعال في الحرب الفارسية على بلاد اليونان، ولا شك أن قرطاج كانت تدرك هذا الواقع، لذلك رأت أن لا فائدة من مواجهة هذا الغازي[2].

بالعودة إلى أحداث الحوض الغربي فقد خلف تيموليون في حكم مدينة سيراكوزة رجل قوي عمل على إعادة السيادة السيراكوزية وهو أجاثوكليس، وواجهت قرطاج هذا الخطر الجديد بين عامي (311 و 310 ق.م)، مما أضطرها إلى إرسال حملة كبيرة بقيادة هملكار بن جيسكون، الذي تمكن من تحقيق النصر على السيراكوزيين[3]، ولم يستسلم أجاثوكليس للهزيمة بسهولة بل سرعان ما ابتدع خطة حربية، فقد قام بإنزال"14.000 " جندي في صميم أراضي بلاد المغرب القديم عام (310 ق.م)، وأن يشعل النار في سفنه بعد إنزال جنوده على الساحل مما كان له الأثر السيء في نفوس القرطاجيين، حتى أن الذعر وصل بهم إلى الالتجاء إلى معبوداتهم، والتقرب إليها بالقرابين ولاسيما التضحيات البشرية من أبناء النبلاء[4].

(1) - محمود أمهز، المرجع السابق، ص 101.

(2) – المرجع نفسه، ص 101.

(3) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص302.

(4)- محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص249-250.

ضاعف القرطاجيون استعدادهم العسكري لحماية الدولة من هذا الخطر المباشر، فتألف جيش قرطاجي من " 40 " ألف من الجنود المشاة، وعدد كبير من الفرسان والمركبات الحربية بقيادة حنون و بوملكار، وحدثت أولى الصدامات[1].

تمكن أجاثوكليس من الانتصار على الرغم من بعده عن المراكز في صقلية وسقط حنون صريعا، وتحرج موقفه نتيجة عدم توفر قوات برية تكفيه لمحاصرة قرطاج، بينما تراجع بوملكار بعد ما هرب جنوده، وكذلك هملكار في صقلية لم يتمكن من ضرب الإغريقيين والصقليين في سيراكوزة، بل وصل الكيد بالسيراكوزيين إرسال رأس هملكار إلى أجاثوكليس بالمغرب تأكيدا على انتصارهم[2]، الأمر الذي زاد في دعمه المعنوي، وقد أتبع أجاثوكليس السرعة في تحركاته الحربية كسبا للوقت، إذ كان يهدف إلى حصار مدينة قرطاج نفسها[3]، فضلا عن ذلك حاول تدعيم قواته بقوة خارجية، فأتفق مع أوفللاس (Ophellos) أحد حراس الإسكندر المقدوني السابقين، وحاكم برقة[4] (Barca) واعدا إياه بمنحه حكم بلاد المغرب القديم بعد الانتصار على قرطاج[5]، وتحقق ذلك فعلا وأتجه أوفللاس بقوته إلى برقة لمساعدة أجاثوكليس الذي كانت قواته تحاصر قرطاج[6].

كان تحالف أجاثوكليس مع أوفللاس ناجما عن توافق المصالح بينهما، فقد كان الأخير يطمح ببسط نفوذه على سواحل بلاد المغرب القديم كلها، بينما كان أجاثوكليس يرغب بدوره أن يستولي على صقلية ويقضي على النفوذ القرطاجي في الجزيرة، في هذا الوقت كانت قرطاج تعاني من مشاكل داخلية، إذ حاول بوملكار قلب نظام الحكم في المدينة، إلا أنه قتل بعد أن فشلت محاولاته[7]. لذلك أستغل أجاثوكليس هذه الأوضاع، فقتل حليفه أوفللاس وأستولى

---

[1]- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص204 -205؛ ينظر أيضا:

-M. A. Deluxe, Op- Cit, p29.

[2] – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص205.

[3] – محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص250.

[4] – **برقة:** مدينة وإقليم شرق ليبيا، ويعتقد أن الفينيقيين توطنوا برقة الليبية بادئ الأمر بعد ما توطنها الإغريق. ينظر: – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص86.

[5]-Didours Siculus, XX, 40.1-3, 41.1-2, 42.1-3.

[6] – محمد بيومي مهران، حركات التحرير في مصر القديمة، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة، 1976، ص ص348 – 350.

[7] -S. Lancel, Op- Cit, p197.

على جيشه، ثم هاجم بعض المدن القرطاجية وأحتل أوتيكا وهيبو أكرا (Hippo Acra) "بنزرت" [1]، وبعد مدة قصيرة أبحر على رأس قوة صغيرة إلى صقلية بغية تحرير سيراكوزة المحاصرة. غير أن القرطاجيين سرعان ما انتهزوا فرصة سفر أجاثوكليس إلى سيراكوزة، وإسناد قيادة قواته في المغرب إلى ولده أركاجثوس (Archagethus)، فقاموا بتجهيز ثلاثة جيوش لتأمين الدولة من الحصار المضروب حولها، وقد نجحت الجيوش القرطاجية في مهمتها، الأمر الذي أضطر أجاثوكليس إلى العودة للمغرب[2].

أصبح من الصعب إنقاذ الموقف، فاسترجعت قرطاج جميع ممتلكاتها في بلاد المغرب وفي صقلية، ولكن يبدو أنها دفعت تعويضا ماليا لأجاثوكليس لقاء انسحابه الكلي من بلاد المغرب، وتجنبت الدولة القرطاجية خطر داهم، وكانت قد خربت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في الأعوام الثلاثة (310-307 ق.م) التي قضتها قوات أجاثوكليس في الأراضي المغاربية قبل إرغامها على الرحيل منها[3].

لكن الخلاف اندلع من جديد بصقلية سنة (279 ق.م)، ولم يكن هذه المرة مع إغريقي صقلية بل مع بيروس، الذي استغل طلب النجدة من مدينة ترنتوم الإغريقية ضد روما لتحقيق حلما كان يراوده وهو بناء امبراطورية واسعة على غرار امبراطورية الإسكندر تكون قاعدتها ترنتوم، لاسيما وأنه كان متعطش للنصر، اكتسح بروس جنوب إيطاليا و كامبانيا "بوسط إيطاليا" وحقق انتصارات على روما، ولكنه لم يتوصل إلى فرض معاهدة عليها[4].

في ظل ذلك الوقت وجه أنظاره إلى صقلية بدعوى حماية سيراكوزة التي تزعمت أنها كانت مهددة من طرف قرطاج، هذا وقد توقعت هذه الأخيرة ذلك منذ أن حل بيروس بإيطاليا فسعت إلى إبقائه بها، وأقنعت روما بإبرام معاهدة حلف معها سنة (279 ق.م)، وهي الثالثة والأخيرة من نوعها وقد أقرت على التحالف بينهما من أجل التصدي لبيروس، وفي

---

(1) – محمود أمهز، المرجع السابق، ص101.

(2) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص205.

(3) –محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص251.

(4) – السيرجون أ. هامرتون، بداية سلطان روما (تاريخ العالم)، تر: أحمد علي، مكتبة النهضة المصرية، (ب ط)، القاهرة، (ب ت)، مج3، ص ص 194-195.

الحقيقة استغلت روما تلك المعاهدة لردعه وإفشال مفاوضات السلم معه علما وأنها لم تقدم أي مدد لقرطاج أثناء حملة بيروس عليها[1].

اجتاح هذا الأخير كامل المجال القرطاجي بصقلية وسيطر عليها باستثناء ليليبيوم، ثم عاد إلى إيطاليا إلا أنه انهزم مرة أولى في عرض البحر من طرف قرطاج، ومرة ثانية بإيطاليا من طرف روما، فعاد أدراجه إلى ايبيروس فاسحا المجال للعاصمة البونية لاستعادة نفوذها بصقلية وإقرار سلطتها بالمتوسط[2]، و بعودته إلى بلاد الإغريق كان يهدف للإستيلاء على مقدونيا غير أنه سرعان ما قتل عام (272 ق.م) في حرب أهلية[3].

هكذا انتهت هذه المرحلة التي تعد واحدة من أصعب المراحل التي واجهت أرستقراطية قرطاج الحاكمة، فقد تعرضت الدولة القرطاجية جراء هذا الصراع للعديد من المصائب الموجعة فعلاوة عن فقدانها لعدد من كبار قادتها، أمثال هملكار بن ماغون الذي قتل في هيميرا من عام (480 ق.م)[4]، وحنبعل بن جيسكون الذي توفى بوباء الطاعون بعد معارك عام (406 ق.م)[5]، وهملكون الذي انتحر بعد هزيمته في موتيا عام (398ق.م)[6]، وماغون الذي قتل في معارك (382 ق.م). كما فقدت عام (339 ق.م) حوالي "2500 " شاب من أبناء الطبقة الأرستقراطية في معركة كريميوس بصقلية[7]، وحوالي "2000 " شاب في حملة عسكرية تعرضت للغرق عند سواحل صقلية[8]، إضافة إلى الأزمات الصحية التي كان يتعرض لها مرتزقة قرطاج حيث كان لها التأثير الواضح في ميادين القتال من جهة تحويل الانتصارات إلى هزائم، ومن ذلك أن القرطاجيين انتصروا على الإغريق عام (406 ق.م) في أكراكاس، لكن

---

(1) -R. Charles, Op- Cit, p359.

(2) – نبيل قلالة، قرطاج....، المرجع السابق، ص 61.

(3) – إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 135-136.

(4)- Diodorus Siculus,1946,Vol, 4, XI, 24.1-2.

(5) – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص78.

(6) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص198.

(7) - B. H, Warmington, Op- Cit,p 456.

(8)- M. A. Deluxe, Op- Cit, p33.

هذا الانتصار فقد قيمته أمام موت الكثير من الجند بوباء الطاعون مما اضطرهم إلى عقد صلح مع الإغريق[1].

كما نجم عنها الانتقامات والأحقاد الشخصية، وظهرت بوضوح في الحملة العسكرية التي أرسلتها قرطاج (409 ق.م) للانتقام لهزيمة هيميرا، وكانت بقيادة حنبعل الذي كان يتوق للأخذ بثأر جده هملكار الذي قضي نحبه في معركة هيميرا، وتم له ذلك بالفعل، حيث حقق انتصارا كبيرا على قوات سيلونتة وسيراكوزة، وأسر عدد كبيرا من جند الإغريق وأقتحم مدينة هيميرا بعد ما سوى أسوراها بالأرض، وقدم "3000" من أسراه قربانا للآلهة حيث قتل جده[2]، يضاف إلى ذلك الحرب النفسية حيث اتجه بعض طغاة صقلية من أمثال ديونسيوس إلى شن حملات دعائية والتشهير بقرطاج ونعتها بأنها العدو الأول للإغريق والصقليين على حد سواء[3]، كذلك حملة بيروس الدعائية في شتاء (277-276 ق.م) التي تفشت بين الجنود والإبحار حول فكرة البعثة العظيمة التي يهدف من خلالها أن يهزم قرطاج في عقر دارها[4].

اختراع أسلحة وأساليب قتالية جديدة منها المنجنيق الذي وضع تصميمه منهدسون أغريق على عهد ديونسيوس حاكم سيراكوزة لاستخدامه في قذف بكرات المعدن والأثقال لمئات الأمتار، وكان أثره حيال ذلك فوريا[5]، كما زاد عدد المجدفين على سفن أسطول سيراكوزة لزيادة قوته وفاعليته في المناورات والمعارك الحربية وركز اهتمامه على دراسة الخطط الحربية لأعدائه للتعرف على طرقهم في القتال ونقاط ضعفهم و الإستفادة من ذلك في معاركه معهم[6].

رغم تعدد الانتكاسات التي تعرضت لها قرطاج أمام الطغاة، إلا أنها تمكنت من الحفاظ على ممتلكاتها في غرب جزيرة صقلية، ولم تستطع المدن الإغريقية المتفرقة بما كانت تثيره من قلاقل وحروب أن تحقق غايتها وتبعد القرطاجيين بشكل نهائي[7]، لكن عمليات الصراع

---

(1) - محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 78.

(2)- R. Charles, Op- Cit, p 332.

(3) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 198.

(4) - M. A. Deluxe, Op- Cit, p32-35.

(5) - محمد الخطيب، المرجع السابق، ص ص 109-110.

(6) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص ص 198-199.

(7) - الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص45.

الشديدة "السابقة الذكر" سرعان ما عاودت كرتها مرة أخرى مع قوة جديدة مهمة في ميدان البحر المتوسط، كانت تترقب الأحداث الجارية حولها عن كثب وهي القوة الرومانية[1]، ويروي المؤرخون أن بيروس وأثناء انسحابه كان أول من توقع النزاع بين قرطاج وروما قائلا: "**إننا الآن نترك الساحة خالية لقرطاج وروما ليتصارعان"**، وحقا اندلع القتال بين قرطاج وروما بعد أحدى عشرة سنة فقط من مغادرته لصقلية[2].

2- الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م):

ما إن تحررت أو بصيغة أوضح تخلصت أرستقراطية قرطاج من طغاة الإغريق، حتى وجدت نفسها في مواجهة حاسمة مع الدولة الرومانية، وهو عدو عنيد ومختلف تماما عن الإغريق من حيث المنهج والأهداف والتفكير، فماهي ملامح الحرب البونية الأولى؟ وكيف تعاملت معها أرستقراطية قرطاج؟ .

تعد الحرب التي خاضتها قرطاج بصقلية فاتحة الحروب التي سوف يصفها المؤرخون الأوربيون بالحروب البونية، وهي الحرب التي خسرت على إثرها قرطاج صقلية نهائيا، مع العلم أن العلاقة بين قرطاج وروما حتى(278 ق.م)[3]، كانت علاقة قائمة على المعاهدات فلم يكن بينهما أي نزاع عن المصالح، لاسيما إذا ما علمنا أن اقتصاد روما قائم على الزراعة، بينما اقتصاد قرطاج قائم على التجارة[4]، إلا أن شرارة الحرب بدأت بهجوم شنه هيرون (Hiéron) "حاكم سيراكوزة" على مسانا، وإعلانه الحصار بغية طرد المارتيين[5] (Mamartins) البرابرة منها والاستفراد بالسيطرة على شرق صقلية كلها بعد أن استولى المارتيين على مسانا عقب سقوط ريجيوم، ولمواجهة الحصار بحث الممارتيون عمن يساندهم ويناصرهم ضد سيراكوزة وانقسموا إلى صنفين، فريق طلب نجدة روما، وفريق استغاث بقرطاج[6].

---

(1) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 205.

(2) - M. A. Deluxe, Op- Cit, p35.

(3) - الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص56.

(4) -Polybius, III, 22.1-13; Il observe aussi:- Titius Livius, VII.27.3-4.

(5) - **الممارتيين**: هم مرتزقة من كامبانيا "الواقعة بجهة نبولي" رجال قساة ذوي طباع متوحشة، وهم جبليون من جنوب إيطاليا، كان همهم القتل والسطو تعطشا للمال، نسبوا أنفسهم إلى الإله مارس، واستولوا على مسانا. ينظر:- الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص ص 56-57.

(6) - الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص56.

إن إلحاح روما على ضرورة السيطرة والاستحواذ على صقلية بما فيها القواعد القرطاجية جعلها تستغل مشكلة المرتزقة المامرتيين لتشعل فتيل الحرب، وترسل جيشها لاجتياح صقلية عام (263ق.م)، وحصار سيراكوزة التي انضم حاكمها إلى القرطاجيين، ولم يلبث بعد حصار الرومان له أن تحول إلى جانبهم[1]، وحوالي عام (262 ق.م) هاجم الرومان مدينة أكريكانتوم التي كان يعسكر فيها جيش قرطاجي، وتمكنوا من اقتحام المدينة وتدميرها[2]، لقد كان لانتصار الرومان في أكريكانتوم وبروز تفوقهم العسكري على القرطاجيين نتائج فورية إذ أكسبهم هذا التفوق ثقة كبيرة بأنفسهم، وجعلهم يتبنون سياسة التوسع الاستعماري خارج حدود شبه الجزيرة الإيطالية[3].

عرفت الحرب خلال (260 ق.م) مرحلة جديدة حاسمة تمثلت في دخول روما أولى مواجهاتها البحرية في واقعة ميلاي على إثر معركة ليباريا (Lipari) بعد أن قامت ببناء أول أسطول لها، ويذكر أن السفن الخماسية المجادف صنعت على منوال السفن القرطاجية[4]، وقد حقق القنصل الروماني دويليوس (Duilius) خلال هذه المعركة انتصارا مها، وكان لهذا الانتصار أبعاد معنوية هامة جدا إذ نزع على الرومان عقدة التفوق البحري القرطاجي، لاسيما وأنها ستردف هذا الانتصار بآخر في مواجهة بحرية كلاسيكية في واقعة رأس إكنوموس[5] (Ecnomos Cape) سنة (256 ق.م)[6].

---

(1) – إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 255.

(2) -Ch. A. Julien, Op- Cit, p103.

(3) – إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 256.

(4) – من المتداول في الكتابات التاريخية أن الرومان اتخذوا بقية سفينة قرطاجية هجرها بحارتها نموذجا لبناء أول أساطيلهم، ويبدو في هذا القول شيء من المبالغة والطرافة لا يمكننا تصديقه، فروما حديثة العهد بالبحر وقوتها العسكرية ذات طابع بري وليس بحريا، وأقدم مؤسسة بحرية تم تأسيسها في روما للإشراف على الشؤون البحرية كانت سنة (311 ق.م)، وهو زمن قصير لا يمكن لروما أن تجاري به عظمة قرطاج البحرية حتى تقلد صناعة سفنها الحربية، فلابد لها من تجربة قديمة ومعرفة سابقة يمكن أن يتطور تحت ظروف الحرب لتكون أسطولا يلعب دوره إلى الجانب الجيش البري، وربما وجدت في حلفائها من الإغريق من يتكفل لها بذلك فتمكنت من بناء أسطولها الأول في زمن قصير ليظهر للوجود حوالي (260 ق.م). ينظر: –مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص41؛ ينظر أيضا:

- Polybius, I,20. 10-16, 21.1-4; Il observe aussi:- W.W, Tarn, "The Fleets of the First Punic war", **(J. H. S)**, London, Vol, 27, 1907, p50.

(5) – **رأس أكنوموس**: يقع على الساحل الجنوبي الغربي لصقلية جنوب مدينة أكراجاس. ينظر:

-H. Dexter, Op- Cit, p 182.

(6) – أمين سلامة، التاريخ الروماني، دار الفكر العربي ، ط1، القاهرة 1959، ص158؛ ينظر أيضا: – ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص468.

في إطار سعي روما لإثبات وجودها البحري قررت سنة (256 ق.م) غزو بلاد المغرب القديم على غرار أجاثوكليس، وذلك حتى تجبر قرطاج على إجلاء صقلية فأعدت للغرض "350 " سفينة و "50" ألف جندي، ولما كان الأسطول الروماني متوجها إلى سواحل بلاد المغرب القديم اعترضه في جنوب صقلية الأسطول القرطاجي برأس أكنوموس بجنوب غرب الجزيرة حيث دارت المعركة، وفي حين كان القرطاجيون يتجنبون الاقتراب من السفن الرومانية خوفا من الوقوع في فخ الكورفوس فرض الرومان عليهم معركة كلاسيكية لم يتوقعها القادة القرطاجيون، وفقدت خلالها قرطاج "94 " سفينة مقابل "24" سفينة رومانية فقط، وهو ما زاد الرومان ثقة في نفوسهم وفي إمكانياتهم في المواجهات البحرية، وقد أثبتوا أن القرطاجيين لم تعد لهم كما في السابق السيادة في البحر سيادة كادت أن تكون أسطورية[1].

أصبحت الطريق مفتوحة نحو سواحل بلاد المغرب القديم عامة وقرطاج خاصة حيث نزل الجيش الروماني وعلى رأسه القائد ريغولوس بأسبيس "قليبية" (Clypea) التي كانت تسمى (Aspis) باليونانية[2]، وقام باجتياح مدن عديدة بالوطن القبلي من بينها كركوان[3] التي تم تدميرها نهائيا هذه المرة، ونهب خيراتها وجمع الغنائم وأسر حوالي "20" ألف نفر في طريقه إلى قرطاج أدخل هذا الزحف الرعب في الدولة القرطاجية خاصة، وقد فشل قادتها في مواجهة القائد الروماني في معركة تبعد حوالي "40كلم" عن تونس، وأمام هذا العجز على إيقاف الخطر الداهم عليها انتدبت قرطاج القائد اكسانثيبوس وهو مرتزق إسبرطي "كما سبقت الإشارة لذلك"، والذي بفضله حققت قرطاج انتصارا ساحقا على ريغولوس سنة (255 ق.م)، كانت هزيمة القنصل الروماني ثقيلة إضافة إلى تحطم أكثر من "180 " سفينة رومانية جاءت لنجدته فضلا عن الجنود الذين يتراوح عددهم ما بين "25000 و 70000 " ألف جندي، بحيث يمكن القول إن قرطاج استعادت قوتها من جديد[4].

---

(1) - نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص121.

(2)- H. Dexter, Op- Cit, p182.

(3) - **كركوان**: تقع هذه المدينة في أقصى الوطن القبلي بين قليبية والهوراية، وبناء على الروايات الشفوية والرسوم العقارية يبدو أنها كانت تسمى تامزراط (Tamozrat)، ينظر: - محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، المرجع السابق، ص25.

(4) - نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص 122.

بعد ذلك دخلت الحرب في طورها الأخير، والذي يمكن أن نطلق عليه مرحلة كسب المواقع بغرب صقلية، وقد انهزمت خلاله روما في عدة معارك فقدت أثنائها سفنا كثيرة واستعادت قرطاج السيطرة نسبيا على الوضع، وقد حافظ هملكار برقة على مرتفعات إيركس (Eryx) المنيعة بغرب صقلية، لكن روما ستتمكن من قلب الأوضاع بفضل رؤوس الأموال الكامبانيين الذين تعهدوا ببناء أسطول يعد "200 " سفينة، وهذا دليل على تشبثهم بالحرب والنصر، أبحر هذا الأسطول بقيادة لوتاتيوس كاتولوس بالجزر الآغاتية وتمكن سنة (241 ق.م) من قطع السبيل على أسطول قرطاجي، كان يحمل مددا لهملكار برقة[1] فهلك منه ما لا يقل عن "120" سفينة عندها أمرت قرطاج هملكار بإنهاء الحرب واقرار السلم مع كاتولوس[2].

انتهت بهذا الشكل هذه الحرب الكثيرة الخسائر، والغير ضرورية غير ضرورية، لأن مصالح روما الأمنية بالكاد تضررت نتيجة لوجود القرطاجيين في صقلية، ومن جهة أخرى لم تعد صقلية ضرورة حيوية بالنسبة لقرطاج خلال هذا العصر[3]، وتوجب الآن على القرطاجيين الانسحاب من الجزيرة، وبالطبع إطلاق سراح الأسرى دون فدية، والتعهد بعد مهاجمة هيرون ملك سيراكوزة مرة أخرى، أو غيرها من حلفاء روما، وبدفع جزية موزعة على عشر سنوات مقدارها "2200 " تالينت فضة[4].

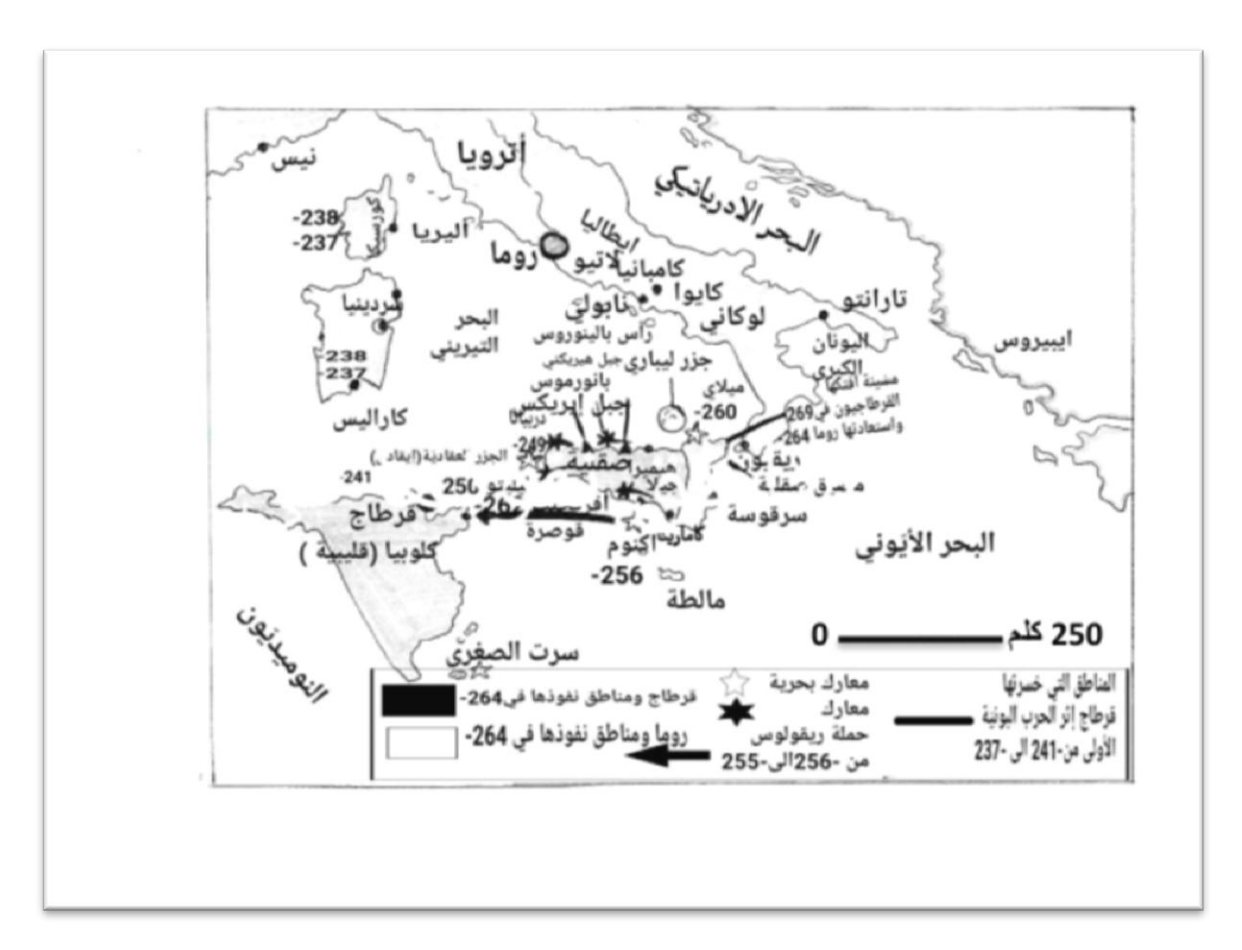
---

[1]- عين هملكار قائد للجيش القرطاجي في صقلية (247 ق.م)، وظل يناوش الرومان لمدة أربعة أعوام، وبعد هزيمة قرطاج عند جزر ايغات، كلفته قرطاج لعقد الصلح مع العلم أنه لم ينهز ولا مرة واحدة طوال أربعة أعوام، وبعدها عاد إلى منزله ،الذي يرجح أنه كان على الساحل التونسي، أما جنوده فقد جعل أمرهم في يد جيسكون. ينظر: -الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص 61.

[2] – نبيل قلالة، المتوسط...، المرجع السابق، ص122.

[3] –فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص 129.

[4]- R. Charles, Op- Cit, p385.



الخريطة رقم "4": تبين المعارك التي وقعت خلال الحرب البونية الأولى والأراضي التي خسرتها قرطاج جراءها.

نقلا عن: – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص60. (بتصرف).

3– الثورة اللوبية (241–237 ق.م):

تجدر الإشارة قبل الشروع في التطرق إلى الثورة اللوبية[1]، تنويه القارئ إلى أنه وبعد هزيمة القرطاجيين في معركة هيميرا على أيدي الإغريق سنة (480 ق.م)، اضطرت قرطاج إلى تغيير سياستها في الحوض الغربي للمتوسط، حيث عملت على اختزال تعاطيها في التعامل مع

---

[1] – **الثورة اللوبية**: لقد عرفت هذه الثورة في الكتابات الكلاسيكية بعدة تسميات "حرب المرتزقة" و"حرب لوبيا" و"حرب إفريقيا". أما نحن فرأينا أنه من الإنصاف أن نطلق عليها الثورة اللوبية لأسباب قد تكون مقنعة كون كان أهم عنصر فيها هم اللوبيين حيث ساهموا بكل ما لديهم من طاقة مادية وبشرية ومعنوية، فالقيادة في مستوى القمة كانت لوبية والتعبئة في مستوى القاعدة كانت لوبية والشعارات التي رفعت كانت شعارات لوبية محلية ينظر: –محمد العربي العقون، "من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241–237 ق.م)"، **مجلة العلوم الإنسانية**، قسنطينة، ع 21، جوان 2004، ص 208؛ ينظر أيضا:

- Polybius, I, 70.7, 72.1-7, 75.1-11,88.5.

المجال البحري، لاسيما وأن التجار الإغريق في كل من صقلية وقورينة[1] (Cyranica) أصبحوا بمثابة الحاجز الذي يعيقهم، مما استلزم على قرطاج في ظل هذه الوضعية أن تعيد النظر في جميع سبل حياتها، وأن لا تعتمد على التجارة وحدها بل لابد أن تعطي للزراعة مكانتها اللازمة، وهنا يبدأ ما يعرف بسياسة قرطاج الإفريقية[2].

فضلت قرطاج الاتجاه نحو التوسع على حساب بلاد السكان الأصليين اقتصاديا وركزت اهتماماتها هذه المرة على الزراعة، فامتد سلطانها على الأراضي اللوبية، ووصل إلى الأماكن الخصبة، كما اقتطع أعيان قرطاج مساحات شاسعة لأنفسهم، حشدوا فيها الرقيق والسكان عمالا مستأجرين، وأدخلوا على زراعتهم الوسائل المتطورة لتحسين الإنتاج وتحقيق أكبر قدر من الأرباح ربما لتعويض ما فقدوه في معركة هيميرا، أو لخلق البعد الاستراتيجي استعدادا لمواجهة القوى المتنامية في البحر المتوسط[3]، ومن المرجح أن هذا السبب وغيره من الأسباب أدى إلى ردود فعل عميقة عند اللوبيين، فقاموا بالتمردات والانتفاضات والثورات ضد قرطاج وأظهروا روح الاستقلال عنها[4].

الحقيقة ليس يسمح المجال هنا للتطرق لجميع انتفاضات السكان المحليين على الدولة القرطاجية وسياستها، وقد أجمع أغلب الباحثين بأن أسبابها تجمعت منذ معركة هيميرا التي انتهت لصالح الإغريق، ولم تسهب الكتابات القديمة في الحديث عن هذه الثورات فقد جاءت فقط في شكل شذرات على الأخص في نصوص ديودور الصقلي وبوليب [5].

---

[1] – **قورينة**: تتموقع قورينة في منطقة خليج السيرت (Syrtes)، وقد حدد العالم القوريني إراتوسثنس زمن تأسيسها بسنة (1336 ق.م)، إلا أنها اتخذت بداء بسنة (631 ق.م) نظاما ملكيا على النمط الإغريقي. ينظر: -محمد الصغير غانم، نصوص بونية...، المرجع السابق، ص150؛ ينظر أيضا: -عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص259.

[2] – محمد الصغير غانم، المملكة...، المرجع السابق، ص 32.

[3] – ب.هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص 456؛ ينظر أيضا: -محمد الصغير غانم، المملكة...، المرجع السابق، ص ص33-34.

[4] – مها عيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم (دراسة تاريخية لغوية حول الواقع الثقافي قبيل الاحتلال الروماني)، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009، ص ص 51-52؛ ينظر أيضا: -أحمد صفر، المرجع السابق، ص204.

[5] – محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...، المرجع السابق، ص ص 54-59؛ ينظر أيضا: -محمد الصغير غانم، المملكة...، المرجع السابق، ص ص 32-36.

غير أن هذه الثورات لم تؤد إلى استحواذ اللوبيين على السيادة لافتقارهم إلى التنظيم الدقيق والقيادة الموحدة التي تتولى توجيههم، ضف إلى ذلك أن هذه الانتفاضات كانت وليدة لمواقف آنية تصطاد كبوات قرطاج في مواجهاتها للأخطار، كقيام حروب أو انتشار مرض أو مجيء غاز، ولهذا كان يأتي رد فعل سريع تجاه مواقف ضعف قرطاج أمام أعدائها من الإغريق والرومان[1].

تبقى أهم ثورة حسب وجهة نظرنا ضد التواجد القرطاجي خلال الحقبة المدروسة الثورة اللوبية بقيادة موتون[2] أو "ماطوس" (Matus) ، فقد كانت بمثابة مقدمة لثورات اللوبيين المنظمة في المنطقة بأسرها، ليس ضد القرطاجيين فحسب، بل سيمتد رفضهم من هذه اللحظة لكافة أنواع الاستعمار والتسلط الأجنبي، الذي ستعرفه منطقة بلاد المغرب القديم فيما بعد[3].

أغلب الكتابات القديمة، وحتى الدراسات الحديثة لم تنظر إلى هذه الثورة إلا من الزاوية الرسمية السطحية، واعتبرتها "ثورة مرتزقة" نتيجة عجز قرطاج عن دفع أجور مرتزقتها الذين عادوا من صقلية، في حين أغفلت سبب انضمام اللوبيين الذين مثلوا الجزء الأكبر من هذه الحرب، وكانوا على دراية كبيرة بالتناقض بين قرطاج المؤسسة وقرطاج المدينة، فما يربطهم بالدولة القرطاجية وسكانها الأصليين مختلف تماما عما يربط المرتزقة بمؤجريهم، وإذا ما أردنا تتبعها من حيث المبدأ سنجد لهذه الحرب بعدان، وهما كتالي [4]:

- **البعد الأول**: عسكري قصير المدى، يدخل في مجال السياسة الخارجية للحكومة القرطاجية، ويتحدد حسب العقد الظرفي المتفق عليه بين الإدارة العسكرية القرطاجية والمرتزقة في الجيش القرطاجي، والعلاقة بين الطرفين علاقة مادية تنتهي بانتهاء المدة المتفق عليها في العقد [5].

---

[1] -أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص204-205.

[2] – **ماطوس**: هكذا جاء في النص الإغريقي عند بوليب ، لكن الصيغة البونية لهذا الاسم هي موتون، وهو زعيم ليبي قاد الثورة اللوبية. ينظر: –حبيب البلطوقي، المرجع السابق، ص 283؛ ينظر أيضا:

- Ch. A. Julien, Op- Cit, p107.

[3] – فوزي فهيم جاد الله، المعارك والمواقع الهامة بين الليبيين والمستعمرين الإغريق والرومان، "نص محاضرة ألقيت في قاعة ابن غلبون بمركز الجهاد"، طرابلس 1981 ، ص 7.

[4] – حبيب البقلوطي، المرجع السابق، ص 288.

[5] – المرجع نفسه، ص 283.

- **البعد الثاني**: اجتماعي-شعبي طويل المدى، يرتبط ارتباطا مباشرا بالسياسية الداخلية للحكومة القرطاجية، يدخل في إطار العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم مبنية على أسس أخلاقية وسياسية أكثر منها علاقة مادية تعاقدية، وهي دائمة ومستقيمة يسيرها قانون التكامل الجدلي بين هرم السلطة والقاعدة الإنتاجية[1].

إن خسارة قرطاج للحرب البونية الأولى وما ترتب عنها من خسائر جعلها عاجزة عن الإيفاء بمستحقات مرتزقتها، الذين عادوا من صقلية في حوالي "20 " ألف جندي أو يزيد بقليل (241ق.م) رغم أن القائد جيسكون آخر قادة قرطاج في صقلية، و الذي عمل كاحتياط على تنظيم عودتهم في شكل دفعات، وكان جيش قرطاج في صقلية يضم في صفوفه حسب ما جاء عند بوليب جنود مرتزقة من إيبيريين وباليارين وغاليين وليقوريين ومنشقين عن الجيش الروماني أغارقة وإيطاليين[2]، إضافة إلى العنصر الغالب والأهم وهم اللوبيين الناقمين على قرطاج بسب رفعها قيمة الضرائب، التي بلغت حينذاك نصف المحصول من الحبوب والمواشي لتغطية نفقاتها مع روما دون السماح بالإعفاء من أي ضريبة، أو حتى تخفيض جزئي للفقراء [3]، وزجها للكثير من أبنائهم في الحرب بعد تجنيدهم قسرا[4].

مرت هذه الحرب بمراحل، وأبانت عن تطورات مختلفة، كما فسحت المجال لبروز شخصيات متميزة لدى الطرفين اذ ظهر في جانب الثوار زعماء حقيقيون سرعان ما تمكنوا من القيادة، وحفظت لنا الكتابات التاريخية أسماءهم ومن هؤلاء[5]، موتون اللوبي وقد ساعده في قيادة جيشه كل من سبانديوس (Spenddius) العبد الكمابني وهو من المنشقين عن الجيش الروماني، وأطاريت (Autarit) من أصل غالي[6]، ومن الجانب القرطاجي تذكر حنون الموحد القائد العام للجيش القرطاجي المرابط في لوبيا وجيسكون، وأهمهم على الإطلاق هملكار برقة

---

[1] – حبيب البقلوطي، المرجع السابق، ص284.

[2] – نقلا عن: -الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص62.

[3] – محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...، المرجع السابق، ص100.

[4] - Polybius, I, 70.2-5,72.2-6

[5] – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص63.

[6] – محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...، المرجع السابق، ص100.

الذي استنجدت به قرطاج لإنقاذ الموقف، وقد ساعده نارافاس (Naravas) النوميدي وضابط قرطاجي اسمه حنبعل[1].

يعتقد أن هذه الثورة انطلقت من سكاونييرية بعد أن انظم إليها اللوبيون، ولأن هؤلاء الأخرين كانوا على علم تام بدواخل بلادهم، فلقد عرفوا كيف يختارون طريقهم جيدا، حيث انطلقوا من سكاونييرية وقطعوا أكثر من "160 كلم" إلى تونس قبالة قرطاج بدون أن يتعرض أي أذى بالأرض اللوبية على طول المسافة التي قطعوها[2].

بات أمر قرطاج أمام قوة ثائرة، تتشكل من الجند الذي يطالبون بأجورهم القديمة والجديدة، ومن أبناء السكان المحليين، الذين يئنون تحت وطأة وظلم القرطاجيين، وكانت القيادة لموتون الذي دعمه الأهالي من سكان المدن المجاورة ومن الأرباض الريفية، حيث كانت النتيجة أن السكان الذكور لم يحتاجوا إلى تحريض على الثورة فمجرد رسول كان كافيا، في حين أن النساء، اللواتي شهدن باستمرار اعتقال أزواجهن وآبائهن لعدم دفع الضرائب أو ألحاقهم قسرا بالخدمة العسكرية، ملزمن رسميا بالقسم في كل المدن لإخفاء أي شيء من ممتلكاتهم ، وتجريد أنفسهم من جواهرهن ساهمت في تمويل الثوار وجاءه مدد قوامه "70 "ألف رجل، وهذا ما يدل على أن ثورته شملت أغلب طبقات السكان المحليين[3]، وبذلك تحول الأمر من تمرد أطلقه المرتزقة إلى ثورة شاملة تبناها وأعلنها اللوبيون كادت أن تقوض أركان دولة قرطاج[4]، حيث دامت هذه الثورة أربعين شهرا (241-237 ق.م)[5].

على ما يبدو أن الرومان رؤأ أنه ليس من مصلحتهم فوز الثوار المتحمسين على الزعامات القرطاجية التي تسير في طريقها للاندحار على أيديهم، فربما لو قدر لثورتهم النجاح فمن شأنها أن تعرقل سياسة روما التوسعية في بلاد المغرب القديم، فبعد أن أمدت روما الثائرين بالمؤن والعتاد لإشعال فتيل الثورة وزعزعة الأوضاع الداخلية استغلت الفرصة وطالبت قرطاج

---

(1) – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص ص63-65.

(2) – حبيب البقلوطي، المرجع السابق، ص ص 287-288.

(3)- Polybius, I, 72.1-7.

(4) – محمد العربي العقون، من تداعيات...، المرجع السابق، ص ص 201-202؛ ينظر أيضا: – محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية....، المرجع السابق، ص102-103؛ ينظر أيضا:–محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص21.

(5) – عبد المنعم المحجوبي، ليبيا..، المرجع السابق، ص309.

بالتنازل عن جزيرتي كورسيكا[1] (Corsoca)وسردينا ، ثم وجدت أنه صار من المناسب الآن أن توقف تموين الثورة وتسمح لهملكار برقة بتجنيد مرتزقة ايطاليين لقمع الثوار[2]، هذا الأخير الذي يعتبر من أشهر قادة قرطاج، وقد أبان على الصرامة والشدة أثناء حروب صقلية ضد الرومان، وقد استدعته الدولة القرطاجية لقمع هذه الثورة، لاسيما اذا ما علمنا أنه كان خبير بشؤون الجنود المرتزقة، فقد كانوا يحاربون تحت أمرته في الضفة الشمالية لغرب المتوسط ويعرف نقاط قوتهم وضعفهم ويعرف كيف يفرقهم[3].

عاد القائد القرطاجي لإخماد هذه الثورة، وانضم إليه حوالي "70" ألف مقاتل من القرطاجيين، من الذين دفعتهم العاطفة والتحمس للدفاع عن كيانهم، وإن كانوا غير متمكنين من فنون الحرب[4]، وقد لقي مساعدة من نارافاس (Narafas) القائد النوميدي الذي وضع نفسه هو وخيالته تحت امرته، وبعد خلاف هملكار مع حنون انضم إليه حنبعل كقائد مساعد[5]، كما دعمته قرطاج بسلفية مالية استدانتها من القائد الإغريقي هيرون الثاني ملك سيراكوزة[6]، ومع سماح روما له بتجنيد فرق ايطاليين[7] أصبح لديه في المجموع حوالي "10.000" [8]رجل، وبات طريق هملكار سهلا لإجهاض هذه الثورة، حيث أستطاع تفريق صفوف الثائرين، ووقع في قبضته كل من أوتاريت واسبنديوس وقائد لوبي آخر يدعى زرازاس وتم إعدامهم[9]، ولاحق هملكار موتون مع من تبقى من جنوده وانتهت الملاحقة بأسره، وقد أرغم موتون على العدو في شوارع قرطاج بينما يلاحقه أهالي المدينة ويرمونه بالحجارة ويضربونه إلى أن مات[10].

[1] – **كورسيكا**:إحدى الجزر التي شهدت تنافسا جادا بين الإغريق والقرطاجيين. ينظر: –إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 56–57.

[2]- Ch. A. Julien, Op- Cit, p103.

[3] – محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية....، المرجع السابق، ص 103.

[4] – المرجع نفسه، ص 103.

[5] – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص 64.

[6] – محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية....، المرجع السابق، ص 103.

[7] – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 87.

[8]-Polybius, I,72.3-1

[9] – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص 66.

[10] – عبد المنعم المحجوبي، ليبيا...، المرجع السابق، ص 309.

لاشك أن هذه الثورة أخذت تتطور وتطبعت بأشكال مختلفة منذ انطلاقتها، لا سيما منذ تولي هملكار برقة قيادتها، حيث أصبح الطرفان المتخاصمان ينظران لبعضهما نظرة الحقد والحقد أحد الشهوات التي قد تتسلط على حياة فرد من الأفراد، وأن هناك نوع من الأمزجة أشد ما يكون عرضة له، وهذا المزاج على أتم استعداد للنظر إلى الحياة نظرة تقوم على الميلودراما الانتقامية العنيفة، وفي هذا المجال تخبرنا النصوص القديمة عن بعض الفصول الانتقامية في هذه الحرب، فقد تمكن هملكار من أسر سبعمئة أسير، منهم من قطعت أطرافهم وألقى باقي الأسرى أحياء في قبر واحد، كما قبض على قسم آخر تم تقييدهم وألقوا تحت أقدام الفيلة التي ظلت تطؤهم حتى لقوا حتفهم جميعا[1]، وبدافع التشفي نكل الثوار بجيسكون ورفاقه الذين كانوا سجناء عندهم تحت التعذيب، كما عمل موتون على الانتقام لمساعيديه سبانديوس وأطاريت بقتل القائد القرطاجي حنبعل مع ثلة من رفاقه وثلاثين شخصية قرطاجية من الوجهاء الذين قدموا قربانا لأرواح صديقيه[2]، حتى أن بوليب قال عن هذه الثورة والمواجهات:" **بأنها كانت أكثر الحروب فضاعة وأشدها وحشية، وأن ما سفك فيها من دماء لم يشهد له التاريخ مثيلا** [3]".

مهما كان الأمر فقد مثلت هذه الحرب كارثة على البلاد وسكانها. كما على حكامها، ورغم أن أغلبية الدراسات قد اتفقت على تسميتها "بحرب المرتزقة"، فإن أحداثها ومراحلها التي حاولنا عرضها، ولو بسرعة تجعلها تبدو أقرب إلى حرب أهلية قابلت وجه لوجه بين السلطة المركزية "قرطاج"، وبين طائفة كبيرة من السكان، وكشفت هذه الحرب بجلاء عن الأخطاء التي ارتكبتها الأرستقراطية القرطاجية في ادارتها لشؤون الإقليم اللوبي، ولعل ذلك ما جعل بوليب يطلق عليها تسمية "الحرب الأفريقية" [4].

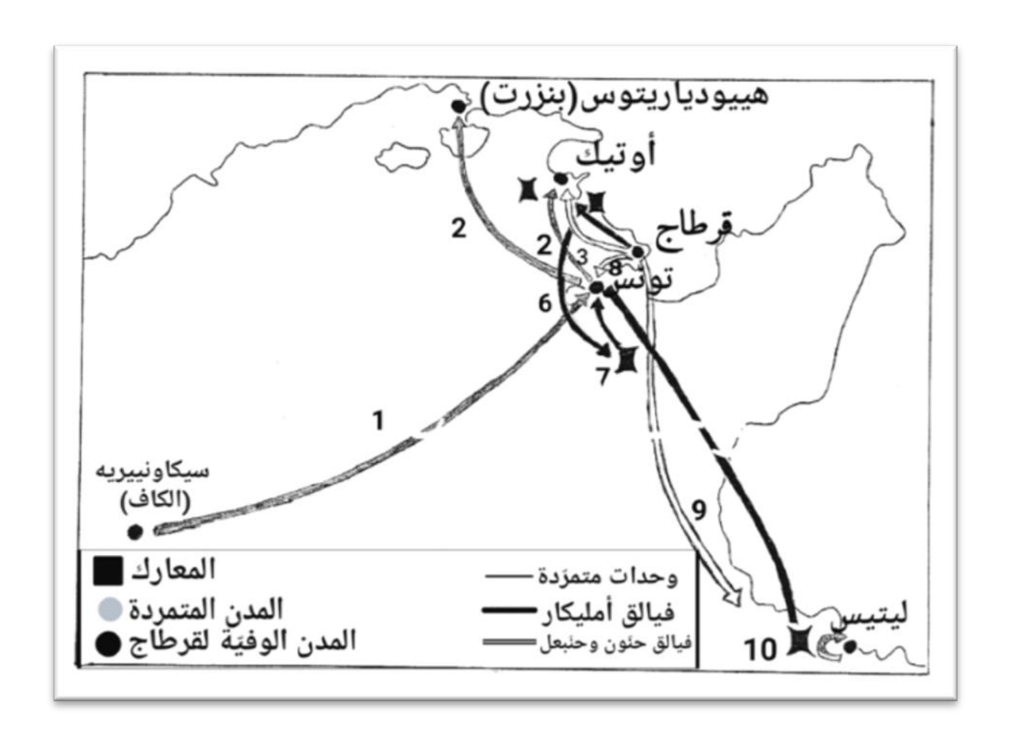
---

(1) – عبد المنعم المحجوبي، ليبيا...،المرجع السابق، ص 309.

(2) – محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...، المرجع السابق، ص ص 104-105.

(3) – نقلا عن:- عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 309.

(4) – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص67.



خريطة رقم"5": توضح أهم المعارك التي حدثت خلال الثورة اللوبية بناءا على معطيات بوليب.

نقلا عن: – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص60. (بتصرف).

خرجت قرطاج من هذه الحرب أشد انهاكا، وأضعف من حالها عند نهاية الحرب البونية الأولى، وبينت الحرب أن الشعور القومي تطور لدى السكان المحليين مما جعلهم يرفضون أن يكون ترابهم مصدر للمداخيل والعائدات لقرطاج، وأن يظل الأهالي يرضخون لها تحت وطأة الضرائب[1]،كما أبانت هذه الثورة عن بداية ظهور انشقاق في المؤسسة السياسية والعسكرية في قرطاج، إذ رسخت في أذهان ساستها ذوي العقلية المادية أن الحرب لم تعد مشروعا أو استثمارا مربحا، وأنهم لكي يحافظوا على مصالحهم الاقتصادية لابد لهم من السعي وراء السلم مع روما مهما كلفهم ذلك، لكن المعارضة بزعامة هملكار برقة وأنصاره كانت أبعد نظرا بحيث استشعرت بحسها الخبير في شؤون الحرب أن السير في طريق مهادنة روما سيؤدي بقرطاج إلى الفناء، ونتيجة لهذا المد والجزر الذي وقع وسط المنظومة السياسية والعسكرية لقرطاج

[1] – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص67.

استطاعت أسرة آل برقة أن تسيطر على السلطة العليا بمساعدة وتأييد من طرف الشعب، وبهذه الخطوة مهد آل برقة بدخول قرطاج لحقبة جديدة وهي المرحلة الديمقراطية[1].

ثالثا) العتاد الحربي والسلاح:

1- التحصينات العسكرية:

كان على القرطاجيين أن يواجهوا الحضارات والهجمات الموجهة ضدهم، لذا تداركوا لمثل هذه الأخطار نتيجة لصراعهم مع الإغريق أولا ثم الرومان ثانيا، فأنشأ سكان المدينة خطوطا دفاعية قوية للغاية، حولت مدينة قرطاج إلى معسكر حصين يحيط به سور واسع[2].

شيدت قرطاج أسوارا ذات خصائص وأحجام هائلة أثارت دهشة معاصريها لاسيما المؤرخين القدامي في القرن الثاني قبل الميلاد[3]، و يعود بناء هذه التحصينات إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت على مرتبة عالية من المتانة والصلابة، حتى أنها تصدت في كثير من الأوقات في طريق محاولات اختراقها من قبل خصومها [4]، وبلغ طولها "34كلم" وارتفاعها "13م" وسمكها "9 م" [5]، وتم الكشف عن سلسلة هذه الأسوار عن طريق التصوير الجوي بواسطة القائد دوفال (R. Duval) سنة (1949م)، فكان السور الأول خارجي عبارة عن خندق[6] عميق[7] كان يحيط بقرطاج بعرض "20 م" معزز بحواجز[8]، ويستطيع الناظر من الطائرة أن يلاحظ بسهولة ما تبقى من آثار الخندق حول موقع قرطاج القديمة[9]، ويلي الخندق سوران يتخللهما عدة أبراج دفاعية يفصل بينها والآخر" 60م" [10]، ولم يبق من ذلك السور

---

(1) - محمد صفا، المرجع السابق، ص75؛ ينظر أيضا: - فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص131.

(2) - فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص ص66-68.

(3) - المرجع نفسه، ص ص68-69.

(4)- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص179.

(5)- Ch. A . Julien, Op- Cit, p154.

(6) - محمد الخطيب، المرجع السابق، ص110.

(7) - حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص76.

(8) - محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 110.

(9) - محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص112.

(10)- أندريه ايمار وجانيين أبويه، المرجع السابق، ص45؛ ينظر أيضا: -أحمد صفر، المرجع السابق، ص101.

المزدوج أي أثر، ويفترض قزال أن حجارته قد نقلت من مكانها بعد تدمير مدينة قرطاج لبناء قرطاج الرومانية[1].

استغلت الجدران الداخلية للسورين بعد تقسيمها إلى طابقين سفلي وعلوي، وذلك باستغلال الجدران الداخلية له[2] حيث ضم ثكنات ومستودعات للعتاد الحربي والمؤن، فقد خصص جزء منها كمقر يأوي الجند حيث اتسع إلى حوالى " 20 " ألف من المشاة و "4000" فارس، وفي الوقت الذي خصص فيه جزء من الطابق السفلي كإسطبلات تستوعب "300" فيل مع ما يلزمها من مؤن غذائية كاملة، كان بالطابق العلوي إسطبل يتسع " 4000" حصان بصحبة مخازن للأعلاف والشعير، مع وجود طرق تساعد الخيول على الهبوط منها والصعود إليها بطريقة سهلة[3].

إضافة إلى ما تم ذكره أقام القرطاجيون قلعة داخلية عرفت بيبرصة، وهذه القعلة تعلوا الهضبة التي بنى بها القرطاجيين سلسلي الفينيقيين عند نزولهم بخليج تونس معبد أشمون (Eshmoun)، وقد كان يحيط بالقلعة سور بطول "3كلم"، ويعتقد أن هذه القلعة وسورها كانت من القوة والحصانة ما جعلها تقف في وجه الرومان حوالي ستة أيام بعد انهيار المدينة على أيديهم، كما يفترض أنها كانت ذات سعة ومساحة بحيث استقبلت، أو احتوت بصورة أدق ما يقارب "55.000" ألف من سكان المدينة لجأوا إليها هروبا من همجية الرومان[4].

مهما كانت خصائص أسوار قرطاج وزمن تشييدها، فقد كانت تمثل بالفعل مؤسسة دفاعية ذات أهمية للعاصمة البونية، إذ انكسرت أمامها أغلب إن لم نقل كل محاولات الأعداء من القادة الإغريق والرومان، الذين اتبعوا استراتيجية نقل الحرب من مجالهم إلى منطقة بلاد المغرب القديم قصد احتلال مدينة قرطاج قبل القرن الأول قبل الميلاد[5]. وما يجب الاشارة إليه بأن كثيرا من هذه المعدات التي كانت تبدو في تلك الحقبة حديثة في الحوض الغربي للمتوسط

---

(1) – نقلا عن: –حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص76.

(2)– رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص179.

(3) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص69؛ ينظر أيضا:

(4)- Appian, XIX. 128.

(5) – محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي....، المرجع السابق، ص112.

لابد وأنها كانت معروفة منذ زمن بعيد في الحوض الشرقي[1]، ومن المحتمل أن قرطاج عرفتها من الوطن الأم "صور" في حين كان الصوريون قد أخذوا بدورهم الكثير منها عن الأشوريين خصوصا فيما يتعلق بأساليب الحصار[2].

لكن يبدو أن هذه التحصينات "السابقة الذكر" لم تكن تشمل كافة أرجاء المدينة فقد كان السور الذي يحمى منطقة ميغارة عبارة عن جدار بسيط يحاذي شاطئ البحر، كما أنه في نقاط أخرى كان ينتصب فوق الصخور المشرفة على الشاطئ، وربما كان ذلك نابعا من إحساس القرطاجيين بتفوق وقوة أسطولهم البحري الذي كان يحرس هذا الشاطئ[3].

2- السلاح:

استخدمت قرطاج إلى زمن اندلاع الحروب البونية عدد معتبر من العجلات الحربية في مواجهة الإغريق، حيث كانت ترسل مع جيوشها قوات من العجلات الحربية إلى الخارج عبر البحار إلى صقلية وغيرها، ويروي ديودور الصقلي أن عدد العجلات التي يجر كل منهما زوج من الخيل يصل فيها إلى " 2000" عربة، ونعتقد أن هذا العدد فيه نوع من المبالغة وقد يدل على الأكثر بأن العربة الحربية كانت سلاحا رئيسا في الجيش القرطاجي[4].

لا يستبعد أنهم عرفوا استعمالها من الشرق، حيث كان قتال العربات من الأمور المعتادة والعربات الحربية الشرقية كانت إلى زمن السلوقيين تزود أحيانا بسيوف ومناجل، ومن المحتمل أن العربات القرطاجية كانت كذلك أيضا[5].

في المقابل هناك من الباحثين من يعتقد أن القرطاجيين عرفوا العربة من سكان بلاد المغرب، فمن خلال دراسة النقوش في الصحراء ثبت أن العربة ليست وسيلة ترف في الصحراء وإنما هي وسيلة نقل وأداة حرب نظرا لكثرة رسومها ونقوشها واتساع رقعتها على امتداد الصحراء، وتظهر بشكل جلي في موطن الغرمنت[6] (Garamantes)، فقد عرفها سكان

(1) – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 109.

(2) – أندريه ايمار وجانيين أبويه، المرجع السابق، ص45.

(3) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص ص 69-70.

(4) – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص109.

(5) – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص134.

(6) – **الغرمنت**: سكان جنوب ليبيا القدامى عاصمتهم غرمة، وينطقها البعض جرمة، وجاءت في كتابات هيرودوت غرامنتس، وبحسب البحوث الأثرية التي اجريت على بعض القبور، فيبدو أنهم كانوا ينتمون إلى أربع مجموعات=

الصحراء منذ الألف الثانية قبل الميلاد، واعتماد القرطاجيين عليها في حروبهم دليل على توسعهم في المناطق الداخلية وتغلغلهم في الصحراء، ومن ثم ليس من المستغرب أن ينخرط سكان الأرياف والدواخل ضمن جيش قرطاجة أسوة بأبناء المدن الساحلية مما نجم عنه الاستفادة من الوسائل الحربية[1].

يبدو أن صرف النظر من طرف القرطاجيين عن استعمال العربة يتفق ووقت ادخال الفيل كحيوان للقتال، ولكن لا يجب أن نفهم وجود صلة مباشرة بين إدخال أحد الأسلحة والإقلاع عن استعمال أخرى، وقد أدخلت الفيلة[2] في حروب البحر المتوسط بعد أن التقى بها اليونان في حروب الإسكندر بالهند، ولما كان لقرطاج مورد قريب يعيش الفيل في قطعان متوافرة في جبال الأطلس والمناطق المجاور المحيطة، وهذا أمر اتفق علماء الطبيعة على صحته، وأشار إليه كل من هيرودوت وبوليب وأبيان، وعرف هذا النوع من الفيلة عند العلماء بالفيل الإفريقي[3].

اتخذت قرطاج الفيل عنصرا فاعلا في جيوشها ابتداء من أوائل القرن الثالث قبل الميلاد[4]، حيث دفع صراع بيروس مع قرطاج هذه الأخيرة لتعمل على تطوير جيشها، وتصنع كما صنع هذا الأخير مستنبطة نفس الطريقة منه لذلك فعمل القرطاجيون على اصطياد الفيلة الإفريقية من الغابات القريبة، وبعد ذلك يتم ترويضها وتدريبها على الحرب[5]، وكان يسوقها

=سلالية إثنان منهما بيضاء، وواحدة زنجية، والرابعة مزيج من هذه السلالات، وقد وصفهم هيرودوت بالقوة والمنعة، واستخدام العربات التي تجرها الجياد. ينظر: -عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص233.

- Herodotus, Histories, IV, 183.2-4.

(1)- القاسم بن محمد كابر، الرسوم والنقائش السحرية في موريتانيا، (المؤتمر العربي الثالث عشر للآثار النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي ، الجماهرية العظمي)، طرابلس، 1-7 أكتوبر 1995، ص24.

(2) - **الفيلة**: تذهب أغلب الدراسات لاعتبار أن الفيلة استخدمت كسلاح لأول مرة في الهند، وعن الهنود أخذها الإسكندر الأكبر وخلفاءه. ينظر: محمد صفا، المرجع، ص ص 42-44؛ ينظر أيضا: -فوزي مكاوي، "الفيل الإفريقي ودوره في الحروب القديمة"، **مجلة الدراسات الإفريقية**، القاهرة، ع6، 1977، ص 209؛ ينظر أيضا:

- H.H, Scullard," The African Elepant", **(N. C)**, London, Vol, 11, N° 42, 1951, p5.

(3) - نقلا عن:-حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص54.

(4)- M. A. Deluxe, Op- Cit, p33.

(5) - جيمس ويللارد، المرجع السابق، ص30؛ ينظر أيضا:

- R. A. Gabriel, Soldiers' Lives through History (The Ancient World), Greenwood Press, London, 2007, pp260-261.

سائق بمنخس ويزود الفيل بنوع من الدرع الواقي لجسمه، وقد وصل عدد الفيلة في المعارك الكبرى بين "50 و100 " فيل [1].

كانت أول المعارك التي استخدمت فيها قرطاج الفيل كسلاح عام (255 ق.م) ضد الجيش الروماني، الذي كان تحت إشراف القنصل ريغولوس، حيث بلغ عدد الفيلة القرطاجية في هذه المعركة حوالي "100 " فيل [2]، ومن المعتاد أن توضع الأفيال في مقدمة الجيوش لبعث الرعب في صفوف الأعداء وإثارة خيلهم، فضلا عن تدمير الأسوار والاستحكامات، ورغم أن استخدام الفيلة لم يكن مأمون الجانب إذ أنها قد تتحول إلى سلاح مضر يفتك بأصحابه ويدفعهم للتخلص منهم، إضافة إلى أن الفيلة لم تكن قادرة على الغارات إلا في الأراضي المستوية[3]، ولكن القرطاجيين تمكنوا من استغلالها بمهارة واستخدامها في معاركهم[4].

أكد الجيش القرطاجي فعالياته في سلاح القذف بواسطة المقلاع (Catapulte) في الحروب الصقلية ضد الإغريق، وقد اعتبر القرطاجيون أنفسهم مخترعي آلة رأس الكبش أوكبش اقتحام الأسوار (Bélier)، ويبدو أنه كان معروفا لدى الأشوريين من قبلهم وأغلب الظن أن الفينيقيين عرفوا الأوربيين به، واستخدم هذا النوع من الأسلحة من طرف حنبعل الماغوني في حملته على المدن الإغريقية بصقلية (409 ق.م)، وبفضله استعاد مدينتي سيلينوتته وهيميرا، ولكن الإغريق سرعان ما تفوقوا على منافسيهم القرطاجيين باختراعهم المنجنيق[5].

أما عندما نحاول التساؤل، هل من الممكن معرفة العتاد والأسلحة المستعملة في ذلك الوقت من قبل الفرق المختلفة للجيش القرطاجي التي أشرنا إليها فيما سبق؟،

إن الإجابة عن هذا السؤال تبدو صعبة في ظل قلة الوثائق، ولا يملك الباحث حول هذا الموضوع إلا بعض الإشارات التي جاءت في كتابات القدماء وهي في معظم الأوقات تلميحة

(1) – صلاح أبو السعود، المرجع السابق، ص ص 171-172.

(2) - R. Charles, Op- Cit, pp368-371.

(3) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص91؛ ينظر أيضا:

– Ch. A. Julien, Op- Cit, p126.

(4) – صلاح أبو السعود، المرجع السابق، ص171.

(5) – محمد الصغير غانم وآخرون، المقاومة ....، المرجع السابق، ص ص 189-190.

ومبهمة، وقد تمثلت في أغلب الأحيان في ذكر السيوف والسكاكين والخناجر والرماح والأقواس والسهام والتروس والدروع[1].

يبدو بأن الجيش القرطاجي استعمل العديد من الأسلحة المتنوعة وإن بقيت بدائية بحسب بعض الدراسات معللة السبب في ذلك بعدم وصول السلاح القرطاجي إلى درجة عالية من الاتقان والتطور، كون الدولة القرطاجية لم تنشئ جيشا دائما تحت السلاح على الرغم من حروبها المستمرة، كما لم تستبعد وجود تنوع في الأسلحة من فرقة إلى أخرى بل وفي الفرقة الواحدة، ولكنها غالبا ما تمثلت في أسلحة بسيطة وخفيفة[2]، والكثير من الجنود لم يكن لديهم سيوف أو خوذ أو دروع، حتى أن العديد من جنودها اعتمدوا على الأسلحة التي كانوا يغنمونها في معاركهم[3]، في قبال ذلك يذهب بعض المؤرخين لاعتبار أن الدولة القرطاجية لم تدخر جهدا لتوفير كميات هائلة من المعدات الحربية، كما شجعت لإنشاء مصانع الأسلحة لاسيما الخفيفة منها، وكانت تلك المصانع ضخمة وفيرة الإنتاج خاصة عندما تكون الدولة في حالة حرب[4].

من وجهة نظر أخرى هناك من الدراسات التي تعتبر أن سلاح الجيش القرطاجي ظل متواضعا إلى غاية الحرب البونية الأولى على الأقل لسببين قد يكونان منطقيان، الأول هو أن الجيش القرطاجي كان متفوقا في البداية في حروبه ضد الإغريق، وخلال المراحل الأولى للحرب البونية الأولى عدديا وتقنيا، إلا أن شعور الدولة القرطاجية بالكفاية وعدم تطويرها للأسلحة واستنباط طرق جديدة في الحروب جعلت الخصوم يلتحقون بالقرطاجيين في هذا الميدان بسرعة ويتفوقون عليهم[5]، أما الثاني عدم وجود جيش ثابت تحت قيادة دائمة، ولهذا كان التباين واضحا في المعدات والآلات الحربية حتى أصبح لكل معركة ظرفها الخاص وسلاحها وصناعتها الآنية، وعموما وحسب ما توصلت له الدراسة يمكن القول بأن الفصل في هذه المسائلة

---

(1) – محمد الصغير غانم وآخرون، المقاومة ....، المرجع السابق، ص 173.

(2) – محمد علي عيسى، "الفن في منطقة شمال إفريقيا"، **مجلة التراث الشعب**، (ب م ن)، ع1، 1992، ص 49.

(3) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص90.

(4) – محمد علي عيسى، الفن...، المرجع السابق، ص50.

(5) – نبيل قلالة، المتوسط....، المرجع السابق، ص122.

صعب وغامض، ذلك لأن المعطيات الأثرية المعتمدة لم توضح الكثير حول هذا الموضوع، حتى إنها ما زالت لم تتوصل إلى اكتشافات ذات قيمة توثيقية في هذه الموضوع[1].

كل المعطيات الأدبية والأثرية المتوفرة حاليا، تدفع في اتجاه التأكيد على أن أرستقراطية قرطاج التزمت بتحمل مسؤولية الذود على المجال الفينيقي، في الحوض الغربي للمتوسط وحمايته من أي محاولة اعتداء، وهذا ما كلفها إنشاء مؤسسة عسكرية ذات أعباء جسيمة، وذلك بما يتوافق مع رؤيتها، الأمر الذي ضمن لها السيطرة على المناطق الحيوية واحتكار الاقتصاد بها ومع ذلك ظهرت خلافات بين المؤسستين السياسة والعسكرية حول الكيفية التي يجب أن تسير وفقها الدولة، حيث اتخذت هذه الخلافات اشكالا تدرجت من الليونة إلى العنف، كانت تحمل فيما يبدو بذور الانسجام والتوافق بينها في صورة أو أخرى، غير أنها لم تؤد في النهاية لذلك، وإنما اصطدمت بجملة من النزاعات الانفصالية، لا سيما عقب الثورة اللوبية التي سببت منعكسا لا يمكن التغلب عليه في طريق أي توافق حقيقي بين المؤسستين السياسية والعسكري.

[1] - فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص ص 90-92.

-Diodorus Siculus, XX,42.3-5.

الفصل الرابع:

الحياة الاقتصادية في قرطاج الأرستقراطية

أولا) النشاط الزراعي:

ثانيا) النشاط الصناعي:

ثالثا) التجارة والحياة البحرية:

تشير التقارير الأثرية إلى أن ما تم اكتشافه في محتويات القبور بعد انتكاسة هيميرا يدل على أن قرطاج أجبرت على وضع حد لهيمنتها البحرية، ولا يعني ذلك أن غالبية المجتمع أصبح فقيرا مادامت محتويات المقابر لا تعد بحد ذاتها مقياسا للثروة أو الفقر[1]، وتذهب غالبية الدراسات إلى أن الحكومة القرطاجية وجهت جهودها نحو أراضي بلاد المغرب القديم منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد فيما يعرف بسياسة قرطاج الإفريقية[2]، ولكن يبدو بأنه من الصعب تحديد مساحة الأراضي التي اقتطعتها قرطاج من نظرائهم اللوبيين بدقة، وكذلك معرفة عدد المستوطنات التي تطورت في تلك الأثناء إلى مدن وإن كانت صغيرة، فقد بدأت سياستها التوسعية ظاهرة للعيان بعد كارثة هيميرا وقدر لها بأن تتحكم في هذه السياسة في أغلب الأوقات، وهذا ما مكنها من الوصول إلى أقصى اتساع لها[3].

مع هذا لا يمكن تأييد الدراسات التي اعتبرت بأن النشاط الاقتصادي القرطاجي لا سيما الزراعي منه بعد واقعة (480 ق.م) اقتصر فقط على نطاق بلاد المغرب القديم، فقد تمكنت قرطاج نتيجة لشدة الطمع الاقتصادي الذي عرف على أرستقراطيتها من العودة إلى سياستها التوسعية حوالى (409 ق.م)[4]، بل وسعوا إلى استكشاف السواحل الواقعة وراء أعمدة هرقل قبل هذا التاريخ وأسندوا هذه المهمة إلى اثنين من عائلة ماغون هما هملكون وحنون، وذلك بقصد استكشاف سواحل المحيط الأطلسي وتأسيس المحطات التجارية والبحث عن المعادن[5]، لاسيما لما كان اهتمام الدولة القرطاجية خلال هذه الحقبة بالأساس البحث عن مجال حيوي يدر عليها الربح الاقتصادي أكثر من اهتمامهم بالانتصارات الحربية[6].

ويستند الاقتصاد القرطاجي عموما إلى قطاعات ثلاثة: "الزراعة والصناعة والتجارة" و لا نستبعد بأنه زاد اعتنى القرطاجيون بمختلف هذه الميادين خلال المرحلة محل الدراسة فوفروا

---

(1)- ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص 457.

(2) – محمد الصغير غانم، معالم....، المرجع السابق، ص238.

(3) –ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص457.

(4) – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 138.

(5) – فرناد بروديل، البحر المتوسط، تر: عمر بن سالم، منشورات البحر الأبيض المتوسط أليف، (ب ط)، تونس، 1990، ص81.

(6)- Ch. A. Julien, Op- Cit, p120.

الظروف العلمية والتقنية والقانونية لازدهاره واشعاعه وحمايته، فكيف كانت النشاط الاقتصادي القرطاجي من حيث التطورات والتجليات في المرحلة الأرستقراطية؟.

أولا) النشاط الزراعي:

1- النهضة الزراعية:

تعد الزراعة من أهم وأقدم الأنشطة الاقتصادية في العالم القديم على الإطلاق، حيث كانت بمثابة أساس ودعامة للأنشطة الاقتصادية الأخرى، مثل الصناعة والتجارة، ومع ذلك لم يكن هناك اهتمام كبير بالزراعة في قرطاج في البداية، حيث كانوا يعتمدون على التجارة في المقام الأول، وظل الوضع هكذا حتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، فمنذ ذلك التاريخ[1]، أخذت الزراعة القرطاجية تشهد انتعاشا كبيرا، حيث توجه القرطاجيون بعد كارثة هيميرا إلى سواحل بلاد المغرب القديم فتجاوزت الأراضي الزراعية منطقة رأس بون[2] (Cap Bon) لتشمل كامل شمال تونس[3]، يضاف إلى ذلك أراضي المستعمرات القرطاجية المنتشرة هنا وهناك، أما الأراضي الأقل خصوبة فقد استغلت للرعي[4]، وكانت الطبقة الثرية بقرطاج تمتلك ضياعا واسعة استخدمت العبيد في فلاحة أراضيها وجني محاصيلها[5].

تطورت المنطقة الزراعية من مجرد ظهير محدود حول المدينة إلى مجال زراعي شاسع، وكان يشمل مناطق ملكيات القرطاجيين المباشرة، مثل الوطن القبلي "كركوان" وسهول منخفض وادي مليان (Miliana) ومجردة الأسفل، وهو المجال الممول لقرطاج، والذي ذكرته المصادر الإغريقية بصيغة (Chôra)[6]، وكانت هذه المنطقة كثيرة التلال ذات تربة صلصالية جيدة الري، وفي الأصل كانت مغطاة تقريبا بأشجار كثيفة من الزيتون البري وأشجار الصمغ[7]

---

(1) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 158.

(2) – **رأس بون**: الرأس الطيب، وكذلك رأس الدار، بالقرب من الهوارية "تونس"، توطنها الفينيقيون منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وهي أقرب منطقة إفريقية إلى صقلية. ينظر: –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص173.

(3) – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص 115.

(4) – محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة المقطعات الإفريقية بين 146 ق.م و285م، دار الهدى، (ب ط)، الجزائر، (ب ت)، ص22.

(5) - M. Rostovtzeff, Rome (History of the Ancient World), Translated From the Russianby: J.D. Duff, 2nd Ed, Oxford, 1933, Vol, 2, pp59-61.

(6) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 251.

(7) – G and Ch. Picard, Op- Cit, p 181.

ويبدو أن القرطاجيين قد استغلوا الأراضي التي استحوذوا عليها أحسن استغلال فعندما نزل أجاثوكليس بالوطن القبلي في عام (310 ق.م) بقصد غزو قرطاج[1]، وقف مذهولا هو وجنوده أمام ما شهدوه أثناء تنقله بين البلدات القرطاجية، فقد شاهد الدروب الجميلة التي كانت جزءا من نطاق قرطاج على كلا الجانبين لاحظوا مروجا كبيرة، تروى بجداول جميلة ومغطاة بقطعان لا حصر لها من جميع أنواع الماشية الغنم والبقر والماعز، وكانت المنازل الريفية الجميلة تتناثر على مد البصر، لمسافات بعيدة ناصعة البياض، توحي بثروة ساكنيها، وأراضي ممتعة مزروعة بالزيتون وجميع أنواع أشجار الفاكهة، حدائق واسعة النطاق، ومحافظ عليها برعاية وأناقة تبهج العين[2].

نفس المشاهد تقريبا التي سجلها القائد الروماني ريغولوس عندما نزل بنفس المنطقة واستولى على قليبية سنة (256 ق.م) "أثناء الحرب البونية الأولى"، فقد كتب بوليب بأن السكان المحليين قاموا بنهب المجال الزراعي إثر حملة القنصل ريغولوس، و تقدم هذا الأخير رفقة جنوده على عجل وبكل قوتهم، وشرعوا في نهب البلاد بما أن أحدا لم يحاول منعهم، حيث دمروا عددا من المنازل السكنية الجميلة والمفروشة بترف، وتمكن الجيش الروماني في وقت وجيز من تجميع عدد كبير من المواشي، واستولوا على أكثر من عشرين ألف عبد [3]،وتم تدمير مدينة كركوان عن آخرها[4].

لم يقصد هذان الرجلان وصف المشهد الزراعي نفسه، بل كان حديثهم على هامش الأحداث العسكرية في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ومنتصف القرن الثالث قبل الميلاد[5] كما أشار سترابون إلى مزارع الخيول التي كان يمتلكها أعيان قرطاج[6].

كل المصادر تتفق من خلال وصفها للمجال الزراعي القرطاجي على أهمية التجربة الزراعية القرطاجية، وقد احتفظت لنا المصادر الإغريقية واللاتينية بعناصر المعرفة الزراعية

(1) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 158.

(2)- R. Charles, Op- Cit, p351.

(3) - Polybius, I, 29.6-9.

(4) - R. Charles, Op- Cit, p368.

(5) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 117.

(6) –Selon:- M. Rostovtzeff, Op- Cit, p335.

للقرطاجيين من خلال كتاب الزراعة لماغون، والذي يعد أكبر دليل على تقدم الزراعة القرطاجية والاهتمام بها خلال الحقبة المدروسة(1).

حاولت العديد من الدراسات الحديثة البحث عن هوية ماغون ولكن دون الوصول إلى نتائج واضحة ومرضية، فلا نعرف شيئا عن عائلته ولا عن مسقط رأسه وهل ولد في قرطاج أم في مدينة بونية أخرى؟ لا ندري ولا يمكن تحديد تاريخ ميلاده ووفاته، ولكن أهل الاختصاص في تاريخ قرطاج وعلى رأسهم فنطر يرجح أنه عاش ما بين القرنيين الرابع والثالث قبل الميلاد أي أنه عايش المرحلة الأرستقراطية(2).

كانت الموسوعة في دار الكتب بقرطاج ولعل نسخا منها كانت لدى الخواص، لاسيما لدى الذين كانوا يتعاطون الفلاحة، على أنها لم تكن من صنف الكتب التي يحتفظ بها على رفوف المكتبات بل كانت مرجعا يعود إليه صاحب المزرعة فتلصق بعض فصولها في غرف رؤساء العمل والعرفاء مهما اختلفت اختصاصاتهم(3).

لما كانت الحرب البونية الثالثة وسقطت قرطاج، وأمر سكيبيو بنهبها وحرقها أهديت الكتب القرطاجية إلى الملوك النوميديين وأمرائهم باستثناء موسوعة ماغون التي استأثر بها الرومان، وأمر مجلس الشيوخ بترجمتها إلى اللغة اللاتينية، فتولى ديقيموس سيلانوس (Decimus Silanus)، وترجمت بعدها إلى الإغريقية في بداية القرن الأول قبل الميلاد، وكان المترجم كاسيوس ديونيسيوس(4) (Dionysius Cassius) وأهدى عمله إلى والي أفريقية سكستلوس (Sextitlius) سنة (88 ق.م)، إلا أن كاسيوس ديونيسيوس لم يترجم الموسوعة كاملة، بل لخصها وأضاف لها فقرات أخذها من كتب إغريقية أخرى فجاء عمله في عشرين جزء(5).

---

(1) – H. Jaque, " l'Agronome Carthaginois Magon et ses Traducteurs en latin et en Grec", **(C.R. A.I),** N°3, Vol, 120, 1967, p441.

(2)– محمد حسين فنطر، التربية والثقافة في قرطاج (814 ق.م-698 ب.م)، جريدة الحرية، ط1، الجمهورية التونسية، 2006، ص 81.

(3)– المرجع نفسه، ص 81.

(4)– **كاسيوس ديونيسيوس**: أحد موطني الطبقة النبيلة بوتيكة، أسندت له ترجمة كتاب ماغون كونه كان يتقن اللغة اللاتينية والبونية، ينظر: محمد حسين فنطر، الحضارة ....، المرجع السابق، ص77.

(5) – محمد حسين فنطر، التربية...، المرجع السابق، ص 81.

ليس غريبا أن تندثر النسخة البونية الأصيلة، ولكن العجيب حقا ألا توجد أية بقايا من الترجمة اللاتينية والإغريقية، بحيث لم يصل منهما إلا استشارات زراعية قليلة تشمل أحوال الزراعة والغراسة وإدارة الأملاك، وذلك بشكل متفرق على يد جملة من المؤرخين اللاتين[1] ومن أهمهم كولمال [2] (Columelle)، وزميله فارو[3] (Varro) ، اللذان أفردا لماغون مكانة خاصة، حيث أطلق عليه الأول أبو الزراعة "العلوم الريفية"، أما الثاني فقد ورد في رسالته الزراعية ثبتا بأسماء ما يزيد عن خمسين مؤلفا إغريقيا في مجال العلوم الزراعية، ختمه بقوله: **"أن شهرة ماغون تفوق كل من ذكرهم، وأنه تناول في مؤلفاته موضوعات تزيد عما تناوله هؤلاء مستقلين"** [4]، كما نجد فرجيل الذي كان يتغنى في أناشيده بالريف والتصورات الزراعية التي أخذها عن الترجمة الإغريقية، ومع ذلك تبقى هذه الشهادات ملفوفة بالغموض لصعوبة تمييز ما يعود إلى موسوعة ماغون عن ما أضيف إليه من كتابات الإغريق واللاتين [5].

الجدير بالذكر أن ماغون، لم يكن العالم الزراعي الوحيد الموجود في قرطاج، حيث يرد ذكر عالم زراعي آخر يدعى هملكار، ألف هو الآخر كتابا في الزراعة، ولكن ليس لدينا أية معلومات عنه ولا عن شخصيته أو حتى مؤلفه هذا، سوى الإشارة إليه في المصادر الكلاسيكية ومهما يكن من أمر، يمكن اعتبار كتاب ماغون أهم خلاصة لعلم الزراعة من بين المؤلفات القرطاجية الأخرى[6].

---

[1] - فرانسو ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص95.

[2] - **كولمال**: مؤرخ لاتيني من القرن الأول ميلادي يقدم معلومات عن الحياة الزراعية، وتربية الحيوانات في العالم البوني، مقتبس في كتاباته من المؤلف القرطاجي ماغون، وله كتابين أولهما عن الزراعة بصفة عامة، والثاني متخصص في الأشجار فقط. ينظر: -إبراهيم خليل خلايلي، المرجع السابق، ص47.

[3] - **فارو**: أهم العلماء الرومان في عصره، عينه يوليوس قيصر أمينا لأول مكتبة عامة في روما حوالي عام (49 ق.م)، وقد كتب ما يقارب "74" كتابا، في مختلف فروع المعرفة، ينظر: - عبد اللطيف أحمد علي، مصادر...، المرجع السابق، ص26.

[4] - نقلا عن:-جورج سارتون، العلم والحضارة الهللنستية في القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد، تر: محمود زايد وآخرون، المركز القومي للترجمة، (ب ط)، القاهرة، 2010،ج5، ص 300.

[5] — نقلا عن:-حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 119.

[6] -جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 305؛ ينظر أيضا: - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص24.

تذهب غالبية الدراسات إلى أن موسوعة ماغون تتكون من ثمانية وعشرين كتابا ضاعت معظمها، ولم يتبق منه سوى فقرات قليلة تقدر بحوالي أربعين إلى ستين فقرة[1] تتعلق كلها بالاقتصاد الريفي من حيث الأشجار وغراستها، والحيوانات وتربيتها والأرض وصلاحياتها للزراعة، والأسمدة وتنوعها، والأجواء المناخية وتقلباتها[2]، ولم تكن معلومات هذه الموسوعة العلمية نظرية مجردة، بل كانت مستمدة من تجارب ميدانية في زراعة الخضر بأنواعها وزراعة الأشجار بأصنافها، لاسيما الزيتون والتين واللوز والرمان والكروم، وفي تربية البغال والأبقار والأغنام والماعز والدواجن والنحل بعسله وشمعه الذي اشتهرت به قرطاج البونية[3]، وقد عرف عليه أنه عندما كان يجري تجاربه الزراعية كان يأخذ قدرا من التربة ويرجه بالماء الحار ثم يتذوق الماء ويشم رائحته ليعرف خصائص التربة وما الأصلح لها زرعا[4].

لم يكتف ماغون بإسداء النصائح حول الزراعة وتربية الماشية، بل قدم ضبطا دقيقا لقواعد إدارة الأملاك الريفية [5]، وقال قولته المشهورة: **"من يشتري أرضا زراعية عليه أن يبيع بيته بالمدينة، حتى ينزع من نفسه الرغبة في عبادة آلهة بيته الذي في المدينة، فليعبد آلهة الريف"**، وقال أيضا: **"المرء الذي يجد متعة أكبر في بيته في المدينة ليس بحاجة لامتلاك أرض في الريف [6]"**.

في الجملة يبدو أن اهتمام القرطاجيين بالزراعة كان مع وصول الأسر الأرستقراطية للحكم، حتى إن الكثير من الدراسات اعتبرتها أنها كانت ذات بعد استراتيجي في سياستهم الاقتصادية[7].

---

[1] - الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 248.

[2] - محمد حسين فنطر، التربية...، المرجع السابق، ص ص 82-83.

[3] - المرجع نفسه، ص77. ينظر أيضا:

- D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p139.

[4] - عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص312.

[5] - مفتاح محمد سعيد البركي، المرجع السابق، ص223.

[6] - نقلا عن:-عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 312.

[7] - مفتاح محمد سعيد البركي، المرجع السابق، ص ص 217-218؛ ينظر أيضا:- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 19.

2- المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:

2-1- المحاصيل الزراعية:

تعد المنتوجات الزراعية في قرطاج كثيرة ومتنوعة، كما ورد في الشذرات المتبقية من كتاب ماغون، وأول هذه المحاصيل على الإطلاق هي الغلال، التي كانت تمثل الغذاء الرئيسي للسكان[1] وتوضع هذه الغلال المستخلص معظم الأحيان في أهراء تحت الأرض[2].

كانت زراعة الشعير على قدر كبير من التقدم، إذ كان لدى القرطاجيين مخازن مخصصة لها في الأسوار، وقد عثر الأب ديلاتر على الشعير المحمص "المقلى" في قبر بوني، ونرى أحيانا صورة سنبلة منقوشة على قطع النقود القرطاجية[3]، يضاف إلى ذلك القمح، الذي كان له أهمية كبرى، حتى إن الكهنة القرطاجيين اعتبروه تحت الحماية المباشرة للإله بعل حمون، الذي عثر على تمثال له في هادروميتوم، يظهر ممسكا بمجموعة من سنابل القمح[4]، ويذكر بليني[5] (Pliny) أن القمح والشعير كانا ينتجان بكميات كبيرة في المنطقة[6].

تعد زراعة الكروم محل عناية القرطاجيين الذين احتكروا زراعتها، بالإضافة إلى كل الزراعات الأخرى ماعدا التي كانت من اختصاص اللوبيين، ويبدو أن هذا النوع من الزراعة كان ذا عائد كبير نظرا لتحويلها إلى خمور يتم بيعها في مناطق كثيرة حول العالم القديم، ولقد قدم ماغون صاحب الخبرة الفنية والتجربة عدة نصائح تخدم زراعة الكروم، فهو ينصح بتوجيه أشجارها في المنطقة نحو الشمال لوقايتها من حرارة الشمس ومن أضرار السموم هناك في الجنوب، ويشير إلى استعمال الأسمدة مثل ثمالة العنب "ما تبقى بعد عصره" وتقليمها في الربيع وبإزالة التربة عن أسفلها في الشتاء، وكان النبيذ القرطاجي لاذعا بعض الشيء، فكانوا يتغلبون على هذا العيب بالتجصيص، أي "بخزن النبيذ في أوعية مختومة بالطين ونحوه"، وكان النبيذ

---

(1) -D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p139.

(2) – جورج كونتنو، المرجع السابق، ص306.

(3) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 158.

(4) -G.Ch. Picard, Op- Cit, p94.

(5) – **بليني (23-79م)**: عالم موسوعي لم يبق من مؤلفاته سوى موسوعة التاريخ الطبيعي، لقى حتفه بسب فضوله العلمي عند ثورة بركان فيزوف عام (79م). ينظر: –عبد اللطيف أحمد علي، مصادر...، المرجع السابق، ص 27.

(6) - Pliny the Elder, XIII,33.

القرطاجي المصنوع من العنب المجفف عظيم القدر عند الرومان، حتى إن كولمال نقل كيفية صنعه لروما متبعا خطوات ماغون[1].

حظيت زراعة الزيتون عند القرطاجيين بمكانة خاصة، فقد بدأت في زراعته ما بين القرنيين الخامس والرابع قبل الميلاد لاسيما في الوطن القبلي[2]، وفي القرن الثالث قبل الميلاد عرف هذا النوع من الزراعة انتشار بشكل واسع ليصل إلى منطقة الساحل، وهذا ما جعل قرطاج من أهم المناطق إنتاجا لهذه المادة، كما لم يتردد القرطاجيون في تطعيم الزيتون البري، الذي كان منتشرا في المنطقة[3]، وينصح ماغون بترك مسافة "75قدم" ما يعادل "22.2 متر" في جميع الجهات بين الأشجار وألا تقل عن "45 قدم" ما يعادل "13.3 متر"، ذلك إذا كانت الأرض ضعيفة ووعرة وعرضة للرياح وما تجدر الإشارة إليه بأن مقياس ماغون لغراسة الزياتين قريب من التصورات العلمية المعاصرة الأكثر دقة[4]، ويشير ماغون إلى ضرورة حفر الحفرة التي يوضع فيها الغرس قبل الزراعة بسنة كاملة لتمتص الشمس والأمطار ويكون دائما فم الحفرة ضيق[5]، ويجب أن تكون الزراعة في الخريف، وكانت بعض الأشجار تنتج حوالي ألف رطل من الزيتون[6].

كان يتم عصر الزيتون واستخلاص زيته الذي يستعمل للعديد من الأغراض، إذ أنه كان يمثل نوع الدهن الوحيد المستخدم عبر حوض البحر المتوسط كله في ذلك الوقت، كما كان يستخدم في الإنارة، وفي الأغراض الطبية وكان مرهم للجروح، ويدخل في صناعة الدهون العطرية[7].

---

(1) - نقلا عن:-أحمد صفر، المرجع السابق، ص 159؛ ينظر أيضا: - جورج كونتنو، المرجع السابق، ص ص306-307.

(2) – المرجع نفسه، ص159.

(3) – الشادلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص253.

(4) - نقلا عن:-المرجع نفسه، ص253.

(5) – نقلا عن:-أحمد صفر، المرجع السابق، ص159.

(6) - S. Moscati, Op- Cit, p177.

(7) – محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية (تاريخ لبنان القديم)، دار النهضة العربية، (ب ط)، بيروت، 1994، ص387.

تقترن في الغالب زراعة الزيتون مع زراعة اللوز، وكان هذا الأخير من المنتوجات المربحة جدا، ويذكر ماغون أن أشجار اللوز تنمو في مشاتل بعناية فائقة هذا أولا، ثم يتم بعد ذلك زراعتها في الخارج مثل أشجار الزيتون، وكان يزرع في منطقة أسفل الصحراء، حيث توجد أرض منحدرة تمتد بين الجبل والشاطئ الشرقي من تونس[1]، وكانت هناك حقول أخرى مخصصة من أجل زراعة اللوز في رأس بورتوفارينا[2].

كانت شجرة الرمان من الأشجار المحببة في الحوضين الشرقي والغربي، وتحظى باهتمام كبير من جانب القرطاجيين، وكان يتم تصديره إلى إيطاليا لاسيما إلى روما، وقد أطلق عليه الرومان اسم التفاح البوني (Mala Punica)، وهناك من يطلق عليها (Mala granatum) وقد تم تمييز هذه الفاكهة إلى مجموعة متنوعة من الأنواع وذلك بحسب بذورها الداخلية[3] وهي من المزروعات الوافدة من العالم الفينيقي أدخلها القرطاجيون إلى بلاد المغرب القديم، ومن الجدير بالذكر أن هذه الفاكهة كانت من شعارات الربة تانيت، وكانت توجد في مكان مميز على النصب، ويبدو أن هذه الفاكهة كانت أقرب للرموز التي ترمز للخصوبة[4]،ويذكر ماغون طريقة تخزين هذه الفاكهة، حيث ينصح بتخزينها في نشارة خشب الحور أو السنديان في جرة فخار[5].

من بين الأشجار المثمرة التي كانت عند القرطاجيين ذات بال، وكانوا فخورين بها التين[6]،وكان للنخلة مكانة خاصة في الاقتصاد القرطاجي، حتى أنها اتخذت في بعض المدن كشعار منقوش على العملة والأختام واللوحات الجنائزية[7]، ويشير بليني إلى أن المنطقة الداخلية الواقعة جنوب الصحراء، لا سيما بلاد لغرمنت كانت مغطاة بأشجار النخيل، وهي ملحوظة لحجمها الاستثنائي وجودة ثمارها[8]، وكانت منطقة الجريد (Jerid) تنتج أفضل ثمار

---

(1) –Selon:- G andCh. Picard, Op- Cit, p 91.

(2) - D. Ogrizek, North Africa, **(W.C.S).** London, 1996, p 268.

(3) - Pliny the Elder, XIII, 34.

(4) – G andCh. Picard, Op- Cit, p 90.

(5) – نقلاعن:– أحمد صفر، المرجع السابق، ص160.

(6) – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص104.

(7) - D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p139.

(8) - Pliny the Elder, XIII, 33.

البلح في تونس، بينما كانت منطقة قابس، ومنطقة تريبوليتانيا (Tripolitania) "طرابلس حاليا" الساحليتين تقدمان فقط ثمارا أقل جودة[1].

عثر بإقليم المدن الثلاث، على مجموعة من قطع العملة القرطاجية التي ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وهي محفوظة بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس، على أحد وجهيها تظهر أشجار النخيل[2]، وتظهر النخلة أيضا مع حصان الحرب على العملة القرطاجية[3].

تعد زراعة البقول والخضر أيضا من الأمور المهمة، حيث كانت بساتينها مشهورة، وقد ورد ذكرها عند بعض المؤرخين القدامى، حيث جاء ذكر زراعة الخرشف والكرنب والثوم البوني وكذلك العدس البوني والجلبان البوني[4]، ويبدو أن القرطاجيين قد عرفوا ومارسوا الزراعة الجافة ولكن ليس لدينا من الوثائق ما يجعلنا نسترسل فيها سوى أنها كانت قد طبقت في دكلا (Dakal) وفي بيجا (Beja) أحد أهم سهول نهر مجردة وأخصابها جميعا[5].

2-2- الثروة الحيوانية:

كانت تربية الحيوانات ذات أهمية كبرى لدى القرطاجيين، حيث كانت مصدرا رئيسا للغذاء[6]، وكثيرا ما ارتبطت بعبادة بعض الآلهة، وكان من ضمن هذه الحيوانات الأبقار والأغنام، والماعز، والخيول، وغيرها، ويبدو أن القرطاجيين قد أولوا اهتماما كبيرا لتربية الماشية حتى أن ماغون أفرد لها جزءا في مؤلفه، ولعله من الطريف أنه تحدث في إحدى فقرات كتابه بالتفصيل الدقيق عن الأبقار القابلة للشراء، فقال: **"يجب أن تكون صغيرة السن، ممتلئة الجسم ضخمة الأطراف، "وثورها طويل القرون"، قوية ذات لون ضارب للسواد، كثة وعريضة الحاجبين، متهدلة الأذنين سوداء العينين والشفتين، مفتوحة معقوفة الأنف طويلة وعضلية الأعضاء يتدلى من عنقها لغد كبير يصل إلى الركبتين تقريبا، عريضة الصدر، ضخمة الكتفين ممتلئة البطن، مثل بطن الحيوان الحامل، طويلة الجانبين، كبيرة**

---

(1) – G andCh. Picard, Op- Cit, p 91.

(2) – محمود عبد العزيز النمس ومحمود الصديق أبو حامد، دليل متحف الآثار بالسرايا (مصلحة الآثار)، الدار العربية، ط1، طرابلس، 1977، ص217.

(3) - D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p139.

(4) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص160.

(5)- D. Ogrizek , Op- Cit, p283.

(6) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 160.

الفخذين، مستقيمة الظهر مستديرة الفخذين، ممتلئة الرجلين، أقرب إلى القصر منها إلى الطول، ذات ركبة حسنة التكوين كبيرة الحوافر، لها ذيل طويل وقوي، وشعر قصير كث على الجسم، أحمر اللون أو بني، ناعم الملمس"[1].

في الفقرة "السابقة الذكر" لا تهمنا الأوصاف بقدر ما تقدم لنا فكرة عن حاجة القرطاجيين الماسة إلى الأنعام، ربما بقصد خدمة الأرض أو إلى لحومها وألبانها [2]، وقد يكون بهدف توفير المواد الضرورية للصناعات الجلدية والنسيجية، "كما سبقت الإشارة" إلى حملة كل من أجاثوكليس وريغولوس لما نزلا بسواحل بلاد المغرب بغرض الزحف على قرطاج، شاهدا قطعان كثيرة ومتنوعة من الماشية ترعى في المروج، التي تملكها الطبقة الأرستقراطية القرطاجية في العديد من المناطق على غرار رأس الطيب وأوتيكا وسهول الساحل[3] .

ما يدل على غنى المنطقة بالثروة الحيوانية، ما جاء في كتابات القدامى أن قرطاج كلفت القائد هملكار، ليقود حملة عسكرية سنة (254 ق.م)، بغرض معاقبة اللوبيين، الذين انتهزوا فرصة زحف ريغولوس على قرطاج، فرفعوا راية التمرد والعصيان، ما دفع هملكار لقمع ثورة اللوبيين وإخماد تمردهم بمنتهى القسوة والوحشية ونكل بزعماء الثورة، وعاقب الأهالي بدفع غرامة مالية، كما غنم عشرين ألف رأس من الأبقار[4].

استخدم القرطاجيون الخيول في حروبهم، التي تظهر كثيرا على العملات البونية، وقد تحسنت سلالتها بواسطة أساليب التربية المتبعة، كما تم كشف الكباش على النصب النذرية وتشبه النوع الأكثر شيوعا في "تونس حاليا"، من حيث الذيل الطويل السميك[5]، إلى جانبها وجدت البغال التي استغلت في نقل الأثقال[6]، كما تمت تربية الطيور الداجنة فكانت متنوعة مثل الديوك، والدجاج، واليمام، والحمام، وجميعها تم تصويرها تكرارا ومرارا على مختلف النصب، ودليل ذلك أنه وجد إشارات واضحة عن تربية الحيوانات في وثيقة "تعريفة ذبائح

---

[1] - نقلاعن: -محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص ص 127-128.
[2] – المرجع نفسه، ص 128.
[3] - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص32.
[4] – المرجع نفسه، ص ص 32-33.
[5] -أحمد صفر، المرجع السابق، ص 160؛ ينظر أيضا: - فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص98.
[6] - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص32.

القرابيين"، التي نصت على الأجور الواجب دفعها إلى الكهنة وذلك حسب نوع وطبيعة القرابين، حيث تذكر هذه الوثيقة الثيران، والعجول، والكباش، والتيوس، والحملان، والجديان والطيور الداجنة [1].

كانت تربية النحل على درجة معتبرة، نظرا لأن العسل كان مصدر السكر الوحيد في ذلك الوقت، حتى إنها وجدت رسومات لخلايا مرسومة على الأنصاب النذرية، كما اشتهر أيضا الشمع البوني الذي كان يستخدم في الأغراض الطبية، وكان من البضائع المشهورة والمطلوبة بكثرة[2].

3- العمالة وملكية الأرض:

تكونت العمالة الزراعية من الخدم في المقام الأول، ولذلك اهتم بها ماغون وأوصى بحسن معاملتهم، حيث نجده يقول: **"من الضروري أن نشركهم في الإفادة بإعطائهم التسهيلات، كتكوين عائلة، وإمكانية تجميع مبلغ يشتري به حريته يوما ما، وأن نرد عنهم من يعاملونهم بقسوة[3]"**، ويبدو أنه لم يقل هذا من منطلق شعور إنساني، وإنما لأن الرجال الذين كانوا يعاملون بالضرب يصبحون سريعا غير مبالين أو مكترثين، ولأن رأس المال البشري كان غالي ذو فاعلية قوية في ميدان العمل الزراعي[4]، كما نكتشف أهمية الخدم في هذا العمل حيث نجد ماغون ينصح أصحاب الأراضي الزراعية بشراء العبيد القادرين على العمل في الزراعة، هذا و يفضل أولاد العبيد الذين يولدون في الريف، فهؤلاء الأبناء يساعدون على ارتباط أبائهم بالأرض، وينصح باختيار الأكفاء من بين كبار السن ليكونوا مشرفين على العمل[5].

هناك من الدراسات من تستبعد اعتماد نظام العبيد في المجال الفلاحي على نطاق واسع، حيث نجد إشارة واضحة لدى أرسطو بتوجيه أثرياء قرطاج إلى تخفيف العبء الديمغرافي

---

(1) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص98.

(2) –أحمد صفر، المرجع السابق، ص161؛ ينظر أيضا: – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص253.

(3) – نقلا عن: –لبيب عبد الساتر، المرجع السابق، ص127.

(4)-Selon: -G and Ch. Picard, Op- Cit,p 88.

(5) – نقلا عن:–الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 254.

في قرطاج بإرسال مواطنين من العامة وتوطينهم بالمناطق التابعة لهم، ويمكن أن تحيلنا هذه العملية إلى وجود استغلال مباشرة للأرض[1].

ذكرنا من قبل أن الزراعة في قرطاج، شهدت اهتماما وانتعاشا بعد واقعة هيميرا حيث تطورت من محيط زراعي محدود حول المدن، إلى مجال زراعي يمتد لمساحات واسعة[2] ومن المرجح أن الأراضي كانت عبارة عن ملكيات خاصة بالأغنياء الأرستقراطيين، الذين كانوا يتحكمون في زمام السلطة السياسية والاقتصادية في مدينة قرطاج[3].يذهب البعض إلى عدم وجود دليل يؤيد وجهة النظر القائلة أن هناك قسم كبير في المجتمع القرطاجي كان يكسب ثروته من الأرض فقط، ويبدو أن التجار كانوا يملكون أراضي في الريف، والتي منها كانوا يحصلون بدون شك على بعض الربح، كما كانوا يلجئون إليها في حرارة الصيف، لكنها لم تكن مجال اهتمامهم الرئيسي[4]، ولكن هذا لا ينفي وجود طبقة من الملاك المزارعين القرطاجيين الذين كانوا يستمدون ثرواتهم من الزراعة فقط، لذلك كان مالك الأرض القرطاجي يختلف تماما عن نظيره الروماني، فهو لم يكن السيد العظيم الذي يهتم قليلا لما تنتجه مزارعه فقد كان يعيش في الريف ويهتم كثيرا بالحصول بواسطة الطرق الجيدة، والعناية الفائقة على دخل مساوي لما يمكن أن تجلبه لهم التجارة أو الصناعة[5].

ويمكننا تقسيم الأراضي الزراعية داخل مجال بلاد المغرب القديم إلى قسمين:

- **القسم الأول**: كان يتبع القرطاجيين مباشرة ويقع بالقرب من العاصمة، ويقوم على زراعة محاصيل ثمينة، مثل الزيتون، والكروم، والرومان وغيرها، وكانت تستخدم في زراعتها السكان المحليين بعد ما قامت بطردهم منها وتحويلهم إلى أقنان[6].
- **القسم الثاني**: كان يتبع للوبيين، وقد خصص لزراعة الحبوب، حيث عاش هؤلاء الفلاحين الأصليين هناك بشكل بائس، ولقد سمح لهم الاحتفاظ بأراضيهم مقابل دفع جزية

[1] – نقلا عن: –الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 254.

[2] – مفتاح محمد سعيد مفتاح البركي ، المرجع السابق، ص ص 217-218.

[3] – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص 115.

[4] – G and Ch. Picard, Op- Cit, p, p86-93.

[5] – فينفريد الليغر، المرجع السابق، ص 103؛ ينظر أيضا:–

- B.H. Warmington, Op- Cit, p128.

[6]-H. Slim, et autres, Op- Cit, p83.

عينية تقدر بالعشر من محاصيلهم، وبذلك استغلوا وقدموا نسبة كبيرة من محاصيلهم إلى قرطاج، هذه الضريبة التي كانت ترتفع في وقت الأزمات والحروب إلى الربع والنصف أيضا وهذا ما كان له أثارا سلبية خطيرة على القرطاجيين، الذين كانوا دائما على استعداد للثورة ضدهم [1]، باستثناء بعض العائلات التي حصلت على امتيازات، وتكيفت بسهولة مع النظام الجديد، ولكنها في الوقت نفسه كانت ملتزمة بدفع ضرائب عينية من الغلال للحكومة القرطاجية[2].

من خلال ما سبق يجب التسليم بارتباط القرطاجيين بالأرض، في إطار ملكيات قائمة على الاستغلال المكثف للثروة الزراعية، وإن اتفقت أغلب الدراسات بأن هذه الأراضي لاسيما تلك التي كانت تملكها الطبقة الأرستقراطية نجهل مساحتها، إلا أنها لم تكن اقطاعات ذات مساحة شاسعة، وإنما كانت متوسطة الحجم، وفي هذا السياق يمكن القول، أن قرطاج طبقت المثل البوني الذي يقول: "**يجب أن تكون الأرض أضعف من الفلاح، حتى لا تسحقه إذا دخل معها في صراع**[3]".

تجدر الإشارة إلى أن الزراعة القرطاجية قائمة على نوع من التخصيص الدقيق حافظ عليه الأرسنقراطيين بأن حظروا على اللوبيين، وعلى المناطق الخاضعة لهم في صقلية وسردينيا زراعة الأشجار المثمرة، واقتصارهم على زراعة الغلال لا سيما القمح[4]، وتذهب الكثير من الدراسات لاعتبار أن المجال الزراعي القرطاجي داخل بلاد المغرب، كان يكفي للاستهلاك المحلي[5]، أما حصة التصدير فكانت تأتي من صقلية التي فقدتها سنة (241 ق.م) وسردينيا التي فقدتها (237 ق.م)[6].

---

[1]-H. Slim, et autres, Op- Cit, p83.

[2] – جيمس هنري براستد، المرجع السابق، ص ص 513–514.

[3] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 25؛ ينظر أيضا:

- B.H. Warmington, Op- Cit, p128.

[4] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 29؛ ينظر أيضا: – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص95.

[5] - Ch. A. Julien, Op- Cit, p121.

[6] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص ص 19، 22.

مهما قيل عن سياسة قرطاج اتجاه اللوبيين وأراضيهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد يمكن أن نقول إن السكان المحلين قد تحولوا إلى بونيين لكنهم بونيين محظوظين، فلقد عرف اللوبيون معارف جديدة في مجال الزراعة، حيث نقل القرطاجيون إلى بلاد المغرب القديم غرس أشجار الزيتون والكروم والتين[1]، واتبعوا طرقا علمية متقنة لغرس الزيتون، وحسنوا أساليب الزراعة بإدخال الأدوات المعدنية، ونظموا تخزين المياه لاستخدامها وقت الحاجة، ومن ذلك وجود بقايا سد فينيقي عند مصب نهر كينبس، واخترعوا ماكينة لدرس المحاصيل متقدمة، وهي نوع من المركبة المجهزة بعجلات صغيرة مسننة كان الرومان يسمونها "عربة البضائع البونية"[2] كما أدخلوا غرس أنواع أخرى من الأشجار المثمرة كالخوخ واللوز والرمان[3]، ويبقى أهم ما يحسب للقرطاجيين في المجال الزراعي هو إدخال تقنيات الإنتاج ودرجة تكثيفه[4].

هكذا إذا حفظت لنا كتابات القدامى الإغريق واللاتين بعض من أوضاع الجانب الزراعي خلال المرحلة محل الدراسة، هذا ووفرت الحفائر والبحوث الأثرية[5] بعض المعطيات عن المساكن القرطاجية الريفية، حيث عثر على منزل ريفي في الحفريات التي تمت سنة (1979م) المسكن يتكون من قسم معد للسكن ويشمل بئر وبيت استحمام وثلاثة غرف، أما القسم الثاني فيه معصرة زيت وأحواض لتصفية الزيت وجرة كبيرة لتخزين المؤونة[6]،كذلك عثر في مدافن المدينة البونية على فواكه وخضروات من طين مفخور تثبت وجودها عند القرطاجيين، (ينظر الملحق رقم "8"، ص285).

تخللت الأنصاب التي استخرجت من قدس بعل حمون صورا تمثل بعض الأشجار والثمار "كما سبقت الإشارة لذلك" [7]، فالدليل التاريخي يوحي بأن القرطاجيين أعاروا الأرض عناية فائقة منذ القرن الخامس، عندما أدركت الطبقة الأرستقراطية المكاسب التي يمكن أن تجنيها من وراء هذا النشاط، وما إن حل القرن الثالث قبل الميلاد حتى امتلكت قرطاج قطاعا زراعيا

---

(1) – دينزبولم، المرجع السابق، 1988، ص45.

(2) - S. Moscati, Op- Cit, p176.

(3)- D.E.L. Haynes , Op- Cit, p30.

(4) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص122.

(5) – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص79.

(6) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص121.

(7) – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص79.

مميزا[1]، مما جعلها غير مهددة بالسقوط في أزمة غذائية و اقتصادية، حيث لم تعرف مجاعات كتلك التي عرفتها المجتمعات في العصور القديمة، بل سجل لها التاريخ قدرة على تغطية حاجياتها مع زيادة وافرة تزود بها أسواق المتوسط[2].

ثانيا) النشاط الصناعي:

كانت الصناعة القرطاجية في بادئ الأمر متواضعة حيث أنها بدأت في صورة مبسطة ولم تكن تتجاوز صناعة السفن وإصلاحها نظرا لحاجة الدولة الماسة لذلك[3]، ولم تزدهر الصناعة في قرطاج إلا منذ القرن الخامس قبل الميلاد بعد صدام قرطاج مع المدن الإغريقية في معركة هيميرا (480 ق.م)، حيث أيقنت قرطاج بعد هذه النكسة أنها لا تستطيع الصمود في أي صراع مقبل ما لم تكن لديها صناعة قوية، كما أن الإغريق بحكم الاستيطان في كل من شرق صقلية وقورينة بليبيا، كانوا قد أضحوا عائقا دون اتصال قرطاج بشرقي المتوسط فأضطر القرطاجيون نتيجة لذلك الموقف، إلى تصنيع المواد الخام المختلفة التي كانوا يستحضروها من المناطق المجاورة لهم[4].

في تلك الحقبة منعت الدولة القرطاجية دخول منتجات كاملة الصنع من الخارج وحاول البعض أن ينسب إلى هذه الحماية المفرطة المستوى المتوسط لمنتجاتهم، حيث كانت بعيدة عن وجود منافس حقيقي، وكانت كافية لإرضاء السكان المحليين، الذين اهتموا قليلا بجودة هذه البضائع[5].

تتفق أغلب الدراسات على أن الصناعة القرطاجية، كانت تفتقر إلى المهارة الفنية والإبداع، وكانت تقتصر على التقليد ومجرد تحويل المواد الخام إلى الاستخدام العملي[6]، وهذا ما جعل منتجاتهم تفتقر إلى الذاتية، ومع ذلك لا يمكن إطلاق حكم بهذا الشكل على الصناعة القرطاجية، حيث يعتقد بأن الصناعة القرطاجية شهدت تطورا ملحوظا على الأقل في الحقبة المدروسة، وكان من أهم العوامل التي حفزت وساعدت على ازدهار الصناعة في قرطاج

---

[1] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص21.

[2] – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص79.

[3] - Ch. A. Julien, Op- Cit, p121.

[4] – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص 114.

[5] – G and Ch. Picard, Op- Cit, p116.

[6] – جان مازيل، تاريخ الحضارة...، المرجع السابق، ص163.

هو تأسيس الممالك الهللينستية، الأمر الذي أدى إلى ثورة اقتصادية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، حيث وجدت قرطاج منذ ذلك الحين سوق جديد لجميع أنواع السلع المصنعة والرخيصة التي برع القرطاجيون فيها[1].

ليس من السهل تمييز الصناعات القرطاجية أثريا، كونها لم يكن لها طابع أو ميزة خاصة بها[2]، وذلك بفضل خلطهم بين العديد من الأنماط التي كانت متناسبة تماما من أجل التجارة الموجودة في العالم الهللينستي[3]، ويبدو أن ذلك كان مصدر قوة اقتصادية في القرن الرابع قبل الميلاد[4]، وفي هذا المجال يعتقد البعض أن الصناعة القرطاجية تشبه إلى حد ما، الصناعة الرأسمالية اصطلاحا، بل كانت رأس مالية سليمة، بدليل أنها لم تتعرض لأزمات خانقة أو انهيار موسمي، ولا مشاكل داخلية ولا أزمة فائض إنتاج ولا هبوط في الأجور [5].

كان العمال وأصحاب الحرف من المواطنين الأحرار، إلا أنهم لم يدخلوا في طبقة الأشراف التي كانت تنحصر في عناصر ذات أصول معينة، ويعتبر استيفان قزال أن الرجال الذين يسيرون شؤون الدولة، كانوا هم أصحاب الحل والربط، وكانوا في الوقت نفسه يملكون مصانع تعمل فيها جماعة من العبيد، كما يستخدمون مجموعة من العتقاء أو من الأحرار كشركاء في ورشات توصية، ويقتسمون معهم الأرباح[6].

لا يستبعد أيضا أن القرطاجيين، كان لهم دور في تجنيد وتدريب الصناع من السكان المحليين[7]، وكان أمام كل حرفي فرصة للترقي إذا أثبت كفاءته في العمل، لتسيير مصنع جديد أو لتأسيس ورشة في أرض جديدة، ليصبح عمل خاص به بشرط، أن تربط صاحب العمل والعامل عروة حميميه تشمل العمل والإنتاج، ليكون العمل أكثر انضباطا وأن لا يخله تنافس

---

[1] - B.H. Warmington, Op- Cit, p126.

[2] -ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق ، ص462.

[3] - B.H. Warmington, Op- Cit, p126.

[4] – ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق ، ص462.

[5] – شوقي خير الله، المرجع السابق، ص 154.

[6] – نقلا عن:– أحمد صفر، المرجع السابق، ص 149.

[7] – G and Ch. Picard, Op- Cit, pp116-117.

تجاري ولا خصومة ولا عداء، حتى أن الكثير من يعتبر أن الرأسمالية القرطاجية، كانت أشبه بدين مجتمعي قومي فني ذي طقوس وأسرار وعهد وانضباط[1].

لقد تم ذكر الصناع والحرفيين كثيرا على نصب مهداة من قبل بعضهم، أو على نقوش تخليدا لذكرى عمل ما، هذا وعثر على نقشية ذات محتوى معماري، ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد، يتناول ذكر إنشاء طريق جديد شارك في انجازه العديد من الصناع مثل المهندسين ونقابة النساجين و وزانوا القطع النقدية، وسباكوا الذهب، والملاحون، وأصحاب الأفران والإسكافيين[2]، وربما كان هذا عملا تطوعيا، أو كما نطلق عليه بمفهومنا الحديث إنجاز عمل بالجهود الذاتية، شارك فيه كل هؤلاء الصناع "سالفي الذكر"، وقد يدل هذا على مكانة اجتماعية هامة لهؤلاء الصناع، ويتبين من خلال النص أنهم كانوا ينتظمون في نقابات خاصة بهم، ومن المؤكد أنه كان لكل نقابة رئيس يكون مهامه رعاية شؤون أفراد النقابة وتمثيلهم والنيابة عنهم أحيانا وفض ما قد ينشب بين أفرادها من خلافات، ويرى البعض أن لهذا النص أهمية كبرى في تاريخ تنمية المدينة، لأنه يتضمن معلومات مهمة عن الحياة الاقتصادية، وعن مشاركة الحرفيين والتجار في توفير بنية أساسية جديرة بالمدينة [3].

وكان النص كالتالي: **"فتح وأنجز هذا الطريق نحو الباب الجديد الذي...، كان ذلك في عهد السبطين شفط وادنبعل وفي مدة تصرف ادنبعل بن اشمنخلص بن...،...قرت بي حنو وزملاءهم وكان المشرف على الإنجاز عبد ملقرت...، بد ملقرت بن بعلحنو بن بد ملقرت مهندس بحوالن...، نقابة النساجين الوجيهة بالمدينة ووازنوا القطع النقدية الصغيرة...، الذي لهم وسباكو الذهب والملاحون وأحبا الأفران والأسكافيون؟ جميعهم وقضاة الحسبة يغرمون كل رجل بغرامة قدرها ألف وزنة فضة[4]"**(ينظر الملحق رقم "9"، ص286).

---

[1] – شوقي خير الله، المرجع السابق، ص 155.

[2]-M. H. Fantar, Tunisie (Terre de rencontres et de Civilisation), édité par l'Agence Nationale du Patrimoine et l'Institut National d'Archéologie et d'Arts, Seville, 1992, p48.

[3]-M. H. Fantar, Tunisie …,Op- Cit, p48.

[4]- Selon:Ibide, p48.

يمكن القول إجمالا وبناء على المادة العلمية المتحصل عليها بأنه وعقب الهزة التي أحدثتها كارثة هيميرا في الاقتصاد القرطاجي، اتجه القرطاجيون إلى تشجيع الصناعات المحلية لتكون عماد التجار بدل الصناعات المستوردة، وما إن حل القرن الثالث قبل الميلاد حتى أتقن القرطاجيون العديد من الصناعات، والتي كان من أهمها[1]:

1- صناعة قائمة على الثروة الحيوانية والزراعية:

تعد صناعة استخراج الأصباغ من أهم الصناعات الشائعة جدا في العالم البوني[2] وكانت تتم في ورشات كبيرة ذات طابع تجاري، ولأن استخراج هذه الصباغة من حيوان الموريكس البحري الذي توافر في الكثير من المناطق الساحلية[3]، فقد عرفت ازدهارا كبير على غرار جربة "في جنوب تونس" والصويرة (Essaouira) "في الشاطئ الأطلسي للمغرب" بالإضافة إلى شواطئ شبه جزيرة رأس الطيب والمدينة البونية القديمة كركوان[4]، وكان أرجوان جربة يضاهي إن لم يفق أرجوان صور[5].

ارتبطت صناعة الصباغة الأرجوانية بصناعة المنسوجات، وذلك بفضل توفر المواد الأولية المتمثلة في الصوف والشعر اللذين وفرتهما الثروة الحيوانية التي يملكها الأهالي والقرطاجيون فضلا عن نبات الكتان[6]، وهناك من يرى أن الغزل والنسيج كان صناعة منزلية، وليست تجارية بالمعنى الصريح، على الرغم أن بعض مالكي هذه المنازل كانوا يستخدمون العبيد للقيام بها على مقياس منظم، وفي الغالب كانت هذه الورش تقام في الجزء المخصص للنساء في بيوت الأرستقراطيين تحت إشراف سيدة المنزل وملاحظيها[7].

نالت هذه الصناعة شهرة واسعة بين بلدان البحر المتوسط، منها الزرابي والملابس النسوية الرقيقة ،والنسيج القطني، الذي كان عليه الطلب بكثرة، لاسيما من قبل الإغريق الذين

---

(1) – ويل ديورانت، قيصر...، المرجع السابق، ص 85؛ ينظر أيضا: – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص103.

(2) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص101.

(3) – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص37.

(4) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص101.

(5) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 102.

(6) - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص36.

(7)-D. Harden, The Phoenicians، Op- Cit, p145.

أشادوا به[1]، والوسائد المطرزة، وقد اشتهرت هذه الأخيرة في كتابات القدامى، وقيل أنها كانت ذات جودة عالية وخاصة[2] .

لم يهمل القرطاجيون حرفة وشغل دبغ الجلد، التي نمت أولا بين البدو، ومارسها اللوبيون منذ القدم، ومن المحتمل جدا أن القرطاجيين قد تعلموا منهم صنع نوع من جلود الأغنام المغربية أو جلد الماعز المصبوغ باللون الأحمر، الذي كان مقدرا كثيرا لدى الرومان، لصناعته المهارة الممتازة[3].

تعد صناعة صيد السمك وتمليحه، من الصناعات الخاصة بالغرب البوني، وكان يطلق عليها اسم (Carum)، ولقد عرف إنتاجها في جاديز (Gadiz) "في إسبانيا" شهرة واسعة عبر العالم القديم، وفي المنطقة الداخلية حول جاديز آثار لبقايا المصانع، ونفس الشيء ينطبق على المنطقة المغاربية، وهذا ما أثبتته اللقى الأثرية في الساحل الغربي للمغرب القديم، كما نمت صناعة الملح في منطقة الإقليم البوني، وارتبطت ارتباطا وثيقا بصناعة تمليح السمك، ولدينا دلائل على طلب الإغريق لهذا الغذاء، الذي استهلكوه بكميات كبيرة في القرنيين الخامس والرابع قبل الميلاد[4].

اهتم القرطاجيين بصناعة بعض المحاصيل الزراعية، كصناعة عصر الزيوت لاستخدامها كغذاء وعلاج وإضاءة، وصناعة الخمور من الكروم، حتى أن ماغون يقدم طريقة تصنيع هذا الأخير، حيث يقول: "**أجمع العنب الناضج، وتجنب تلك الحبات الفاسدة. عرض العنب للشمس، وغطيه ليلا، كي لا يبلله الندى، عندما يجف العنب، انزعه من العيدان وضعه في جرة أو قدر أضف قدرا كافيا من نبيذ جديد عالي الجودة حتى يغطي العنب، في اليوم السادس، عندما يتم امتصاص النبيذ الجديد وتنتفخ حبات العنب، ضعه في سلة وقم بعصر العنب في المعصرة، ثم أجمع العصير وبعد ذلك نهرس التفل ونضيف عليه الخمر الطازج المصنوع من عنب آخر الذي تم تركه في الشمس لمدة ثلاثة أيام، ونضع**

[1] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص37.

[2]- S. Moscati, Op-Cit, p179.

[3] –أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 152-153. ينظر أيضا:

- G and Ch. Picard, Op- Cit, p107.

[4] – يولي بركوفيتش تسيركين، المرجع السابق، ص ص 80-81.ينظر أيضا:

- S. Moscati, Op- Cit, p178.

هذا الخليط في المكبس بعد مزجه بشكل جيد، ثم نقوم بوضع السائل الناتج عن مرة العصر الثانية هذه في أوان محكمة الغلق بالطين كي لا يصبح النبيذ لادعا، وبعد عشرين أو ثلاثين يوما، حينما يتوقف التخمر نفرغ النبيذ في أوان أخرى وندهن أغطيتها فورا بالكلس ثم نغطيها بالجلود" [1].و يذكر سترابون أن القرطاجيين كانوا يبادلون منتجاتهم من الخمور بأحمال السلفيوم[2] (Silphium) المهرب من قوريني، عبر ميناء خراكس[3] (Chrax)[4].

2- صناعة المعادن:

تعد هذه الصناعة من الصناعات الهامة على الإطلاق، حيث أنها لم تكن توفر الاحتياجات اليومية للسكان فحسب، بل أيضا كانت توفر الاحتياجات العسكرية للمدينة وقت الحروب والأزمات، وفي وقت الحروب، كانت هذه المصانع تخضع للإشراف المباشر للدولة، أما في وقت السلم فكان عمال المعدن يعملون لحسابهم الخاص في ورشهم الخاصة أو لدى أصحاب عمل آخرين، وتمدنا المقابر البونية بكثير من نماذج أدوات العمل، مثل الفؤوس والمطارق، والملاعق والسكاكين، حتى إنه "وجد سبعة عشر نصلا في قبر صانع للسكاكين" وما تجدر الإشارة إليه بأن عادة دفن الأسلحة في المقابر لم تكن منتشرة في قرطاج بشكل كبير [5].

في هذا النوع من الصناعات لم ينتج القرطاجيون أعمالا أصلية، فقد قلدوا الأصول الإغريقية، وكان يتم امداد هذه الصناعة عبر البحار، وكان يتم استيراد النحاس والقصدير "من

---

(1) –نقلا عن:– فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص101؛ ينظر أيضا:
-G and Ch. Picard, Op- Cit, p149.

(2) – **السلفيوم**: نبات كان ينمو بإقليم قوريني اكتسب شهرة واسعة في فترة استعمار الإغريق للإقليم، وهو نبات بجذر سميك وساق رفيع وأوراق صغيرة، يستخدم كغذاء وعلاج لبعض الأمراض، وعلف للحيوانات. ينظر: –عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية...، المرجع السابق، ص 170؛ ينظر أيضا: –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 195.

(3) – **خراكس**: سلطان الحالية تبعد عن سرت "55 كلم" إلى الشرق، وقد شهد موقعها إقامة ثلاثة مدن في مراحل تاريخية، خراكس الفينيقية، واسكانيا الرومانية، وسرت العربية. ينظر: –أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص 162.

(4) – نقلا عن:– عبد الحفيظ الميار، الحضارة...، المرجع السابق، ص 170.

(5) –فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص 100.

إسبانيا"، ومن الكاسيتيريدس (Cassiterdes) "في الجنوب الغربي من بريطانيا"، والحديد من جزيرة إلبا (Elba) "في شمال غرب إيطاليا".

يبقى الشيء الغريب هو أن القرطاجيين لم يحاولوا مطلقا بيع منتجات كاملة الصنع في الخارج، حيث كانوا يكتفون ببيعها على حالتها الأولى، ويمكن إرجاع فشلهم في هذا الفعل إلى رداءة نوع صناعتهم، مقارنة بتلك الخاصة بالإغريق[1]، ولكن يبدو أنهم قد نسوا أنهم بهذه الطريقة كانوا يخدمون صناعة غيرهم واقتصاد منافسيهم على حساب صناعة بلادهم واقتصادها، ولم يضطر القرطاجيون إلى صنع أشيائهم الخاصة على الأقل إلا عندما فرض نظام الاكتفاء الذاتي إثر معركة هيميرا (480 ق.م)، ومن المحتمل أنها استقدمت في ذلك الوقت جماعات من الصناع من فينيقيا، ولكن يبدو أن معظم المصانع وقع تنظيمها زمن الحملة الكبرى على صقلية (409-338 ق.م) باستخدام الأسرى الذين وقعوا في قبضة قرطاج[2].

هناك صناعة معدنية، تعد أفضل منتج للصناعات القرطاجية وذلك باتفاق معظم الأبحاث، لاسيما من الناحية الفنية وأكثرها أصالة وقدما، ألا وهي شفرات الحلاقة القرطاجية، وهي عبارة عن شفرات رقيقة مصنوعة من المعدن، تتخذ شكل رأس فأس صغير مستطيل، وتنتهي في أعلاها بساق معدني على هيئة عنق طائر التم[3]، وكانت تصنع من النحاس أو البرنز، ولقد تم العثور عليها في كثير من المقابر القرطاجية، ولقد تطورت هذه الشفرات في المرحلة محل الدراسة وبالضبط ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد، حيث تطور شكلها بدرجة كبيرة، وتم تزويدها بمقبض لتسهيل حملها، بالإضافة إلى أنها كانت مزخرفة بنقوش، تمثل معبودات أو رموز مصرية مقدسة بعضها مصري وبعضها قرطاجي والبعض مزيج من هذين، بينما كانت الطرز الإغريقية أندر[4]. (ينظر الملحق رقم "10"، ص287).

3– صناعة الخشب:

إن اتساع الامبراطورية القرطاجية وعظم حركة التجارة والاستكشاف فيها جعلتها مدينة بارعة في أعمال التجارة وبناء السفن وإصلاحها، ومن المؤكد أنهم ورثوا هذه المهارة عن

---

(1)-G and Ch. Picard, Op- Cit, pp103-104.

(2) –أحمد صفر، المرجع السابق، ص150.

(3) – **التم**: طائر مائي شبيه بالأوز لكن أطول منه عنقا. ينظر: –أحمد صفر، المرجع السابق، ص156.

(4) -S. Lancel, Op- Cit, pp216-217; Il observe aussi:- G. Ch. Picard, Op- Cit, pp131-132.

أجدادهم الفينيقيين في الشرق، حيث كانوا ملاحيين ماهرين لا يضاهيهم أحد في مهارتهم هذه[1].

كان القرطاجيون يستخدمون خشب الأرز، والصنوبر التي توفرت ببلاد المغرب القديم وكانوا يجلبون المواد الأولية من إسبانيا لصنع الأشرعة والحبال، وكان الرومانيون يعجبون بالأبواب والأسرة البونية، ويقدرون طريقة القرطاجيين في تركيب الألواح، وذلك باستعمال المسمار الخشبي، أو بتذويب الرصاص وصبه في الثقوب[2]، إضافة لخزائن كما أتقنوا صناعة الأثاث المرصع بالعاج المنقوش والأثاث الجنائزي، حيث تم اكتشاف توابيت دقيقة الصنع في القبور [3].

كانت التوابيت مستخدمة في قرطاج من قبل البعض، حيث كانت عادة أثرياء القوم وكان البعض منها بسيط مستطيل الشكل ذو سقف هرمي أو أغطية مسطحة[4]، وقد تم أيضا اكتشاف مجموعة أخرى من التوابيت كلها من النوع الأنثروبويد "بمعنى أن للميت تمثالا منحوتا على الغطاء"، ولقد قدمت قرطاج أربع توابيت من هذا النوع، تم العثور عليها في جبانة سانت مونيك بدرمش، وترجع للفترة الواقعة بين القرن الرابع وأول القرن الثالث قبل الميلاد، وكان التابوت الأول لكاهنة، احتفظت صورتها بكثير من ألوانها الأصلية وهي ترتدي زي إغريقي مغطى من الوسط إلى الأسفل بأجنحة طائر يحتمل أنه النسر، وهنا يظهر التأثير المصري حيث كان هذا الزي المجنح هو زي لبعض الآلهة المصرية، لاسيما إيزيس[5] (Isis)، وكانت تحمل في يدها اليمنى مبخرة على شكل حمامة، والرأس يعلوه غطاء رأس مصري على هيئة صقر، وكان وجه السيدة يوناني خالص[6]. (ينظر الملحق رقم "11" ، ص288).

---

[1] – حنان قرقوتي، المرجع السابق، ص325.

[2] – أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص150-150.

[3] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص36.

[4] - D. Harden, The Phoenicians، Op- Cit, pp111-112.

[5] – **إيزيس**: هي ربة رئيسية في الديانة المصرية القديمة، ذكرت إيزيس لأول مرة في المملكة المصرية القديمة كإحدى الشخصيات الرئيسية في أسطورة أوزوريس، إذ قامت بإحياء زوجها الملك الإلهي المذبوح أوزوريس. ينظر أيضا: –محمد مهران بيومي، الحضارة المصرية القديمة (الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية)، دار المعرفة الجامعية، ط4، الاسكندرية، 1989، ج2، ص ص 349-363.

[6] – D. Harden, The Phoenicians، Op- Cit, p113.

ولا تستبعد الدراسات بأن يكون صانعي الخشب، يتمتعون بمكانة اجتماعية أعلى من بقية الصناع والحرفيين(1).

4- صناعة الفخار والزجاج:

لعبت الصناعة الفخارية دورا هاما في حياة قرطاج، فقد وفرت للقرطاجيين أواني (ينظر الملحق رقم "12"، ص289)، وأدوات تخزين ونقل المواد السائلة والصلبة المختلفة كالأمفورات والجرار لنقل وتخزين الزيت والخمر والحبوب(2)، بالإضافة إلى قوارير العطور والمسارج الطينية والحجرية والأطباق(3) والأثاث الجنائزي، وقد شمل هذا الأخير، الأوعية الطقوسية والفناجين والمرامد والتماثيل الكبيرة، كما صنعوا الأقنعة (4)، التي توضع في المعابد وقد عثر على نماذج منها في صلامبو(5) هذا، وتم تصنيع حلي رخيصة أيضا من الفخار ومصابيح وكانت صناعة الفخار في قرطاج تخدم في الأساس هدفين هما تلبية حاجة السوق المحلية من جهة، وخدمة التجارة والتصدير من جهة أخرى، حيث تعد الأوعية الفخارية أفضل أوعية لنقل الزيوت والخمور(6).

تعد صناعة الفخار منتوجات ذات صفة نفعية مادية، وأخرى ذات صفة دينية، وكانت من أهمها المصابيح، وتتصف المصابيح الفينيقية عامة بالتشديد على الانتفاع أكثر من الجمال حيث كانت بسيطة جدا وتتكون من طبق من الخزف، غير مزخرف، ذا فتحة أو اثنتين من أجل الفتيل، ولقد ظل هذا النمط معمول به حتى بعد أن قدمت التجارة الهللينستية أنواعا أكثر نفعا(7).

(1) – G and Ch. Picard, Op- Cit, pp105-106.

(2) – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص38.

(3) – محمد عبد العزيز النمس ومحمود الصديق أبو حامد ، المرجع السابق، ص 230.

(4) – محمد عبد العزيز النمس ومحمود الصديق أبو حامد ، المرجع السابق، ص230؛ ينظر أيضا:- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص38

(5) – المرجع نفسه، ص38.

(6) – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص116.

(7) - D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p152.

في القرن الرابع قبل الميلاد تقريبا، قام بعض الخزافين بإغلاق وعاء الزيت لمنعه من الانسكاب عند الحمل، لكن هذا الشكل كان أقل أناقة من الشكل الإغريقي للمصابيح، التي كانت ذات خزان مستدير مغلق من أجل الزيت، وبه فتحة من أجل ملء الزيت وعنق طويل مجوف، هذه فيما بعد تم استيرادها بكميات كبيرة من رودوس (Rhodes)، والإسكندرية قبل سقوط قرطاج بقرنيين، كما عمل الخزافون القرطاجيون على نشر وتعميم هذا النوع عن طريق صنع أعداد كبيرة من نسخ مقلدة أقل مرتبة من الأصل[1]، وتزين علامة تانيت غالبا الأجزاء العليا من هذه المصابيح[2].

كان القرطاجيون من الشعوب المحبة للتزيين، فقد برعوا في صناعة الزجاج، حيث أنتجوا أواني متنوعة، منها القارورات الصغيرة والأقنعة، ويتجلى دور القرطاجيين في تطوير هذه الصناعة في إدخالهم عليها الألوان المختلفة، إذ نجد القارورات الزرقاء والصفراء المزينة بأشكال هندسية كما اخترعوا الزجاج الشفاف والأكمد، وتوصل بهم الأمر لصناعة مجوهرات زجاجية[3].

تم أيضا صنع تمائم صغيرة من الزجاج على هيئة دلايات صغيرة، تمثل أوجه بشرية متعددة الألوان، تاريخها في قرطاج إلى القرن الرابع قبل الميلاد تقريبا، واستمدت جاذبيتها من المزيج اللوني الرائع لمادتها الخام التي ساد فيها الأزرق والأصفر فوق خلفية بيضاء، بالإضافة إلى التفاصيل الدقيقة لهذه الأقنعة الصغيرة جدا[4].(ينظر الملحق رقم "13"، ص290).

5- صناعة الحلي والعاج والعظم:

عرف القرطاجيون بقدراتهم المميزة في صناعة الحلي، وهذا استجابة لطلب السوق الداخلية، ولم يقتصر التزين بالحلي على النساء فقط بل شمل الرجال كذلك[5]، وقد عثر في القبور على الكثير من أدوات الزينة محلية الصنع من العاج والبرونز والعظام[6]، وظلت صناعة

[1]-D. Harden, The Phoenicians,Op- Cit, p152.

[2] – مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 111.

[3] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص ص 38-39.

[4] -S. Lancel, Op- Cit, p217.

[5] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص39.

[6] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص ص 105-107.

الحلي محافظة على مكانتها على الرغم من تراجع كميات الذهب بعد الحرب البونية الأولى[1].(ينظر الملحق رقم "14"، ص291).

يبدو أن صناعة العاج كانت منتشرة في فينيقيا وقرطاج، كما أنها كانت على درجة جيدة من التقدم والابتكار، لا سيما في الوطن الأم "صور"، وكانت قرطاج تمتلك مزارع الفيلة الخاصة بها ببلاد المغرب القديم، خاصة بعد أن استخدمت الفيلة بكثرة في الحروب، ويدخل العاج في الكثير من الأشياء مثل، تزيين الأبنية والأثاث، أو لصنع تماثيل، أو سلع صغيرة مثل الأمشاط، وصناديق المجوهرات، ودبابيس الشعر، وبعض الحلي[2].

كما استخدم العظم مثل العاج في العديد من الأغراض "السالفة الذكر"، بل كان أحيانا يصعب التمييز بينهما، ولقد توصل البحث الأثري في أوتيكا إلى قبر صانع عظام يرجع إلى بداية القرن الرابع قبل الميلاد، وكان القبر يضم بعضا من أدوات صناعته مثل مطرقة، وبلطة صغيرة، وسكينة حديدية، بالإضافة إلى بعض المواد الخام غير المصنعة، مثل عظام مفصل أغنام وحصى وأصداف، هذا ووجد بعض من منتجاته، مثل قلادات عظمية وغيرها[3].

إلى جانب نحت العاج والعظم، استخدمت أيضا قشور بيض النعام في صنع كؤوس وأقراص مزخرفة بزخارف ملونة وليست منحوتة، ويبدو أن مثل هذه الأشياء لم تكن معروفة في الشرق لكنها كانت منتشرة في قرطاج، لا سيما خلال الحقبة الأرستقراطية، بالإضافة إلى مواقع فينيقية غربية كثيرة، ولقد تم العثور في قرطاج على كؤوس، صنعت من بيض كامل أو ناقص، بيد أن أفضل الأكواب كانت تأتي من إسبانيا، وهي عادة تحمل زخارف هندسية وفنها عامة سيء[4].

تميزت الصناعات القرطاجية بالتطور التصاعدي من جهة، و الاختلاف من صنف إلى آخر من جهة أخرى، حيث عرفت بعض الأنواع تطورا على عكس أنواع أخرى، وهذا لا يعود

[1] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 35.

[2] - D. Harden, The Phoenicians , Op- Cit, p156.

[3]- G and Ch. Picard, Op- Cit, pp115.

[4] – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص181.

إلى عجز القرطاجيين، وإنما هو اختيار اقتصادي قد يكون خاضعا للعرض والطلب، وكانت الورشات الصناعية تنقسم إلى قسمين[1]:

– مصانع متوسطة أو كبيرة: تحت إشراف الدولة، تشتمل على العديد من العمال عبيدا وأحرارا، مهامها الرئيسة في الغالب تكون صناعة الأسلحة أو بناء السفن وتصليحها[2].

– مصانع صغيرة: كانت ملك لأصحابها ويعملون فيها مباشرة، وهذا ما تشير إليه النصب النذرية التي تعطينا فكرة إلى نوع المهن التي كان يمارسها المتوفون[3].

ولئن ذهبت جل الدراسات، لاسيما الغربية منها على اعتبار الصناعة القرطاجية لم تكن ذات الأهمية مقارنة بالزراعة والتجارة، ووجهة النظر هذه يمكن اعتبارها صحيحة نسبيا، إلا أن الاعتقاد بأن صناعة قرطاج لم تعرف الجدية والاختراع، فهذا حكم ينافي ويناقض مع معثر عليه من البقايا المادية للصناعة القرطاجية، التي يظهر عليها الجدية والاتقان في الصنع، كما أن مهارتهم في الصناعات الخشبية، والموانئ، والأدوات الزراعية، حقيقة لا يمكن طمسها أو جحودها، وما سعيهم للبحث عن المعادن وتجميعها من بلاد المتوسط لدليل قاطع على وجود أرضية محترمة لصناعة قائمة في المجتمع البوني[4].

يبدو أن المؤرخين الغربيين اعتادوا إطلاق أحكاما قيمية على كل ما يخص الحضارة القرطاجية، لذلك نود أن نعلق في هذا المجال، بأنه لا توجد أسس محددة لنوعية وتحديد طبيعة الصناعة يمكن تطبيقها في كل زمان ومكان مادامت الأذواق تختلف من شعب لآخر، ومن منطقة لأخرى وفقا للظروف المحيطة.

ثالثا) التجارة والحياة البحرية:

أتاح موقع قرطاج المميز لأرستقراطيتها وأولى الأمر فيها فرصة مزاولة التجارة بحرا وبرا ونظرا لما توفر لهؤلاء من خبرات سابقة في هذا المجال، فقد استغلوا كل الإمكانات المتاحة لتوفير الأجواء المناسبة لتحقيق المزيد من الثروة وجني الأرباح، لذلك كانت الحكومة القرطاجية تضع نصب عينيها إتباع سياسة تهدف إلى الحفاظ على مصالحها التجارية، وضرورة فتح الأسواق

---

[1] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 35.

[2] – المرجع نفسه، ص 35.

[3] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص39.

[4] – جمعة شيخة، المرجع السابق، ص336.

الخارجية باستمرار، واتخاذ التدابير الكفيلة بذلك، سواء بالقوة عن طريق التوسع وإنشاء المستوطنات أو بعقد المعاهدات مع المنافسين لإبعادهم عن مناطق نفوذها[1].

إن المحافظة على الأسواق والموانئ التجارية وشبكة الطرق المؤدية إليها، كانت من أهم دوافع إقدام حكومة قرطاج على خوض حروبها في غربي المتوسط، للاستحواذ على الجزر القريبة وإخضاع سواحل إسبانيا واستكشاف سواحل المحيط الأطلسي الأفريقية والأوربية[2]، بهدف الكسب وجمع الثروات ذلك أن قيمة الأسلاب كانت تزيد بكثير عن نفقات الحرب، فضلا عن توفير اليد العاملة الرخيصة من الأسرى[3].

إن الصورة التي انطبعت في أذهان الناس، لا سيما لدى الإغريق واللاتين، عند التفكير بقرطاجي نموذجي تتداعى إلى أذهانهم صورة تاجر[4]،وفي هذا المجال تم نسج الأعمال الدرامية والكوميدية حوله، ومن هذه الأعمال مسرحية كوميدية تسمى (Poenulus) كتبها بلاوتوس[5] (Plautes) في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد، ولكن من المفترض أنه نقلها أو حاكى فيها مسرحية يونانية من مطلع القرن الثالث قبل الميلاد تسمى القرطاجي، وتدور حول تاجر قرطاجي يسمى حنون كان يتاجر في الأطفال[6]، ويرسم الشاعر صورة ساخرة لشخصية حنون، حيث قدمه لنا على أنه شخص حاذق وماكر: **"كان يفهم جميع اللغات، غير أنه كان يتظاهر بخبث أنه لا يعرف منها شيئا، إنه قرطاجي حقيقي، وهذا كل ما يمكن أن نقوله [7]"**.

مهما قيل عن الرجل القرطاجي إلا أن ما جاء في النصوص يدل على أنه تمكن من إجبار الشعوب التي عاصرته، أن تعترف له بالمهارة والجرأة والقدرة على غزو مختلف

---

[1] -S. Lancel, Op- Cit, p171.

[2] – عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي، المرجع السابق، ص103.

[3] – أحمد صفر، المرجع السابق، ص145.

[4] – ب. ه. وارمنجتون، المرجع السابق، ص 459.

[5] – **بلاوتوس (254-184 ق.م)**: وهو شاعر لاتيني، وكاتب اشتهر بالكوميديا: ينظر: – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 118.

[6] – المرجع نفسه، ص ص 118-119.

[7] – نقلا عن: –فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو ...، المرجع السابق، ص110.

الأسواق، على الرغم من اتهامه في أغلب الأحيان بالدهاء والمكر والخديعة[1]، ومن هنا يتضح مدى العداء والحقد الذي كانت تكنه الشعوب الأخرى لقرطاج، حسدا على المكاسب الهائلة التي كانت تجنيها من التجارة لا سيما من قبل الرومان[2].

تظهر قيمة التجارة بالنسبة لقرطاج، من خلال تتبع تركيبة المجتمع القائمة على المتعاملين التجاريين، إذ نجد في أسفل الهرم الاجتماعي التجار والوسطاء الصغار، الذين يقتصر نشاطهم في مدنهم، ثم تليهم فئة التجار المصدرين والمستوردين، ثم يأتي أصحاب المؤسسات التجارية الكبرى المتمركزة في قرطاج أو حتى في إحدى المحطات التجارية الكبرى، ويليهم ملاك ومؤجرو السفن ومنظمو القوافل، وفي أعلى الهرم الاجتماعي نجد الطبقة الأرستقراطية الحاكمة التي تتحكم في كل أسس التجارة[3].

على الرغم من قوة النشاط التجاري القرطاجي وعظمته، إلا أنه لم يترك لنا آثارا تتفق مع هذه القوة، والباقي منها أقل بكثير من آثار المدن الكبرى الأخرى الموجودة في حوض البحر المتوسط، وكان السبب الرئيسي في ذلك هو أن معظم تجارة قرطاج ،كانت في سلع لا تترك أثر فأغلبها معادن خام، وهي الهدف الرئيسي من حركة الاستكشاف ثم الرقيق والمواد الغذائية وليس هناك شك أنه حتى القرن الثالث قبل الميلاد جنت منها قرطاج معظم الأرباح[4].

الجدير بالذكر أن التجارة القرطاجية لم تكن على وتيرة واحدة طوال مراحل تاريخ المدينة البونية، ولم تكن دائما مزدهرة، حيث كانت كثيرا ما تتأثر بالأحداث المحيطة بها، مما كان يؤدي أحيانا إلى إصابتها ببعض الانتكاسات والأزمات[5]، وعليه فقد مرت ببعض الأحداث الهامة التي أثرت فيها سواء بالسلب أو الإيجاب، وكانت أهم المؤثرات على تجارتها هزيمتها في معركة هيميرا عام (480 ق.م) أمام الإغريق التي أصابت تجارتها بهزة قوية[6]، وكشفت على مدى هشاشة الاقتصاد القرطاجي القائم بالأساس على التجارة وفقط في تحقيق المكاسب دونما

(1) - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص ص 41-42.

(2) - عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي، المرجع السابق، ص 147.

(3) - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص ص42-43.

(4) - B. H. Warmington, Op- Cit, p125.

(5) - أحمد صفر، المرجع السابق، ص 140.

(6) - المرجع نفسه، ص 144.

العناية بالجانب الزراعي والصناعي، إذ وكما "أشرنا سابقا" اكتفى القرطاجيون ببيع ما ينتجونه أو يستوردونه من مواد أولية دون تحويلها[1].

نجم عن هزيمة هيميرا سيطرة الإغريق على البحر المتوسط من المضيقين، أي"مضيق صقلية ومضيق ميسانا" إلى بلاد مصر مما حرم قرطاج من طريق العالم الشرقي، وأغلق في وجهها أهم الأسواق وأكثرها فائدة لتجارتها، وعلى هذا اتبعت قرطاج سياسة التقشف وانكمشت على نفسها، وأخذت في تنظيم وتدبير اقتصادها المتاح، وحاولت الاكتفاء ذاتيا في كل شيء، والتقليل من استيراد أية منتجات سواء كان ذلك من حلفائها أو من أعدائها[2].

قدمت لنا الكتابات القديمة ومحاولات الأثريين، فكرة عن الأوضاع التجارة القرطاجية خلال الحقبة المدروسة،ويمكننا تتبع ذلك كالتالي:

1- الرحلات الاستكشافية:

يرى الكثير أن الرحلات الاستكشافية التي قام بها القرطاجيون في تلك الأثناء، ما كانت سوي رد فعل للكارثة التي ألمت بهم بعد واقعة هيميرا، ورغبة في تعويض الخسائر التي ألحقت بهم من أسواق ومستوطنات، ومحاولة إيجاد غيرها في مناطق جديدة، لاسيما مناطق المواد الخام[3].

اختلفت الآراء كثيرا حول تاريخ القيام بهاتين الرحلتين، فبينما يذكر البعض أنهما قد وقعتا في عام (425 ق.م)[4]، يذكر البعض الآخر بأنهما قد تمتا في الحقبة الواقعة ما بين (450-350 ق.م)[5]، هذا ونجد رأيا ثالثا وأخيرا يضع تاريخ حدوثهما في فترة متقدمة نسبيا عن الاقتراحين الآخرين، حيث يعتبرهما في الفترة الواقعة ما بين (525-500 ق.م)[6].

---

(1) – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص45.

(2) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 144؛ ينظر أيضا: – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 46.

(3) - D. Harden, "The Phoenicians On The West Coast Of Africa " , **(A.Q. R. A)**, Englan, N° 87, September, 1948, p142.

(4) – عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 332.

(5) – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 132، ينظر أيضا:– جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 314.

(6) – الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص ص46–50؛ ينظر أيضا:

- D. Harden, The Phoenicians On The…, Op- Cit, p142.

ونحن إنما نميل إلى الرأيين الأولين، لأنهما يقعان في الفترة التي تلت هزيمة القرطاجيين في معركة هيميرا (480 ق.م)، حيث تبين مما سبق أن الهزيمة قد أحدثت ثورة إصلاحية في قرطاج شملت كافة المجالات تقريبا، ومن بينها التجارة والرحلات الاستكشافية.

يعتقد أن هذه الرحلات جاءت كرد فعل لهذه الهزيمة، ورغبة في تعويض الخسائر التي منيت بها قرطاج في هذه الحرب، لاسيما الاقتصادية منها، والتي أثرت على قرطاج في العديد من النواحي[1].

إذا ما حاولت الدراسة أن تكون فكرة مقنعة عن التاريخ الذي وقعت فيه الرحلتان، فإننا نجد رحلة سكيلاكس[2] (Scylax) في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد تتحدث عن مستعمرة أسسها حنون وأسمها تمياتيريا[3] (Thymiateria)[4]، ثم إن صمت هيرودوت عن الحديث على هاتين الرحلتين، في حين كان قد تطرق إلى رحلات ومغامرات شبيهة خاضها الفينيقيون ومن المعلوم أيضا أن هيرودوت زار مصر ولا يستبعد أيضا بأنه زار برقة ووصفهما، ووصف الأرجاء والقبائل وما يحكى عنها من أساطير كان التجار من سكان الحواضر يتداولونها في ذاك الوقت [5]، وبما أنه كتب كتابه في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ولم يذكر شيئا عن الرحلتين[6]، فالمرجح أن تكونا قد وقعتا فيما ما بين (450 ق.م) و (350 ق.م)[7].

مهما يكن من أمر تذهب غالبية الدراسات إلى أن قرطاج بعد واقعة هيميرا، وبأمر من مجلس الشيوخ جهزت لرحلتين أوكلتهما لقائدين، هما هملكون وحنون للاضطلاع بالنشاط

---

(1) -C. Howgego, "Ancient History From Coins", **(A.J.A)**, American, Vol, 105, 2001, p358.

(2) – **سكيلاكس**: بحار وجغرافي، وصلتنا كتابته تحت عنوان رحلة سكيلاكس، جاب العديد من البحار حتى نفذ إلى البحر المتوسط، وكان ذلك في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، ومع ما يشوب نصوصه من غموض وتشويش، فقد تضمنت بعض الأماكن الممتد على كامل سواحل ليبيا القديمة ابتداء من خليج السيرت الكبير، وحتى أعمدة هرقل. ينظر: -محمد الصغير غانم، معالم...، المرجع السابق، ص104.

(3) – **تمياتيريا**: هي المهدية اليوم قرب مدينة الرباط، ويفترض أنها أولى المدن التي أسسها حنون في طوافه ينظر: – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 127؛ ينظر أيضا: – عبد المنعم المحجوب، رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل، دار تانيت، ط2، (ب م ن)، 2016، ص ص 21.

(4) – جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 314.

(5) – عبد المنعم المحجوب، رحلة ...، ص ص 21-22.

(6) - D. Harden, The Phoenicians On The… , Op- Cit,p145.

(7) –جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 314.

التجاري، حيث بلغ شغفهم بالتجارة وسعيهم إلى توسيع نطاقها أنهم وصلوا في العالم المجهول إلى أبعد مما بلغه المكتشفون الأوربيون في القرون الوسطى[1]، وكشف أسواق أخرى وتأسيس مستوطنات جديدة، وهذا ما تؤكده الرحالات الاستكشافية [2].

1-1- رحلة هملكون (450 ق.م):

كانت الغاية من هذه الرحلة هو إيجاد اتصال مباشر مع الكشف عن مصادر مواد أولية جديدة في جنوب غرب بريطانيا، لاسيما بعد أن احتلت المراكز العسكرية الإغريقية مصب نهر الرون (Le Rhône)، طريق تجارتهم القديم عبر بلاد غالة "فرنسا" [3]، ولقد انطلقت هذه الرحلة من مدينة قادس "بإسبانيا" في اتجاه الشمال لاستكشاف السواحل الأوروبية، والوصول إلى مصادر القصدير أو الرصاص الأبيض [4].

الحقيقة لا توفر المادة الخبرية وثائق غزيرة حول هذه الرحلة سوى فقرات قليلة من قصيدة في الجغرافيا، وضعها الشاعر الروماني رفوس فستوس أفيانوس[5] (Festus Avienus Rufus) في بداية القرن الرابع قبل الميلاد، وعنوان هذه القصيدة (Ora Maritima) أي "الشاطئ الحد البحري"، ويصف فيها الشاعر سواحل البحر حسبما وجدها هملكون في رحلته فيقول[6]: "**إن القرطاجي هملكون، الذي يحكي بأنه جرب نفسه هذا السفر، يؤكد أنه لا يمكن إلا بجهد جهيد قطع تلك المسافة في أربعة أشهر، وذلك لعدم وجود أي نسيم يدفع السفينة إلى الأمام، فإن ماء هذا البحر الميت يبدو ساكنا جامدا، وزيادة على ذلك فإن كمية كبيرة من الطحالب تصعد من قاع البحر وتصبح شبه سياج يحبس السفينة، ومع ذلك فإن البحر خال من العمق لا تغطي قعره سوى طبقة رقيقة من الماء،**

[1] – جيمس ويللارد، المرجع السابق، ص 76.

[2] –سامي ريحانا، الفينيقيون...، المرجع السابق، ص88.

[3] – كارلهاينز برنهردت، لبنان القديم، تر: ميشيل كيلو، قدمس للنشر والتوزيع، ط1، سورية، 1999، ص136.

[4] – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 43.

[5] – **رفوس فستوس أفيانوس**: ولد في مدينة فولسيني (Vulsinie) بأتروريا في القرن الرابع الميلادي، تولى منصب البروقنصلية مرتين، وله عدة أشعار، وصلنا منها قصيدة وصف الكون، والمناطق البحرية، تتميز قصائده بطابعها العلمي. ينظر: –محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 43.

[6]- Selon: J. A. Church and A. Gilman, Op- Cit, p101.

وفي كل وقت ترى حيوانات بحرية تجول هنا وهناك وحيتانا مخفية تمر بين السفن التي تزحف ببطء وبتعب شديد[1]".

يرى البعض في هذا التقرير الذي أمعن في سرد ووصف أشياء مخيفة ومرعبة شيء معتمد من القرطاجيين، وذلك حرصا منهم على احتكارهم التجاري لهذه الطرق والأسواق التجارية الهامة، فلذلك أسهب النص في ذكر أشياء كفيلة بعرقلة أية محاولة أخرى لارتياد هذه البحار[2].

يعتقد أن هملكون وصل إلى سواحل غرب بلاد غالة وتوقف لفترة قصيرة في منطقة الموربيهان (Morbihan) ببريطانيا "شمال غرب فرنسا اليوم"، والتي كانت سوقا مصدرا للقصدير والرصاص منذ وقت طويل جدا، ومنها نحو جزر القصدير (Cassiterides)[3]، حيث مناجم الكورنوول (Cornwall) المتوفرة على القصدير، وأقام علاقات مع مستخرجي هذا المعدن[4]، وبعدها واصل طريقه حتى جزيرة إيرلندا، ومنها عاد إلى قادس[5].

وكان لهذه الرحلة نتائج اقتصادية عظيمة، حيث ازدهرت صناعة البرونز في قرطاج أواخر القرن الخامس قبل الميلاد بفضل استخدام القصدير البريطاني[6]، ولذلك أخفى القرطاجيون معرفتهم لهذا الطريق بهدف "كما سبق الاشارة إلى ذلك" المحافظة على احتكار العمليات التجارية هناك لصالحهم فقط، علما أن الإغريق حاولوا الوصول إلى تلك المناطق من أجل ممارسة عمليات تجارية مشابهة، إلا أن قرطاج استبسلت في الدفاع عن احتكارها لهذه الأسواق والطرق التجارية الهامة، وفي هذا الشأن يرد ذكر قصة طريفة: **"ذات يوم لحق بعض البحارة الأغارقة بإحدى تلك السفن لمعرفة سر المضيق، إلا أن ربانها، لكي يحافظ على سرية الطريق البحري، حول اتجاهها وجنح بها في المياه الضحلة كي يجر مطارديه إلى نفس**

---

(1) - نقلا عن:-أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 134-135.

(2)- J. A. Church and A. Gilman، Op- Cit, p101.

(3) - محمد البشير بشاري، المرجع السابق، ص ص 43-44.

(4) - أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 135-137.

(5) - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص44.

(6) - أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 135-137.

المنطقة، ويكبدهم نفس الخسارة، أما هو فتمكن من الخروج سالما، وتحصل مقابل ذلك على مكافأة مجزية من حكومته[1]".

1-2- رحلة حنون (425 ق.م):

تعد المعلومات عن هذه الرحلة وافية وقيمة مقارنة برحلة هملكون، والمخطوط الوحيد الباقي الذي يتناولها يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وهذا المخطوط أفسده كثرة النقل والنسخ والقصة في مجملها مقبولة لدى أكثر الباحثين، ولكنهم يختلفون بشكل شديد في بعض التفاصيل، مثل تحديد الأماكن الجغرافية التي يذكرها حنون، وأقصى منطقة وصل إليها، ويذهب البعض إلى أن النص أكثره مزيف، ومع أن هذا القول فيه نوع من المبالغة، إلا أنه لا نشك في أن القصة بها كثير من الأخطاء والمتناقضات، فالنص الذي وصل حول هذه الرحلة هو عبارة عن الترجمة الإغريقية[2] للوصف الذي دونه حنون نفسه ووضعه في معبد كرونوس[3](Kronos) "بعل حمون" في قرطاج، على لوح معدني من صفائح لبرونز، ويبدو أن هذا اللوح دمر عند سقوط قرطاج في حين بقيت الترجمة الإغريقية الغير الدقيقة[4]، وترجع هذه الترجمة إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد أو بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت معروفة لدى سترابون في القرن الأول قبل الميلاد واعتقد أنها محض خرافة، ومع ذلك فلا شك أن الرحلة حقيقة تاريخية، وأنها تقررت ونفذت بناء على قرار مجلس الشيوخ القرطاجي[5].

إن ما يؤكد صحة الرحلة ما هو معروف من وجود مستعمرات فينيقية في غرب أفريقيا، ولو أن هذه المستعمرات زالت بعد الحروب البونية، ولكن ذكرى النفوذ الفينيقي ظلت

---

(1) –نقلا عن:–فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص ص 127-128؛ ينظر أيضا: –كارلهاينز برنهردت، المرجع السابق، ص 137.

(2)– محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 124.

(3) – **كرونوس**: من شخصيات الميثولوجيا الإغريقية، وهو إله الزمن و الوقت و الحصاد عندهم، والجدير بالذكر أن الإغريق كانوا يذكرون الآلهة القرطاجية تحت أسماء إغريقية، لذلك نجد على سبيل المثال كرونوس يطلق بعل حمون. ينظر: –ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1994، ص ص192-193.

(4) – جورج سارتون، العلم القديم في العصر الذهبي لليونان (تاريخ العلم)، تر: جورج حداد وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ج2، ص 149-150؛ ينظر أيضا:

- D. Harden, The Phoenicians On The West…, Op- Cit, p142.

(5) – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 125.

باقية في غرب إفريقيا بعد ذلك بمدة طويلة، وجاء عن القديس أوغسطين[1] (Augustin) عند كونتينو أن الناس في زمانه، في بعض بقاع الشاطئ الغربي الأفريقي كانوا لا يزالون يتكلمون اللغة الفينيقية[2].

وفيما يلي ذكر نص الرحلة، كما عثر عليه مع الإشارة إلى بعض الشروحات التي قدمتها الدراسات الحديثة حول هذا النص:

هذه هي قصة رحلة حنون ملك القرطاجيين الطويلة حول أرجاء لوبة، وراء أعمدة هرقل، والتي قام بوضعها على لوح في معبد كرونوس[3].

- قضى القرطاجيون أن يشرع حنون في رحلة وراء أعمدة هرقل، وأن يؤسس مدن ليبية فينيقية وأبحر وفقا لذلك بستين سفينة خماسية، وجماعة من الرجال والنساء عددهم ثلاثين ألف ومؤن وضروريات أخرى[4].

- عندما اجتزنا الأعمدة في رحلتنا، وأبحرنا وراءها ليومين، أنشانا المدينة الأولى التي أسميناها تمياتيريا، ودونها يمتد سهل واسع[5].

- ومن ثم تقدمنا غربا، وجئنا إلى سولويس[6] (Soloeis) وهو جبل ليبي مغطى بالأشجار، هناك شيدنا معبد لبوسيدون (Poseidon)[7] إله ليبي جعل غالبا إله البحر[8]، ولقد حظي بمكانة مرموقة لدى القرطاجيين، وما يؤكد ذلك بأنه وفي معركة هيميرا

---

[1] - **أوغسطين (354-430م)**: واحد من أهم رجال الدين الكنسيين في بلاد المغرب القديم، وواحد من أبرز المفكرين له العديد من المؤلفات، ومن أهمها كتاباته مدينة الله، ويرجع له الفضل في تطرقه لبعض الجوانب من تاريخ قرطاج. ينظر:
-عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق، ص35.

[2] - نقلا عن:-جورج كونتنو، المرجع السابق، ص314.

[3]-D. Harden, The Phoenicians, p174.

[4] - فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص97.

[5] - المرجع نفسه، ص97.

[6] - **سولويس**: وهو رأس كانتين (Cape Cantin)، والذي يقع شمال مدينة آسفي حاليا ،ما بين نهر أم الربيع، ونهر تانسيفت. ينظر:
- D. Harden, The Phoenicians On The West…, Op- Cit, p142.

[7] - فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص97.

[8] - عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص98.

(480 ق.م) قام هملكار الماغوني بذبح قربان له، وفي حصار القرطاجيين لأكريكانتوم (406 ق.م) قاموا بذبح طفل للإله ملكارت، وعدة حيوانات للإله بوسيدون[1].

– تقدمنا شرقا لمدة نصف يوم، حتى وصلنا بحيرة ليست بعيدة عن البحر يملؤها دغل كبير من القصب، وهنا كانت تقتات الفيلة وعدد كبير من الوحوش البرية[2]، وحسب مازيل يمكن أن يكون المكان المقصود بحيرة أوليديا بالساحل المغربي[3].

– بعبورنا البحيرة زهاء يوم من الإبحار، تركنا مستوطنين في المدن الساحلية، تسمى: كاره (Kare)، وغوتا (Gytta)، وأكرا (Acra)، ومليتا (Malitta)، وأرامبسوس (Arambys)[4]. وكانت عبارة عن محطات أو مستوطنات تجارية سرية قام بإحيائها أو انشائها حنون مهمتها الأساسية زراعية[5].

– ومن ثم جئنا إلى نهر لكسوس العظيم الذي يتدفق من ليبيا، وعلى ضفته كانت قبيلة من الرعاة الليكسيين ترعى قطعانها، وأمضينا معهم بعض الوقت في علاقة ودية[6]، ويعتقد أن الليكسيت هم من الرحل، والإغريق كانوا يسمون النوميديين بالرحل (Nomadas)، وبالتالي فالليكسيت هم نوميديون رعاة وهم رعايا لفينيقي ليكسوس[7]، في حين يرى مازيل بأن الرعاة الليكسيت هم البدو المور وهم من نقلهم حنون معه ليكونوا مترجمين، حيث كان كبار البدو في الصحراء الغربية يلعبون دور الوسطاء بين إفريقيا البيضاء وإفريقيا السوداء[8].

– وبعد أن تدبرنا بمشقة مترجمين منهم، واصلنا إبحارنا جنوبا بمحاذاة الصحراء طوال يومين، وتقدمنا من ثم شرقا لبقية اليوم فوجدنا في تجويف خليج صغير دائرة من خمسة

---

(1)– كاركوبينو جيروم، المغرب العتيق، تر: محمد التازي سعود، نشر أكاديمية المملكة المغربية، (ب ط)، الرباط، 2008، ص ص 139-140.

(2) – فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص97.

(3) – جان مازيل، مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير، تع: نجيب غزاوي، دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 1998، ص 202.

(4) – فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص97.

(5) – كاركوبينو جيروم...، المرجع السابق، ص 125.

(6) – فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص97.

(7) – كاركوبينو جيروم...، المرجع السابق، ص135.

(8) – جان مازيل، تاريخ الحضارة...، المرجع السابق، ص 207.

غلوات، وهناك أقمنا مستوطنة دعوناها قرنه (kernne) وقدرنا من رحلتنا أن هذا المكان "موقع الجزيرة" يقع على خط مستقيم مع قرطاج، ذلك أن مسافة رحلتنا من قرطاج إلى الأعمدة تعادل المسافة من الأعمدة إلى قرنه[1]، ويقدم (Harden) في هذا الشأن ثلاثة احتمالات رئيسية من أجل تحديد موقع قرنه ثم يرجح الاقتراح الثالث الذي يضعها بالقرب من مصب نهر السنغال[2].

- جئنا بعد ذلك إلى بحيرة وصلناها بالإبحار في نهر واسع يدعى كريتس (Chretes) "نهر السنغال"، ولهذه البحيرات ثلاث جزر أكبر من قرنه، وبإبحارنا ليوم آخر وصلنا إلى طرفها الذي كانت تتدلى عليه جبال كبيرة يقطنها أناس متوحشون يرتدون جلود الحيوانات البرية، وقد أبعدونا برمي الحجارة، ولم يسمحوا لنا بالنزول إلى البر[3].

- ومن هنا دخلنا نهرا آخر عميقا ومتسعا مليئا بأفراس النهر والتماسيح، وبعد ذلك عدنا إلى قرنه[4].

- ولقد أبحرنا نحو الجنوب لمدة اثنى عشر يوما من هناك بمحاذة الساحل الذي كان يسكنه الأثيوبيون الذين فروا منا، وكان كلامهم غير مفهوم حتى بالنسبة لمترجمينا الليكستيين[5]، وهنا ينبغي التفرقة بين الأثيوبيين الشماليين الذين يعتبرون من البربر، وبين الأثيوبيين الجنوبيين الذين تغلب عليهم الصفة الزنجية بحكم وجودهم في المنطقة المتاخمة مباشرة للأقاليم الاستوائية، وهم يختلفون تماما عن إخوانهم في الشمال، وما يدل على ذلك أن التراجمة في ليكسوس عجزوا عن التفاهم معهم[6].

- وفي اليوم الثاني عشر ألقينا المرسى تحت سلسلة جبال مكسوة بالأشجار العطرة، وذات أنواع كثيرة[7]، ويعتقد أنها جبال الرأس الأخضر (Cap Vert)[8].

---

[1] - فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص ص 97-98.

[2] - D. Harden, The Phoenicians On The West…, Op- Cit, p144.

[3]-Ibid, p144.

[4] - فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص 99.

[5] - المرجع نفسه، ص 99.

[6]- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص235.

[7] - فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص 99.

[8] - فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو ....، المرجع السابق، ص132.

– بعد الإبحار حول هذه الجبال لمدة يومين، وصلنا إلى خليج فسيح متسع على جانبيه أراضي منخفضة، ومن هنا شاهدنا أثناء الليل نيرانا تتصاعد من كل جانب في فترات غير منتظمة[1].

– تزودنا بالماء من ذلك المكان، وأبحرنا إلى الأمام لخمسة أيام على طول الساحل حتى وصلنا إلى خليج كبير الذي كان مترجيمنا يسمونه القرن الغربي وتوجد فيه جزيرة كبيرة، وفيها بحيرة عليها جزيرة أخرى، وعند النزول عليها لم نشاهد غير غابة أثناء النهار ولكن أثناء الليل شاهدنا عدة نيران وسمعنا أصوات المزامير والطبول وصيحات زحام كبير، واستولى علينا الخوف وأمرنا العرافون أن نترك الجزيرة[2].

– فأبحرنا من هناك بسرعة وسرنا بمحاذاة بلد متقد ونحن نطوف كانت تتصاعد منه روائح البخور، وكانت هناك أنهارا كبيرة من النار والحمم تنساب إلى أسفل حتى تصب في البحر، والأرض غير قابلة للاقتراب منها بسبب الحرارة[3].

– فتركنا هناك بسرعة خائفين وأبحرنا أربعة أيام حتى مررنا ببلد ليلا كانت مشتعلة، وفي وسط المنطقة كان هناك لهيب مرتفع فوق النيران يبدو وكأنه يلامس النجوم، وكان هذا أعلى جبل شاهدناه ويسمى عربة الآلهة[4]، ويجمع كثير من الكتاب على أنه جبل الكاميرون ويبلغ ارتفاعه أربعة آلاف متر[5]، ويعتقد أنه كان نهاية مطاف الرحلة التي قام بها حنون إلى ساحل إفريقيا الغربية[6].

–من هناك أبحرنا لمدة ثلاثة أيام حيث يوجد المزيد من فيضانات اللافا المشتعلة حتى وصلنا إلى خليج يسمى القرن الجنوبي[7].

---

[1] – فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص 99.

[2] – جان مازيل، تاريخ الحضارة...، المرجع السابق، ص205.

[3] – المرجع نفسه، ص205.

[4] – المرجع نفسه، ص206.

[5] – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص126.

[6]– شريف محمد شريف، تطور الفكر الجغرافي (العصور القديمة)، مكتبة الانجلو، ط1، القاهرة، 1996، ج1، ص116.

[7] – جان مازيل، تاريخ الحضارة...، المرجع السابق، ص206.

– عند أقصى نهاية هذا الخليج توجد جزيرة، مثل الأولى ذات بحيرة يوجد فيها جزيرة أخرى مليئة بالبرابرة المتوحشين، العدد الأكبر منهم كانوا نساء ذوي أجسام مليئة بالشعر، وهم الذين أطلق عليهم المترجمون اللغويون اسم غوريلا، وقمنا بمطاردتهم وكنا غير قادرين على الإمساك بأي من الرجال، لأنهم كانوا يتسلقون المرتفعات وهربوا ودافعوا على أنفسهم عن طريق إلقاء الأحجار لكننا استطعنا الإمساك بثلاثة من النساء، اللاتي قمن بعض ومهاجمة هؤلاء الذين يحملونهم، حتى صاروا غير راغبين في اتباعهم، ولذلك قمنا بقتلهن وسلخهن وأحضرنا جلودهم معنا إلى قرطاج، لأننا لم نبحر أكثر من ذلك كون مؤننا نفذت منا[1].

بعد أن أوردنا رحلة حنون، حاولات بعض الدراسات التعليق على بعض النقاط الواردة فيها، لقد رأينا في الفقرة الأولى من هذا النص أن الهدف من هذه الرحلة هو تأسيس مدن ومستعمرات جديدة في غرب إفريقيا، وهو الهدف المعلن من خلال هذا النص، هناك رأيا آخر يرى أن الهدف منها هو إحلال قرطاج محل لكسوس المركز الفينيقي القديم في استغلال تجارة الذهب المستخرج من السودان والذي كانت القوافل تحمله إلى جزيرة قرنة[2].

حرص القرطاجيون على سرية النتائج الاقتصادية والتجارية لرحلاتهم الاستكشافية، لذلك لا يحدد تقرير رحلة حنون الاستكشافية، تفاصيل الطريق الذي اجتازته، لكنه يصفها في المقابل وصفا تخويفيا مسهبا أحداثا طبيعية خطرة، كما رأينا من خلال النص، كما أفرط التقرير عن عمد ذكر المبالغات المفزعة، لإبعاد وإخافة الذين قد يفكرون في منافسة القرطاجيين على طريق غرب إفريقيا، وهذا يفسر أيضا خلو التقرير من ذكر أي نجاحات اقتصادية للرحلة، ويكتفي بالحديث عن تأسيس المستوطنات[3]، ويلاحظ أيضا في تلك الفقرة أن عدد السفن وأفراد الرحلة كان كبيرا للغاية، ويصعب تقبل هذا الرقم لما يستوجبه ذلك من تجهيزات ضخمة في الوقت الذي يمكن فيه تقدير عدد سكان العاصمة حوالي مئتي ألف نسمة[4].

مهما قيل عن هذه الرحلة، نجد أغلب الدراسات تستنتج أن حنون وصل في رحلته البحرية إلى خليج غينيا، مارا بسواحل موريتانيا والسنغال، وأن تقريره تضمن حقائق جغرافية

---

[1] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص100.

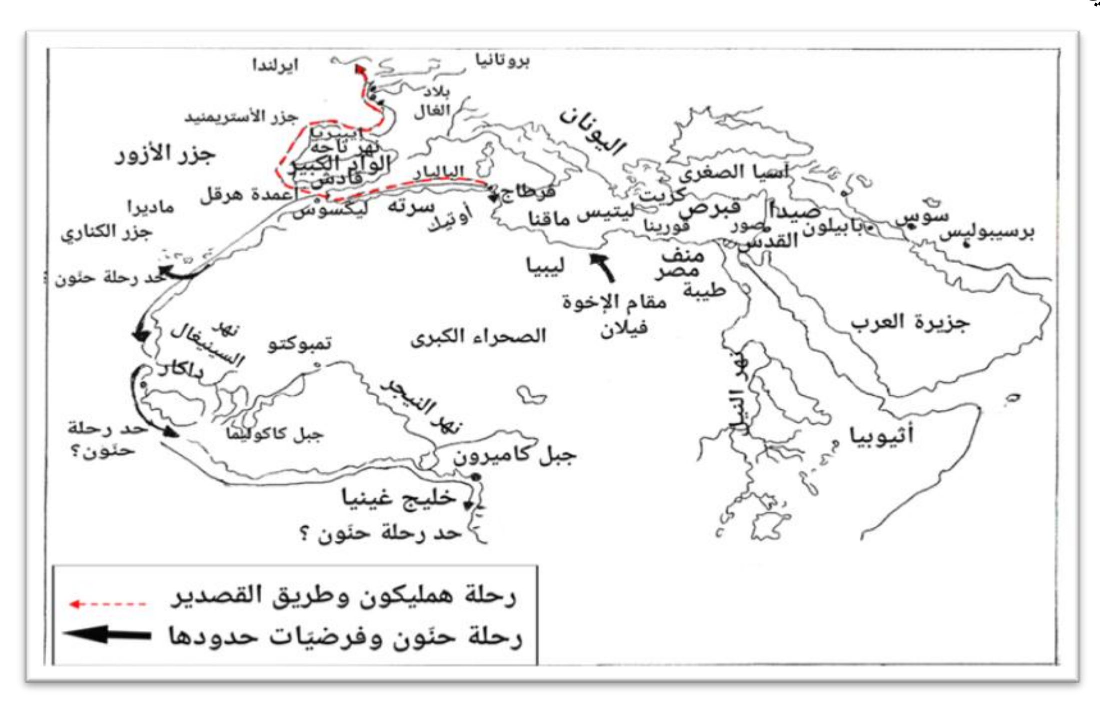
[2]-J. A .Church and A. Gilman, Op- Cit, p100.

[3] – كارلهاينز برنهردت، المرجع السابق، ص ص 137-138.

[4]– رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص234.

والمشاهدات الحديثة، وأنه بذلك قد سبق الملاحين البرتغال في استكشاف تلك السواحل الإفريقية بألفي عام تقريبا[1]، ولا يسعنا إلا الإقرار بأن هذه الرحالات الاستكشافية، تعد من المآثر العظيمة التي تحسب لصالح الحضارة القرطاجية، حيث وصل شغفهم بالتجارة وسعيهم لتوسيع نطاقها، أنهم وصلوا في العالم المجهول إلى أبعد مما بلغه المكتشفون الأوربيون في القرون الوسطى[2].

الجدير بالملاحظة أن القرطاجيين أحسنوا الإفادة من اكتشاف أسلافهم الفينيقيين لمجموعة الدب الأصغر، الذي أطلق عليه الإغريق اسم النجم الفينيقي[3]، وعلى الرغم من كثرة معلوماتهم ومعارفهم الجغرافية عن العالم القديم بره وبحره إلا أنهم لم يوجهوا عنايتهم قط إلى رسم الخرائط من أي نوع، ويمكن القول مرة أخرى، أن شدة حرصهم على تكتم أسرار ومسالكهم التجارية والاحتفاظ بمصادر ثروتهم لأنفسهم، ربما كان السبب في قلة تراثهم الجغرافي[4].



الخريطة رقم "6": تبين مسار طريق كل من رحلة هميلكون وحنون.

نقلا عن: - الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص47. (بتصرف)

---

(1) - سارتون جورج، العلم القديم...، المرجع السابق، ص149-150.

(2) - المرجع نفسه، ص 150.

(3) - عبد العزيز فتح عمر حجازي، المرجع السابق، ص34.

(4) - شريف محمد شريف، المرجع السابق، ص 120.

2- العلاقات التجارية:

اتفقت كل المصادر والمراجع على تقديم اقتصاد قرطاج على أنه اقتصاد تجاري في المقام الأول، حيث ارتاد التجار القرطاجيون كل موانئ البحر الأبيض المتوسط، وتاجروا بكل المواد المتبادلة في تلك الفترة، وبدون شك كان هناك تجارا من شعوب مختلفة على غرار الإغريق والأتروسكيين، لكن من الواضح أن القرطاجيين إحتلوا مكانة مميزة[1]، ولكن الغريب في الأمر أن المصادر الكلاسيكية أهملت هذا الجانب خلال المرحلة المدروسة، بل واعتبرت أن قرطاج لم تستطع الحفاظ على تفوقها التجاري وسعت في التوسع على حساب أراضي السكان المحليين، وربما يكون هذا الإهمال متعمدا من طرفهم في محاولة منهم لاعتبار أو التأكيد على أن قرطاج كانت دولة استعمارية[2].

من خلال ما سبق يمكننا تتبع الحركة التجارية التي انتهجتها قرطاج خلال الحقبة المدروسة من خلال ما وفرته لنا المادة المتوصل إليها من قرائن تاريخية:

2-1- مع مناطق غرب إفريقيا:

يحدثنا هيرودوت عن التجارة القرطاجية على الساحل المراكشي، فأشار حوالي (430 ق.م) يقول: "**أخبرنا القرطاجيون أيضا عن جزء من إفريقيا وسكانها وراء مضيق جبل طارق، وعندما وصلوا هذا البلد أفرغوا بضائعهم ورتبوها على الشاطئ ثم عادوا إلى سفنهم وأرسلوا إشارة بالدخان، وعندما رأى السكان المحليين الدخان فجاؤوا إلى البحر ووضعوا كمية من الذهب مقابل البضائع ثم قفلوا راجعين عندئذ عاد القرطاجيون إلى الساحل مرة أخرى وفحصوا الذهب الذي تركه الوطنيون، فإذا رأوا أنه يعادل قيمة البضائع أخذوه وأبحروا بعيدا، وإلا عادوا إلى سفنهم وانتظروا حتى يضيف المحليين الذهب الكافي لإرضائهم، ولا يخدع أي جانب الآخر فلم يكن القرطاجيون يقربون الذهب حتى يساوي قيمته ما أحضروه لبيعه، ولم يكن الوطنييون يقربون البضائع حتى يتم نقل الذهب من مكانه**[3]".

---

[1] - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص95.

[2] - ميلود التوري، المرجع السابق، ص ص 30-32؛ ينظر أيضا:- محمد الصغير غانم، المملكة...، المرجع السابق، ص ص 33-34.

[3] - نقلا عن:- عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص ص 344-345.

كان هذا الوصف المبكر لطريقة المقايضة الصامتة القديمة، ومن المرجح أن تجارة الذهب هذه ترتبط عادة بمناقشة وتحليل نص إغريقي، وقد يكون ترجمة لتقرير عن رحلة إلى جنوب الساحل المراكشي قام بها حنون، الذي يعتبر واحد من زعماء أسرة ماغون في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، ورجل الدولة المسؤول عن التوسع القرطاجي في أماكن أخرى بإفريقيا[1].

وفي مصدر جغرافي إغريقي آخر يشير سيكلاكس حوالي (338 ق.م) **"في قرنة يرسى الفينيقيون "يعنى القرطاجيين" سفنهم التجارية المعروفة باسم جولوا[2] (Gauloi) وينصبون خيامهم في الجزيرة وبعد أن يفرغوا بضائعهم ينقلونها في البر في قوارب صغيرة، حيث يعيش الأثيوبيون الذين يتاجرون معهم، ومقابل بضائعهم يحصلون على جلود الغزلان والأسود والنمور وأسنان وجلود الفيلة... ويحضر الفينيقيون العطور والأحجار الكريمة المصرية الخزف المزخرف أو القشاني والفخار والجرار الأثينية"**، ويظهر في هذا النص عدم ذكر للذهب، وتظهر قرنة كمرسى أكثر منها مستوطنة، ويبدو أن البضائع التي أحضرت من قرطاج صحيحة، ولكن الحصول على جلود الحيوانات المفترسة أمر مشكوك فيه على أساس أنه يمكن الحصول عليه بالقرب من قرطاج[3].

2-2- مع مناطق البحر المتوسط:

اتبعت قرطاج منذ نهاية القرن السادس قبل الميلاد سياسة تجارية حازمة من أجل الحفاظ على تفوقها التجاري في البحر المتوسط، وهناك من يرى أن هذه السياسة تتلخص في فتح أسواق جديدة سواء بالقوة أو عن طريق المعاهدات أو عن طريق تأسيس المستعمرات[4]، بل وصل بها الأمر إلى إغراق أي سفينة تتجاوز مجال قرطاج التجاري[5]، لا سيما مع المنافسين المحتملين على غرار الإغريق والرومان، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال كثرة الاشتباكات بينهم و التي تعرضنا لها سابقا[6]، وبالرغم من الانتكاسة التي عرفتها التجارة القرطاجية بعد كارثة

---

(1) – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص149؛ ينظر أيضا:-ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص 460.

(2) – حول هذا النوع من السفن ينظر:- ريمة مليزي، المرجع السابق، ص57.

(3) – نقلا عن:-ب.هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص ص 460-461.

(4)-S. Moscati, Op-Cit-p180.

(5)- ب .هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص462.

(6) – المرجع نفسه، ص، ص466،461، 468.

هيميرا (480 ق.م)، إلا أنها سرعان ما استرجعت قوتها والثأر من الأغارقة ورد الاعتبار سنة (409 ق.م)، وبذلك أرجعت مكانتها التجارية الطبيعية وظهرت هيمنتها على الأسواق المتوسطية[1]، هذا وساهمت التغييرات الاقتصادية والسياسية الضحمة التي عرفها حوض المتوسط نتيجة لفتوحات الإسكندر الأكبر، في ايجاد أسواق كبرى عالمية الطابع للمصنوعات الرخيصة، التي أتاحت لقرطاج موقعا مميزا يمكنهم من ترويجها وجني الأرباح منها[2].

في ذات الحقبة باشرت قرطاج في تجديد المعاهدة المبرمة مع روما، وذلك في (348 ق.م) بهدف تدعيم نفوذها السابق إضافة إلى سواحل بلاد المغرب القديم بصفة ضمنية، وجزيرة سردينيا وجنوب إسبانيا، كما فرضت على روما شروطا أكثر تصلبا من المعاهدة الأولى المبرمة (509ق.م) بخصوص تعاطي التجارة والملاحة[3]، حيث حظرت فيها على الرومان الإبحار غرب قرطاج العاصمة، واشترطت عليهم تفريغ حمولة سفنهم بمينائها لتتولى السفن القرطاجية توزيعها غربا[4]، كما كان محظورا على التجار الرومان الشروع في أي نوع من المعاملات التجارية إلا بحضور مشرفين قرطاجيين[5]، وقد كانت السلع الأساسية المتداولة في هذه الحقبة هي الخزف وتبدو قرطاج في هذه المرحلة بمظهر أكبر شركاء روما التجاريين[6].

تبدو صقلية البونية بمظهر المنطقة المفتوحة على التجارة الحرة، وتعد هذه التجارة الحرة التي وهبتها قرطاج لصقلية، وجه ثان من وجوه المعاملات التجارية القرطاجية، ذلك أن البونيين باعتمادهم على هذه الاستراتيجية في التعامل مع بعض مستوطناتهم، إنما أرادوا المحافظة على منفذ مفتوح تجاه التجار الأجانب، وبعبارة أوضح سعت قرطاج إلى أن تجعل من الجزء الواقع تحت سيطرتها فضاء للتبادل الحر يرتاده التجار من مختلف مناطق المتوسط[7]، أمثال

---

(1) – محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 46.

(2) – ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص462.

(3) – نبيل قلالة، قرطاج...، المرجع السابق، ص ص 51-52؛ ينظر أيضا: – فوزي مكاوي، العلاقات بين بين روما وقرطاج ورما قبل اندلاع الحروب البونيقية، "**مجلة كلية الآداب**"، ع2، جامعة طنطا، 1985، ص 167.

(4)- Polybius, III, 22.

(5)-Ibid,III, 6.13.

(6) – الشاذلي بورنية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص231.

(7) – المرجع نفسه، ص 243.

الأتروسكيين والإغريق والرومان لتسويق بضائعهم [1]، ويبدو أن قرطاج كانت مضطرة لاتباع هذه السياسة في صقلية، حيث كانت هذه الأخيرة منطقة تعايش تجمع بين الأغريق والقرطاجيين، فلذلك رأت قرطاج أن ممارسة سلطة مطلقة هناك قد يؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار وهي نتيجة معاكسة تماما لما كانت قرطاج قد تود تحقيقه[2].

الجدير بالذكر أن ثلث واردات قرطاج نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ومنتصف القرن الرابع قبل الميلاد، تركزت على المصنوعات الفخارية بمختلف أنواعها، وهي بضائع يتزود بها القرطاجيون ليقوموا بترويجها في مناطق أخرى من البحر المتوسط، ويدخل إنتاج جنوب إيطاليا وصقلية في ذخيرة الواردات الإغريقية في قرطاج [3].

لم تقتصر تجارة قرطاج على غرب جزيرة صقلية فقط، بل امتدت إلى الشرق وتحديدا مدينة سيراكوزة أيضا[4]، كما حصلت قرطاج على معظم احتياجاتها من القصدير والفضة من شمال إسبانيا الذي تزايد الاهتمام بها منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وليس من السهل تمييز مصنوعات قرطاج أثريا، إذ لم يكن لها طابعا أو ميزة خاصة بها، ويبدو أن ذلك كان مصدر قوة اقتصادية في القرن الرابع قبل الميلاد[5]، وإن كانت هناك من الكتابات من رجحت أن التصدير القرطاجي خلال هذه الحقبة تركز على الحبوب[6].

2-3- مع المناطق الصحراوية:

إلى جانب الرحلات الاستكشافية، عمد القرطاجيين على ما يبدو إلى استكشاف الأراضي الصحراوية بحثا منهم على منابع جديدة للثروة وتجنب كل منافسة ووساطة[7]، لقد شهدت التجارة الصحراوية ازدهارا كبيرا على يد القرطاجيين[8]، ويصادف ذلك النصف الثاني

---

(1) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق،ص96.

(2) – الشاذلي بورنية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص244.

(3)- N. Pilkington, An Archaeological History of Carthaginian Imperialism, Columbia University, 2013, p181.

(4) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص97.

(5) –ب.هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص462.

(6) - N. Pilkington, Op- Cit, p181.

(7) –محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص44.

(8) – جيمس ويللارد، المرجع السابق، ص 70.

من القرن الخامس قبل الميلاد[1]، وكان لإقليم المدن الثلاث بحكم موقعه المميز أهمية كبرى في اتساع نشاط حركة قوافل التجارة الصحراوية، حيث شكل نقطة تجمع لسلع تلك التجارة، وفي ذلك الوقت كان حلقة وصل بين أواسط إفريقيا وموانئ حوض المتوسط[2]، ولم يحاول القرطاجيون فرض سيطرتهم على طرق القوافل الصحراوية ربما لكونهم شعبا بحريا نصب اهتمامه على السواحل فقط فتركوا أمر القوافل للقبائل المحلية، وربما لأنه لم يكن باستطاعتهم الاستغناء عن معونة ومساعدة السكان المحليين في تسيير دفة أنشطتهم الاقتصادية المختلفة لقلة عددهم[3].

كانت القوافل الصحراوية تصل أواسط إفريقيا جنوبا بشمالها، وتربط بين مصر شرقا وموريتانيا في الغرب، ليتولى القرطاجيون نقل السلع وتوزيعها عبر البحار[4]، وتتمثل السلع الصحراوية في الذهب والعاج والصمغ وجلود الحيوانات[5] وريش النعام وبيضه وهو من السلع المطلوبة في العالم القديم[6]، وكذلك الأحجار الكريمة، وأشهر أنواعها ما عرف باسم الحجر القرطاجي[7]، وسمى بالحجر القرطاجي لأن القرطاجيين هم الذين تولوا نقله إلى أسواق العالم القديم[8]، والرقيق والملح الذي كان من السلع التي توجد بكميات كبيرة في المناطق الصحراوية[9].

في مقابل ذلك كان القرطاجيون يقدمون بضائعهم المتمثلة في المنسوجات والزجاج والحلي[10]، ويصف البعض القرطاجيين بأنهم كانوا تجار السلع الرخيصة بين الشعوب القديمة

---

(1) – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص 102.

(2) –مصباح على أحمد اسميه، المرجع السابق، ص ص 34، 46.

(3) –أحمد محمد أنديشة، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية ، مطبعة جامعة التحدي للنشر والتوزيع، (ب ط)، ليبيا، 2008، ص42.

(4) – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 121.

(5) – أحمد إلياس حسين، سلع التجارة الصحراوية (الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، (ب ط)، طرابلس، 1979، ص226.

(6) -Herodouts, IV,175.

(7) – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص 102.

(8) - D.E.L. Haynes, Op- Cit, p25.

(9)-Herodouts, Histories, IV,181.183.

(10) – دنيز بولم، المرجع السابق، ص47.

التي لم تكن تستطيع إلا توفير ضرورات الحياة الماسة، ومن الطبيعي ألا يكون في مقدور تلك الشعوب إلا أن تقتني السلع الرخيصة، ومن السخرية أن يقدم لها القرطاجيون السلع الثمينة فأنى لها أن تدرك قيمتها أو تحسن الإفادة منها، ولعل في إقدام بعض تلك الشعوب على بيع المعادن للقرطاجيين بأثمان بخسة دليل على عدم إدراكها للقيمة العملية لتلك المعادن[1].

3- العملة والميناء التجاري:

لقد فرض تأثير انتكاسة واقعة هيميرا على ساسة قرطاج، أن حرصت الحكومة على تأمين مصالحها التجارية باتخاذ عدة إجراءات حاسمة، منها على سبيل المثال:

3-1- ضرب العملة:

قامت عاصمة الفينيقيين الغربية قرطاج بسك عملتها متأخرة عن المدن الفينيقية الشرقية[2]، ويعد تأخر قرطاج في سك العملة أمرا غريبا ولافتا للانتباه، نظرا لوفرة المعادن التي شكلت ركيزة أساسية في التجارة القرطاجية، بالإضافة إلى اعتماد اقتصادها بالدرجة الأولى على النشاط التجاري، وهو ما يفترض أن تكون قرطاج هي السابقة في سك العلمة[3]، ويرجع البعض هذا التأخر إلى اعتياد القرطاجيين على المتاجرة مع مناطق غير متحضرة لا تعتمد على العملة ولا تعترف بها كأداة للتبادل[4]، حيث اتبعت في التجارة مع هذه الشعوب البدائية طريقة المقايضة الصامتة "كما سبقت الإشارة إلى ذلك"[5]، أما طريقة التجارة مع الأمم المتحضرة في البحر المتوسط، والتي كانت تستخدم العملة في تجارتها، فقد استخدمت قرطاج قبل ضرب العملة الخاصة بها العملة الأجنبية، بالإضافة إلى نظام آخر يجمع في الواقع بين نظام المقايضة والعملة، وهو استخدام سبائك مصنوعة على شكل قضبان ذات أوزان مختلفة من معادن ثمينة المعدن [6]، ويعرف هذا النظام باسم الوزن المعدن الثمين (Le pesage du métal précieux) [7].

---

[1] - ف. ن. بريس، المرجع السابق، ص274.

[2] - فرناند بروديل، المرجع السابق، ص ص 82.

[3] - الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص ص239.

[4] - فرناند بروديل، المرجع السابق، ص ص 81- 82.

[5]- حنان قرقوتي، المرجع السابق، ص 320.

[6] - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص110؛ ينظر أيضا: -أحمد صفر، المرجع السابق، ص138.

[7] - الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 240.

في الحقيقة تتفق أغلب الدراسات بأن قرطاج لم تشرع في سك عملتها الخاصة بها إلا منذ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت من الذهب وسكت في أول مرة بمدينة ليلوبايوم، و لا نستبعد أن هذا الإجراء يدخل في إطار الإصلاحات الاقتصادية التي قامت بها قرطاج بعد معركة هيميرا، وقد ظهرت هذه العملات أولا في غرب جزيرة صقلية، وفي مستوطنتي موتيا وبانورموس، وتسمى بالعملات الصقلية البونية (Siculo Punique)[1].

وعن السبب الذي دفع بقرطاج إلى سك عملتها الخاصة بها، يذهب البعض إلى أن ذلك بدافع ضرورة عسكرية أكثر منها تجارية، أي بقصد دفع مرتبات جنودها في جبهات القتال[2]، بينما يرى البعض الآخر أن اتساع نطاق التجارة هو الذي حدا بالقرطاجيين إلى إصدار عملة خاصة بهم من أجل تسهيل العمليات التجارية[3]، حيث وجدت قرطاج نفسها مجبرة على اعتماد العملة استجابة لمتطلبات التعامل سواء في داخل نطاقها أو خارجه لأن النشاط التجاري كان يتم مع مناطق اعتمدت هذه الوسيلة في التبادل منذ فترة طويلة[4]،ومن جهة أخرى يمكن أن يكون وجود العملة عند الإغريق وتفوقهم الصرفي هو من الأسباب الممكنة، التي جعلت ضغط الإغريق على القرطاجيين يزداد منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، إلى درجة أن الصرف التي كان قد صنعها الإغريق قد غزت أسواق قرطاج نفسها[5].

الجدير بالذكر بأن أكثر العملات التي عثر عليها خلال المرحلة محل الدراسةبأنها تحمل رمز الربة تانيت على وجه، والحصان أو النخلة على الوجه الآخر[6]، وكانت النقود البرونزية والرصاصية تستخدم داخل الأقاليم القرطاجية من أجل تسهيل عملية التبادل التجاري، كما يمكن للجنود استعمالها داخل معسكراتهم من أجل اقتناء مستلزماتهم اليومية[7] هذا، وأصدرت قرطاج عملات فضية في فترة لاحقة خارج عن مجال الدراسة[8].

---

(1) -D. Harden, The Phoenicians, pp167-168.

(2) -محمود النمس و محمود أبو حامد، المرجع السابق، ص 202.

(3) – جيمس هنري براستد، المرجع السابق، ص 514.

(4) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 240.

(5) – فرناند بروديل، المرجع السابق، ص82.

(6) – الصادق النيهوم، ليبيا من القرن السابع قبل الميلاد.... ، المرجع السابق، ص 212.

(7) -M. H. Fantar, Carthage approche d' une civilisation, Alif les éditions de la méditerranée, Tunis, T, 1, 1993, pp322-323.

(8) – الصادق النيهوم، ليبيا من القرن السابع قبل الميلاد... ، المرجع السابق، ص 212.

أما دور سك العملة فلا يعرف شيئا عن تنظيمها، ولا يستبعد أن يكون نظامها تم تقليده من الإغريق، وربما أيضا أن عمال أغارقة تم توظيفهم فيها[1]، وتقدم المعادن التي سكت منها النقود معلومات هامة حول توفرها في قرطاج أو جلبها من أماكن أخرى، مما يعطي صورة على التعاملات التجارية السائدة مع الدول الأخرى، وتوفر الأدلة على السياسة الاقتصادية الرامية للحصول على الثروات المعدنية من الأراضي المجاورة والبعيدة واستغلالها، كما يشير ذلك أيضا إلى عملية التصنيع "تصنيع النقد" وما تتطلبه تلك العملية من خبرة في التعدين وصهره ومزج المعادن وتحويلها إلى سبائك وتطويعها حسب الشكل المطلوب، إذ تقدم معلومات حول قيمة النقد وأهميته ودوره الاقتصادي، وكذلك وزن النقود واختلافها من فترة إلى فترة تعطي صورة على مدى غنى الدولة أو فقرها بالمعادن[2].

إلى جانب العملات المعدنية أصدرت قرطاج عملات جلدية، وهي عبارة عن قطع صغيرة من الجلد يوضع فيها مادة يتم لفها وحبكها جيدا حتى تصبح في حجم قطعة نقود تساوي أربعة درخمات، لكن ماهية هذه المادة لا أحد يعرفها غير الصانع، وربما تكون هذه المادة خليط معدني، كانت عناصره ومكوناته تعد من أسرار الدولة الهامة، وتعد هذه العملات أقدم سلف للنقد الورقي، وكانت تختم بخاتم الدولة ضمانا لقيمتها، وكان هذا الختم عبارة عن شعار الدولة[3]، ولقد ظهرت هذه العملات في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي ألمت بقرطاج خلال حروب القرن الثالث قبل الميلاد وحرمنها بعض ممتلكاتها الغربية[4].

3-2- الميناء التجاري:

أكدت الحفائر الأمريكية التي شاركت في أعمال التنقيب، التي قامت بها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو"، بأن التغييرات الواضحة في المدينة القرطاجية ككل كانت نتيجة لتطور الإمبراطورية القرطاجية خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وتبدو العملية مفاجئة لعلماء الآثار بسبب إعادة التنظيم الكامل للخطة الحضرية لمدينة قرطاج، حيث أعاد القرطاجيون تقريبا تطوير طوبوغرافيا مدينتهم بين (450-400 ق.م)، وقد لامست هذه

(1) -J. A. Church and A. Gilman, Op- Cit, pp122-123.

(2) - إبراهيم خليل خلايلي، المرجع السابق، ص 173-175.

(3) -جيمس هنري براستد، المرجع السابق، ص 514.

(4) – G and Ch. Picard, Op- Cit, pp181-182.

التطورات البنية التحتية المطلوبة لدعم البحرية الدائمة بما فيها الميناء التجاري نتيجة للتفاعلات الاقتصادية المستمرة بين قرطاج ودول البحر المتوسط، لاسيما في جزيرة صقلية والتنافس الاقتصادي الواضح بين الإغريق والقرطاجين[1].

يعد الميناء التجاري من أحد المؤسسات الشاهدة على المرحلة الأرستقراطية، كان مستطيل الشكل، وطوله "1400 قدم" أي "456 م" وعرضه "325م" وتحيط به مستودعات البضائع ورصيف عرضه "4.53 م" ويحميه سوران، سمك الأول "1.21 م"، وسمك الثاني "82 سم" [2]، وكان لهذا الميناء مدخلا عاما من جهة البحر عرضه سبعين قدما "20.72م"[3]، وكان من الممكن إغلاقه بواسطة سلاسل حديدية عند الضرورة[4]، ويرى بيلي أن هذا المدخل طمس وسدته الرمال التي كان يجرفها وادي مجردة[5]، وكان الدخول والخروج من الميناء يصبح صعبا في فصل الشتاء، لذلك زود هذا المدخل برصيف يصعد فوقه البحارة ثم يشدون السفن بالحبال إلى الداخل، حتى تكون في مأمن من تقلبات الجو، أما في الطقس المعتدل فكانت السفن التجارية ترسو في عرض خليج الكرم خارج الميناء[6].

يبدو أن أمن الميناء كان يحظى باهتمام كبير من حكومة قرطاج، حيث وجدت مجموعة من الرجال تقوم بحراسته لمنع أية تسللات أجنبية إلى الداخل، كما كانت هناك هيئة مشرفة على الأسطول مهمتها مساعدة السفن على الدخول والخروج من الميناء، لاسيما في فصل الشتاء، حيث تتوقف عمليات الملاحة لبعض الوقت بسبب الظروف المناخية[7].

لقد برهنت أرستقراطية قرطاجة على أن الوضع الاقتصادي، هو المحرك الأساسي للتاريخ والسياسة، ذلك أن أغلب صراعاتها الخارجية كانت من أجل تأمين اقتصادها، وحماية مصالحها وطرق مواصلتها بغربي المتوسط، ورغم النكبات التي كان قد تعرض لها القرطاجيون جراء هزيمة

---

(1) - N. Pilkington, Op- Cit, pp215-216.

(2) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص95.

(3) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص71.

(4) - Appian, VIII, 96.

(5) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص96.

(6) – محمد الصغير غانم، التوسع...، المرجع السابق، ص 110.

(7) – عبد العزيز عبد الفتح عمر حجازي، المرجع السابق، ص 27.

هيميرا، إلا أن وصول الأسر الأرستقراطية لسدة الحكم وحماسهم الشديد للمحافظة على قوة اقتصادهم لم يفتر.

الفصل الخامس:

الحياة الدينية في قرطاج الأرستقراطية

أولا) المؤسسة الدينية:

ثانيا) المعتقدات الدينية:

ثالثا) المقابر والجبانات:

يحتل الدين مكانة كبيرة في حياة القرطاجيين الخاصة والعامة، وكان القرطاجي متدين بطبيعته وفطرته الأولى، فهو يبدأ يومه بالصلاة والعبادة[1]، وكان الدين يدخل في كل مجالات الحياة القرطاجية، وليس أدل على أهمية العامل الديني وأثره في حياة القرطاجي أن الكثير من أسماء الأعلام القرطاجية التي يرد ذكرها في المصادر القديمة، كانت مشتقة أو مركبة من أسماء الآلهة[2]، وتشير إلى مدى ارتباطهم بآلهتهم[3]، ومثال ذلك حنبعل "هو الذي يتمتع بنعمة وفضل بعل"، هسدروبال "هو من حصل على مساعدة بعل"، وهملكار "وهب لخدمة ملكارت" [4]، وحتى في رحلاتهم وحروبهم وعلاقاتهم الخارجية كانت تصبغ بالطابع الديني[5].

لقد قدمت الحفائر الأثرية في المدن الفينيقية الشرقية معلومات هامة وغزيرة عن ديانة الفينيقيين الشرقيين، لاسيما فيما يخص مجمع الآلهة وشعائرها ومعابدها في قبال ذلك لم تحظ قرطاج والمدن التابعة لها في الغرب بمثل هذه الأهمية، فباستثناء آثار التوفيت[6](Tophet) [7] تبقى ديانة القرطاجيين يشوبها الكثير من الغموض، والوصول فيها إلى حقائق يبقى صعب المنال، وذلك لغياب الدليل الأثري الكافي[8]،وسلوك التلفيق الذي انتهجته المصادر الكلاسيكية في عرضها جوانب من حياة القرطاجيين، لا سيما فيما يخص الجانب الديني[9] حيث عانى المجتمع القرطاجي كثيرا من كراهية وحقد الشعوب الأخرى بسبب المنافسة التي جلبت العداوة بين الطرفين وبلغت الكراهية حدا مقيتا لدرجة أن كثيرا من الكتابات الإغريقية

---

[1] – شوقي خير الله، المرجع السابق، ص 91.

[2] – كانت هذه الأسماء تسمى الأسماء الثيوفورية (Theophric). ينظر: –الأمين علي الأمين، "العقائد الفينيقية في المدن الطرابلسية من العصور الأولى ق.م وحتى القرن الأول ق.م"، (ماجستير)، إشراف أ.د محمد السيد عبد الغني، كلية الآداب جامعة الزقازيق، 2006، ص56.

[3] – ويل ديورانت، قيصر..، المرجع السابق، ص97؛ ينظر أيضا: –أحمد صفر، المرجع السابق، ص 114.

[4] - S. Lancel, Op- Cit, p 194.

[5] - Polybius, VII, 9.1-5.

[6] – **التوفيت**: هي تسمية أطلقت على المكان، الذي دفنت فيه بقايا الأطفال المضحى بهم، وهي كلمة عبرية الأصل. ينظر: –محمد حسين فنطر، قرطاج لمحة...، المرجع السابق، ص 47.

[7] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص77.

[8] –إبراهيم خليل خلايلة، المرجع السابق، ص 151.

[9] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص80.

واللاتينية بالغت في ذكر الروايات التي من شأنها تشويه صورة ذلك المجتمع[1]، يضاف إلى ذلك إحراق مدينة قرطاج من قبل الرومان عند تدميرها (146 ق.م)، الأمر الذي أدى إلى طمس الكثير من الوثائق القرطاجية، وكانت سببا في عدم الوصول إلى حقيقة تلك الديانة[2].

لا نستبعد أن تكون الوضعية الدينية في قرطاج كانت مماثلة لتلك الموجودة في الوطن الأم "صور"، ولكن عندما تمكنت قرطاج من الحصول على استقلالها بعد تراجع وتدهور الوطن الأم، عملت قرطاج على توسيع نفوذها في الغرب، الأمر الذي يؤدي تلقائيا إلى حدوث تغييرات أساسية [3]، إذ تشير أغلب الدراسات على أن الحياة الدينية القرطاجية طالتها تغيرات على إثر هزيمة قرطاج في معركة هيميرا، وذلك نتيجة للإجراءات التي قامت بها الحكومة الجديدة "الأرستقراطية"، بسيطرتها على زمام الحكم [4].

تخبرنا المادة العلمية التي تحصلنا عليها أثنا الدراسة، إلى وجود حركة دينية شهدتها المدينة خلال حكم الأرستقراطيين، وإن لم تكن على قدر كبير من الأهمية و النشاط الذي عرفته قرطاج في الجانب السياسي والعسكري والاقتصادي، إلا أنه كان من الواجب بمكان الإشارة إليه وتناوله بالدراسة، وذلك من أجل استكمال صورة أهم الجوانب التي لمستها تغيرات فعلية خلال المرحلة الأرستقراطية، والجدير بالذكر أن هذه الدراسات اكتفت بذكر ومضات عن الأوضاع الدينية في مواضع قليلة مركزة فقط على الآلهة، وظاهرة التضحية البشرية معتمدة بالأساس على نقوش إهدائية وجنائزية، وما جاء في المصادر الكلاسيكية وهي معلومات تبقى ناقصة وغير كافية لوضع تصور عن الوضعية الدينية خلال المرحلة محل الدراسة[5].

---

(1) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو ...، المرجع السابق، ص 111.

(2) – إبراهيم خليل خلايلة، المرجع السابق، ص 151.

(3)– فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص77.

(4) – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص77؛ ينظر أيضا:

- P. Jonathan, Op- Cit, p60.

(5) – J. A. Church and A. Gilman, Op- Cit, pp123-124; Il observe aussi:- D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p120.

أولا) المؤسسة الدينية:

1- مجمع الآلهة:

1-1- الآلهة الرئيسية:

أ- بعل حمون:

من أشهر آلهة قرطاج تم ذكره على كثير من النصب النذرية المكتشفة والمكرسة له، لكن منذ القرن الخامس قبل الميلاد أصبحوا يذكرون اسمه مسبوقا باسم الربة تانيت، فقبل هذا التاريخ أي المرحلة العتيقة، كان بعل حمون يظهر بمفرده دائما على كثير من النصب النذرية الخاصة به، ولكن بعد ذلك شاركته تانيت الظهور على هذه النصب، بل وسبق اسمها اسمه في النصوص المنقوشة على النصب النذرية، ويرجع ذلك للإصلاح الديني والسياسي، الذي حدث نتيجة لهزيمة القرطاجيين في معركة هيميرا الشهيرة، والتغييرات التي حدثت في أغلب المجالات[1] ومن أمثلة هذه النصوص، التي عثر عليها ما يلي : **"إلى الربة تانيت بينيبعل وإلى الرب بعل حمون هذا ما نذره عرس بن عبد ملقرط** [2]".

كل الدراسين أجمعوا على أن بعل حمون احتل مكانة متميزة بين آلهة قرطاج، وعلى الرغم من سعة انتشاره ما زالت هناك جوانب غامضة تثير الجدل بين المؤرخين حول هذا الإله لاسيما فيما يخص جذوره وطبيعته[3]، أما اسمه فالشطر الأول منه بعل يعنى "السيد أو المولى" وهو صفة وليس اسما[4]. أما الشطر الثاني حمون فقد أثار الكثير من الجدل، حيث اختلف المؤرخون حول تفسيره، فهناك من يرى أنه يعني "الناري" [5]. وبهذا يكون بعل حمون يعنى "الحرارة" أو "النار" وهي ترجع للجذر حم (Hmm)[6]، وللإيضاح يجب أن نعلم أن كلمة حم وردت

---

(1) - S. Moscati, Op- Cit, p 124.

(2)- نقلا عن:- أحمد صفر، المرجع السابق، ص117.

(3) - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 138؛ ينظر أيضا:

- J.G. Fevrier, "Essai de reconstitution du Sacrifices Molokh", **(J. A)**, Paris, N° 248, 1962, p171.

(4) - شارل فيروللو، أساطير بابل وكنعان، تر: ماجد خير بك، مطبعة الكتاب العربي، (ب ط)، دمشق، 1990، ص89.

(5) - ب.هـ. وار منجتون، المرجع السابق، ص465؛ ينظر أيضا: -محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص 210.

(6) - S. Lancel, Op- Cit, p 195.

في التوراة وهي تعني "الساخن" أو "شيء متقد" [1]، وقد اكتسبت هذه الفرضية تأييدا منذ اكتشاف التوفيت، حيث ارتبط اسم هذا الإله بالتضحية البشرية عن طريق الحرق بالنيران، وربما كانت تشير إلى الشمس المتأججة التي تم تصويرها مرارا على نصب من العصر البوني، كانت مكرسة لبعل حمون وفي هذا تأكيد آخر على الطابع الفلكي لهذا الإله[2].

هناك رأي آخر يرى أن اسم بعل حمون يعنى "سيد مذبح البخور"[3]، حيث يعتقد أن لفظة حمن تعنى "المبخرة" أو "مذبح البخور"[4]، ويبدو أن استخدام العطور والبخور كان من الأشياء المميزة لعبادة هذا الإله، ومما يدل على ذلك إرتباطه بالمبخرة ارتباطا وثيقا مما جعلها صفة شبه ملازمة له، ويبدو أن الغرض من استخدام البخور بكثرة كان لمحاولة إخفاء رائحة الضحايا وخصوصا البشرية منها، والتي تحرق أمام تمثال هذا الإله[5].

فرضية أخرى يقدمها محمد حسين فنطر تعتمد على الربط بين اللفظ حمن-والجذر حمى-يحمى، حيث اعتمد الكاتب على نقيشتين تحمل الأولى رقم (CIS.I.405) والثانية (CIS.I.406) وتحوي كلاهما عبارة "لحمن" التي اقترح فهمها بمعنى الحماية، "أي أن هذا الإله يحمى عبادة المخلصين"[6].

في حين يرى ثلة من المؤرخين أن إله قرطاج بعل حمون يوافق سيد جبل الأمانوس ويؤكدون على صحة رأيهم بأن بعل حمون ذكر في نقوش الملك كيلاموا (Kilamua)، الذي كان يعيش في منطقة زينجرلي بشرق جبل الأمانوس الواقع "جنوب شرق تركيا حاليا"، لقد أعطت هذه النقوش دفعا لهذا الاحتمال[7].

---

[1] - صلاح أبو سعدة، المرجع السابق، ص139.

[2]- S. Lancel, Op- Cit, p 195.

[3]- فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص ص 141-142.

B.H. Warmington, Op- Cit, p129.

[4] - الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص276.

[5] - الأمين علي الأمين، المرجع السابق، ص 58.

[6] -الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 276.

[7] - المرجع نفسه، ص ص275- 276؛ ينظر أيضا: - البشير كحيل، "الحضور البوني في نوميديا (814-146 ق.م)"، (ماجستير)، إشراف د. إبراهيم العيد بشي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص100.

هناك اتجاه آخر ينفى كل ما سبق، ويدافع عن فكرة أن بعل حمون تعنى "إله المعبد"[1] وكان بعل حمون يسمى أيضا بعل عمون، ويعتقد البعض أن بعل حمون ربما كان يمثل اندماج بين الإله الكنعاني بعل والإله اللوبي آمون (Ammon)، الذي كان مقره أي "معبده الأصلي" في واحة سيوة "شرق ليبيا"، وهي المسماة أيضا واحة آمون، وما يرجح هذا الدمج بين المعبودين، أن الكبش كان رمز الإله في قرطاج وهو أيضا رمز آمون[2].

الحقيقة إن كل الفرضيات "السالفة الذكر" تبدو مقبولة، ولكنها مع ذلك تبقى في حيز الافتراضات، فلذلك لا نستطيع أن نؤيد إحداها على الأخرى.

لكن من خلال المصادر القديمة نلاحظ أن الكتابات الكلاسيكية ماثلت الإله بعل حمون بالإلهين كرونوس وساتورن[3] (Saturn)[4]، ومن ثم اعتبرته الكثير من الدراسات بأنه إله الزراعة والخصوبة والمسؤول عن ثراء المدينة وحمايتها[5].

الجدير بالملاحظة أن صورة هذا الإله، وجدت في العملة المضروبة في قورينا[6]، وكذلك من خلال الآثار التي عثر عليها في عدة مناطق بونية أهمها هادروميتوم و أوتيكا والمؤرخة بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، حيث جاءت صورة هذا الإله كما تخيلها القرطاجيون على هيئة رجل كث اللحية، جالسا على العرش في وضع مهيب، أحيانا يرفع يده اليمنى لمباركة من جاء يلتمس منه المباركة أي "المتعبدين"[7]، واليد اليسرى تضم حربة أو بعض السنابل[8].

(ينظر الملحق رقم "15"، ص292).

---

(1) – صلاح أبو سعدة، المرجع السابق، ص139.

(2) – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 92.

(3) –**ساتورن**: إله زراعي قديم من الآلهة الرومانية الرئيسة، ومن المحتمل أن اسمه يرتبط بكلمة أو يكلمه (Sator) "الزراع"، وله علاقة بالخصب والوفرة. ينظر: –خزعل الماجدي، معتقدات رومانية، المرجع السابق، ص221.

(4)- B.H. Warmington, Op- Cit, p129.

(5) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص277.

(6) – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 92.

(7) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص ينظر أيضا:

– S. Lancel, Op- Cit, pp 197-198.

(8) – فنيفريد إللغير، المرجع السابق، ص71.

كانت الصلاة إليه تتم في قرطاج ومعظم مدن بلاد المغرب القديم، لا سيما الساحلية منها، وتقرن عادة بالصلاة للربة تانيت، التي كانت تسمى وجه بعل، وقد يكون الجمع بينهما استمرارا لما كان أسلافهم الصوريين يفعلونه، إذ كانوا يقربون عبادة بعل ملك بعبادة عشتروت[1]، ومن أجل الحضانة الربانية، كان المتوسل يرفع اليد اليمنى باتجاه الإله الذي يرد عليه بنفس الطريقة، ليعبر عن قبوله للدعاء ومباركته للداعي، أما اليد اليسرى فتحمل عادة عصا أو صولجانا مزودا بمقبض، وينتهى أحيانا بسنبلة من القمح، ويكون دائما أمام الشخص الذي يقابله في صورة ضخمة على الرغم من وجوده في أغلب الأحيان في وضعية الجلوس وهذا ما يزيده أبهة وعظمة[2]، وإذا استجاب الإله للمتوسل، يرجع هذا الأخير ليعبر له عن شكره وامتنانه، وذلك من خلال تقديم أضحية قربانا له عن طريق كهنة متخصصين[3]، وقد وجدت العديد من النقوش التي تمثل صلوات وأدعية لبعل حمون، باعتباره حامي المدينة والراعي الأكبر ومن أمثلة ذلك: **"نصب حملك بعل، أقامه ناحوم لبعل حمون السيد، لأنه سمع صوت كلماته[4]"**.

ب- تانيت:

ظهرت الربة تانيت منذ النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد[5]، وتذهب أغلب الدراسات لاعتبار ظهورها انعكاسا لإصلاحات سياسية ودينية حدثت في قرطاج خلال القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كانت عائلة ما غون تعتبر بعل حمون هو الإله الأول، الذي يسهر على رعاية الدولة، ومع تراجع نفوذ هذه العائلة، بعد هزيمة هيميرا سنة (480 ق.م) تراجع معها الإله بعل حمون وظهرت الربة تانيت[6]، التي احتلت مكانة مميزة في مجمع الآلهة البوني والمرتبة الأولى منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وذلك بناء على الكم الهائل الذي عثر عليه من النقوش الخاصة بها من النذور والإهداءات [7].

---

(1) – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 92.

(2) – البشير كحيل، المرجع السابق، ص104.

(3) – المرجع نفسه، ص 105.

(4) – نقلا عن:–عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص92.

(5)– البشير كحيل، المرجع السابق، ص111.

(6) – صلاح أبو سعدة، المرجع السابق، ص 140.

(7) – البشير كحيل، المرجع السابق، ص104.

تعد الربة تانيت الشريك الرئيسي لبعل حمون حيث كونا معا ثنائيا مقدسا، تربع على عرش الحياة الدينية في قرطاج والعالم البوني بأسره، إلا أن عبادة تانيت انطوت على كثير من الصعوبات والفرضيات التي أثارها الباحثون، والتي لم ينعقد الاتفاق حول أغلبها إن لم نقل كلها، وأهم هذه الصعوبات التي أثارت جدلا في أوساط الباحثين مسألة تحديد أصل الربة تانيت، هل هي شرقية فينيقية أم غربية لوبية؟ فبينما يرى البعض شرقية هذه الربة(1)، يرى البعض الآخر أنها غربية(2).

استند أصحاب الرأي الأول إلى النقيشية المكتشفة في ساربتا (Sarepta) الواقعة "15 كلم" جنوب صيدا عام (1974م)، وهي ترجع إلى أواسط القرن السادس قبل الميلاد واعتبروها دليلا قويا لتأييد وجهة نظرهم الخاصة، حيث ذكرت هذه النقشية اسم الربة تانيت لأول مرة في نذر كان مكرسا لها وللربة عشترت في نفس الوقت، ومما يؤيد هذه الفرضية ويزيد من قوتها، وجود أماكن كثيرة في لبنان باسم الربة تانيت، مثل عين تانيت وكفر تانيت، يضاف إلى ذلك النقش البوني الذي يشير إلى وجود تانيت بلبنان(3).

أما أصحاب الرأي الثاني فقد اعتبروا أن تانيت، تعود إلى أصول وجذور لوبية(4)، هذا واستندوا أيضا إلى عدم الإشارة إلى هذه الربة في نصوص رأس الشمراء وصور وغيرها، مما جعلهم يعتقدون أنها غير فينيقية الأصل، بل ورأوا أيضا في عبادة سكان بلاد المغرب لها، دليلا قويا على كونها لوبية المنبت(5)، ويرجعون اسمها في أكثر القراءات ترجيحا، إلى نيت (Neith) أو نيث الليبية التي انتشرت عبادتها في مصر، وقد سبقتها تاء التأنيث فتغير اسمها وصارت تانيت، وورد اسمها منذ عصر ما قبل الأسرات، ويتواتر ذكرها في مختلف العصور المصرية وكانت تعبد في غرب الدلتا أي حيث تعودت القبائل اللوبية الهجرة والتوطن(6).

---

(1) - S. Lancel, Op- Cit, p 199; Il observe aussi:- S. Moscati, Op- Cit, p 138.

(2)- B.H. Warmington, Op- Cit, p130.

(3) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص279.

(4) – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص107.

(5) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 208؛ ينظر أيضا: – محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص 212.

(6) – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 107.

شخص الماجدي أصول هذه الربة، فاعتبرها بأنها ترسخت في سواحل بلاد المغرب القديم أولا ثم عبر الفينيقيين[1]، ولربما في تمسك المرأة المغاربية برمزها إلى يومنا من خلال الأبريم الفضي المستعمل في لباسها، والوشم على جبتها لدليل شبه قاطع على جذورها اللوبية[2] حيث تشير بعض الدراسات، بأن القرطاجين مارسوا رسم الوشم، وهي عادة لوبية الأصل لم تكن مجرد زينة أو زخرفة، بل كانت ذات بعد ديني لأن أشكال الوشم تعني رسوما لرموز إلهية تؤدي وظيفة الحماية من القوى الشريرة[3]، وكانت أيضا تشير أحيانا إلى أن صاحب الوشم ينتمي إلى جماعة ما، ولا يستبعد أن الوشم القرطاجي كان يمثل المغزى المزدوج للحماية والانتماء[4].

بعد أن تعرضنا لوجهات النظر المختلفة حول أصول هذه الربة، يبدو أن الاتفاق لم ينعقد بين الباحثين يبدو أن الميزان يميل لصالح شرقية هذه الربة، حيث اعتمد أصحاب هذا الرأي على مكتشفات أثرية مؤكدة، وليس مجرد تخمينات وافتراضات لم يتم تدعميها بدرجة كافية، وكانت تانيت تذكر دائما في النصوص النذرية التي جمعت بينها وبين بعل حمون بجملة وصفية هي تانيت بيني بعل (Tanit Pene Baal) وتعني" تانيت تجاه بعل"[5]، بينما يرى البعض الآخر أنها تعني "تانيت وجه بعل"[6]، ولقد اختلف الباحثون حول تفسير هذه الجملة، في حين يعتقد آخرون أنها "صورة" أو "واجهة لبعل"[7]، وهناك من يرى أنها تعبر عن "اسم مكان"[8]، ويعتقد أيضا أنها قد تعني "قرينة بعل"[9]، ولكن مؤخرا تم تقديم تفسير آخر، رأى أصحابه أن هذه الجملة يجب أن تترجم بمعنى "الكاهنة التي تبكي في وجه الإله بعل"، وذلك بعد أن تم إرجاع اسم تانيت إلى الأصل السامي، الذي يعنى البكاء أو النحيب[10].

---

(1) – حزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، المرجع السابق، ص155.

(2) – البشير كحيل، المرجع السابق، ص 113.

(3) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص228.

(4) – G and Ch. Picard, Op- Cit, p134.

(5) –جورج كونتنو، المرجع السابق، ص ص127–128.

(6) - B.H. Warmington, Op- Cit, p129.

(7)- D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, Op- Cit, p 88.

(8) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 115–116.

(9) – جورج كونتنو، المرجع السابق، ص212.

(10)- S. Lancel, Op- Cit, pp 200.

يفترض أن عبارة تانيت وجه بعل توحي، بأن الهدف من وراء إدخال عبادة هذه الربة كان من أجل تعزيز عبادة الإله بعل حمون، وأنها على الرغم مما وصلت إليه من مكانة وأسبقية على بعل حمون نفسه، من خلال آلاف النصب النذرية التي تم العثور عليها داخل قرطاج أو خارجها، فإن العبارة "السالفة الذكر" تدفع بالقبول بوجود نوع من التبعية[1].

كانت تانيت ربة الخصوبة والأمومة ،والإنتاج والتناسل عند القرطاجيين، وتم مماثلتها بكثير من الربات الأخريات اللاتي كن يحملن نفس صفات الأمومة والخصوبة، مثل عشترت وهيرا[2] (Hera)، كما مثلها الرومان بجونو كايليستيس[3] (Junon Caelestis) ربة المستعمرة القرطاجية التي نظمها جايوس جراكوس[4] (Gaius Graechus) [5]، هذا وكان مركز عبادة تانيت مرتكزة في العاصمة القرطاجية، أكثر من المدن البونية الأخرى، وقد ورد في نقش قرطاجي **"إلى الربة تانيت، وجه بعل، وإلى الرب بعل حمون، هذا ما كرسه بدملكارت بن عبدملكارت بن هملكار، لأنه سمع صوته، فليباركه الإله"**، وفي نقشية أخرى **"إلى السيدة تانيت وجه بعل حمون، قربان مقدم من بودعشتارت (Bodashtart) بن هملكار ، بن عبد ملكارت (Abdmelqart) بن بود عشتارت، لأنه سمع لدعائه"**، والجدير بالملاحظة،

---

[1] - الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 279؛ ينظر أيضا:

- B.H. Warmington, Op- Cit, p129.

[2] - **هيرا:** من آلهة الأولمب الإغريقية، بمعنى السيدة اختصت برابطة الزواج، والولادة والخصب. ينظر: -حاتم عماد، أساطير اليونان، الدار العربية للكتاب، (ب ط)، طرابلس، 1988، ص 2015، ص 2015.

[3] - **بجونو كايليستيس:** إحدى الربات الإيطاليات الأصليات، واختصت بعدة وظائف، أهمها الخصوبة والولادة. ينظر: -خزعل الماجدي، معتقدات رومانية، المرجع السابق، ص ص230-231.

[4] - **جايوس جراكوس:** من طبقة النبلاء الرومان الذين انحازوا إلى التيار الشعبي الكادح، وبدأ بدعوته الإصلاحية، لاسيما في المجال الزراعي بعد وصوله لمنصب التربونية (122 ق.م)، كون جبهة قوية ضد مجلس الشيوخ من أصحاب المصالح المالية والتجارية، إلا أن محاولاته بائت بالفشل نتيجة لأخطاء دستورية وقانونية وانتهازية الطبقة العامة، وكذلك سكان إيطاليا، وقتل من طرف مجلس الشيوخ. ينظر: -عمر بوصبيع، "المحاولات الإصلاحية للأخوين جراكوس وانعكاساتها على الأوضاع العامة للجمهورية الرومانية (133-121ق.م)"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، جامعة الوادي، ع11، ص، ص50، 61-75.

[5] - فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص140.

أنه عثر على أكثر من ألفين لوح نقشي بنصوص شبيهة بهذا النص، بل تكاد تكون واحدة في عبارتها لا يتغير فيها شيء سوى أسماء القرطاجيين، وقدر زمانها بمائتي سنة قبل دمار قرطاج[1].

من أشهر الرموز المتصل بعبادة الربة تانيت على الإطلاق، هو الرمز الذي يعرف بعلامة تانيت الممثل للجذع، ودائرة للرأس، وخط أفقي للذراعين، وكأنها تختزل جسد امرأة ممثلة بطريقة بسيطة جدا، وقد أثار أصل هذا الرمز ومدلولاته الكثير من النقاش فيرى البعض أنه شديد الشبه بعلامة عنخ (Ankh) المصرية التي ترمز للحياة، ولكن ليس لدينا من الأدلة القاطعة على أنه مشتق منها سوى أنه يشبهها في الشكل، ولم يوجد هذا الرمز إلا في الغرب فقط ولا نجد له أثر قبل القرن الخامس قبل الميلاد[2]، ولكن هناك رأي يجزم بأنه قد تم العثور على هذا الرمز حديثا في هنويه (Hanaoue) على الطريق بين صور وقانا (Kana) منقوشا عند مدخل قبر وهذا بحد ذاته يعد دليلا على وجود عبادة هذه الربة في الشرق، مما قد يؤيد النظرية القائلة بشرقية هذه الربة[3]. (ينظر الملحق رقم "16"، ص293).

عرفت أيضا برمز الهلال وكف ظاهرة بأصابعها الخمسة، وهي أصل ما يطلق عليه بالدراجة "خميسة" المكرسة لمنع الحسد، أي الحماية من المؤثرات السيئة، وكان هذا الرمز ينتشر على الأحجار النذرية وأشرعة السفن والمقتنيات المحفوظة على سواحل بلاد المغرب القديم، كما عثر عليه في بيروت ومدن فينيقية أخرى في مالطا وصقلية وغيرهما[4]، وفي الحقيقة أن هذا الرمز ما يزال يستخدم ليومنا هذا في البلاد العربية، ويعرف باسم يد فاطمة[5]، ويأتي في شكل يد مفتوحة وأصابع ممدودة وإبهام مطوي قليلا[6].

---

(1) – نقلا عن: – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص ص 106–107؛ ينظر أيضا:
- D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p120.

(2) – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 148. ينظر أيضا:
- S. Lancel, Op- Cit, pp201-203.

(3) – جورج كونتنو، المرجع السابق، ص212.

(4) – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص107.

(5) – يعتبر المسلمون أن هذا الرمز يقصد به فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام، علما أنها ولدت بمكة سنة (606 م)، على حين أن نصب قرطاج، التي يوجد بها عليها هذه اليد تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، أي ان التفاوت الزمني يبلغ أكثر من ألف سنة: ينظر:– جان مازيل، مع الفينيقيين ....، المرجع السابق، ص ص 147–148.

(6) – المرجع نفسه، ص147.

إلى جانب هذا ظهرت تانيت وهي تحمل سعف النخيل، وبجانبها ترسم رموز الخصب كالسمكة أو الدلفين[1]، كرمز للإيمان والسلامة في البحار، وقد تكون واحدة من الآلهة الذين تقرب لهم حنون التاجر بصلاة سائلا إياهم بأن يساعدوه لكي يجد بناته وابنة أخيه مرة أخرى[2]، إضافة إلى أنها اختصت برموز أخرى كالحامة والرمان[3].

1-2- الآلهة الشعبية:

تشير الدراسات إلى أن الثورة الدينية التي حدثت في القرن الخامس قبل الميلاد في قرطاج، أحدثت تغييرا جوهريا في الديانة القرطاجية ذات الأصول الفينيقية، حيث كان من نتائجها، تراجع الثنائي الشرقي ملكارت وعشترت أمام بعل حمون وتنايت بيني بعل، ومثل هذا التغيير قد يوحي بانقطاع الصلة الدينية بين قرطاج والمدينة الأم، لكن لم يخل من رد فعل سياسي أدى إلى انقسام بين بعض الأسر الكبيرة، فمنها من اعتنق الآلهة الجديدة التي شاعت وانتشرت بسرعة، ومنهم من تمسك بالآلهة القديمة، والتي أصبحت في عداد الآلهة الشعبية والتي كان أهمها[4]:

أ- ملكارت:

تجمع كل الدلائل على القول أنه كان من أبرز آلهة مدينة صور، اسمه يعني ملك المدينة أو سيد المدينة، ونميل إلى الاعتقاد أنه كان أكثر آلهة قرطاج شعبية[5]، وقد ماثله الإغريق بهرقل[6] (Heracles)[7]، ويذكر فيلون الجبيلي[8] (Philon de Bybols) بأنه سليل أورانوس

---

[1] - البشير كحيل، المرجع السابق، ص117.

[2] – G and Ch. Picard, Op- Cit, p63.

[3] - البشير كحيل، المرجع السابق، ص117.

[4] - الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص303.

[5] - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص148.

[6] - **هرقل**: هو أعظم الشخصيات الأسطورية التي عبدها الإغريق، ويعتقد أنه كان شخصية حقيقية من أبناء شعب أرجوليس الذين كانت ربتهم الرئيسية هيرا. ينظر: -حاتم عماد، المرجع السابق، ص ص221-245.

[7] - عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص349.

[8]- **فيلون الجبيلي**: هو مؤرخ ينتمي إلى مدينة جبيل كتب في تاريخ الحضارة الفينيقية، تناول فيها عدة جوانب تاريخية واسطورية ودينية. ينظر: -عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق، ص ص 13-14.

(Oranos) سيد الآلهة الإغريقية، وكان يحتفل بقيامه من الموت بصفة سنوية بحضور ملك صور، ويذكر أن هذه الاحتفالات كان أول ظهور لها في القرن العاشر قبل الميلاد[1].

وقد دخلت عبادته لقرطاج في وقت مبكر، وتشير الدراسات إلى أنه كان معبودها الرئيسي حتى القرن الخامس قبل الميلاد، حيث يذكر أن قرطاج،كانت ترسل عشر محصولها وعشر غنائم حروبها للإله ملكارت في الشرق[2]، كما أنها كانت ترسل الوفود إلى مدينة صور للمشاركة في الاحتفالات السنوية، واستمر ذلك إلى غاية القرن الخامس قبل الميلاد، ولا يستبعد أن الوفد الذي وجد في صور أثناء غزو الإسكندر المقدوني، كان قد جاء للمشاركة في الاحتفالات المقامة لملكارت[3]، هذا ووجدت صورة الإله ملكارت على بعض النقود القرطاجية، وقد يدل هذا على استمرار عبادة هذا الإله على المستوى الرسمي للدولة، لاسيما وأن العملة لم تضرب إلى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد[4].

كان ملكارت في الأصل معبودا شمسيا، ثم اكتسب خصائص بحرية بعد أن انتقل عبر البحر إلى الغرب، وقد وجدت عبادته في أكثر من مكان في الغرب، مثل قرطاج وقادس وليكسوس[5].

كانت عبادة ملكارت تتم في قرطاج داخل معابد مخصصة له، وتدل على ذلك النقوش التي تم العثور عليها، بالإضافة إلى النذور، كما وصف أحد الناذرين نفسه بأنه خادم الإلهين صيدا- وملكارت، وقد تبنى العديد من القرطاجيين أسماء ملكارت، حتى إن بعض المؤرخين أحصى عدد الأسماء التي تحمل اسم ملكارت فوجدها حوالي "1500" اسم، وأشهر هذه الأسماء عبد هملكار وبوملكار، ولا شك أن هذا يعكس ثقة القرطاجيين في هذا الإله، الذي

---

(1) - نقلا عن:-محمد حرب فرزات، "الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في سوريا القديمة"، **مجلة دراسات تاريخية**، جامعة دمشق، ع41، 42، 1992، ص49.

(2) -أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص173؛ ينظر أيضا: - فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص78.

(3) - المرجع نفسه، ص، ص 65-71.

(4) - إبراهيم خليل خلايلة، المرجع السابق، ص174.

(5) - نجيب إبراهيم مخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم: سورية والفينيقيون والكنعانيون والأسرائليون والفلسطنيون، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1966،ج3 ، ص80.

يمكن تفسير شعبيته من خلال الصورة التي كان القرطاجيون يحملونها عنه، وقد ارتبطت هذه الصورة بالرعاية والحماية والسلام[1].

بالرغم من هذا الانتشار الواسع، إلا أننا نلاحظ أن النذور المهداة له قليل جدا، حاول بعض المؤرخين تفسير هذه الظاهرة بالقول أنه كان هناك نوعان من الديانة، هما الديانة الرسمية لقرطاج وهي قائمة على عبادة بعل حمون وتانيت، أما الديانة الشعبية التي كانت تمس شرائح كبيرة من المجتمع القرطاجي كانت قائمة على عبادة آلهة توفر الحماية والرعاية للمتعبدين، ومن بين هذه الآلهة ملكارت[2]، ويرى البعض أن فقد ملكارت لمكانته في قرطاج دليل واضح على نهاية الملكية، وتأسيس حكومة أرستقراطية[3].

ب- عشترت:

تعتبر الربة عشترت الصفة المؤنثة من البعل "أي بعلة، أو السيدة"، وأصح نطق لها فيما يرى البعض عشرة "بتاء التأنيث" كما جاء في رسائل تل العمارنة[4]، ولقد تم ممثلتها في وقت مبكر مع أفروديت[5] (Aphrodite) الإغريقية، غير أن عبادتها لم تكن منتشرة في العالم القرطاجي منذ أن كانت أكثر وظائفها أهمية، وهي تأمين الخصوبة قد انطبقت على تانيت[6].

ومع ذلك لا يمكن أن ننكر بأن هذه الربة مثلما عبدت في الشرق الفينيقي، عبدت في الغرب الفينيقي على حد السوء، وقد وجدت العديد من الآثار في أرجاء الإمبراطورية القرطاجية تشير إلى الربة عشترت، لا سيما في مالطا وسردينيا، و كان أشهر مكان لعبادتها في صقلية وبالضبط في إيركس، حيث أشار ديودور الصقلي إلى عادة البغاء المقدس، ولهذا ارتبطت هذه الممارسة بالربة عشترت[7]، كما كان لها معبد في قرطاج[8].

---

(1) – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص149؛ ينظر أيضا: – محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص145.

(2) – المرجع نفسه، ص 149.

(3)- G and Ch, Picard, Op- Cit, p62.

(4) – محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، المرجع السابق، ص341.

(5)– **أفروديت**: ربة الحب والجمال والخصب عند الإغريق، وتقابله عند الرومان غينوس. ينظر: –ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص181.

(6) - B.H. Warmington, Op- Cit, p130.

(7) – نقلا عن :– حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص149. ينظر أيضا:

– B.H. Warmington, Op- Cit, p130.

(8) -Ibid, p130.

ج- أشمون:

عبد هذا الإله في قرطاج كما تدل على ذلك النقوش التي عثر عليها المنقبون، وقد ذكرت المصادر القديمة أن معبد أشمون كان من أكبر المعابد في المدينة، هذا وماثلة الكتابات القديمة بين الإله أشمون، والإله الإغريقي أسكلبيوس (Asklepios)، الذي يشرف على الشفاء، ولذلك نميل إلى أن القرطاجيين اعتبروه الإله الشافي [1]، هذا فضلا عن خصائص الخصوبة التي عرفت عنه، وهناك من الدراسات من تعتبر أن أسمه صيغة مشتقة من شيم بمعنى "الاسم الأعظم"، ومن ثم فلفظة أشمون تعد مجرد صفة، كمعظم الأوصاف التي تطلق على الآلهة الأخرى[2].

نلاحظ انتشار اسم هذا الإله في أسماء عدد كبير جدا من القرطاجيين، وهذا ما يدل على أنه كان محبوبا ومقربا عندهم، مثل ملكارت[3]، بل هناك من الدراسات من تعده أنه فاق شعبية وشهرة ملكارت[4].

1-3- الآلهة الأجنبية:

كانت أبواب قرطاج مفتوحة أمام قاصديها، فأوت جاليات لوبية، ومصرية، وأتروسكية وإغريقية، وجاليات أخرى لم تذكرها النصوص، كان القرطاجيون لا يتعففون من الزواج المختلط بل يقبلون على مصاهرة المقيمين عندهم، فعلى سبيل المثال القائد القرطاجي هملكار الماغوني من أم قرطاجية وأب إغريقي[5]، وتدلنا النقائش أيضا على وجود حرفين ذوي أصول إغريقية وأبرزهم بويثوس (Boethos) الذي تخصص في إنتاج التماثيل والتحف البرونزية، وغيرها من

---

(1) - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص ص149- 150؛ ينظر أيضا: - عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص 46.

(2) - محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص ص 213-214.

(3) - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 150.

(4) - أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 118-119؛ ينظر أيضا: - عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص46.

(5) - مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص76؛ ينظر: - محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص ص 23-24.

الجاليات الوافدة على قرطاج التي توافرت لها ظروف إقامة طيبة تنعم بالسلم والرخاء، فأدت بذلك إلى إنشاء معابد تمارس فيها عبادة الآلهة[1].

لم تكن هذه الشعائر تزعج الآلهة والأهالي القرطاجيين، بل كان الاحترام المتبادل بينهما حيث كان محفل الآلهة البونية يضم آلهة أجنبية متعددة، كالآلهة المصرية، التي وجدت طريقها إلى قرطاج، ونذكر منهما أوزريس[2] (Osiris) وإيزيس، والإله بس (Bes) وهو نصف إله يمثل في هيئة قزم قبيح المنظر، وكانت تماثيله الصغيرة تستخدم كتمائم بعضها صنع في مصر وبعضها صنع في قرطاج[3] وقد وجدت تميمة تجسد الإله بس يعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد مصنوعة من عجين زجاجي طوله ستة ميليمترات ومحفوظ في متحف باردو[4]، ومما يثبت قبول القرطاجيين للآلهة المصرية، وجود أسمائهم في أسماء القرطاجيين والقرطاجيات فكثيرون منهم كانوا يتسمون عبد إيزيس أو عبد أوزريس، وآلهة إغريقية مثل ديميتر[5] (Demeter) وكوري (Core)[6].

الحقيقية إن أهم الآلهة الأجنبية التي كان لها حضور في مجمع الآلهة القرطاجية خلال الحقبة محل الدراسة هي الآلهة الإغريقية، على الرغم من وجود تنافس وصراع بين الطرفين وهي قضية غريبة ينبغي التوقف عندها.

ديودور هو المصدر الوحيد الذي وفر معلومات حول هذا الموضوع، حيث أشار في معرض حديثه عن حصار جيش قرطاج لمدينة سيراكوزة، تحت قيادة هملكار سنة (396 ق.م)

---

(1)- الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 264. ينظر ايضا:

- D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p81.

(2) - **أوزوريس**: إله مصر الشعبي الذي كان يرتبط بالخصب والزراعة والأرض، ثم تحول إلى إله البعث والحساب، وهو رئيس محكمة الموتى عند قدماء المصريين، من آلهة التاسوع المقدس الرئيسي في الديانة المصرية القديمة. ينظر: -خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، ط1، الأردن، 1999، ص ص 30-31

(3) - D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p94.

(4) - عبد الناصر علي بلقاسم الشريف، "الديانة الفينيقية في شمال إفريقيا، إشراف"، (ماجستير)، أ. د. عبد الحفيظ فضيل الميار، قسم التاريخ، جامعة قاريونس، 2005، ص 140.

(5) -**ديمتير**: ابنتها كوري ربتان إغريقيتان ارتبطتا بالأرض وإنتاج الغلال، وكانت ديمتير تصور دائما، وهي تحمل سنابل القمح بيدها، وقد حظيت عبادة هاتين الربتين بأهمية كبرى لدى الإغريق. ينظر: -سيد أحمد علي الناصري، الإغريق...، المرجع السابق، ص ص 18-19.

(6) - محمد حسين فنطر، الفينيقيون...، المرجع السابق، ص 141.

قيام جنود هذا الأخير بنهب وتخريب معبد الربتين ديمتير وكوري، ويضيف ديودور أن القرطاجيين كانوا لا يعبدون هاتين الربتين، وصادف أن تعرضوا بعد ذلك لبعض الكوارث الصحية فتصوروا أن السبب إنما يرجع إلى تعديهم على معبد هاتين الربتين، فما كان منهم إلا أن بادروا بالتكفير عن هذا الذنب، بإدراج واعتناق عبادتهما رسميا في المدينة في محاولة منهم لإرضائهما، وتم تكليف بعض الكهنة، بالإشراف على تطبيق الطقوس الدينية الإغريقية المتعلقة بهما، كما أقاموا لهما التماثيل وقدموا لهما القرابين[1].

يبدو أن القرطاجيين كانوا يرجعون ما يلحق بجندهم من أزمات صحية في حروبهم بصقلية، إلى غضب الآلهة، غافلين عن عدم إتباع الوسائل الصحية، بإقامة المعسكرات في المناطق المنخفضة والحارة المجاورة للأنهار، حيث تكثر الحشرات الناقلة للأوبئة، هي السبب في حصد أرواح الجند[2].

في حين يعيد بعض المؤرخين إقامة القرطاجيين معبدا للآلهة الإغريقية إلى مركب النقص الذي كان يشعر به أمام ديانتهم التقليدية، ولحاجتهم الماسة لتغيير هذه الديانة، حتى تتوافق مع تطلعاتهم الفردية وهواجسهم الميتافيزيقية، في حين يرى آخرون، أن إدماج عبادة ديميتر وكوري لا يعد ضياع جوهري للديانة القرطاجية ببلاد المغرب، بل العكس تماما الربتين هما من تكيفتا مع حاجة المتعبدين الجدد، ومهما يكن من أمر، فإن المرجح أن أحداث سنة (396 ق.م) هي التاريخ الرسمي لتبني قرطاج لعبادة الآلهة الإغريقية "السالفة الذكر"[3].

هناك دراسات تعتبر أن وجود آلهة أجنبية في قرطاج، ليس دليلا كافيا لاعتبارها جزء متمم للمجتمع الديني الفينيقي القرطاجي[4]، إذ أن الأمر لا يتعلق بتمازج الآلهة القرطاجية مع الآلهة المصرية أو الإغريقية، وحتى الرومانية في فترة لاحقة، بل يتعلق أكثر بتفسير آلهة قرطاج وفق منظور إغريقي لاتيني، حيث لم تتقدم هذه المطابقة المتبعة من طرف الكتاب القدامى فائدة كبيرة بالنسبة لتحديد وظائف ورموز الآلهة القرطاجية[5]، ومن المرجح أن هذه الآلهة

---

(1) - Diodorus Siculus, XIV, 77.5.

(2) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص ص 200-201.

(3) - حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص 154.

(4) – D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit,p90.

(5) - فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص ص79-80.

الدخيلة إنما اقتصرت عبادتها على الجاليات الأجنبية التي أقامت في قرطاج، حيث لم يثبت على القرطاجيين أنهم عبدوا هذه الآلهة[1].

2- المعابد:

تشكل المعابد إحدى أبرز المظاهر الأساسية في الحياة الدينية للمجتمع القرطاجي، إذ تنتشر المعابد في مناطق شاسعة بالمدن القرطاجية، وبالرغم من اختلاف المعابد عن بعضها البعض، فإنها شكلت حجر الزاوية في الحياة العامة بقرطاج، ونظرا للمكانة المقدسة عندهم للمعابد، نجدها ترتفع حوالي ستين درجة عن باقي المباني، لتكون واضحة وبارزة على السواحل[2]، وهناك من يرجع سبب إقامتها على الأماكن العالية، لاعتبار أن المستوطنين كانوا عادة لا يحصلون على مساحات شاسعة، وكانوا يرضون بمساحة صغيرة للاستيطان عليها وإدارة تجارتهم[3].

اتسم المعبد القرطاجي في أول أمره بالبساطة، ولكن فيما يبدو أنه تطور بمرور الزمن، ولا نستبعد أن يكون هذا التطور كان إبان القرن الخامس قبل الميلاد، حيث ظهرت عناصر جديدة في المعبد لم تكن معروفة من قبل، مثل المذبح الحجري والنصب المقدس، وبجانبه العمود المقدس ثم حجرات تحت أرضية المعبد، ويعد المذبح أهم أجزاء المعبد، وعليه تقدم القرابين، أما النصب فيرمز إلى الإله، ويقوم إلى جواره العمود أو الشجرة المقدسة التي ترمز إلى الخصب، أما الغرفة السفلية فكانت من أجل التنبؤ ومعرفة رغبات الإله[4].

انتشر بناء المعابد عند القرطاجيين بشكل واسع، والدليل على ذلك ما جاء في الرواية القائلة، بأن حنون كتب في رحلته تقريرا أو رسالة علقت على معبد بعل حمون في قرطاج، حتى يتمكن عامة الناس من الاطلاع عليها[5]، هذا وتشير الأبحاث الأثرية، إلى أن قرطاج عرفت العديد من المعابد الصغيرة إلى جانب المعابد الكبيرة[6].

---

[1] - عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية...، المرجع السابق، ص 219.

[2] -لطيفة التهامي اندش، "الديانة القرطاجية وتأثرها بالديانات الأخرى (814-146 ق.م)"، (ماجستير)، إشراف. د. احمد محمد أنديشة قسم التاريخ، جامعة 7 أكتوبر -مصراته، 2008، ص75.

[3] - D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit,p94.

[4] - نجيب إبراهيم مخائيل، المرجع السابق، ص 86؛ ينظر أيضا: - فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص ص 86-87.

[5] - محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص ص126-127.

[6] - فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص87.

كانت المعابد مدرسة، يتعلم فيها الطفل القراءة والكتابة البونية وغيرها، فتكون العزة ويكون القرطاجي قرطاجيا له من الحصانة الثقافية، ما يجعله قادرا على الاستفادة من كل حوار مع الآخر، مهما اختلفت تعابيره ومقاييسه في المعارك المادية والقضايا الأخرى[1]، فلاشك بأن المعابد كانت تقام فيه الشعائر كما كانت المعابد قواعد ارتكاز، ومعالم يسترشد بها في التجارة البحرية، وربما يكون هناك اعتقاد بحماية الآلهة للتجار والمسافرين[2].

اتسمت هياكل ومعابد قرطاج بالتقشف، مما جعل الهياكل خالية من مظاهر الفخامة والعظمة، وإبان القرن الخامس قبل الميلاد بدأت الحكومة القرطاجية تبني لآلهتها بيوتا فتحيطها بالأسوار، وترتفع فيها الهياكل، حيث أن المهندسين الفينيقيين عموما والقرطاجيين بصورة خاصة، كان بإمكانهم أن يشيدوا كالمصريين، صروحا ضخمة ومعابد متينه، إلا أنهم فضلوا العمران السريع الخفيف القليل النفقات، الذي يمكن ترميمه أو تجديده كلما تهدم أو تداعى للخراب[3].

ذكرت المصادر الكلاسيكية بعض المعابد الموجودة في قرطاج خلال المرحلة محل الدراسة، ومن ذلك معبد أبوللو[4]، الذي يقع على حافة الأجورا بالقرب من الميناء التجاري الذي يحتوي على تمثال للإله البرونز المطلي بالذهب، كما كانت جدران المعبد الداخلية مغطاة برقائق من الذهب، ولقد ورد أيضا ذكر معبد أشمون الذي كان يتم الوصول إليه من ناحية السهل الساحلي بواسطة سلم مكون من ستين درجة[5]، ومعبد ديميتر الذي يقع فوق هضبة سانت مونيك المشرفة على البحر ليس بعيدا عن موقع "بلدة سيدي بوسعيد الحالية "[6].

بالإضافة إلى ما تقدم ذكره، تم الكشف في قرطاج على معبد التوفيت (Tophet) الشهير، الذي كان مخصصا لعبادة تانيت وبعل حمون، وهو عبارة عن فضاء مقدس فسيح ويرى

---

(1) – عبد الناصر علي بلقاسم الشريف، المرجع السابق، ص 196.

(2) – يولي بركوفيتش تسيركين، المرجع السابق، ص46.

(3) – جورج مصروعة، المرجع السابق، ص 417.

(4) – **أبوللو**: الإله الإغريقي للشمس والنور والطب والكهانة والفنون، غنم القرطاجيون تمثاله في سيراكوزة وأرسلوه إلى صور، ورأى أحد الكهنة أن أبوللو يغادر المدينة، فعمد الأهالي إلى ربطه بسلاسل ذهبية كي لا يطير. ينظر: –عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص20.

(5)- S. Lancel, Op- Cit, p212.

(6) – جان مازيل، مع الفينيقيين...، المرجع السابق، ص148.

البعض أن تسمية التوفيت مأخوذة في الأصل من التوراة، التي تتحدث عن مكان يحمل اسم تفت يوجد في وادي حنوم (Hinnom) قرب القدس، حيث كان يتم تقديم الأطفال كقرابين للإله ملك[1]، أما معنى الكلمة نفسها، فيعتقد البعض أنها ربما تكون مرتبطة بالكلمة الآرمية توفة (Topha) والتي تعني "تضع على النار"، وأيضا باللفظة تيفاية (Tephaya) والتي تعني "نار الموقد"[2]. (ينظر الملحق رقم "17"، ص294).

في محور المعابد القرطاجية، وجب الإشارة إلى فرق ذات صبغة دينية يطلق عليها مزرح ويتولى المنخرطون فيها بالسهر على الاهتمام بالمعابد، وتنظيم الحفلات والولائم الدينية، أما بخصوص بناء المعابد فلا يستبعد أن يكون عمل جماعي تتبناه هيئات مختصة في الدولة، وقد يوكل الإشراف على مثل هذه المشاريع العمرانية إلى جماعات مدنية ذات بعد ديني[3]، علما أن الوثائق المتوفرة حول إنشاء المعابد تثبت بأنه ليس للكهنة دور في عملية البناء، بينما تشير إلى أن الشفط في قرطاج كان يتدخل في الشؤون الدينية، فقد كان الحكام المدنيين يقومون ببناء أو إصلاح بيوت الآلهة[4].

3- الكهنة:

مما لا شك فيه أن المعابد والهياكل في قرطاج، كانت تحتاج إلى من يرعاها ويدير شؤون العبادة فيها، ولذلك تم تخصيص مجموعة من الكهنة لكل معبد ليقوموا على رعايته، وكان الكاهن يرتدي ثوب القداسة طيلة حياته، ومنهم من يهب نفسه لخدمة الآلهة[5]، هذا وقد ورد في النصوص أيضا ذكر كاهنات، وكان رئيس الكهنة يحمل لقب رب كوهانيم (Rab Kohnim) أي "الكاهن الأكبر"، ومن الجدير بالذكر أن هذا اللقب قد حملته امرأة تدعى معطا نبعل، وكانت تجمع تحت نفوذها هيئة الكهنة كلها[6]، ولا نستبعد أن تكون هذه الكاهنة من الطبقة لأرستقراطية، حيث تفيد معلومات بأن نساء الطبقة الأرستقراطية اللاتي

---

(1) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص 280؛ ينظر أيضا:
- D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p94.

(2) – الأمين علي الأمين، المرجع السابق، ص 108.

(3) – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص 93.

(4) – أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 210.

(5) – محمد حسين فنطر، قرطاج...، المرجع السابق، ص50.

(6)– أحمد صفر المرجع السابق، ص ص120-121.

تلقين الكثير من التعليم، قادرات على أن يصبحن كاهنات صاحبة سيطرة كاملة على كل موظفي المعبد رجالا ونساء على حد سواء[1].

تؤكد أغلب الدراسات على أن الوظيفة الكهنوتية كانت وراثية، كما كانت وقفا على عدد قليل من الأسر الأرستقراطية في المدينة البونية[2]، حيث أكتشف بقرطاج قبر دفن به خمسة أجيال من الكهنة ينتمون إلى نفس الأسرة[3]، وكان الكهنة يعتقدون أنهم لم يختاروا أنفسهم لتسخير خدماتهم للآلهة، ولكن هذا مدون ومسجل في تقارير انتقلت إليهم من جيل إلى آخر[4].

رغم الامتيازات الكثيرة التي تمتع بها الكهنة في قرطاج، لاسيما الإشراف على الطقوس الدينية وضمان سلامتها، فإنهم لم يشكلوا طبقة مستقلة بذاتها ضمن جهاز الدولة وكانوا يعيلون أسرهم، ويشاركون في الحياة العامة للمدينة، حيث أن وظائفهم لم تكن تعطيهم أية امتيازات في مجال العمل السياسي[5]، إذ لا نستبعد أن تكون سلطتهم تجاوزت حدود المعبد[6]، فالكهنة كانوا منفصلين تماما عن السياسية، والدليل على ذلك فإننا وبالعودة إلى حديث أرسطو عن دستور قرطاج لا نجده يشير إلى رجال الدين، وبهذا نعتقد أن الكهنة كانوا بعيدين عن أي نشاط إداري ذو طابع سياسي، ونشاطهم لا يتعدى حدود الفضاءات المقدسة[7].

من العادات المتبعة عند رئيس المعبد، الذي يشرف على شؤونه حلق الشعر، وارتداء ثياب أرجوانية خاصة[8]، أما باقي كهنة المعبد من رجال ونساء فيزيد عددهم عن الثلاثمئة كاهن يرتدون ثيابا بيضاء من الكتان أو القطن، وقبعات تشبه التاج[9]، هذا و قد عثر على

---

(1)- G and Ch. Picard, Op- Cit, pp151-152.

(2) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص121.

(3) – جورج كونتو، المرجع السابق، ص140.

(4)-Diodorus Siculus, 1939, Vol, 3, V, 1.3.

(5) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص144؛ ينظر أيضا:– فنيفريد إللغير، المرجع السابق، ص85.

(6) – مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص69.

(7)– نقلا عن:– محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص93.

(8) – محمد حسين فنطر، قرطاج لمحة....، المرجع السابق، ص 50.

(9) – عبد الحفيظ فضيل الميار، "ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية"، **مجلة آثار العرب**، (ب م ن)، ع11، 12، 1999، ص 14.

غطاء تابوت في مدفن سانت مونيك بدرمش، يؤرخ ما بين القرنيين الرابع والثالث قبل الميلاد يمثل صورة كاهنة ترتدي لباس الآلهة التي تخدمها، وتغطي رأسها بوشاح، ويكسو جسمها جناحان طويلان، وتحمل بإحدى يديها حمامة، وبالأخرى مجمرة البخور[1].

هناك ثلاثة مسلات جيرية من قرطاج، توفر صورة أفضل لهذا الأمر، ففي إحداها ثمة كاهن ملتح على رأسه أفاعي، وعلى كتفه الأيسر دثار طويل "ما يشبه الطرف"، يرتدي عباءة شفافة من الكتان، حاملا صحيفة وقارورة ربما كان يهم بتقديم أضحية شراب، وعلى الثانية يظهر كاهن برأس حليق يقدم البركة، والثالثة فيها كاهن بثوب شفاف، يحمل بيسراه طفلا صغيرا، ربما حكم عليه بأن يقدم قربانا[2].

الجدير بالذكر أن الكاهن القرطاجي يظهر في أغلب الشواهد بشكل جانبي، وربما في ذلك يتبع طقوس خاصة، وعرض متجها إلى اليسار، ولا نعرف إذا ما كان الاختلاف في شكل حلاقتهم له دلالات دينية أم لا[3].

لعب الكهنة دورا ثقافيا عظيما ومؤثرا في تاريخ الحضارة القرطاجية، وكان للأسر الدينية الكهنوتية على الأرجح مدارسها الخاصة داخل نطاق المعابد، وهناك يتعلم الأطفال قراءة وكتابة البونية والقصائد، التي تتناول أساطير الأقدمين، وكتابة الطقوس الدينية، ويبدو أن المرأة لم تكن ممنوعة من التعليم، وكان هذا في ما يبدو على مستوى الطبقة الأرستقراطية[4] ويرى البعض أن التعليم القرطاجي كان خاضعا لاهتمامات العاصمة البونية وطبيعتها خلال المرحلة الأرستقراطية، وكانت هذه الدروس تعطى لأبناء الأرستقراطيين، الذين كانت أسرهم تعدهم للمشاريع البعيدة[5].

---

[1] – مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 69. ينظر أيضا:

– D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, p113.

[2] – دولاند هاردن، الديانة الفينيقية (موسوعة تاريخ الأديان)، تر: ثائر ذيب، منشورات دار علاء الدين، (ب ط)، (ب م ن)، (ب ت)، ص121.

[3] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص85.

[4] – G and Ch. Picard, Op- Cit, pp151-152.

[5]- T.Mommsen, The History Of Rome, Abridged By: C. Bryans and F. Hendy, 1st Edition, U. S. A, 1960, p122.

كان الكهنة القرطاجيون يقومون بإلقاء بعض الدروس في علم اللاهوت، في ساحات المعبد التي كانت بمثابة مركز للنشاط الفكري والثقافي، وكان لدورهم الثقافي أهمية تاريخية كبرى، إذ يرجع إليهم الفضل في بقاء اللغة والحضارة الفينيقية في بلاد المغرب القديم حتى بعد انتهائهما في فينيقيا نفسها، فقد استمرتا لقرون كثيرة بعد الغزو الروماني[1].

نرجح أن سبب استمرار الثقافة القرطاجية، وعلى وجه الخصوص اللغة، يعود للدور الذي لعبته العناصر المحافظة في مجلس الشيوخ القرطاجي خلال المرحلة الأرستقراطية، حيث عملوا على تحريم دراسة اللغة الإغريقية، بحجة منع الاتصال بالعدو[2]، وكان ذلك في فترة تجدد الحروب القرطاجية الإغريقية في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد[3].

يبدو أن كهنة قرطاج كانوا يعيشون حياة طبيعية، حيث تم السماح لهم بالزواج، وتكوين الأسر، وهو الأمر الذي لم يكن مصرحا به لكهنة آخرين في معابد أخرى، حيث حرم على كاهنات كوري الزواج أو حتى رؤية أقرب أقاربهم من الرجال، لذلك كان يتم اختيار السيدات الأكبر سنا فقط، كما فرض على كهنة ملكارت في جاديس العزوبة، بل وتم تحريم دخول النساء إلى المعبد[4]، ولكن يبدو أن المتعبدين أيضا نالوا قسطا من هذه التحريمات، فقد اضطر من يريد دخول معبد أشمون إلى الامتناع عن معاشرة النساء لمدة ثلاثة أيام، كما كانوا مضطرين إلى الامتناع عن أكل الفول ولحم الخنزير[5].

كان الكهنة يكسبون رزقهم مما يجنونه من المعبد، حيث كانوا يحصلون على نصيب كبير من التعريفات القربانية، التي ورد ذكر العديد منها في النقوش البونية، وتعد تعريفة مارسليا (Marseille) التي نقشت خلال الرابع قبل الميلاد في قدس بعل صفن أشهر هذه التعريفات، وفي الحقيقة عثر على هذه النقيشة في قرطاج، إلا أنها اليوم محفوظة في مخازن متحف مارسليا الأثري، وهي تتناول القرابين المقدمة وتقسيمها بحسب طبيعة كل واحدة منها [6]:

---

(1)- G and Ch. Picard، Op-Cit, p,p45,77,78; Il observe aussi:- S. Lancel, Op- Cit, pp209-210.

(2) -Ibid, Op- Cit, p152.

(3) – الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص264.

(4) – G and Ch. Picard, Op- Cit, pp72.

(5)- A. Ben Abed Khader and D. Soren, Op- Cit, p 45.

(6) – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص79؛ ينظر أيضا: – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص90.

"تعريفة الضرائب التي حددها مجلس الثلاثين المكلف بالضرائب
زمن السادة: السبط خلصبعل بن بدتانيت بن بدأشمن والسبط خلصبعل.
السبط بن بدأشمن بن خلصبعل وزملاؤهما[1]".

"إذا كان العجل قربان تكفير أو تقرب أو محرقة، فللكهنة عشر مثاقيل فضة على كل ثور وبالنسبة للقرابين التكفيرية يحق لهم فوق ذلك أن يتقاضوا ثلاثمائة مثقال من اللحم، أما القرابين التي تبذل تقربا من الآلهة فيحق لهم أن يأخذوا الصدر والفخذ الأيمن، أما الجلد والأضلاع والأرجل وما تبقي من اللحم فهو لصاحب القربان [2]".

يستمر النص لتناول تفاصيل أخرى حول أتعاب الكهنة من مختلف أنواع الحيوانات والطيور، ولم تقتصر هذه التعريفة على ذلك فقط، فلقد ذكر أيضا الزيت، واللبن، والدقيق والفطائر والمعجنات، كما تضمنت التعريفة أيضا نصا لحماية المضحين من أي تعسف أو إفراط محتمل من جانب الكهنة، حيث نصت أيضا: **"أي كاهن يجبي ضريبة أخرى غير تلك المثبتة في اللوحة ستفرض عليه غرامة[3]".**

نستطيع القول بأن هذه التعريفة تمثل نموذجا خاصا بالضرائب المفروضة لمصلحة المعابد وهي ما يمكن أن نسميه بالضرائب الدينية، "كما سبقت الإشارة إلى ذلك"، وهذه الضرائب كان يؤديها كل القرطاجيين بمختلف فئاتهم الاجتماعية[4]، كما أن هذه الظاهرة كانت من التقاليد المتبعة في المدن الفينيقية الشرقية، وتصل قيمة تلك الضرائب إلى عشر المحصول وقت جني المحصول، ولكنها بدأت تتراجع منذ القرن الخامس قبل الميلاد وأصبحت تدفع لمعابد المدينة، ومن المرجح أن هذه الضرائب كانت تنفق في خدمة شؤون الدولة، وما يفيض منها كان ينفق في أمور العامة، ولا يستبعد أن أغلبها كان يدفع من قبل النبلاء والأشراف القرطاجيون، وقد يكون هذا ما أشار إليه بوليب، عندما نوه أن نفقات الحملات العسكرية

---

(1) – نقلا عن: – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص90.

(2)- Selon:- S. Lancel, Op- Cit, p210.

(3)- Selon:-Ipid, p211.

(4) – أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 41.

والحروب كانت تؤخذ من الرعايا الليبيين، أما ما يصرفه القرطاجيون على شؤونهم الخاصة فقد كان يؤخذ من أقاليمهم[1].

الواضح أنه كان يتم التلاعب في هذا النوع من الضرائب، لذلك نجد أن القانون القرطاجي وفر لها عناية خاصة فنظمها في لوائح وقوانين، وفرض العقوبات على كل كاهن تسول له نفسه مخالفة تلك القوانين، ولولا وجود تلك المخالفات لما ظهرت الحاجة إلى وضع ضوابط لها كما أن ضريبة المعبد بهذا الشكل حظيت بمكانة بارزة في ميزانية الدولة، وكانت تمثل قدسية محددة من الناحية الدينية، فلا يجوز التهاون أو التلاعب في أقدس جانب من جوانب حياة المجتمع القرطاجي[2].

يمكن القول بأن هذه النقشية تحتوي على قيمة كبرى، إنها أحدى الوثائق الغنية بالمعلومات حول الضرائب، والمؤسسات المكلفة بتعديلها والسهر على احترامها[3]. (ينظر الملحق رقم "18"، ص295).

إن إنجاز الشعائر كان يتطلب خدمات طاقم كامل لمساعدة الكهنة، والقيام بأعمال وواجبات كثيرة ومختلفة، وكان على رأسهم الكتبة، ثم المنشدين والموسيقيين والعرافيين، كما وجد أيضا الحراس، وعاملي الإضاءة، وحلاقين دينيين الذين كانت مهمتهم حلق شعر الكهنة ووجد أيضا الأقنان الذين كانوا يزرعون أملاك المعبد، والحرفيون الذين عملوا في ورشهم[4]، بالإضافة إلى الجزارين الذين كانت مهمتهم بالطبع هي ذبح وتقطيع الحيوانات المخصصة من أجل القرابين وإعداد لحومها، ولقد جمع الكاهن البوني في شخصه الصفة الدينية والدنيوية، فمن الممكن أن يكون جزارا أو طباخا، ولكنه أيضا كاهن في الوقت ذاته[5].

يجب الإشارة ، بأنه إذا كانت ممارسة الطقوس الدينية تقتضي مراجعة الكهنة رجالا ونساء حتى يضمن سلامة الشعائر، إلا أن الوثائق المتوصل إليها تشير إلى أن إدارة الشؤون الدينية كانت خاضعة لمؤسسات مدنية مختصة لا علاقة لها بسلك الكهنوت، ولم تتوصل

---

[1] – نقلا عن: –حبيب البقلوطي، المرجع السابق، 284.

[2] – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص ص76-78.

[3] – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص91.

[4] – G and Ch. Picard, Op- Cit, pp76-77.

[5] - S. Lancel, Op- Cit, p210.

الدراسات لحد اللحظة إلى الكيفية التي كان تتبع في تعيين الساهرين على الشؤون الدينية، ومن المرجح أنهم ممن يتم انتخابهم وفقا لقوانين معمول بها وقت اختيارهم، ففي تعريفة مرسيليا إشارة إلى مجلس الثلاثين المكلف بالضرائب، فالعلاقة بين العامة والكهنة يضبطها قضاة مختصون في مجال الضرائب، لوضع تعريفات لمختلف القرابين وتحرص على تطبيقها[1].

ثانيا) المعتقدات الدينية:

1- العرافة والمسوخ:

1-1- العرافون:

كان القرطاجيون شديدي الولع بالتطلع إلى معرفة المستقبل، ويشير المؤرخون أن معبد تانيت بني بعل، كان به عرافات يكشفن الغيب ويتنبأن بالمستقبل ويجاهرن بذلك[2]، وقد حظي العرافون في قرطاج بمكانة مرموقة على الصعيد الرسمي، فقد رافق بعضهم قادة الجيش كمستشارين تؤخذ آراؤهم بعين الاعتبار والإجلال قبل الإقدام على أية خطوة في التحرك أو الهجوم، ومن ذلك أن القائد هملكار استشار عرافيه قبل أن يقرر الهجوم على مدينة سيراكوزة عام (309 ق.م) فأكدوا له بأن النصر سيكون من نصيبه، وقالوا بأنهم رأوا ذلك مجسما في أمعاء القتلى فبادر بالهجوم بناءا على طالعهم، وفي حقيقة الأمر فشل وأودى هجومه بحياته[3].

كما اصطحب الملك حنون معه في رحلته أو مغامرته البحرية عددا من العرافين لاستشارتهم، لاسيما في حالات الطوارئ، ويظهر ذلك واضحا في أحد فقرات نص رحلته عندما وصل هو ومن بصحبته لأحد الجزر بالقرن الغربي، فشاهدوا ليلا مشاعل نار وسمعوا أصوات مزامير وقرع صنوج وطبول وصيحات مفزعة، فتكهن عرافوه بسوء العاقبة، وحثوا قائدهم حنون بمغادرة الجزيرة حالا[4]، ولا يستبعد أن تشيد المعابد في بعض المناطق التي نزل بها حنون على سواحل الأطلسي، و التي أشار لها في تقرير رحلته كانت بعد أخذ إذن العرافين[5].

---

[1]- محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص ص 91-92.

[2] - أحمد صفر، المرجع السابق، ص 121.

[3] – المرجع نفسه، ص 121.

[4] - محمد حسين فنطر، الحرف والصورة....، المرجع السابق، ص129.

[5] -أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 41.

1-2- المسوخ:

اهتم القرطاجيون منذ القرن الخامس قبل الميلاد كثيرا بالمسوخ والتمائم، التي تقيهم من الآلام والأمراض، وتحميهم من العين، فعلى سبيل المثال كان قناع الرجل المكشر يحمى الموتى من الأرواح الشريرة التي يعتقدون بوجودها، والقناع المبتسم يضفي على الميت الهدوء والسكينة وقناع النساء وهو يمثل بالربة تانيت الخاص بالأموات[1]، والقناع الذي يحمل علامة (X) يدل على العالم السفلي وكان يوضع عادة على جبين التمثال[2]، وكانت تصنع المسوخ عند القرطاجيين من الطين، أو من النحاس أو من قشور بيض النعام، وهي بأشكال قبيحة المنظر تمثل وجه الشيطان لطرد العفاريت، وكانت تحمل أحيانا أقراطا بآذانها وحلقات بأنوفها[3]. (ينظر الملحق رقم "19"، ص296).

عثر على وجوه بشرية مرسومة على قشور بيض النعام في المقابر القرطاجية، حيث كانت توفر الحماية للمتوفي، وكانت هذه الوجوه تتميز بوجود عينين واسعتين، ويعتقد أن هذه العيون المفتوحة عن آخرها في ظلام القبر كانت من أجل طرد الأرواح الشريرة[4]، كما تم العثور على شفرات الحلاقة، التي توضع عامة بالقرب من رأس الشخص المتوفى، ولذلك يعتقد بأنها كانت بمثابة تمائم وقائية وظيفتها الرئيسية حماية الشخص المتوفي من الأرواح الشريرة[5].

كان القرطاجي يرتدي التمائم الصغيرة المصنوعة من الزجاج على هيئة دلايات، ويذهب البعض إلى أن هذه الأقنعة كانت تمثل آلهة حامية للشخص الذي يرتديها، إذ يمكن التعرف من خلال ملامحها على تانيت وبعل حمون وملكارت أو أشمون، وهناك صفة مشتركة بين هذه الأقنعة جميعا ألا وهي الحجم الكبير والضخم لعيونها البارزة، مع حدقة منبسطة، حيث تعطيهم قوة سحرية، وبذلك كانوا يقومون بمهمة الحماية الموكلة لهم، سواء في حياة الشخص أو في قبره بعد موته، وكان يتم ارتداء هذه الأقنعة الزجاجية كقلادة حول العنق[6].

---

(1) – عبد الناصر علي بلقاسم الشريف، المرجع السابق، ص 225.

(2)– خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، المرجع السابق، ص186.

(3) – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص218.

(4) - S. Lancel, Op- Cit, pp217-218.

(5) -Ibid, pp216-217.

(6) – أحمد صفر، المرجع السابق، ص122؛ ينظر أيضا:

-S. Lancel, Op- Cit, pp218.

تشير الدراسات بأنه خلال القرن الرابع قبل الميلاد، برع القرطاجيون في صنع أختام من اليشب العقيق، ولم تكن الرسوم المحفورة عليها من أجل الزخرفة والزينة فقط، لكن أيضا من أجل تأثيرها الديني، الذي يضمن ويحرس العمل الذي يختمونه، وكان أي شخص ينقض عقدا مختوما بختم عليه آلهة الحارسة، يعتبر أنه ارتكب تدنيس لشيء مقدس، وعرض نفسه لانتقام الآلهة[1].

كان القرطاجيون إجمالا يلبسون الرقى كي تحميهم شر العين[2]، ومنها أشكالا شيطانية يرتدونها من أجل إخافة القوى الشريرة[3]، ومن أجل دفع الحسد والعين الشريرة، كذلك شاعت صورة العين نفسها بمثابة تميمة لحيازة العناية الإلهية، كما ظهرت صورة الأذن، والقدم والأصابع الخمسة المفردة، وهي تعتبر أيضا تمائم رموز للأرباب[4]، وقد يرسمون كذلك في مدخل غرفهم الرئيسية تميمة تتصدى للشياطين، وتكسر شوكتها وتبعد شرها[5].

2- الأضاحي والقرابين:

ارتبطت عبادة كلا من بعل حمون وتانيت، بما اصطلح على تسميتها بعبادة القرابين البشرية، وقد لاقت هذه الظاهرة صدى واسعا، حتى أنها تسببت في توجيه الكثير من النقد والتجريح للحياة الدينية القرطاجية خاصة والفينيقية عامة، إذ تم اتهامهم بالوحشية والقسوة على يد الكثير من المؤرخين القدامى، وأصحاب الدراسات الحديثة على حد سواء، وفي هذا الصدد، ينادي البعض بضرورة النظر إلى تلك القرابين البشرية عند بحثها ومناقشتها بمنظار الزمان الذي قدمت فيه، لكي نستطيع أن نصدر حكما عادلا بشأنها ولكي ندرك أيضا بأية قيم روحية كانت ترتبط هذه الأضاحي، وبالنتيجة فإن القيم الروحية ستكون في النهاية قريبة جدا من قيمنا نحن الآن، إذ أننا نحبذ في عصرنا هذا أن التضحية بالنفس هي أروع التضحيات التي يمكن أن نقدمها من أجل هدف نبيل، فالموت مثلا من أجل الوطن يمثل ذروة الأخلاق النبيلة[6].

---

(1) – G and Ch. Picard, Op- Cit, pp141-142.

(2) – ف. ن. برايس، المرجع السابق، ص 255.

(3) –رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 218.

(4) – الصادق النيهوم، من القرن السابع....، المرجع السابق، ص203.

(5) – محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص158.

(6) – جان مازيل، مع الفينيقيين...، المرجع السابق، ص49؛ ينظر أيضا:

- Ch. A. Julien, Op- Cit, pp131-132.

مع ذلك لم يكن القرطاجيون ولا حتى الفينيقيون فقط هم الذين مارسوا هذه الطقوس القربانية البشرية، فلقد مارستها الكثير من شعوب الشرق القديم، على غرار السومريين في بلاد ما بين الرافدين، وفي بلاد النوبة "السودان حاليا" وبنى إسرائيل وغيرهم[1]، كما زاولت هذه الظاهرة عددا من شعوب البحر المتوسط في أو قات ما، مثل الإغريق والرومان[2]، و مارسها أيضا السكان المحليين لبلاد المغرب القديم قبل قدوم القرطاجيين[3]، وعلى الرغم من ذلك، هناك من ينسب إلى الفينيقيين والقرطاجيين وحدهم عار مزاولة الأضاحي البشرية، ويلقى اللوم عليهم فقط دون غيرهم من الأمم والشعوب القديمة[4]، وقد يكون ذلك بسبب مداومة الفينيقيين والقرطاجيين على إجراء تلك العادة بشكل مستمر، لاسيما في مراحل الخطر حيث روي فيلون الجبيلي أنه كان من عاداتهم في حالة الأخطار العامة أن يضحوا بأعز أبنائهم لإبعاد الكوارث عن أنفسهم[5].

تحت إشراف الدولة كان القرطاجيون يقدمون كل عام طفلين ذكرين على الأقل قربانا للآلهة [6]، كما كانت إجبارية على العائلات الكبيرة في المدينة، حتى أن العظماء من العائلات الأرستقراطية كانوا يفاخرون بما يقدمونه إلى آلهتهم من ضحايا بشرية[7]، ومع ذلك ليس من الواضح لأي مدى كان هناك إجبار شرعي على أي أسر معينة تسليم طفل للتضحية به، و لكن فيما يبدو أنه كان من المفترض نظريا بأن العرف يقتضي على كل المواطنين الكاملين أن يشاركوا في هذه الممارسة[8]، وكان معظم الأطفال الذين يضحى بهم دون الثانية عشرة، وإن كان هناك قلة ضئيلة تصل إلى سن هذا العمر[9].

---

(1)- محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص ص217-223.

(2)- B.H. Warmington , Op- Cit, p131.

(3) – محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق، ص ص217-223.

(4) – جورج كنتنو، المرجع السابق، ص142.

(5) – نقلا عن:–عبد الحميد زايد، المرجع السابق، 302.

(6) – Ch. A. Julien, Op- Cit, p132.

(7) –إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة ، ط1، الرباط، 1984، ج1، ص35.

(8)- B.H. Warmington, Op- Cit, p132; Il observe aussi:- A. Ben Abed Khader and D. Soren, Op- Cit, p130.

(9)–نجيب إبراهيم مخائيل، المرجع السابق، ص81.

يجب الإشارة هنا إلى أن المصادر الكلاسيكية تذكر بأن التضحية البشرية لم تقتصر على الأطفال فقط، بل يعتقد أنه كان من الممكن أن تضم هذه القرابين ملوكا[1] و عبيدا وأسرى حرب، وأيضا فتيات كبارا في سن الزواج[2]، ومن ذلك أن حنبعل بن جيسكو أقدم عام (409 ق.م) على تقديم "3000" من أسراه الإغريق قربانا للآلهة[3]،وارضاءا لروح جده هملكار قائد قرطاج، الذي قتل في نفس المكان قبل "71 سنة" في واقعة هيميرا، كما يشير ديودور أن القرطاجيين احرقوا بعض الأسرى كدليل شكر للإله بعد تمكنهم من رد خطر حملة أجاثوكليس وتحقيق الانتصار[4]، وهناك بعض الباحثين لا يعدون أن هذا الأمر يعد تضحية بالضبط بقدر ما يعدونه لعادة مكتسبة من بني إسرائيل تسمى حيريم أو التحريم، وهو أسلوب اتبعه بنو إسرائيل تقضي بذبح الأسرى الذين يصدر في حقهم حكم التحريم[5].

كانت طقوس العبادة تتم ليلا على ما يبدو، حيث كان عازفوا الناي وقارعوا الطبول يجلسون أمام التوفيت، وكان على آباء الأطفال الذين سيضحى بأبنهم أن يحافظوا على رباطة جأشهم، ويمتنعوا على البكاء ذلك أن البكاء يقلل من قيمة القربان، أما الأم فكان عليها هي أيضا أن تداعب طفلها حتى لا يصدر أي نحيب، وفي اللحظة الموعودة تقوم بتسليمه إلى أحد الكهنة، وبدون شك كان يتم ذبح الطفل أولا ويضع الجسد بعد ذلك على يد التمثال ليدور ويسقط في حفرة مليئة بالنار[6].

لا تستبعد الدراسات بأن الغاية من هذه العادة كانت بقصد المحافظة على قوة وفاعلية الآلهة، عن طريق إمداد مستمر من الدم، وذلك لكي يستمر نشاطهم الخاص بالحماية والخصوبة، فكل النصب المكتشفة تقريبا تسجل أن القربان كان يتم وفاء للنذر لاستلام مساعدة إلهية، وفي أحيان أخرى كان من أجل إرضاء تلك الآلهة وتهدئتها[7]، ولتأمين الانتصارات في الحرب، وعلى الرغم من تدخل بعض الملوك من أجل إقلاع القرطاجيين عن

(1)- Justinus, XVIII , 6.1-8; Il observe aussi:-Appina, XIX, 131.

(2) - A. E. Powell, Op- Cit, p61.

(3) - Diodarus Siculus, XIV.54-57.

(4) – نقلا عن: –فوزري مكاوي، المعبودات...، اللمرجع السابق، ص ص161-162.

(5) – جورج كنتنو، المرجع السابق، ص 146.

(6) – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص ص147-148؛ ينظر أيضا: – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص68.

(7) - B.H. Warmington, Op- Cit, p132; Il observe aussi:- A. Ben Abed Khader and D. Soren, p142.

هذه العادة الوحشية، كالملك داريوس الفارسي، وطاغية سيراكوزة جيلون، إلا أن هذه المساعي ذهبت عبثا، وبقيت هذه العادة سارية بينهم إلى ما بعد سقوط قرطاج[1].

تم العثور على كلمة مولك (Molock) أو ملك (Molk) في كثير من هذه النصوص الموجودة سواء في قرطاج، أو في غيرها من الأراضي البونية، وكانت هذه الكلمة تفسر على أنها اسم الإله الذي لا يهدأ سخطه إلا بتقديم القرابين البشرية، ولكن فيما بعد تبين من خلال ما توصلت له الأبحاث الألمانية، أن تلك الكلمة تدل على القربان، أي على الضحية نفسها لا على المعبود الذي كان يطالب بها[2]، ويرى البعض أن كلمة ملك هي كلمة ملكية، ولذلك يعتقد أن الضحية من العائلة الملكية، وأنه مقدم من قبل شخص من نفس العائلة[3].

يرى بعض الباحثين بأن هذه العادة السيئة "الأضحية البشرية"[4] لا سيما بالأطفال الصغار، تراجعت خلال الحقبة محل الدراسة، ويظهر ذلك جليا منذ القرن الرابع قبل الميلاد[5]، حيث تم استبدالها بقرابين زراعية وتتمثل في بواكير المحاصيل كالقمح، والشعير والفواكه من الأعناب، والتمور، وزيت الزيتون والتين، وكذلك قرابين حيوانية وتتمثل في الثيران والظأن، والماعز، والبقر، والطيور، أما الخنزير فلم يكن يصلح كأضحية، لأنه غير نظيف، وكان ذكر الإيل أضحية مفضلة في مناسبات معينة[6].

يذهب الفرجاوي لتأكيد هذه الظاهرة أيضا، من خلال ما وجد من نقوش تؤكد هذه الشعيرة، إذ احتوت بعض الوثائق المكتوبة على عبارات تدل على أن هذا النوع من الطقوس يسمى "م ل ك أم" ذبيحة ملك خروف أو "م ل ك ب ع ل" قربان عوضا عن رضيع أو "م ل ك د م" قربان دموي[7].

يفهم من هذه العادة، بأن الإله قد قبل التعويض عن حياة البشر بحياة الحيوان[8] ويستدل على ذلك من خلال عبارة وجدت في الأنصاب الرومانية بنقاوس (N' gaous) روح

---

(1)-أندريه أيمار وجانين أيوابة، المرجع السابق، ص 61-62.

(2) - أحمد صفر، المرجع السابق، ص 119.

(3)- A. Ben Abed Khader and D. Soren, Op- Cit, p138.

(4) - محمد بيومي مهران، المغرب...، المرجع السابق،م ص 217.

(5) - فوزي مكاوي، "المعبودات والعبادات في قرطاج"، **البحث العلمي**، المغرب، ع32، مج17، نوفمبر1981، ص 162.

(6) - عبد الحفيظ فضيل الميار، ظهارة الأضحية....، المرجع السابق، ص 16.

(7) - أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 208.

(8) - محمد علي عيسى، مدينة صبراته، الدار العربية للكتاب، ط1، طرابلس، 1977، ص 26.

بروح، ودم بدم، وحياة بحياة[1]، وتقدم هذه القرابين من أجل التعويض عن التضحية البشرية أو للتقرب، وطرد الشياطين، أو عربون للحصول على نبوءة، أو لعهد قطعه المضحي على نفسه[2].

وجدت دراسات تؤكد بأن ظاهرة التضحية البشرية، ظلت مستمرة في قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية أكثر من الأضاحي البديلة، حيث ورد ذكر تلك القرابين البشرية في بعض النصوص الأدبية القديمة، أهمها ما رواه ديودور أثناء حملة أجاثوكليس، حيث يشير إلى أن ما حل بالقرطاجيين هو نتيجة لغضب الآلهة عليهم ويرجع هذا الغضب إلى لجوء القرطاجيين إلى الخداع تجنبا لتقديم أطفالهم كقرابين على مذابح الآلهة، وذلك من خلال عمدهم إلى شراء أبناء العبيد والفقراء لتقديمهم بدلا من أبنائهم الحقيقين، وعندما كشف هذا التلاعب تقرر اختيار مائتي طفل من أرقى الأسر في المدينة وتقديمهم كقرابين باسم الدولة، وفي الوقت ذاته خفق ثلاثمائة متطوع بمحض إرادتهم لتقديم أنفسهم كقرابين إلى الإله[3]، بل توصل بهم الأمر إلى إرسال الكثير من العطايا والهدايا النفيسة إلى معبد ملكارت بصور سعيا لكسب معونة الآلهة ضد الغزاة[4].

وهذا النص له أهمية كبرى، لأنه بمثابة دليل قوي على ممارسة القرطاجيين لعادة التضحية البشرية بأطفال صغار وهو ما أكدته المكتشفات الأثرية، وأول هذه المكتشفات هي النصوص التكريسية لبعل حمون ثم تانيت اعتبارا من القرن الخامس قبل الميلاد، وتتضمن هذه النصوص الدينية صيغ تشفعية وإسترضائية لهما وهي ذات عبارات ثابته "كما سبقت الإشارة إلى ذلك" **"إلى السيدة تانيت وجه بعل، وإلى السيد بعل حمون"**، ولقد وردت هذه النصوص على الآلاف من النصب التي كانت توضع فوق المرامد[5] "الجرار التي يحتفظ فيها برماد الموتى بعد حرقهم"[6].

---

[1] –شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 101.

[2] – عبد الناصر علي بلقاسم الشريف، المرجع السابق، ص 212.

[3] – محمد علي الأمين، المرجع السابق، ص107؛ ينظر أيضا:

- A. E. Powell, Op- Cit, pp 35-36.

[4] -Diodorus Siculus, XX, 14.

[5] – نقلا عن:– فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو...، المرجع السابق، ص139.

[6] – عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص248.

من المكتشفات الأثرية الأخرى أيضا والتي تدل على ممارسة القرطاجيين للقرابين البشرية ما اصطلح على تسميتها بلوحة الكاهن التي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد أو أوائل الرابع قبل الميلاد، وهي تمثل كاهنا يرتدي جبة شاقة من كتان، ويرفع يده مبتهلا ومتضرعا إلى الإله ويحمل طفلا صغيرا ليقدمه له قربانا[1] (ينظر الملحق رقم "20"، ص297).

لعل أكثر هذه المكتشفات أهمية على الإطلاق، هو اكتشاف المعبد الذي كانت تؤدي فيه هذه القرابين البشرية، والذي عرف بالتوفيت "كما سبقت الإشارة إلى ذلك"، ولقد تم اكتشاف هذا التوفيت عام (1921م)، وهو يمتد بشكل مواز للشاطئ الغربي للمرفأ التجاري على شاطئ سلامبو جنوب المدينة، ولقد بلغ أقصى امتداده في أكثر الفترات نموا وانتشارا حوالي "64.000"قدم مربع [2].

الجدير بالذكر، أنه قد تم العثور على نظائر لتوفيت قرطاج في كل من هادروميتوم وموتيا في "صقلية"، وفي العديد من مدن سردينيا، وهذا يدل على أن ممارسة هذه القرابين كانت شائعة في كل مكان، وأنها كانت عنصرا أساسيا ومميزا للديانة البونية[3].

في توفيت قرطاج تم العثور على الآلاف من المرامد، التي كانت تحتوي على بقايا الأطفال المحترقة، وبقايا الطيور وحيوانات صغيرة كأضاحي بديلة، وقد تم دراسة مائة وثلاثين وعاء دفن منه[4]:

	وعاء للإنسان%		وعاء للحيوان%		وعاء للإنسان والحيوان%		
المجموعات	عظام أطفال	عدد الجرار	عظام أطفال	عدد الجرار	عظام أطفال	عدد الجرار	العدد الكلي للأوعية
القرن السابع والسادس قبل الميلاد	**62.5**	**50**	**30**	**24**	**7.5**	**6**	**80**
القرن الرابع قبل الميلاد	**88**	**44**	**10**	**5**	**2**	**1**	**50**

جدول يوضح الأثار الحيوانية والبشرية من الأضاحي القرطاجية بنسب مئوية وعدد الأوعية

(إعداد الباحث)

[1] – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 120؛ ينظر أيضا: – الأمين علي الأمين، المرجع السابق، ص ص 111-112.

[2]- A. Ben Abed Khader and D. Soren, p1123- 125; Il observe aussi:- B.H. Warmington, Op- Cit, p131

[3] – فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو ...، المرجع السابق، ص ص 151.

[4] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص ص 68-69.

يتبين من خلال عرض الجدول أن الأوعية خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد أكثر منها في القرن الرابع قبل الميلاد، على الرغم أن الباحثين قد ذكروا بأن أكثر من "300" وعاء لم يتم الكشف عن محتوياتها، ويرجحون أنها ترجع للقرن الرابع قبل الميلاد[1]، كما أن الفارق بين محتويات الأوعية خلال المرحلة الأرستقراطية تضاعف بمقدار أربع أو خمسة مرات عن المرحلة العتيقة[2]، ونستشف أيضا بأن النظرية السائدة والمتداولة في تاريخ الأديان العام، عن استبدال الأضحية البشرية، بأضحية حيوانية لا تنطبق على قرطاج، وهذا ما تؤكده تحليلات بقايا رماد أوعية الدفن، التي "سبق الاشارة إليها في الجدول"[3].

يعتقد أن منحنى التطور من التضحية البشرية عبر الأضحية الحيوانية إلى القربان الغير دموي مركب فكري، يحتاج إلى بحث مقارن وتفصلي منفصل عن بحثنا، كي لا نفقد الخط الدقيق الواهي بين المرحلة محل الدراسة، والمراحل الأخرى الملكية والديمقراطية، وبذلك ينفرط عقد دراسة القرابين والأضاحي في مناطق غير مخصص لها.

أشرنا من قبل إلى أن التوفيت كان يستخدم لتقديم القرابين البشرية، وغالبا ما يكونوا أطفالا، ولكن السؤال هنا: هل هؤلاء الأطفال توفوا في سن مبكرة أم ولدوا أمواتا؟.

ظهر الآن تيار جديد بين المؤرخين، يدعوا إلى مراجعة هذا الرأي، ولذلك خضعت روايات المصادر الأدبية إلى نقد لاذع، بلغ في النهاية درجة التشكيك في ما قدمته من أخبار[4]، ويذهب أصحاب هذا الرأي بأنه لا يوجد دليل على أن القرطاجيين كانوا يقدمون قرابين بشرية إلى تانيت أو بعل حمون أو حتى أشمون، أما المرامد فإنها تفسر إما بسهولة نقل هذه البقايا تقديسا لها واتفاقا مع طبيعة القرطاجيين في الترحال والتنقل، وإما لأنهم اعتادوا أن يحتفظوا برماد الحيوانات التي كانوا يقدمونها قربا للإله[5].

دلت جميع العينات التي أخذت من هذه المرامد، بعد التحليل المعملي لمحتويات الجرار بأن المتخصصين لم يستطيعوا تحديد سبب الوفاة، كما عجزوا عن معرفة حالة الجسد قبل

---

[1] -J. Griffiths, New Light on Ancient Carthage, Mican, Press, (S D), p5.

[2]- D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, pp95-100.

[3]- فينفريد إلليغير، المرجع السابق، ص 65.

[4] – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص143.

[5]- عبد المنعم المحجوب، ليبيا...، المرجع السابق، ص248.

تعرضه للحرق، وأهم ما توصلوا إليه أنهم جثث أطفال صغار، وأحيانا أجنة سقطت نتيجة الإجهاض[1].

ينفي فنطر ظاهرة الأضاحي البشرية، ويعتبرها افتراء من وضع أعداء القرطاجيين، وسارت على نهجهم العديد من الدراسات الحديثة، ويفترض أن كل ما في الأمر طقس خصص للأطفال الذين يموتون في سن مبكر، وبالتالي لا يدخلون في قسم الموتى العاديين، بل هم أطفال أراد الإله استرجاعهم إليه فلا تطبق عليهم طقوس جنائزية عادية بل لهم طقوس مخصوصة منها الدفن ترميدا، ولا يكون هذا القبر في المقابر العادية، بل تكون في أراضي الآلهة المقدسة، وتقام عليها أنصاب نذرية تسجل الحدث، مع طلب يوجه للآلهة مجمله أن تمن على الأبوين بطفل آخر يعوضهم عن الطفل الذي تم استرجاعه[2].

رفض ايضا جل المنقبين فكرة الحرق الجماعي للأطفال، كما وصفها ديودور الصقلي حتى في الحالات الاستثنائية، حيث لفت انتباه الأثريين خاصية وضع أوعية الدفن بعناية غالبا وعاء دفن واحد، وأحيانا اثنين أو ثلاث في حفرة واحدة، وكانت ترفق بقايا مع الميت تمائم أو عقود لؤلؤ أيضا بشكل متكرر، كما كانت أغلب أواني الدفن التي تم العثور عليها تختم بالطين، وتغلق بقدح معاكس أو غطاء مسطح، لا يظهر كل ذلك أنه كان عملا جماعيا، بل يجعل الباحث يفكر بدفن حنون من قبل الوالدين[3].

يمكن تفسير هذه العملية بأنها تقوم بتطهير الطفل، الذي ينظر إليه باعتبار أنه متوفى في سن مبكر، كإنسان غير طاهر لابد من إحراقه، لإخراجه من هذه الحالة إلى حالة الطهارة التي تجعله مقبولا في المجتمع، وربما استخدمت المؤسسة الدينية القديمة أضاحي الأطفال من قبل الأسر الغنية للحافظ على ثروتها، وذلك بالحد من عدد الذكور، الذين كان من المفروض أن يقسم الإرث بينهم، وكذلك عدد الإناث المفروض تقديم مهورهن عند الزواج، واعتقاد

[1] – حسام أبو سعدة، المرجع السابق، ص143-144.

[2] – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص89.

[3] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص69.

العديد بأن الآلهة ستعوض الآباء عن موتاهم من الأطفال بأطفال أصحاء يشدون من ازر الدولة، ويطردون عنها الخطر الداهم[1].

مجمل القول بالرغم من المعلومات التي توصل إليها علماء الآثار، وما جاء في المصادر الأدبية، والدراسات الحديثة حول ما يتعلق بظاهرة التضحية البشرية، وعدم خروج هذه الأبحاث بنتائج نهائية، تبقى هذه الظاهرة محاطة بعلامات استفهام كبيرة، ولا يمكن في بحثنا هذا أن نقدم حكم نهائي لأنه أمر صعب لا يستبعد معه الخطأ، وبالتالي سنكون تسببنا في ضرر للحقيقة التاريخية.

3- حياة ما بعد الموت:

تذهب بعض الأبحاث للاعتقاد بأن القرطاجيين لم يهتموا كثيرا بفكرة حياة ما بعد الموت، ولكنهم كانوا يعتقدون أن الشخص المتوفي يمكث لفترة قصيرة مظلمة في القبر[2]، وعلى النقيض من ذلك نجد محمد حسين فنطر، يذهب لاعتبار أن القرطاجيين، على غرار شعوب العالم والأمم القديمة اعتقدوا بحياة ما بعد الموت، فهي رحلة من عالم مادي إلى عالم يشوبه الغموض، لذلك كانوا يتحاشون بفكرهم مفهوم الفناء، و يعتقدون أن الإنسان يواصل رحلته حتى يدرك مدينة الموتى، وكان الدفن عندهم مصحوبا بأثاث دنيوي يسمى الظهرة الجنائزية[3].

تتكون هذه الظهرة في الغالب من بعض الضروريات الأساسية اللازمة له في الحياة الآخرة، مثل تلك التي كان من الممكن أن يحتاج إليها في الحياة الدنيا[4]، من أواني فخارية أو معدنية من أجل الطعام والشراب، وآنية خشبية أو عاجية أو زجاجية صغيرة من أجل العطور، وبعض مساحيق العناية بالوجه والشعر، وأمشاط، وملاعق، وشفرات حلاقة ومصابيح، وذلك بالإضافة إلى بعض الحلي والمجوهرات، والتمائم، وكذلك بعض العملات والأقنعة [5].

---

[1] - مولاي محمد جانيف، "إشكالية التفسير في علم الآثار ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاجة نموذجا"، **مجلة دراسات تاريخية**، (ب م ن)، ع 77-78، 2002، ص، ص6، 9، 15، 214، 27.

[2]- B.H.Warmington, Op- Cit -p62.

[3] - محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص92.

[4] - B.H. Warmington, Op- Cit, p133.

[5] - D. Harden, The Phoenicians, Op- Cit, pp113-114.

على الرغم من أن مقابر القرطاجيين لم تشهد تغيرات كبيرة عبر تاريخها الحضاري إلا أنها عرفت تطورا مؤكدا فيما يتعلق بالأثاث الدنيوي، و من الأثاث الذي شهد انتشارا بشكل بارز في مقابر المرحلة محل الدراسة تمثل في جرار المؤونة الكبيرة، وأباريق الشرب وأواني العطور، وسرج الزيت ذات الملامح الإغريقية، وتماثيل أسود وطيور وموسيقيين، ومباخر لها رأس إنسان من طين، وتمائم من عجينة زجاجية[1]، في حين لم يعثر في الظهرة الجنائزية على الأسلحة، وهذا قد يدل على أن الميت يحرص قدر الإمكان أن تدفن معه الاشياء المحببة، وهي أثاث في الغالب ذات بعد صناعي تجاري، أما أدوات الحرب فعلى ما يبدو أنها لم تجد في نفس القرطاجي مكانا لها[2].

الجدير بالذكر بأن الظهرة الجنائزية لم تكن موضوعة مباشرة عند الميت، بحيث يمكن استخدامها في كل وقت، بل في دهليز أو مكان منفصل، وهذا دليل رمزي يعطي فكرة "لأدوات السفر"[3].

ثالثا) المقابر والجبانات:

لا تختلف كلمة المدافن عن المقابر في معناها، ولكن ما يلاحظ على القرطاجيين، أنهم يفضلون مصطلح المقابر، ومفردها قبر، والنصوص التالية تؤكد صحة استخدام مصطلح قبر:

- قبر أرشتغيل الكاهنة، وجه ملقرت خلص.
- قبر جر ملقرت كاهنة ربيتا.
- قبر أكيريم الحدادين بعلشلك
- قبر حملك كاهن بعل شميم بن عزر بعل[4].

للقرطاجيين عادات متعلقة بالموت والدفن والحداد، فكان دفن الميت من واجب الأقرباء المقربين له، حيث يظلون طوال اليوم في مقبرة الأسرة جالسين على الأرض، ومن واجباتهم صب الرماد فوق الرؤوس وتمزيق الثياب، واللطم، والنواح على الميت، ورافقت عملية الدفن ذبح

[1] - فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص54.
[2] -فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص ص 51-52.
[3] - المرجع نفسه، ص 52.
[4] - محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص ص 72-73.

الذبائح، وسكب الخمر، والتعزية، والنواح والبكاء، خارج المنازل وفي العراء، وهو ما لوحظ على الحداد عند القرطاجيين[1].

على الرغم من التطورات التي عرفتها الحضارة القرطاجية، لاسيما خلال المرحلة الأرستقراطية،إلا أن أغلب الدراسات تذهب لاعتبار أن مقابر القرطاجيين لم تظهر عليها تغييرات واضحة[2]، وليس من المستبعد أن تكون المقابر القرطاجية من حيث بنيتها شبيهة بالمقابر الفينيقية الشرقية، وقد يكون الاختلاف الوحيد في هذا المجال، هو ما يتعلق بالطقوس لا سيما وأن جميع الدراسات اتفقت على أن الديانة القرطاجية طرأت عليها تغييرات حتمية بحسب العصور والطبقات الاجتماعية[3].

1- الجرار الفخارية:

تكون كبيرة الحجم، في جوفها فتحة يدخل منها جسد الميت ومقتنياته الثمينة، ثم تقفل وتودع في مقابر عميقة، وقد تدعو الضرورة إلى استعمالها مرات عديدة بإفراغها وتهيئتها للميت الثاني[4].

2- المقابر الصخرية:

عبارة عن حفر في الآبار، عمقها ستة أمتار تنتهي إلى دهليز مسلط ومستدير يقود إلى حجرة هي القبر، يودع فيها الناووس الحجري أو الخشبي، وقد تتعدد الدهاليز، وكل منها يقود إلى حجرة، ويقفل باب البئر، منعا لتسلل اللصوص[5]، ومن أمثلة هذه المقابر، مقبرة عائلية بونية عثر عليها غرب مدينة صبراتة[6].

---

(1) - أحمد حامد، "من مظاهر الحياة العائلية في المجتمع الكنعاني الفينيقي، مجلة **دراسات تاريخية**، (ب م ن)، ع 79-80، 2002، ص 71.

(2) - فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص51.

(3) - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص، ص 98، 101.

(4) - لبيب عبد الساتر، المرجع السابق، ص108.

(5) - المرجع نفسه، ص 108.

(6) - محمد أبو عجيلة، "المتحف البونيقي بصبراته"، **مجلة آثار العرب**، (ب م ن)، ع 4، الربيع 1992، ص94.

3- الكهوف:

إن شكل هذه المقابر مستوحى من الكهف، تتخذ هيئة التنور، أو الفرن، وتفتح على الخارج بكوة تغطى ببلاطة مستديرة يسجى فيها الميت على الأرض، ويسند رأسه حجر، ومن حوله مقتنياته[1]، لأنهم يعتقدون أن الأشخاص الذين سلموا من عقاب إله النار، لذلك ابتعدوا عما هو خشبي، وحتى لا تشتعل النيران[2].

4- المقابر الفردية:

على شكل قبو باطني، وتتضمن عند مداخلها بلاطا تقدم عليه الذبائح، ليتسنى للميت أن يشترك في الذبيحة، ويوجد دهليز يصل القبو بمدخل البيت، وفي أحد جدران القبر وضعت جرة فخارية، لتقبل المأكل والخمور، وفي أحد أركانه مستودع لعظام الجثث، ولم يراع في هذه المقابر تصميم معين[3].

5- الخنادق:

تبدو بعض هذه القبور على شكل خندق مستطيل، قد لا يتجاوز طوله "2.50م" وعرضه "1.20م" ولا يتجاوز عمقه "1.50م" وتحيط بجوانبه غالبا شفه لعلها مهيأة لحمل حجارة الغطاء، وقد تشاهد على الشفه حفائر مستطيلة الشكل، كأنها حفر لإيواء أعمدة خشبية تساعد على بسط الغطاء[4].

6- القبر الثلاثي:

يتكون من ثلاثة عناصر: مدرجة، ومعبر، وغرفة جنائزية، وهو أكبر المقابر شيوعا في مختلف المقابر القرطاجية، وأن العناصر الثلاث نحتة نحتا في الحجر، وتتنوع القبور من حيث عناصرها الثانوية، كا لمشاكي، والمصطيات، والأحواض، وزخرفاتها المتفاوتة في قيمتها الفنية والوظيفية، وقد تميز بعض القبور بسقوفها أو بمداخلها، فهناك غرفة جنائزية مسطحة السقف

---

(1) - لبيب عبد الساتر، المرجع السابق، ص ص 108.

(2) - لطيفة التهامي اندش، المرجع السابق، ص 82.

(3) - لبيب عبد الساتر، المرجع السابق، ص ص 108-109.

(4) - محمد حسن فنطر، المدافن في المغرب الكبير قبل الغزو الروماني (دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (ب ط)، تونس، 1987، ص ص198.

وأخرى سقها مثني، وهذه غرفة جنائزية مدخلها في قطب المعبر، وأخرى مدخلها يتعاضد وقطب المعبر إلى غير ذلك[1].

7- مقابر مبنية على سطح متساوي:

عبارة عن غرفة مستطيلة ينزل إليها بسلم، ويبلغ عدد درجاتها عشرة، وتنتشر حول الغرف فتحات كوى التوابيت وكأنها أفواه أفران، يبلغ ارتفاعها مترين، وطولها من سته إلى سبعة أمتار، وعرضها ثلاثة، والجدران تكون مطلية بطلاء أبيض يحمل صور نافرة[2].

ظلت عادة الدفن مستخدمة لفترة طويلة، ولكن في نفس الوقت كانت عادة إحراق أجساد الموتى معروفة لدى القرطاجيين غير أنها انتشرت بشكل كبير خلال المرحلة الأرستقراطية، وكان ذلك إبان القرن الرابع قبل الميلاد بفعل احتكاكهم مع الإغريق ثم فرضت نفسها في آخر الأمر[3]، ويمكن تفسير ظاهرة حرق الجثث على أنها الطريقة الأسهل التي لا تتطلب معدات كبيرة وتكون أكثر توافقا مع طريقة الدفن وربما في ذلك محاولت الايحاء بوجود فوارق اجتماعية ولكن فيما يبدو أن هذا التفسير غير مقنع، لأن بقايا هذه القبور ليس بسيط بهذا الشكل، كما أنه من المعلوم أن المدينة في هذ الحقبة كانت تشهد تقدما اقتصادي وتنامي مكانتها السياسية، لذلك يبدو أنه من الأفضل تفسير هذه الظاهرة بضيق المكان [4].

وجدت بعض الدراسات في محاولة تفسير هذا التغيير المزدوج لطرق الدفن تراجعا للعقائد القديمة المعمول بها خلال المرحلة الملكية، والتي كانت تبني فكرها بأن الإنسان يحتاج أيضا بعد وفاته إلى الظهرة الجنائزية التي كانت ضرورية لاستمرار حياته، ولكن على العكس من ذلك يمكن للباحث أن يستشف من هذه التغييرات رؤية جديدة، حيث يمكن اعتبار هذه الظاهرة على أنها نوع من عملية التطهير، وكتجريد مادي لطقوس الموت، التي على ما يبدو أنها

---

[1] - محمد حسن فنطر، المدافن في المغرب...، المرجع السابق، ص ص198-199.

[2] - أونست بايلون، الآثار الشرقية للحضارة (كلدية وآشور وبابل وفارس وسورية وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص)، تر: مارون عيسى الخوري، دار حكمت شريف، لبنان، 1986، ص 204.

[3] - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص101.

[4] - ف. ن. برايس، المرجع السابق، ص259؛ ينظر أيضا: - فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص، ص53، 55.

أضحت تكتفي برموز لمتابعة الحياة فيما بعد الموت، وتظهر هذه الرموز على شكل صور رسوم في العديد من القبور البونية[1].

هناك مثال مميز وواضح عن ظاهرة رحلة الروح تلك الغرفة التي تم اكتشافها في مقبرة بونية بالوطن القبلي تعود للقرن الرابع قبل الميلاد رسمت بطلاء مغروي أحمر على جدران غرفة جنائزية وجاءت الرسومات بشكل متسلسل من اليمين إلى اليسار وكأنها نص بوني مكتوب ويتعلق مضمونها برحلة الروح، حيث تتوزع هذه الصور المرسومة في ثلاث مجموعات، وكل مجموعة منها تنفرد بجدار من جدران الغرفة الجنائزية، وفي ذلك اسقاط لمراحل ثلاث تجتازها الروح في طريقها إلى مدينة الموتى، وتكون القراءة كالتالي: [2].

المرحلة الأولى: عندما تنظر نحو الباب فإذا على يمينك جدار تتمثل فيه روح الميت الذي جاء على شكل طائر، يشبه الديك يدخل لضريح الميت ويتصل بجسده، مستفيدا بمجموعة من القرابين الجنائزية، المشار إليها بمذبح منتصب قبالة الضريح وعليه نار مشتعلة، ومن المعروف أن معتقدات الشعوب السامية والمتوسطية أيضا تصور الروح في شكل طائر[3].

المرحلة الثانية: بالنظر إلى الجدار الموالي في نفس الغرفة، وهو على اليسار قبالة جدار المرحلة الأولى سنلاحظ فقط مذبحا وضريحا وبقايا آثار لنار ما تزال موقدة، غير أن الطائر اختفى، مما يوحي بأنه أصبح داخل الضريح فاتصلت الروح مع الجسد[4].

المرحلة الثالثة: على آخر جدران الغرفة، وأنت في سيرك من اليمين إلى اليسار حتى تدركك آخر جدران الغرفة الجنائزية تلاحظ صورتان، إحداهما تمثل الطائر والأخرى تمثل مدينة محصنة، ولا شك أن الطائر هو ذلك الديك الذي رأينه في المرحلة الأولى، ليختفي في المرحلة الثانية، فهو الروح التي غادرت الجسد ثم اندمجت به مرة أخرى لأمر نجهله، ثم غادرته مرة أخرى لتواصل سيرها، والجدير بالملاحظة أن الطائر في المرحلة الأخرى يختلف عن الطائر الذي رأيناه في المرحلة الأولى من حيث الشكل، وكأنه يوحي بأنه تخلص من الرجس الذي كان عليه من قبل ليتهيأ ويدخل مدينة الأرواح بسلام، ومادام المشاهد ما يزال مشدود لهذه

---

[1] – فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص55.

[2] – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص92.

[3] – المرجع نفسه، ص 93.

[4] – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص 93.

الرحلة بمشاهدها الغريبة، حتى يشاهد على يسار مدينة السلام كوة يتخللها طلسم تانيت يبدو أنه ينشر الحياة والسكينة [1]. (ينظر الملحق رقم "21"، ص298).

وأصبح القبر النموذجي خلال هذه الحقبة، على شكل حجرة مفتوحة فوق حفرة عمودية وأصبح مألوفا أيضا وجود عدة حجرات في حفرة واحدة، سواء أكانت فوق بعضها بعضا أم متقابلة مع بعضها الآخر على نفس المستوى، ومن المحتمل أن الأمر كان يتعلق بقبور عائلية كان يتوجب إعادة فتحها عندما يستدعي الأمر، لذلك لم تردم الحفرة بالتراب المحفور الأصلي بل برمل خفيف يمكن إزالته بسهولة، أي أن غرفة أو عدة غرف مبنية كانت تفتح على آبار يتجاوز عمقها أحيانا عشرين مترا يتم سدها بعد كل دفن، وكانت في البداية تتسع لجثة أو جثتين، ثم انتشرت بعد ذلك عادة الدفن الجماعي، وأصبحت سائدة، لاسيما عندما فرضت عادة حرق أجساد الموتى، وعندئذ قلت مساحة غرف الموتى، وأصبحت تبنى في حفر أقل عمقا وكعلامة خاصة للقبر استخدمت أعمدة حجرية صغيرة لها شكل أسطواني غالبا وشواهد مع أو دون كتابة، وهي عادة إغريقية تعلمها القرطاجيون من عند جيرانهم في صقلية[2].

كما أن الجرار خلال الحقبة المدروسة أيضا، شهدت تطورا من حيث تغيير تلك الأنصاب، من الشكل المعتاد إلى أنصاب تتخذ شكل مسلات مدببة القمة، من حجر كلسي فاتح، وتحمل على واجهتها الأمامية المنحوته كتابة ورموز الربة تانيت، المعتادة أو رموز أخرى وهي من ناحية التنفيذ التقني أجمل من سابقتها[3]. (ينظر الملحق رقم "22"، ص299).

الجدير بالذكر أن موقع الجبانات القرطاجية كانت تتغير بوضوح من قرن إلى آخر ولاشك أن ما يهمنا هنا الحقبة محل الدراسة،حيث تشير الدراسات إلى انتشار جبانات القرن الخامس قبل الميلاد على منحدرات برج الجديد، وفي القرن الرابع قبل الميلاد احتلت المقابر المنطقة الموجودة بين مرتفعات الأديون (Odeon) وبرج الجديد[4]، وأصبحت القبور اللاحقة في الفترة الأرستقراطيةمتوجه غالبا بالاتجاه الشمالي الشرقي "الاتجاه نحو صقلية" بعد أن كان الاتجاه

---

[1] – المرجع نفسه، ص93

[2] – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص101 ؛ ينظر أيضا:-ف.ن. برايس، المرجع السابق، ص259.

[3] – المرجع السابق، ص 65.

[4] – عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص248.

جنوب شرق "الاتجاه نحو الوطن الأم صور" في الفترة الملكية [1].فما هي أسباب هذا التغيير؟ سؤال تعسر الإجابة عليه لعدم وجود الوثيقة.

مما سبق يتبين لنا أن القرطاجيين كانوا متمسكين كل التمسك بعاداتهم وتقاليدهم وعلى الأخص بمعبوداتهم الدينية، لذلك كان الحديث عن خصوصية الأوضاع الدينية في قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية أمر لا مراء فيه، لاسيما وأن العامل الديني كان له تأثير واضح في حياة القرطاجيين العامة والخاصة، وليس أدل على أهمية العامل الديني وتأثيره في قرطاج، أن الهيئة الجديدة الحاكمة خلال المرحلة محل الدراسة، كانت حريصة على إدخال مجموعة من التغييرات في هذا الجانب بما يتوافق مع الأوضاع السياسية والاقتصادية الجديدة، التي أصبحت قرطاج تعيشها منذ الهزيمة في معركة هيميرا، وما ترتب عليها من تحولات جذرية في المجتمع القرطاجي.

[1] -فينفريد إللغير، المرجع اسابق، ص53.

الخاتمة

لقد تناولت هذه الدراسة موضوع قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية، في الحقبة التي شهدت حياة الإمبراطورية القرطاجية، فبالإضافة إلى النتائج الجزئية المتوصل إليها في نهاية كل فصل من فصول العمل، خرج البحث بجملة من النتائج الهامة التي يمكن عرضها كما يلي:

– ظهرت بذرة خطة إنشاء دولة قرطاج بشكل واضح وجلي خلال المرحلة الأرستقراطية، هذه الحقبة التي يمكن تشبيهها بالشجرة الوافرة لهذه الحضارة، حيث أصبحت دولة قرطاج عاصمة لجميع المدن الفينيقية وأقوى دولة بالحوض الغربي للمتوسط، متمثلة في إمبراطورية ثنائية تمثلت في قوتها البحرية والبرية.

– لم يتأت وصول الأرستقراطيين إلى سدة الحكم في قرطاج بالقوة، وإنما كان ذلك بشكل سلمي وهادئ، ساهمت فيه عدة عوامل، كان أهمها عامل الزمن، المتمثل في طول مدة تواجد الأرستقراطيين في قرطاج، وذلك من خلال استقبال المدينة الجديدة العديد من العائلات الصورية المهاجرة، التي جمعت بين السلطة السياسية العليا والمعبد في نفس الوقت، وهذا ما ساعد على قيام طبقة أرستقراطية ذات استشراف سياسي جديد، كذلك نجد العامل الاقتصادي الناجم عن اهتمام الأرستقراطيين منذ البداية بالمجال الترابي الذي يوفر ضروريات المدينة والشعب من منتوجات فلاحية ومواد للتبادل التجاري، وكان للاضطرابات السياسية والعسكرية التي شهدتها الملكية القرطاجية منتصف القرن الخامس قبل الميلاد دورا فعالا و مساعدا لأرستقراطيتها في السيطرة على مقاليد السلطة، لاسيما بعد انتكاسة هيميرا والثورة الاجتماعية (450 ق.م)، كما كان موقع قرطاج المميز عاملا مكملا أهل الأرستقراطية القرطاجية لتكون الأجدر بتسيير أملاك الوطن الأم "صور" بغربي المتوسط، لاسيما بعد ضعف هذه الأخيرة.

– يكمن دور الطبقة الأرستقراطية في التأثير على الحياة السياسية في قرطاج في سنهم تنظيمات سياسية جديدة تتوافق مع الظرف الواقع، حيث عملت على تطبيقها دونما رحمة نتيجة خشيتها على مصالحها لاسيما الاقتصادية منها، وقد تطورت هذه النظم حتى بلغت المؤسسة السياسية القرطاجية خلال هذه الحقبة درجة رفيعة من الرقي والاستقرار، وهذا بشهادة الكثير من المؤرخين بما فيهم خصوم القرطاجيين.

– المرجح أن إدارة أرستقراطية قرطاج للمناطق الخاضعة لها كانت متفاوتت الأهمية، وتسييرها بصفة مباشرة وغير مباشرة بحسب بعدها ومدى أهميتها، ومهما قيل عن هذه السياسة

المنتهجة من قبل الحكومة القرطاجية الجديدة، لاسيما في ما يتعلق بجانب الضرائب والعائدات المتأتية فإنه على ما يبدو وبالنظر إلى ما كانت أرستقراطية قرطاج تتحمله من أعباء الدفاع عن المناطق السائرة في مجالها ضد الأخطار الخارجية، وما كانت توفره لها من أمن وحماية واستقرار، لا يبدو فرض الضرائب أو حتى تجنيد الأهالي أمرا غريبا أو مخالفا لما جرت عليه الأعراف في القديم.

– يتضح من خلال وصف المؤرخين لمنشأت قرطاج العسكرية سواء البرية أو البحرية إبان المرحلة الأرستقراطية بأن الحكومة القرطاجية خصصت ميزانية كبيرة، وتكبدت تكاليف باهظة من أجل حماية العاصمة ومصالحها، وهذا بدوره ينم على مدى أهمية المؤسسة العسكرية بالنسبة لأرستقراطية قرطاج، وعلى نقيض أغلب الدراسات التي عابت على حكومة قرطاج خلال هذه المرحلة اعتمادها على الجند المأجور ما نجم عنه افتقاد قرطاج لجيش منظم، إلا أنه يبدو لنا بأنه كان أمر لا مفر منه نتيجة لكثرة الحروب التي عرفتها قرطاج خلال هذه الفترة، حيث لم يكن أمام أرستقراطيتها فرصة مناسبة لأخذ قسط من الراحة لالتقاط أنفاسها وتجديد نشاطها، إذ أعقب صراعها مع إغريق صقلية حربها مع روما، كما أعاقت التمردات التي عرفتها الحكومة القرطاجية سواء من قبل بعض الجنرالات الطامعين في الحكم، أو من قبل السكان المحليين الذين ضاقوا من سياستها اتجاههم من وجود مناخ ملائم لنشأة مؤسسة العسكرية دائمة.

– تميز الاقتصاد القرطاجي خلال الحقبة الأرستقراطية بالمرونة والتنوع، حيث أعتمد على الزراعة والصناعة والتجارة، ولا شك أن ركيزته الأساسية كانت التجارة، وتتضح المرونة الاقتصادية لأرستقراطية قرطاج من خلال السرعة في التأقلم مع كافة الأزمات التي لحقت بها، والخروج منها سريعا في حالة من الازدهار، وليس هناك خلاف على أن هزيمة هيميرا (480 ق.م) كانت من الأحداث المؤثرة في التاريخ الاقتصاد القرطاجي، وعلى الرغم من النتائج السلبية التي ترتبت عنها، إلا أن الأرستقراطيين استغلوا هذا الظرف من الناحية الاقتصادية، حيث تشير النصوص إلى أنهم اتجهوا في مجال الزراعة نحو المجال الإفريقي في محاولة للسيطرة على الأقاليم الداخلية الخصبة، مما أدى إلى ظهور طبقة من المزارعين الذين اهتموا كثيرا بتنمية ضياعهم، ومحاولة الحصول على ثروة من خلالها توازي الثورة الناتجة عن التجارة، الشيء الذي أدى إلى ازدهار الزراعة وتنوع منتوجاتها، وتم الاهتمام بالثروة

الحيوانية، و استحدثت طرق الري ووضعت أسس علم الزراعة الحديثة، وألفت الكتب في هذا المجال، وكان أشهرها موسوعة ماغون الزراعية، بل ليس من المبالغة إن قلنا بأن نشاط الأرستقراطية القرطاجية في المجال الترابي والنشاط الزراعي صار يمثل قاعدة أمن المدينة ومناعتها وسر تجاوزها لعقبات الحروب، إلى حد مكنها من استعادة قوتها البحرية التي فقدتها بعد هزيمة هيميرا.

– نستطيع القول بأن التجارة خلال هذه الحقبة لم تأفل، بل كانت هي محور حياة المجتمع القرطاجي والمحرك الأول لسياساته، فمن أجل التجارة خاضت أرستقراطية قرطاج الكثير من الحروب بهدف المحافظة على احتكارها، وأيضا أقدمت على إرسال البعثات الاستكشافية إلى مناطق بعيدة وجديدة من أجل الحصول على المعادن الثمينة، وفتح أسواق جديدة، وضرب العملة لمنافسة الاقتصاد الإغريقي بالدرجة الأولى، وتصريف أموال جنودها من المرتزقة بالدرجة الثانية، كذلك اهتموا بالضرائب نتيجة حاجتهم للأموال لتمويل الحملات العسكرية، كما نشطت التجارة البرية.

– لاقت الصناعة اهتماما بالغا من قبل أرستقراطية قرطاج، لاسيما بعد انهزامها في معركة هيميرا، حيث أدى ذلك إلى تنامي صناعات معينة نتيجة لحاجة القرطاجيين إليها، فأنشأت المصانع اللازمة لذلك، وتحققت نهضة صناعية شبه شاملة، حتى أنه يمكننا القول أن الصناعة القرطاجية خلال هذه المرحلة مثلت الحلقة الوسطى في اقتصاد قرطاج، وكانت نوع من حل لاجتياز الاضطرابات التي شهدتها قرطاج بعد الفترة التي أعقبت سنة (480 ق.م).

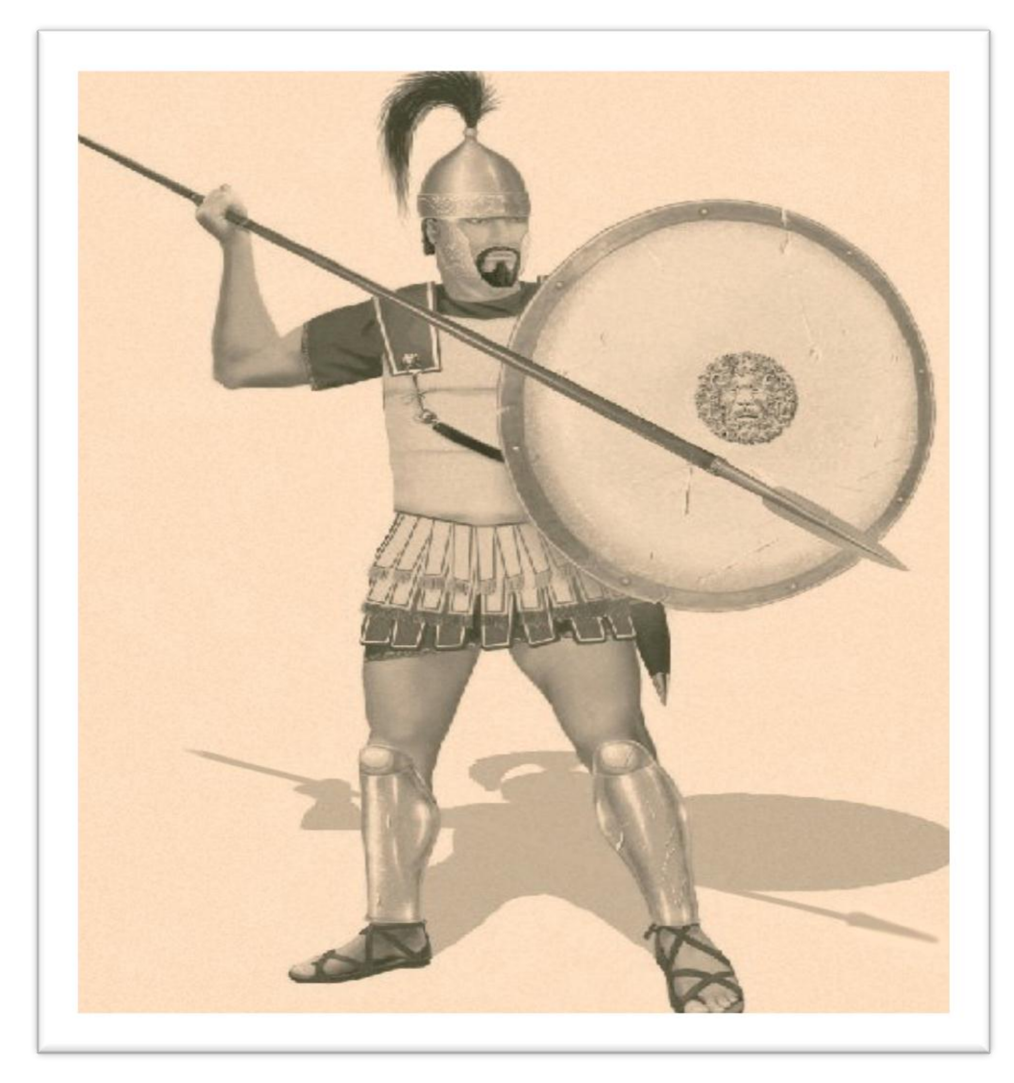
– ظلت الديانة القرطاجية خلال هذه الحقبة فينيقية في جوهرها، لا سيما فيما يخص جانب العقائد، حتى مجمع الآلهة الذي عرف تأثيرات أجنبية وخلق نوع من اللبس في تحديد هويتها، يمكن القول بأنه ظل فينيقي الأصل في معظمه، حيث كان يدور حول فكرة الخصب والإخصاب المتعلقة بالحياة البشرية، ومن ثم يمكن رد الآلهة فيه إلى مبدأين أساسيين هما التذكير والتأنيث، وذلك محاكاة لما هو موجود في المجتمع الفينيقي الشرقي وما التغييرات التي شهدها المظهر الديني، إلا لإعطاء الشرعية للحكومة الجديدة.

– تعد المرحلة الأرستقراطية القرطاجية إجمالا طويلة نسبيا من حيث الزمن مقارنة بالتاريخ الذي عاشته مدينة قرطاج، وكان لها دور مؤثر في حياة المدينة، وفي الحوض الغربي

للمتوسط، حيث ترك بصمات واضحة على الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية، ومع ذلك يبدو لنا بأن عدم تكاثف جهود الطبقة الأرستقراطية في السنوات الأخيرة من حكمها، وتقديم مصالحها الخاصة على العامة، ترتب عليه نتائج خطيرة أضرت بكيان الدولة، وفتح المجال أمام أصحاب التوجه الديمقراطي للسيطرة على زمام الحكم.

– لعلنا من خلال هذا العمل المحدود والمتواضع، نكون قد أبرزنا بعض ملامح دولة قرطاج خلال الحقبة الأرستقراطية، ولفت النظر في جوانب مختلفة من تلك الملامح، وتصحيح الكثير من الأفكار حول هذه الحقبة، ولا ندعي في عملنا هذا الوصول إلى نتائج حاسمة وكاملة غير أننا نأمل بأن نكون قد فتحنا بابا يلج منه الباحثون لدراسات عسى جهودهم تفضى إلى تكميل ما نقص من بحثنا، والوصول إلى حقائق حاسمة.

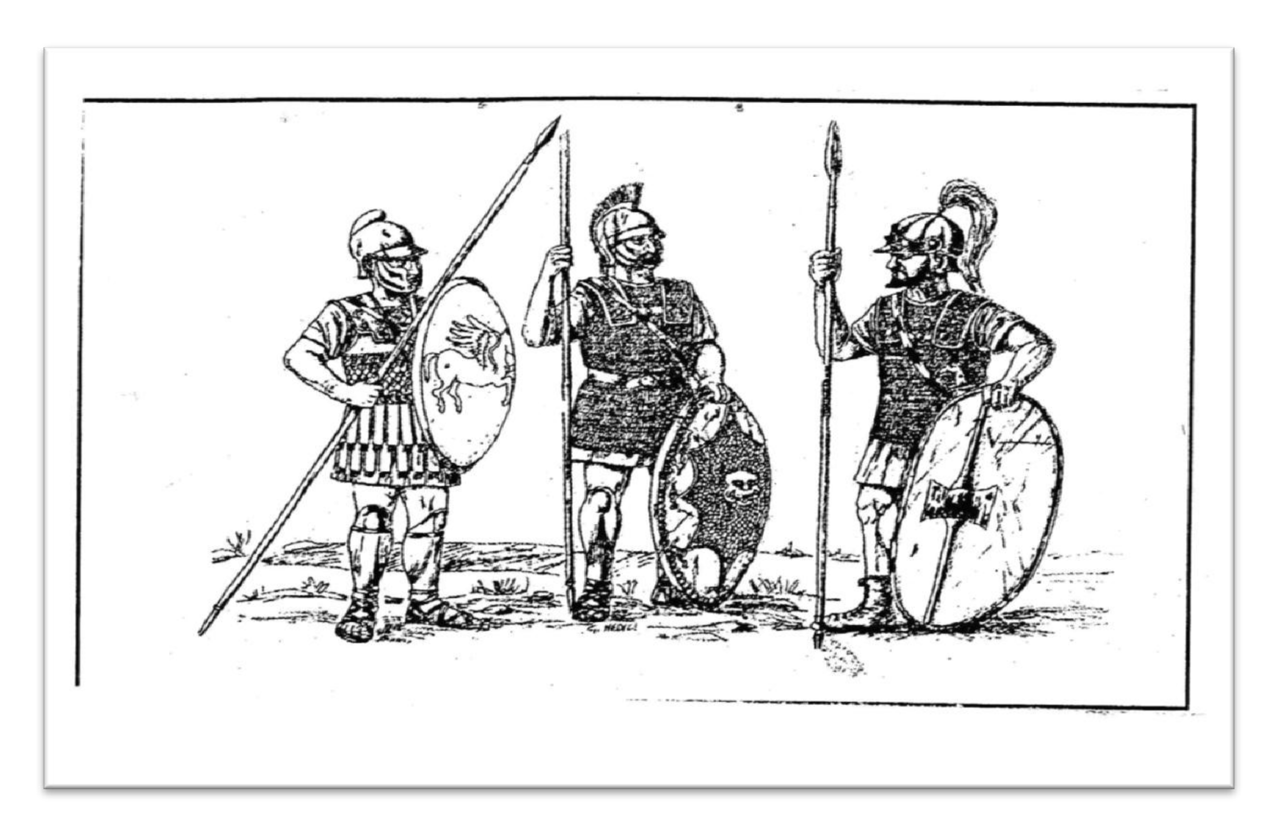
الملاحق



الملحق رقم "1": صورة تمثل جندي قرطاجي من الفوج المقدس خلال القرن الرابع قبل الميلاد

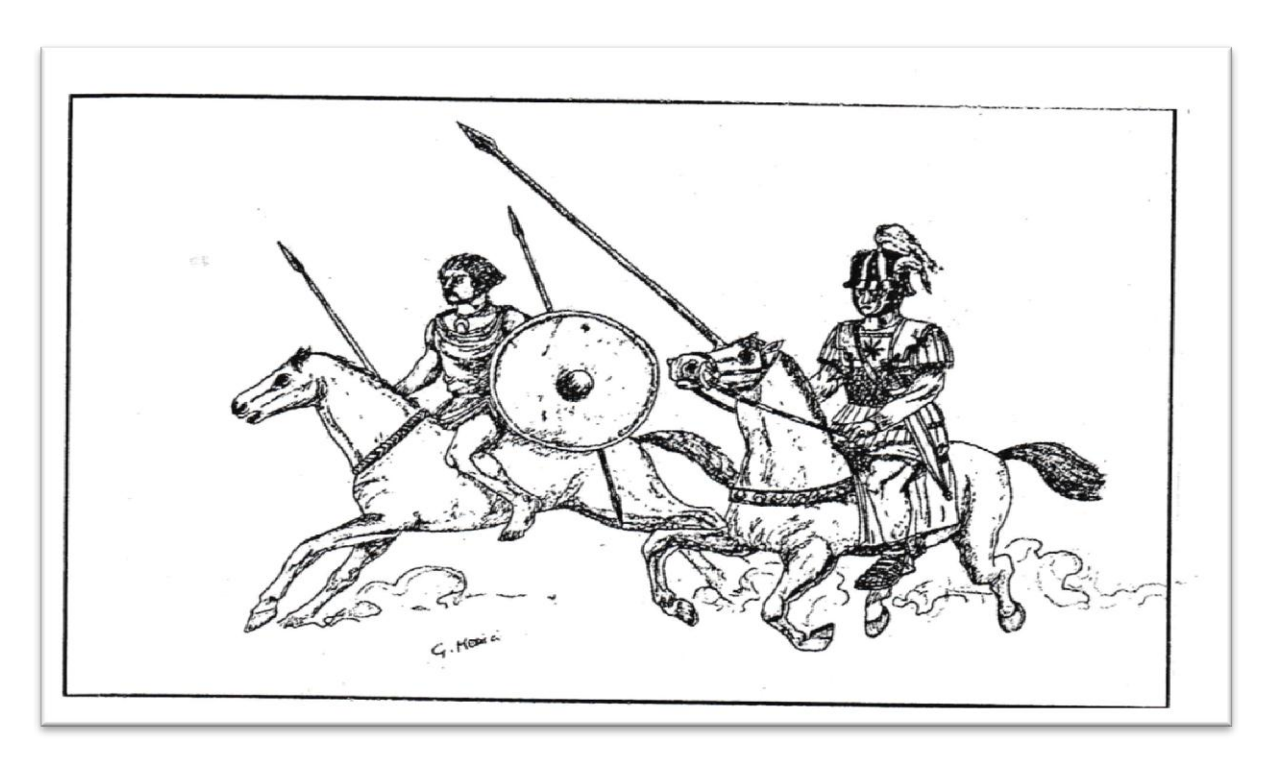
نقلا عن:

- https://www.ancient.eu/image/5189/carthaginian-sacred-band-hoplite- (2020-04-3/7:31)



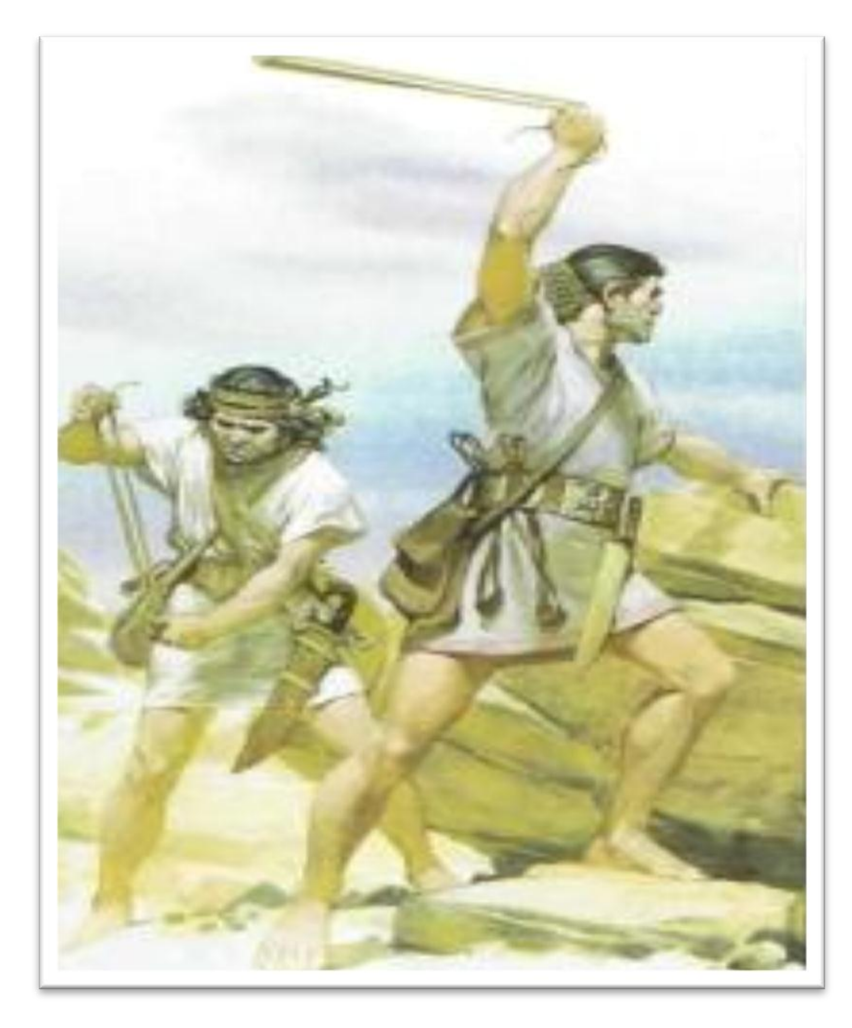
الملحق رقم "2": صورة تمثل جنود مشاة من الليبيون

نقلا عن: – نبيل قلالة، المتوسط الغربي...، المرجع السابق، ص119.



الملحق رقم "3": صورة تمثل فرسان نوميديون

نقلا عن: – نبيل قلالة، المتوسط الغربي...، المرجع السابق، ص 134.



الملحق رقم "4": صورة تمثل جنود مرتزقة صرف مقلاع البليار

نقلا عن:

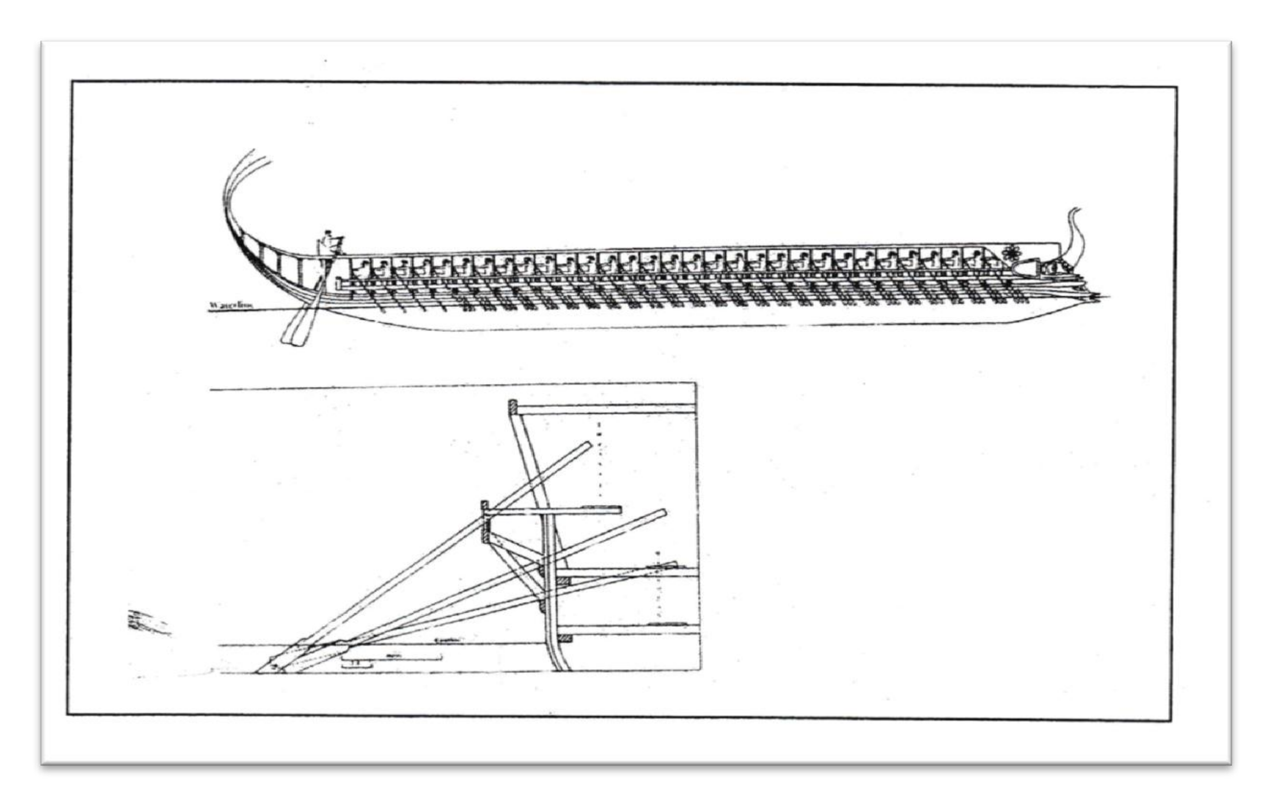
- N. Bagnall, Essential Histories (The Punic Wars 264-146 BC), Osprey Publishing, Great Britain, 2002, p25.



الملحق رقم "5": شكل يمثل نماذج من العملة القرطاجية تعود للفترة (330-300 ق.م)

نقلا عن:

- https://www.ancient.eu/image/5707/carthaginian-silver-tetradrachm/ (2020-07-24/9:20)



الملحق رقم "6": صورة تمثل نموذج لسفينة قرطاجية حربية ثلاثية المجاذف من القرنيين الخامس والرابع قبل الميلاد

نقلا عن:- نبيل قلالة، قرطاج: قوة...، المرجع السابق، ص47.



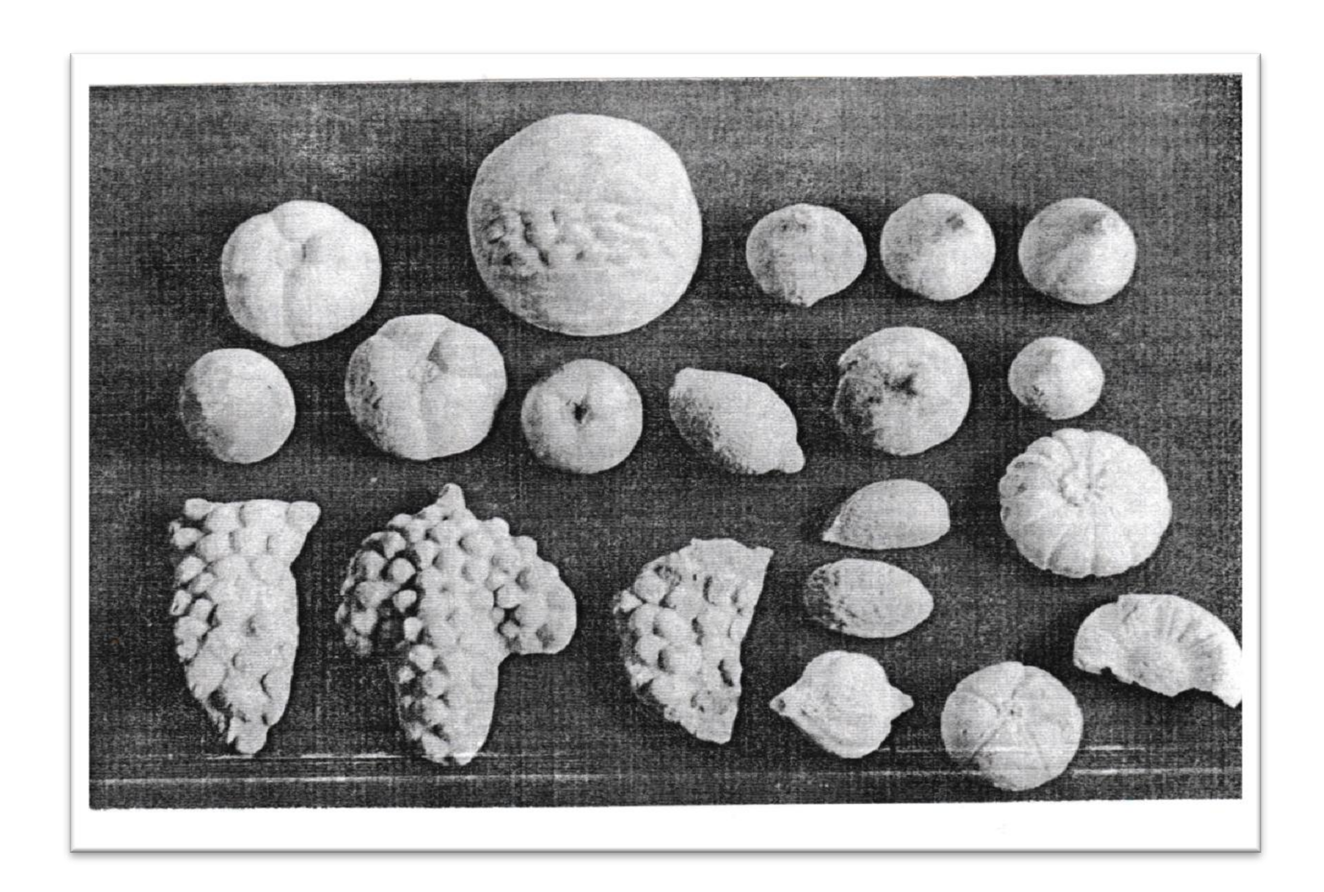
الملحق رقم "7": صورة تمثل ميناء قرطاج حاليا

1- البحرية المستطيلة "الميناء التجاري"

2-البحيرة الدائرية "الميناء العسكري"

3-الجزيرة الدائرية "جزيرة الأميرالية"

نقلا عن: - نبيل قلالة: قرطاج: قوة...، المرجع السابق، ص54.(بتصرف)



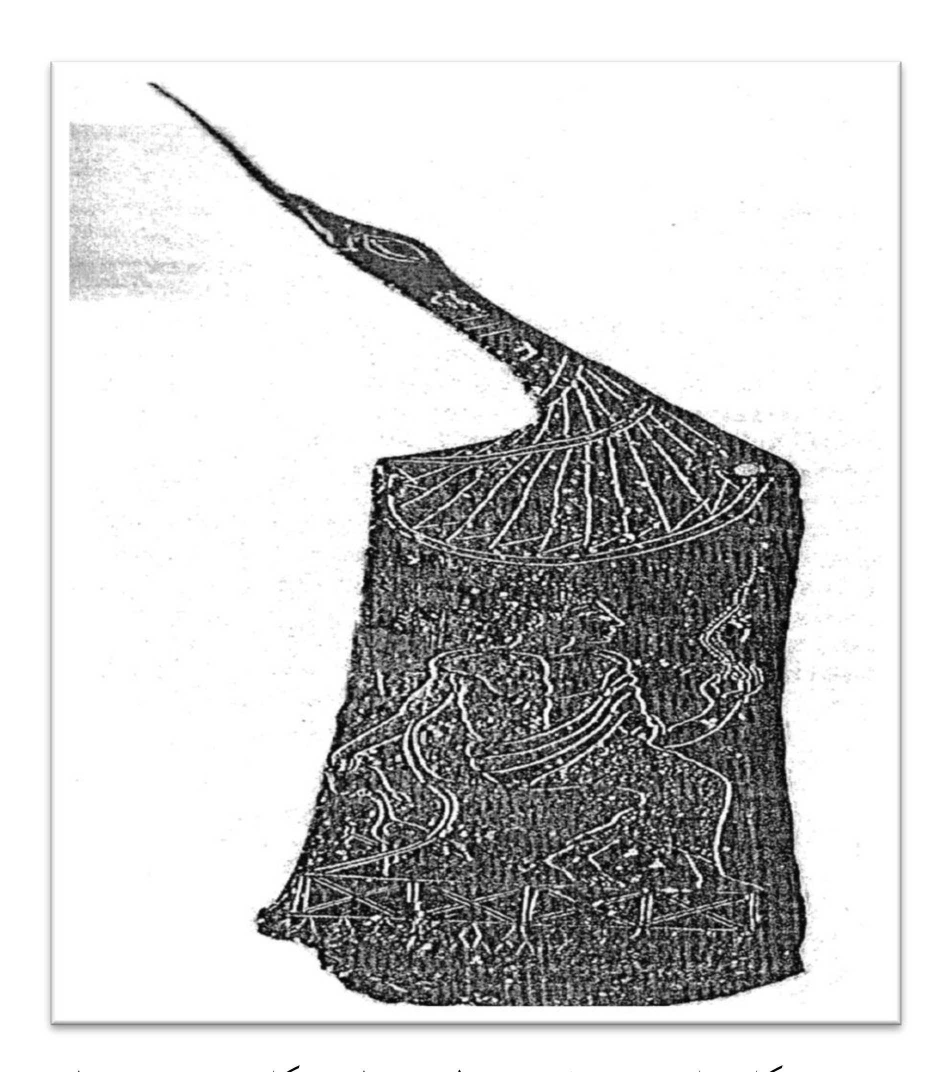
الملحق رقم "8": صورة تمثل خضر وفواكه من طين مفخور ما بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد

نقلا عن: - محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص 33.



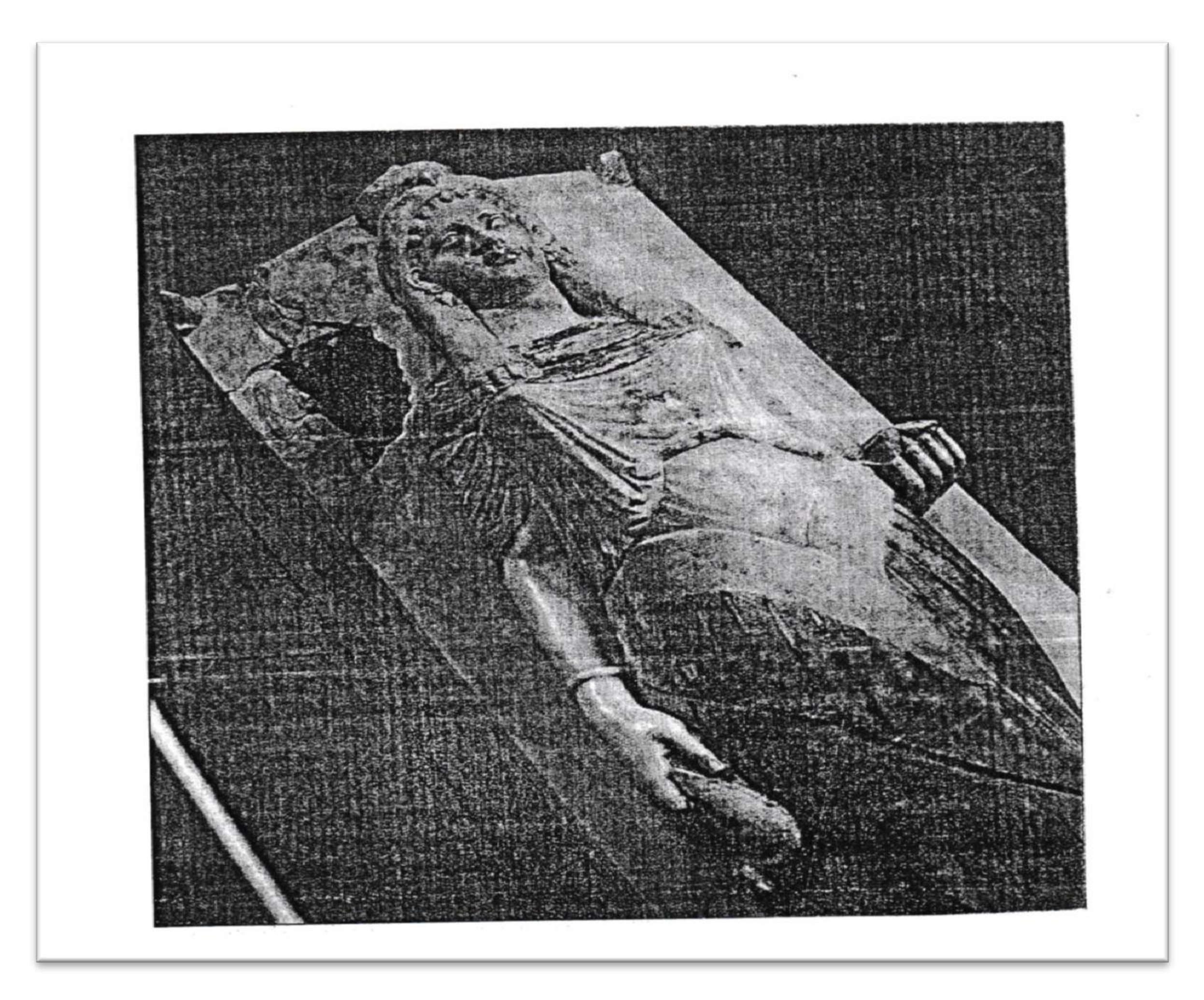
الملحق رقم "9": شكل يمثل نقشية بونية من قرطاج تشير إلى مسؤولين وإداريين وحرفيين تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد

نقلا عن: – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص74.



الملحق رقم "10": شكل يمثل شفرة حلاقة من البرونز على شكل بجعة محفورة عليها هيئة رجل ذات تأثير هليني

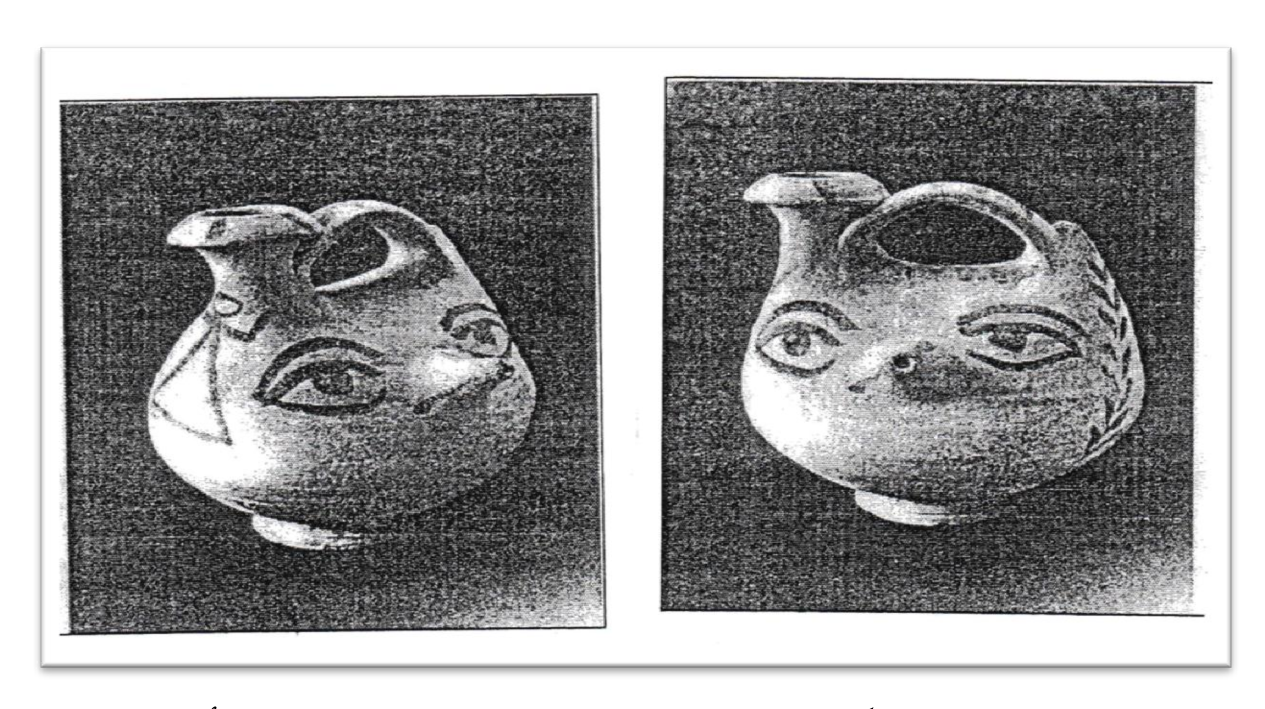
نقلا عن:– فينفريد إللغير، المرجع السابق، ص255.



الملحق رقم "11": شكل يمثل غطاء تابوت يظهر كاهنة مجنحة

نقلا عن:

- H. Slim et autres, Op- Cit, p84.



الملحق رقم "12": شكل يوضح إناء قرطاجي من الفخار مخصص لإطعام الأطفال الصغار تؤرخ من القرن الرابع إلى الثالث قبل الميلاد

نقلا عن:

- A. Ben Abed Ben Khader and D. Soren, Op- Cit, p45.



الملحق رقم "13": شكل يمثل تمائم على هيئة ديالات صغيرة من الزجاج الملون المؤرخة بين القرن الخامس والرابع قبل الميلاد.

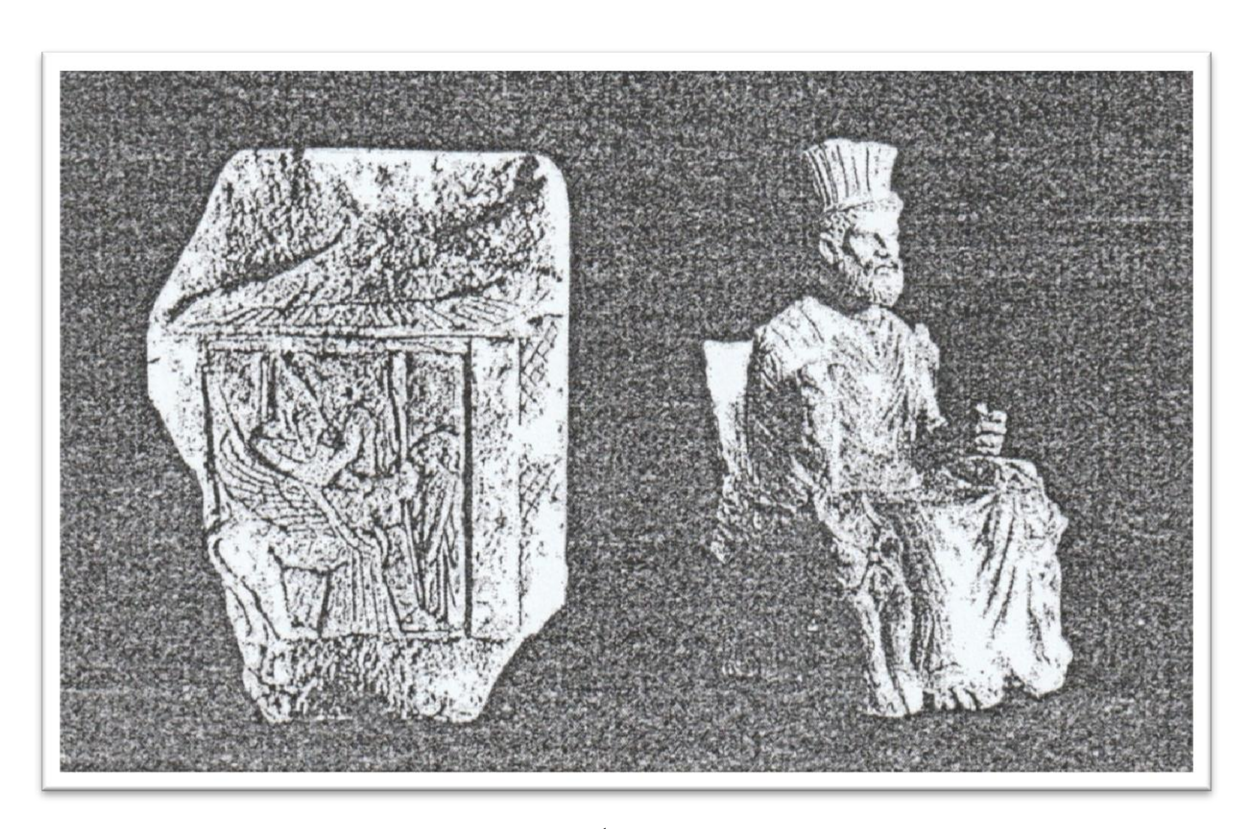
نقلا عن:

- H. Slim et autres, Op- Cit, p112.



الشكل رقم "14": صورة تمثل نماذج لصناعة المجوهرات القرطاجية تعود للقرن الرابع قبل الميلاد

نقلا عن: – محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص84.



الملحق رقم "15": شكل يمثل الإله بعل حمون

نقلا عن:

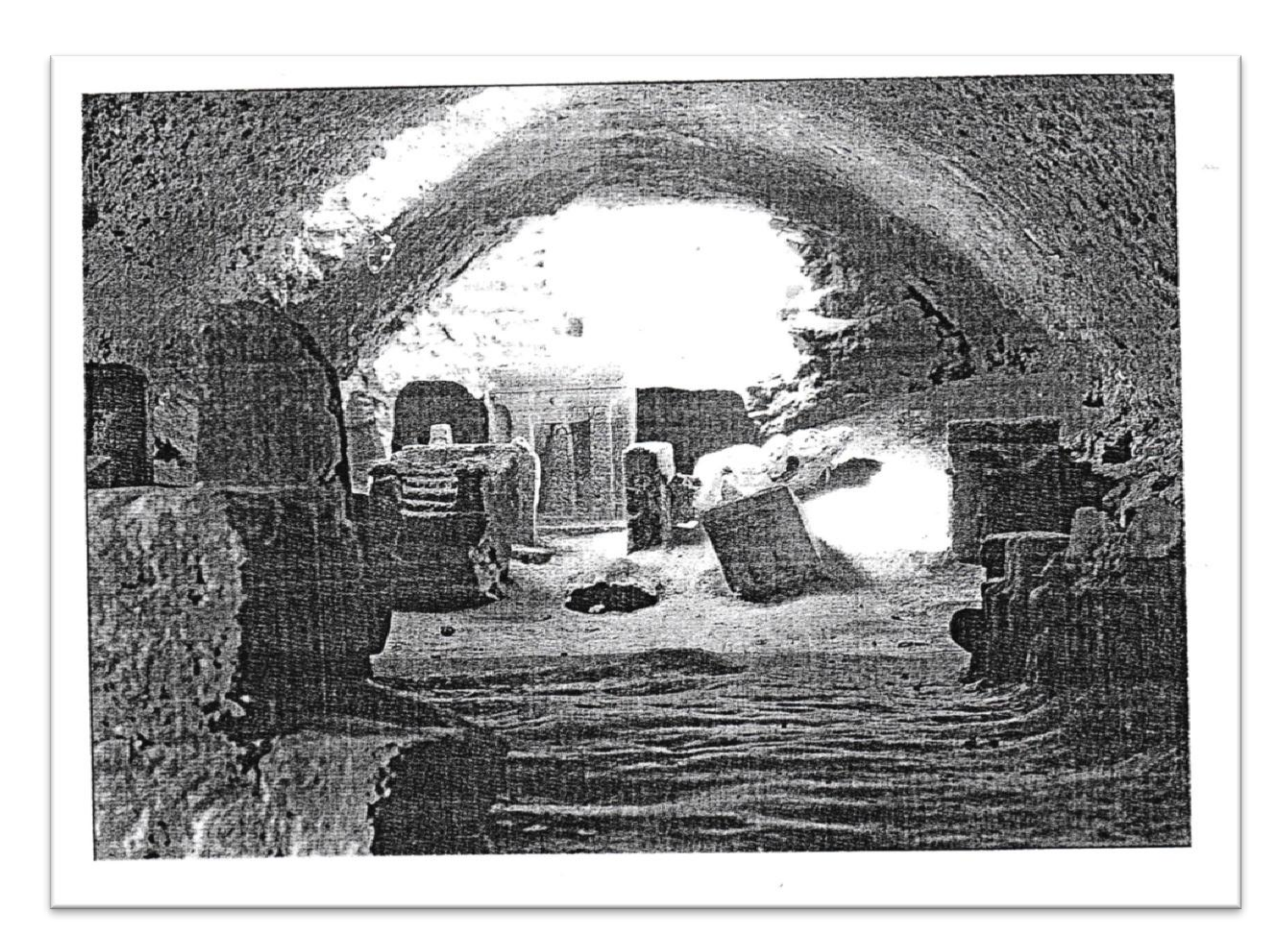
- S. Lancel, Op- Cit, p198.



الملحق رقم "16": صورة تمثل أرضية في المدينة البونية كركوان مزينة بأرصفة فسيفساء بدائية يظهر عليها رمز الربة تانيت.

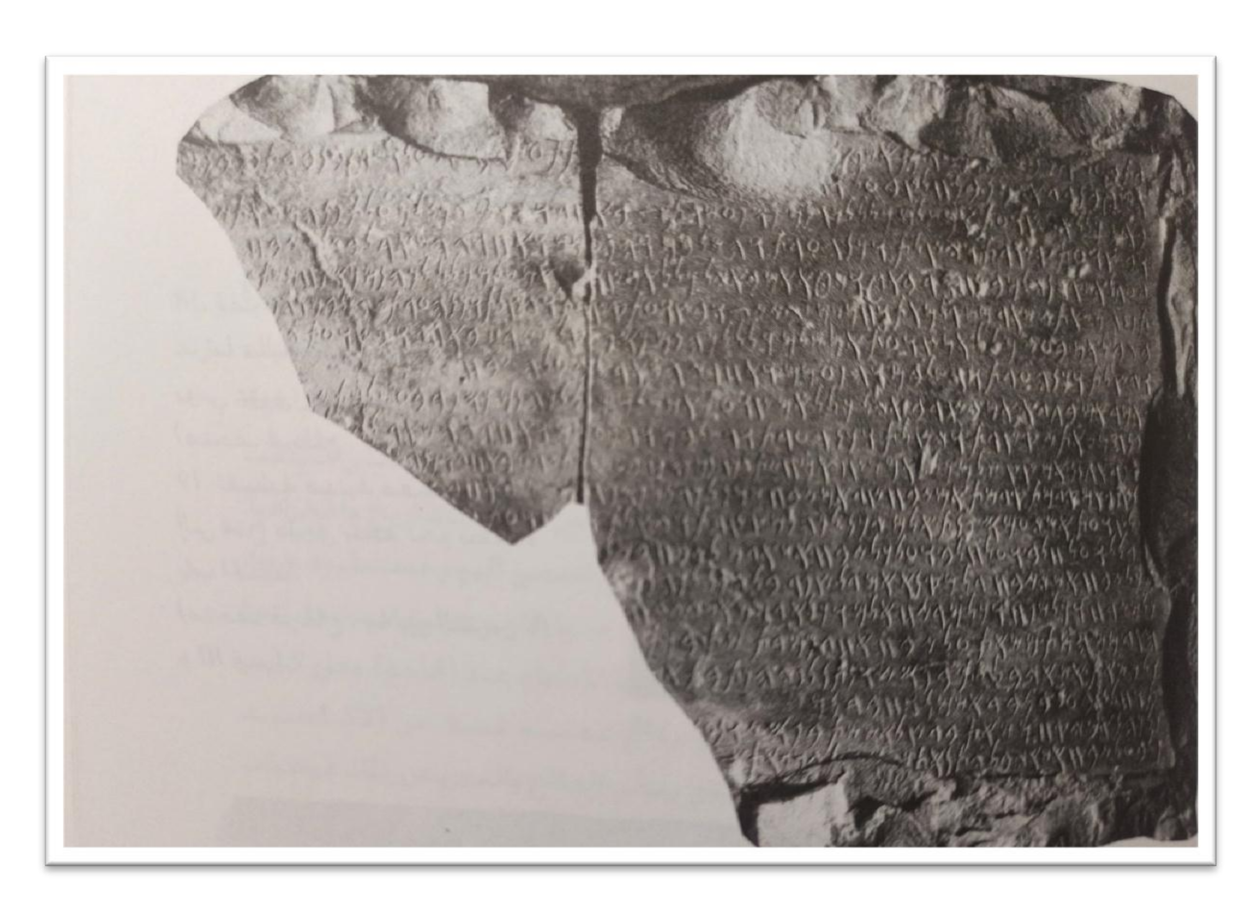
نقلا عن:

- https://www.ancient.eu/image/5054/tanit-mosaic (2020-07-25/8:20)



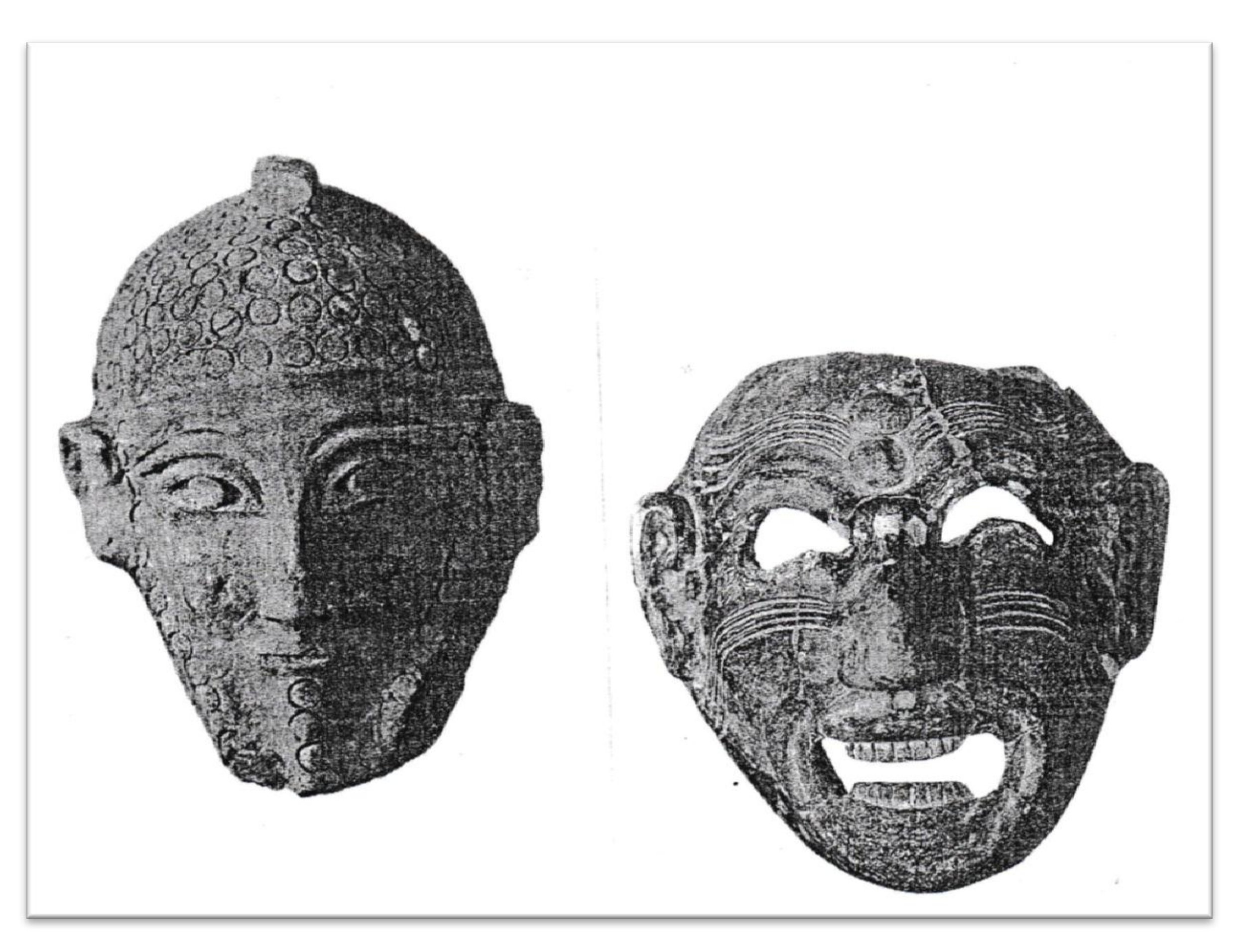
الملحق رقم "17": صورة تمثل توفاة قرطاج

نقلا عن:- محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص66.



الملحق رقم "18": شكل يمثل تعريفة مرسليا

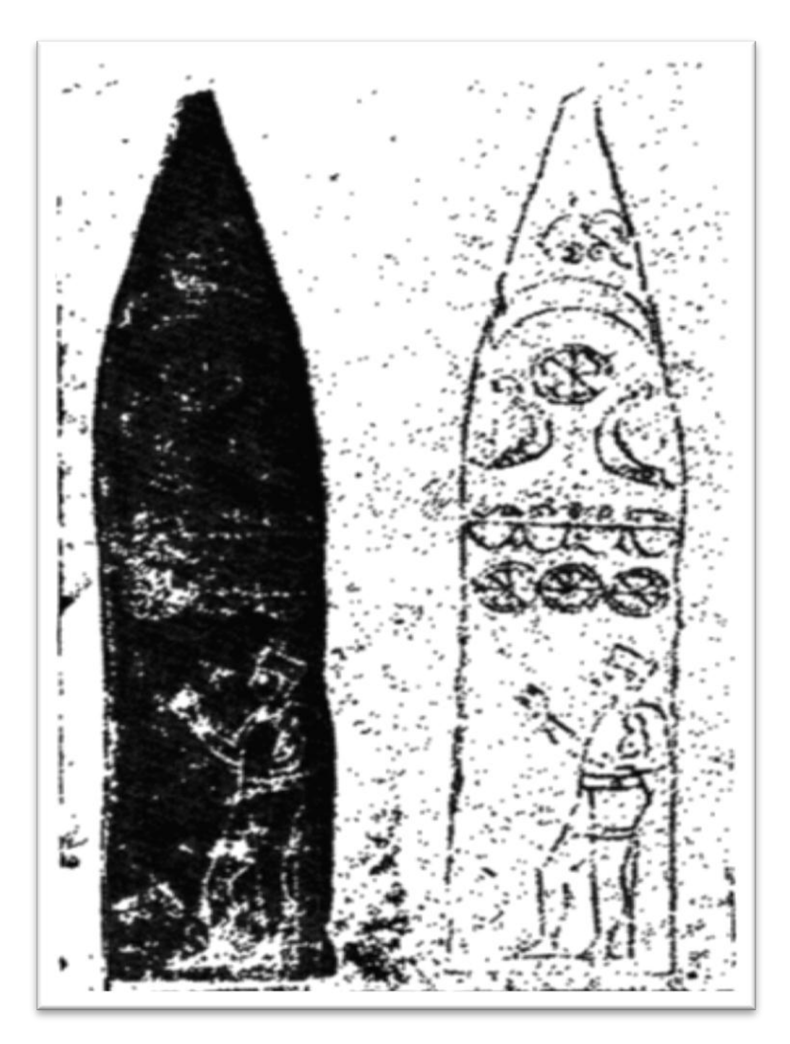
نقلا عن:- محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، المرجع السابق، ص97.



الملحق رقم "19": شكل يمثل أقنعة من طين مفخور من قرطاج نعود للقرن الخامس قبل الميلاد.

نقلا عن:

- H. Slim et autres, Op- Cit, p112.



الملحق رقم "20": شكل يمثل نصب نذري يبين كاهنا يحمل طفلا صغيرا ليقدمه قربانا للآلهة

نقلا عن: – أحمد صفر، المرجع السابق، ص 120.



الملحق رقم "21": صورة تمثل مدينة عالم الموتى مرسومة على جدار من جدران غرفة جنائزية في مدفنة كركوان تعود للقرن الرابع قبل الميلاد.

نقلا عن: - محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص92.



الملحق رقم "22": شكل يمثل نصب من توفاة قرطاج مؤرخ بالقرن الرابع قبل الميلاد

نقلا عن: -محمد حسين فنطر، الحضارة...، المرجع السابق، ص84.

قائمة المصادر والمراجع

أولا) المصادر:

I- باللغة العربية:

1- بن غريون يوسف، تاريخ يوسفيوس، تر: زكريا بن سعيد اليمني، صفحات للنشر والتوزيع، ط1، سورية،2017.

2- سترابون، الجغرافيا، تر: حسان مخائيل اسحق، دار ومؤسسة رسلان ، ط1، سوريا، 2017، XVII.

3- سفر القضاة (العهد القديم)، جمعية الكتاب المقدس ، ط4، لبنان، 1995.

4- سفر حزقيال (العهد القديم)، جمعية الكتاب المقدس، ط4، لبنان، 1995.

5- فرجيل، الإنيادة، تر: عنبرة سلام خالدي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1978.

II- باللغة الأجنبية:

1-Appian, Roman History, Translated by: H. White, (F. R. H), New York, 1899, XIV.XIX.

2- Aristotles, Politics, Translated by: B. Jowett and S. H. Butcher, (L.C. L), (DS), II, III, IV.

3- Diodorus Siculus, Bibliotheca Histories, (L. C. L), London, 1950, Vol,5, XIII. Vol, 6, XIV. Vol,9, XIX. Vol,10, XX. XXIII. Vol,11, XXV.

4- Herodotus, Histories, Translation by: A.D. Godlye, (L. C. L), London, 1921, IV.

5- ___________, Persian Wars, Translated by: G. Rawlinson, (M. L. E), 1942, I.VII.

6- Justinus, Historiae Philippicae, Translated by Rev. J.S.Watson, (F. R. H), 1853. XII, XVIII,XIX.

7-Plato, Laws, Translated by: Benjamin Jowett, (S.D), II.

8- Pliny the Elder, Natural History, Translation by: J. Bostock and H. T. Riley, (F.R. H), 1851, V, XIII.

9- Polybius, Histories, Translation by : H. J. Edwards, (L. C. L) , 1922-1927, Vol,1, I. Vol, 2, III. Vol,3,VI.VII. Vol, 6, XXXVIII.

10- Titius Livius, History of Rome, Translated by: C. Evans,(L. C. L) , London, 1850, VII. XXI. XXIX. XXXIII. XXXIV.

ثانيا) المراجع:

I– باللغة العربية:

1- الأثرم عبد الحميد رجب ، تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، منشورات جامعة قاريونس، ط2، بنغازي، 2001.

2- ــــــــــ ــــــــــــ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، دار الكتب الوطنية، ط 3، ليبيا، 1998.

3- أكرير عبد العزيز، تاريخ المغرب قبل الإسلام (الممالك المورية الأمازيغية قبل الإحتلال الروماني)، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2007.

4- إللغير فينفريد، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسحيين، تر: عيد مرعي، روافد للثقافة والفنون، ط1، سورية، 2008.

5- أمهز محمود، مذكرات في تاريخ المدن الفينيقية، مطبعة كريدية إخوان، (ب ط)، بيروت، 1972.

6- أنديشة أحمد محمد، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراته، 1993.

7- ــــــــــ ــــــــــــ، الحياة الاجتماعية في المرافىء الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية ، مطبعة جامعة التحدي للنشر والتوزيع، (ب ط)، ليبيا، 2008.

8- أيوب ابراهيم رزق الله، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، ط1، لبنان، 1995.

9- بابليون أونست ، الآثار الشرقية للحضارة (كلدية وآشور وبابل وفارس وسورية وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص)،تر:مارون عيسى الخوري ،دار حكمت شريف ، لبنان ،1986.

10- بالطيب محمد الصالح، تونس الأثرية مشاهد من الجو، أليف منشورات المتوسط، (ب ط)، تونس، 2008.

11- براستد جيمس هنري، العصور القديمة، تر: داود قربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط1، (ب م ن)، 1983.

12- البرغوثي عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، دار صادر، (ب ط)، بيروت، 1971، ج1.

13- البركي مفتاح محمد سعد، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس قبل الميلاد حتى منتصف القرن الثالث ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة، مجلس الثقافة العام، (ب ط)، الجماهرية العربية الليبية، 2008.

14- برنهردت كارلهاينز ، لبنان القديم، تر: ميشيل كيلو، قدمس للنشر والتوزيع، ط1، سورية، 1999.

15- بروديل فرناد، البحر المتوسط، تر: عمر بن سالم، منشورات البحر الأبيض المتوسط أليف، (ب ط)، تونس، 1990.

16- بشاري محمد الحبيب، روما وزراعة المقطعات الإفريقية بين 146 ق.م و285م، دار الهدى، (ب ط)، الجزائر، (ب ت).

17- بشي إبراهيم العيد، التوسع العسكري المقدوني من خلال الإسكندر الأكبر (336-232ق.م)، دار هومه، ط1، الجزائر، 2005.

18- بعلي حفناوي، طبقات الأدب النوميدي الإفريقي خمسة آلاف عام من الثقافة في الشمال الإفريقي، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2016.

19- بورونية الشاذلي و الطاهر محمد، قرطاج البونية تاريخ حضارة، أوربيس للطباعة، (ب ط)، قصر سعيد، 1999.

20- بوعلي شوقي خير الله، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، مركز الدراسات العلمية، ط1، تونس، 1992.

21- بولعراس الحبيب، تاريخ تونس (أهم الأحداث والتواريخ من عصور ما قبل التاريخ حتى الثورة)، تر: الصادق بن مهني، سراس للنشر، ط2، تونس، 2015.

22- بيومي مهران محمد، الحضارة المصرية القديمة (الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية)، دار المعرفة الجامعية، ط4، الاسكندرية، 1989، ج2.

23- ـــــــــ ـــــــــ، المدن الفينيقية (تاريخ لبنان القديم)، دار النهضة العربية، (ب ط)، بيروت، 1994.

24- ـــــــــ ـــــــــ، حركات التحرير في مصر القديمة، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة، 1976.

25- ـــــــــ ـــــــــ، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، (ب ط)، الإسكندرية، 1990.

26- تسيركين يولي بركوڤيتش ، الحضارة الفينيقية في إسبانية، تر: يوسف أبي فاضل وجروس برس، ط1، لبنان،1988.

27- الجربي فيصل علي ، الفينيقيون في ليبيا من 1100 ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع، ط1، سرت، 1995.

28- الجنابي قيس حاتم هاني، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2014.

29- جودتشايلد.ج، دراسات ليبية، تر: عبد الحفيظ فضيل الميار و أحمد اليازوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، طرابلس، 1999.

30- جوليان شارل أندري، تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاواليت الثقافية، 2011، تونس.

31- الجوهري يسرى، جغرافية بلاد المغرب العربي، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، 1981.

32- جيروم كاركوبينو ، المغرب العتيق، تر: محمد التازي سعود، نشر أكاديمية المملكة المغربية، (ب ط)، الرباط، 2008.

33- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، الجزائر، 2008.

34- حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم (السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، (ب ط)، الجزائر، 1992.

35- ـــــــــ ـــــــــ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في القديمة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، (ب ط)، الجزائر، 2013.

36- ـــــــــ ـــــــــ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومه، (ب ط)، الجزائر، 2013.

37- أبو حامد محمود الصديق، مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس (ليبيا في التاريخ)، دار المشرق، (ب ط)، بيروت، 1968.

38- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة ، ط1، الرباط، 1984، ج1.

39- حسين أحمد إلياس، سلع التجارة الصحراوية (الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،(ب ط)، طرابلس، 1979.

40- حسين عاصم أحمد، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، (ب ط)، الجيزة، 1998.

41- خشيم علي فهمي، هؤلاء الأباطرة وألقابهم العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، لبنان، 2002.

42- الخطيب محمد، الحضارة الفينيقية، دار مؤسسة رسلان، (ب ط)، سوريا، 2008.

43- الدراجي بوزياني، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، (ب ط)، الجزائر، 2005.

44- دوكريه فرانسوا، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1994.

45- ـــــــ ـــــــ، قرطاجة أو امبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1996.

46- دينزبولم، الحضارات الأفريقية، تر: نسيم نصر، منشورات عويدات، ط3، بيروت، 1988.

47- رايت جون، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تع: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، دار الفرجاني، (ب ط)، ليبيا، 1999.

48- رستم أسد، تاريخ اليونان، دار صادر، (ب ط)، بيروت،1969.

49- زايد عبد الحميد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى 323 ق.م، دار النهضة العربية (ب ط)، القاهرة، 1966.

50- الزريبي الهادي وناس، قابس دورة خليج السرت، مطبعة الجنوب، ط1، قابس،2015.

51- سارتون جورج، العلم القديم في العصر الذهبي لليونان (تاريخ العلم)، تر: جورج حداد وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ج2.

52- ــــــــ ــــــــ، العلم والحضارة الهللنستية في القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد، تر: محمود زايد وآخرون، المركز القومي للترجمة، (ب ط)، القاهرة، 2010،ج5.

53- أبو سعدة حسام ، حضارة قرطاجنة، مكتبة النافذة، ط1، مصر، 2010.

54- أبو سعود صلاح، تاريخ وحضارة الفينيقيين، مكتبة النافذة، ط1، مصر، 2011.

55- سلامة أمين، التاريخ الروماني، دار الفكر العربي ، ط1، القاهرة 1959.

56- الشريف محمد الهادي ، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، ط2، تونس، 1985.

57- ــــــــ ــــــــــــ، تطور الفكر الجغرافي (العصور القديمة)، مكتبة الانجلو، ط1، القاهرة، 1996، ج1.

58- شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، (ب ط)، الجزائر، 2003.

59- الشيخ حسين، الرومان، دار المعارف الجامعية، (ب ط)، الإسكندرية، 1989.

60- صفا محمد أسد الله، أعلام الحرب (هانيبال)، دار النفائس، ط1، بيروت، 1987.

61- صويعي عبد العزيز سعيد، أصول الحرف الليبي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراته، 1999.

62- العبادي مصطفى، مذكرات في التاريخ الروماني، (ب ط)، جامعة بيروت، بيروت، (ب ت).

63- عبد الستار لبيب، الحضارات، دار المشرق، ط14، لبنان، 1986.

64- عبد العليم مصطفى كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، (ب ط)، بنغازي، 1966.

65- عبد الوهاب يحي لطفي، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، (ب ط)، الإسكندرية، 1991.

66- عبده رمضان علي ، الشرق الأدنى القديم وحضارته (منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر) ، دار نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2002، ج1.

67- عزونة جلول، دراسات حضارية عن تونس (أعلام-مدن-كتب)، دار الإتحاف، ط1، تونس، 2001.

68- عصفور محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1981.

69- عكاشة ثروت، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1994.

70- علي عبد اللطيف أحمد، التاريخ اليوناني (العصر الهليلادي)، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1971، ج1.

71- علي عبد اللطيف أحمد، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1970.

72- عماد حاتم، أساطير اليونان، الدار العربية للكتاب، (ب ط)، طرابلس، 1988، ص 2015.

73- عيساوي مها، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم (دراسة تاريخية لغوية حول الواقع الثقافي قبيل الاحتلال الروماني)، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009.

74- عيسى محمد علي، مدينة صبراته منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر، الدار العربية للكتاب، ط1، طرابلس، 1978.

75- غانم محمد الصغير وآخرون، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، (ب ط)، الجزائر، 2007.

76- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، لبنان، 1982.

77- ـــــــ ـــــــ، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى، (ب ط)، الجزائر،2006.

78- ـــــــ ـــــــ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، (ب ط) ، الجزائر، 2003.

79- ـــــــ ـــــــ، نصوص بونية-ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، (ب ط)، الجزائر، 2012.

80- فخري أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة، 1963.

81- الفرجاوي أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، (ب ط)، تونس، 1993.

82- فرحاتي فتيحة، نوميديا (من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213-46 ق.م)، منشورات أبيك، (ب ط)، الجزائر، 2007.

83- فركوس صالح، تاريخ الجزائر مما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، القافلة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، (ب ت).

84- فنطر محمد حسين، المدافن في المغرب الكبير قبل الغزو الروماني (دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (ب ط)، تونس، 1987.

85- ــــــ ــــــ، التربية والثقافة في قرطاج (814 ق.م-698 ب.م)، جريدة الحرية، ط1، الجمهورية التونسية، 2006.

86- ــــــ ــــــ، الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف منشورات البحر الأبيض المتوسط، (ب ط)، تونس، 1999.

87- ــــــ ــــــ، قرطاج (لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية)، كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، (ب ط)، تونس، 1963.

88- فهمي محمود، تاريخ اليونان، مكتبة ومطبعة الغد، (ب ط)، الجيزة، 1999.

89- فيروللو شارل، أساطير بابل وكنعان، تر: ماجد خير بك، مطبعة الكتاب العربي، (ب ط)، دمشق، 1990.

90- قزال استيفان، تاريخ شمال أفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، (ب ط)، الرباط، 2007، ج2.

91- كربخال لمارمول، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، (ب ط)، المملكة المغربية، 1989، ج3.

92- كونتنو جورج الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، (ب ط)، القاهرة، 1948.

93- ليتمان.ج. وروبرت، التجربة الإغريقية حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي 800-400 ق.م، تر: منيرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة، (ب ط)، (ب م ن)، 2000.

94- الماجدي خزعل، الدين المصري، دار الشروق، ط1، الأردن، 1999.

95- ــــــ ــــــ، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق، ط1، عمان، 2001.

96- ــــــ ــــــ، معتقدات رومانية، دار الشروق، ط1، عمان، 2006.

97- مازيل جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، تر: ربا الخش، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سورية، 1998.

98- ـــــ ـــــ ، مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير، تع: نجيب غزاوي، دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 1998.

99- مجموعة من المؤلفين، دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، تر: سعد صائب، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، سورية، 1994.

100- المحجوب عبد المنعم، رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل، دار تانيت، ط2، (ب م ن)، 2016.

101- مخائيل نجيب إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم: سورية والفينيقيون والكنعانيون والأسرائليون والفلسطينيون، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1966،ج3 .

102- المدني أحمد توفيق، قرطاجنة في أربعة عصور (من عصر الحجارة حتى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1986.

103- المطران يوسف الدبس ، تاريخ سورية الدنيوي والديني، دار نظير عبود، (ب ط)، بيروت، 1994، ج1.

104- المناوي أحمد، قرطاج.. الأميرة إليسا والقائد هانيبال (أشهر مدن العالم القديم)، دار الكتاب العربي، ط1، القاهرة،2011.

105- ميادان مادلين هورس، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، منشورات عويدات، ط1، بيروت ، 1981.

106- الميار عبد الحفيظ فضيل ، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط1، ليبيا، 2001.

108- ولز. هـ. ج، في تاريخ الإغريق والرومان ومن عاصرهم (معالم تاريخ الإنسانية)، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، القاهرة، 1994، مج2.

109- ويللارد جيمس، الصحراء الكبرى، مكتبة الفرجاني، ط2، ليبيا، 1995.

110- دويل ويليام، الأرستقراطية (مقدمة قصيرة جدا) ، تر: زينب عاطف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، 2012. (مرجع)

111-سعيد سامي، التحديات في العصرين البابلي الحديث والمتأخر (موسوعة العراق في مواجهة التحديات) ، دار الحرية ، (ب ط)، بغداد، 1988.

112-صفر أحمد ، مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامة، ط1، تونس، 1959،ج1.

113-مجموعة من المؤلفين، جغرافية خليج السرت وإمكانياته التنموية، دار الكتاب الوطنية، ط1، ليبيا، 2015.

114- محروس اسماعيل حلمي، الشرق القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، (ب ط)، الإسكندرية، 1997.

115- الناصري سيد أحمد علي، تاريخ وحضارة الرومان (من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية)، دار النهضة العربية، (ب ط)، القاهرة، 1982.

117- ـــــــــــ ـــــــــــ، الإغريق تاريخهم وحضارتهم (من حضارة كريت حتى قيام امبراطورية الاسكندر الأكبر)، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة.

118- الناضوري رشيد، المغرب الكبير العصور القديمة (أسسها التاريخية الحضارية والسياسية)، دار النهضة العربية، ط1، بيروت،1981.

119- نصحي إبراهيم، تاريخ الرومان، دار النجاح، ط1، بيروت، 1971، ج1.

120- النمس محمود عبد العزيز و أبو حامد محمود الصديق، دليل متحف الآثار بالسرايا (مصلحة الآثار)، الدار العربية، ط1، طرابلس، 1977.

II- باللغة الأجنبية:

1-Cintas. P, Manuel d' archéologie punique, paris,1970, T, 1.

2 -Julien Ch. A, Histoire de I' Afrique du nord des origines à la conquête arabe, 4th Ed, Tunis, 2003.

3-Aubet .M. E, The Phoenicians and the West: Politics, Review by: Roger Wright (C.A.H) , University of Liverpool, 2001.

4- Ben Abed Ben Khader. A and Soren. D, Carthage: A Mosaic Of Ancient Tunisia, New York, 1987.

5- Bury. B, The person empire and the west, (C.A.H), Vol 2, Paris, 1953.

6-Charles. R, The Ancient History of The Egyptians, Carthaginians, Assyrians, Babylonians, Medes and Persians, Macedonians and Grecians, London, Vol 1, 2011.

7- Church J. A and Gilman. A, Carthage: Or the Empire Of Africa, 9nd Ed, London, 1912.

8- Dexter. H, The Carthaginians (Peoples of the Ancient World), New York, 2010.

9- Fantar .M. H, Carthage (la cité punique), Editeur Alif, Tunis, 1995.

10-______ ______, Tunisie (Terre de rencontres et de Civilisation), édité par l'Agence Nationale du Patrimoine et l'Institut National d'Archéologie et d'Arts, Seville, 1992.

11-______ ______, Visite de Carthage, Maison tunisienne d'Edition, Tunisie, 1973.

12-______ ______ , Carthage approche d' une civilisation, Alif les éditions de la méditerranée, Tunis, T, 1, 1993.

13- Gabriel .R. A, Soldiers' Lives through History (The Ancient World), Greenwood Press, London, 2007.

14-Haynes. D.E.L, The Antiquites of Tripoliania, Published by Department of AntiquitiesTripol, 4th Ed, Tripoli, 1981 .

15- Herm. G, The Phoenicians (The Purple Empire Of The Ancient Worrld), Translated By: C. Hillier, 1st Ed, London, 1975.

16- Jerome. T. S , Carthage (En Algérie et en Tunisie), Editeur Ernest Leroux, Paris, 1896.

17- Jonathan. P, Tyrannizing Sicil, the despots woh cried Carthage, Leiden-Boston, 2010.

18- Kimmig, Greek- Carthaginian antagonism As illustrated by the assertion that, (C.A.H), 1983.

19- Lancel. S, Carthage, 2nd Ed, Tunis, 1999.

20- Michael. F, Between Rome and Carthage Southern Italy during the Secon Punic War, (C.A.H),New York, 2010.

21– Modoul. A. D, Tyrant battles of Carhage versuse 480- 276 B.C, Hanford, 2012.

22- Mommsen. T, The History Of Rome, Abridged By: C. Bryans and F. Hendy, 1st Edition, U. S. A, 1960.

23- Moscati. S, The World of the Phoenicians, Translated from the Italian By: A. Hamilton, London, 1968,

24- Motley. M.P, Africa (Its Empires, Nations, and People), Detroit, 1969.

25- Parrot . A et autres, L'expansionphémicienne (Carthage), Editeur Gallimord, Paris, 1975.

26- Picard. G and Ch, Daily Life In Cartage At The Time Of Hannibal, Translated From By: A.E. Foster, London, 1961.

27– Rostovtzeff. M, Rome (History of the Ancient World), Translated From the Russianby: J.D. Duff, 2nd Ed, Oxford, 1933, Vol, 2,

28 - Slim. H et autres, Histoire Générale De La Tunisie (L'Antiquité), Sud Editions,2 éme Ed, Tunis, 2015, T, 1.

29- Sznycer. M, Carthage et la civilisation punique dans Rome et la conquête du monde Méditerranéen (Genése d' un empire), Paris, 1978, T, 2,Vol, 1.

30- Warmington. B.H, Carthage, London ,1960.

31- Wilcken. V.R and Borza. E. N, Alexander the Great, New York, 1967.

32-Boardman. J, The Greeks overseas Their early Colonies and Trade, 4th Ed, London, 2005, p190.

33-Dureau. M, Recherche sur la topographie de Carthage, Editeur De L'institut Rue Jacob, Paris, 1835.

34-Griffiths. J, New Light on Ancient Carthage, Mican, Press, (S D).

35-Pilkington. N, An Archaeological History of Carthaginian Imperialism, Columbia University, 2013.

36-Powell. E. A, In Barbary: Tunisia, Algeria, Morocco and The Sahara, New York, 1926.

ثالثا) الدوريات والجرائد:

I- باللغة العربية:

1- أبو عجيلة محمد، "المتحف البونيقي بصبراته"، مجلة آثار العرب، (ب م ن)، ع 4، الربيع 1992.

2- بوصبيع عمر، "المحاولات الإصلاحية للأخوين جراكوس وانعكاساتها على الأوضاع العامة للجمهورية الرومانية (133-121ق.م)"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، ع11.

3- جانيف مولاي محمد، "إشكالية التفسير في علم الآثار ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاجة نموذجا"، مجلة دراسات تاريخية، (ب م ن)، ع 77-78، 2002.

4- الجنابي قيس هاني حاتم، "الإسكندر المقدوني ومشروعه العالمي في بابل"، مجلة بابل، مركز بابل للدراسات التاريخية والحضارية ، العراق، ع1، مج5، 2015.

5- حامد أحمد، "من مظاهر الحياة العائلية في المجتمع الكنعاني الفينيقي، مجلة دراسات تاريخية، (ب م ن)، ع 79-80، 2002.

6- الحمداني ماجد أحمد علي، "الفينيقيون في شرق وغرب البحر المتوسط"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العراق، ع 57، 28 فيفري 2017.

7- السويح الطاهر، " حنبعل (العودة الثانية)"، مجلة الحياة الثقافية، تونس، ع80، ج21، ديسمبر 1996.

8- العقون محمد العربي، "من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237 ق.م)"، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع 21، جوان 2004.

9- عيسى محمد علي، "الفن في منطقة شمال إفريقيا"، مجلة التراث الشعب، (ب م ن)، ع1، 1992.

10- غانم محمد الصغير، "نظرة في العلاقات الحضارة الفينيقية الليبية من خلال المصادر المادية"، مجلة سرتا، قسنطينة، ع10، 1988.

11- الفتلاوي صباح كريم رياح، "نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي دراسة مقارنة"، مركز دراسات الكوفة، الكوفة، ع10، 2008.

12- فرزات محمد حرب، "الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في سوريا القديمة"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع41، 42، 1992.

13- فنطر محمد حسين، "كلمة بونيقية أو بونية"، مجلة الفكر، تونس، ع27، 4-01-1982.

14- مكاوي فوزي، "الفيل الإفريقي ودوره في الحروب القديمة"، مجلة الدراسات الإفريقية، القاهرة، ع6، 1977.

15- ـــــــ ـــــــ، "المعبودات والعبادات في قرطاج"، البحث العلمي، المغرب، ع32، مج17، نوفمبر1981.

16- ـــــــ ـــــــ، "تطور نظام الحكم في قرطاج"، مجلة الدراسات الإفريقية، القاهرة، ع 8، 1979.

17- ـــــــ ـــــــ، العلاقات بين بين روما وقرطاج ورما قبل اندلاع الحروب البونيقية، "مجلة كلية الآداب"، ع2، جامعة طنطا، 1985.

18 -ريغي مراد، "معركة هيميرا 480 ق.م وبداية الصراع الإغريقي القرطاجي مع إغريق صقلية"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، (ب م ن)، ع 7، 2016.

19-الميار عبد الحفيظ فضيل، "ظاهرة استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس خلال العصر الروماني"، مجلة آفاق تاريخية، طرابلس، ع1، 1996.

20- ـــــــ ـــــــ، "ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية"، مجلة آثار العرب، (ب م ن)، ع11، 12، 1999.

II-باللغة الأجنبية:

1- Basset. H, "Les Influences Puniques chez Les Berbères", **(R. Af)**,Alger, N° 62, 1921, p343.

2- Carton. L, Le port marchand de Carthage, **(R.A)**, Paris, (Renet et S. Renach), T XVIII, 1911.

3- Cintas. p, "fouille punique à Tipaza", **(R. Af)**, Alger, Vol, 92, 1948, p275.

4- Fevrier J.G, "Essai de reconstitution du Sacrifices Molokh", **(J. A)**, Paris, N° 248, 1962.

5- Garcia. A, "Les mercenaires espagnols dans les armées carthaginoisesau moment de la bataille de Zama ", **(R.Af)**,Tunisie, Vol, 3 et 4, 1969-1970.

6- Harden. D, "The Phoenicians On The West Coast Of Africa " , **(A.Q. R. A)**, Englan, N° 87, September, 1948

7- Horn. F, "Espagne les derniéres découvertes phéniciennes en: Les dossiers d'archéologie" **(H.S),** Paris, N° 13, novembre, 2007, p69

8-Howgego. C, "Ancient History From Coins", **(A.J.A)**, American, Vol, 105, 2001.

9- Jaque. H, " l'Agronome Carthaginois Magon et ses Traducteurs en latin et en Grec", **(C.R. A.I),** N°3, Vol, 120, 1967

10- Scullard. H.H," The African Elepant", **(N. C)**, London, Vol, 11, N° 42, 1951.

11- Tarn. W.W, "The Fleets of the First Punic war", **(J. H. S)**, London, Vol, 27, 1907.

رابعا) الأبحاث والدراسات:

أ- الأبحاث:

1- بريس. ف. ن، القرطاجيون وإمبراطوريتهم البحرية (تاريخ العالم) ، تر: عبد الفتاح صدقي، مكتبة النهضة المصرية، (ب ط) ، القاهرة، (ب ت) ، مج3.

2- البقلوطي حبيب، دور اللوبيين في حرب المرتزقة 241-238 ق.م (المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي)، بيت الحكمة، (ب ط)، تونس، 1999.

3- فنطر محمد حسين، الحضارة في قرطاج (تونس عبر التاريخ-العصور القديمة) ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، (ب ط)، تونس، 2007، ج1.

4- ________ ، دستور قرطاج ينوه به أرسطو (تونس أعلام ومعالم)، الوكالة القومية للتراث، (ب ط)، تونس، 1997.

5- قلالة نبيل، المتوسط الغربي: رهان الصراع القرطاجي الروماني 241-146ق.م (تونس عبر التاريخ- العصور القديمة) ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، (ب ط) ، تونس، 2007، ج1.

6- ـــــــــ ـــــــــ، قرطاج: قوة متوسطية (تونس عبر العصور- العصور القديمة)، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، (ب ط)، تونس، 2007،ج1.

7- ميزر ج. ل، الأتروريون والقرطاجيون أصلهم وتكاثرهم (تاريخ العالم)، تر: فؤاد أندراوس، مكتبة النهضة المصرية، (ب ط)، القاهرة، (ب ت)، مج2.

8- هامرتون.أ. السيرجون ، العصر اليوناني المتأخر (تاريخ العالم)، تر: فؤاد أندوراس، مكتبة النهضة المصرية، (ب ط)، القاهرة، (ب ت)، مج3.

9- ـــــــــ ـــــــــ، بداية سلطان روما (تاريخ العالم)، تر: أحمد علي، مكتبة النهضة المصرية، (ب ط)، القاهرة، (ب ت)، مج3.

10- وارمنجتون. هـ. ب، العصر القرطاجي (تاريخ أفريقيا العام)، تر: السيد أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون، جين أفريك-اليونسكو، (ب ط)، (ب م ن)، 1985، مج2.

ب- الدراسات الأكاديمية:

1- زراد فريد، البحرية التونسية من العهود القديمة إلى عهد الولادة، (أعمال ندوة تاريخ الجيش التونسي من العهود القديمة إلى عهد التحول)، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 30-31أكتوبر1997.

2-كابر القاسم بن محمد، الرسوم والنقائش السخرية في موريتانيا ، (المؤتمر العربي الثالث عشر للأثار النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي)، الجماهرية العظمي، طرابلس، 1-7 أكتوبر 1995.

3- مجاني عز الدين، قراءات نقدية حول أحداث معركة زاما ومصير حنبعل، (أشغال الملتقى الوطني حنبعل وروما ومصير إفريقيا)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 1-2 مارس 2020.

4- مكيد إبراهيم، صاغنتة بين استلاء حنبعل واسترجاع الرومان (أشغال الملتقى الوطني حنبعل وروما ومصير إفريقيا)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 1-2 مارس 2020.

خامسا) الموسوعات والمعاجم:

أ-الموسوعات:

I- باللغة العربية:

1- ايمار أندريه و أوبوايه جانين، روما وامبراطوريتها (تاريخ الحضارات العام) ، تر: فريد. م. داغر وفؤاد. ج. أبو ريحان، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 1986، مج2.

2- البدري جمال، الحضارة الفارسية القديمة (موسوعة الحضارات القديمة)، دار النفائس، ط2، لبنان، 2015.

3- بورتر هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدوبلي، ط1، القاهرة، 1991.

4- التوري ميلود، الأمازيغية والفينيقية وبينهما العبرية واليونانية (سلسلة اللغات المغاربية)، المطبعة، ط1، خنيفرة، 2009.

5- ديورانت ويل، حياة اليونان (قصة الحضارة)، تر: محمد بدران، (ب ط)، بيروت ، (ب ت)، ج1، مج2.

6- ـــــــ ـــــــ، قيصر المسيح أو الحضارة الرومانية (قصة الحضارة) ، تر: محمد بدران، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، (ب ط) ، بيروت، (ب ت) ، ج1، مج3.

7- ريحانا سامي، الأشوريون – الفرس (موسوعة أساطير وشعوب العالم)، دار نوبليس، ط 1، بيروت، 2014، مج4،

8- ـــــــ ـــــــ، الفينيقيون- الفراعنة- شعوب شمال أوروبا- وأفريقيا وأوقيانيا (موسوعة أساطير وشعوب العالم) ، دار نوبليس، ط1، بيروت،2014، مج3.

9- ـــــــ ـــــــ، الهند وأوروبيون-اليونان-الهون (موسوعة أساطير وشعوب العالم)، دار نوبلس، ط1، بيروت، 2014، مج5.

10- ـــــــ ـــــــ، مقدمة عن تاريخ الحضارات (موسوعة أساطير وشعوب العالم) ، دار نوبلس، ط1، بيروت، 2014، مج1.

11- شيخة جمعة، الحضارة القرطاجية – القرطاجيون (موسوعة الحضارات القديمة) ، دار النفائس، ط2، لبنان، 2015.

12- عيد عاطف، تونس بين الأمس واليوم (قصة وتاريخ الحضارات العربية) ، اللجنة العلمية للنشر، (ب ط)، لبنان، 1999،ج21، مج11.

13 – فنطر محمد حسين، الفنيقيون بناة المتوسط (الموسوعة المتوسطية) ، أليف منشورات البحر الأبيض المتوسط، ط1، تونس، 1998.

14- ــــــــ ــــــــ، الفينيقيون وقرطاج (الموسوعة المتوسطية)، أليف منشورات المتوسط، ط1، الجمهورية التونسية، 2005.

15- قرقوتي حنان، الحضارة الفينيقية (موسوعة الحضارات القديمة)،دار النفائس، ط2، لبنان، 2015.

16- الصادق النهيوم وآخرون، الحضارة المينوية واليونان الكلاسيكية (بهجة المعرفة- مسيرة الحضارة)، مر: شاكر مصطفى، الشركة العامة للنشر والتوزيع، (ب ط)، طرابلس، 1982، مج1.

18- النيهوم الصادق، ليبيا من القرن السابع قبل الميلاد حتى سقط قرطاجة (سلسلة تاريخنا)، دار التراث، (ب ط)، بيروت، 1977، ج2.

19- ــــــــ ــــــــ، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد (سلسلة تاريخنا)، دار التراث، (ب ط)، بيروت،1977، ج1.

20- هاردن دولاند ، الديانة الفينيقية (موسوعة تاريخ الأديان)، تر: ثائر ذيب، منشورات دار علاء الدين، (ب ط)، (ب م ن)، (ب ت).

II-باللغة الأجنبية:

1-Ogrizek. D, North Africa, (W.C.S), London, 1996.

ب- المعاجم:

I- باللغة العربية:

1- المحجوب عبد المنعم، ليبيا القديمة، دار الاتحاد للنشر والتويع، ط1، تونس، 2018.

2- عبودي. س. هنري، معجم الحضارات السامية، جروس برس، ط2، لبنان، 1991.

II- باللغة الأجنبية:

1- Mourre. M, Dictionnaire Encyclopédique d' histoire, Bordas, 1978, p2208.
2-Bricout. J, Dictionnair des connaissances Religieuses, paris, T, 5, 1927.

سادسا) الأطروحات والرسائل الجامعية:

1- أسيمه مصباح علي أحمد، "إقليم المدن الثالث وعلاقته بالمملكة النوميدية 606-46 ق.م"، (ماجستير)، إشراف أ.د. عبد الحفيظ الميار، كلية الآداب والعلوم، جامعة المرقب، (ب ت).

2- الأمين علي الأمين، "العقائد الفينيقية في المدن الطرابلسية من العصور الأولى ق.م وحتى القرن الأول ق.م"، (ماجستير)، إشراف أ.د محمد السيد عبد الغني، كلية الآداب جامعة الزقازيق، 2006.

3- اندش لطيفة التهامي، "الديانة القرطاجية وتأثرها بالديانات الأخرى (814-146 ق.م)"، (ماجستير)، إشراف. د. احمد محمد أنديشة قسم التاريخ، جامعة 7 أكتوبر – مصراته، 2008.

4- بومعقل الحاج أحمد مولاي، "مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا: الزراعة، الديانة واللغة من القرن الثالث إلى 146 ق.م"، (ماجستير)، إشراف أ.د شافية شارن، قسم التاريخ، جامعة يوسف بن خدة- الجزائر، 2008-2009.

5- حجازي عبد العزيز عبد الفتح عمر، "البحرية القرطاجية (دراسة في دورها الحربي)"، (دكتوراه)، إشراف لطفي عبد الوهاب يحي وشوقي عطا الله الجمل، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، فبراير 1985.

6- خلايلي ابراهيم خليل، "مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية المصادر التاريخية – المصادر الأثرية- النقائش"، (شهادة الدراسات المعمقة)، إشراف أ.د. محمد حسين فنطر، قسم التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1995.

7- سلاطنية عبد المالك، المستوطنات الفينيقية-البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، (دكتوراه)،إشراف أ.د محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري-قسنطينة، (ب ت).

8- الشريف عبد الناصر علي بلقاسم، "الديانة الفينيقية في شمال إفريقيا، إشراف"، (ماجستير)، أ. د. عبد الحفيظ فضيل الميار، قسم التاريخ، جامعة قاريونس، 2005.

9- عيساوي مها، "المجتمع اللوبي في بلاد المغرب من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي"، (دكتوراه)، إشراف: أ.د محمد الصغير غانم، قسم التاريخ، جامعة منتوري-قسنطينة، 2009-2010.

10- كحيل البشير، "الحضور البوني في نوميديا (814-146 ق.م)"، (ماجستير)، إشراف د. إبراهيم العيد بشي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011-2012.

11- مليزي ريمة، "قرطاجة والبحر (814-146 ق.م)" ،(ماجستير)، إشراف د. محمد الهادي حارش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2-، 2010-2011.

12- مغاري نوال، "قرطاجة والليبيون 814-146 ق.م"، (ماجستير)، إشراف أ.د. محمد الهادي حارش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر-2، 2013.

سابعا) المحاضرات:

1- جاد الله فوزي فهيم، المعارك والمواقع الهامة بين الليبيين والمستعمرين الإغريق والرومان، "نص محاضرة ألقيت في قاعة ابن غلبون بمركز الجهاد" ، طرابلس 1981.

ثامنا) المواقع الإلكترونية:

1-http://www.attalus.org/info/justinus.html,(2019 -07-13/ 16:17).

2-https://www.ancient.eu/image/5189/carthaginian-sacred-band-hoplite-
(2020-04-03/7:31).

3-https://www.ancient.eu/image/5707/carthaginian-silver-tetradrachm/
(2020-07-24/9:20).

4-https://www.ancient.eu/image/5054/tanit-mosaic (2020-07-25 /8:20).

5-https://www.facebook.com/Badriamylove/photos/a.1001063423331734/
(2020-08-28/12:40).

الفهارس

أولا) فهرس الخرائط والأشكال:

1- فهرس الخرائط:

2- فهرس الأشكال:

ثانيا) فهرس الأعلام:

1- فهرس بأسماء الأشخاص:

(أ)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

2- فهرس بأسماء الآلهة والمعبودات:

3- فهرس بأسماء الشعوب والقبائل:

4- فهرس بأسماء البلدان والمدن:

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(هـ)

(ي)

فهرس المحتويات

الفصل الثالث:

النظام العسكري ومجال نشاطه في قرطاج الأرستقراطية

الفصل الرابع:

الحياة الاقتصادية في قرطاج الأرستقراطية

الفصل الخامس:

الحياة الدينية في قرطاج الأرستقراطية

الفهارس:

ملخص الأطروحة :

ملخص أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

تخصص: تاريخ المغرب القديم

بعنوان: قرطاج خلال المرحلة الأرستقراطية (480-237 ق.م)

تقديم الطالب: محمد العيد تلي

إشراف الأستاذ الدكتور: محمد رشيدي جراية

وضعت قرطاج منذ نشأتها أسس قوية لحكمها تطور من خلالها التنظيم السياسي عبر عدة مراحل حضارية مختلفة، بداية من الملكية إلى الأرستقراطية إلى الديمقراطية، حيث تبلور بهذا الشكل نتيجة للتحديات التي مرت بها المنطقة، ولا نستبعد أن المرحلة الأرستقراطية مثلت إحدى أهم مراحل تاريخ قرطاج ومنطقة البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة.

شكل وصول الطبقة الأرستقراطية للحكم في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، "وهي عبارة عن طبقة من ملاك الأراضي عرفت بالأرستقراطيين" حدثا مهما في تاريخ الدولة القرطاجية، حيث عرفت قرطاج تغيرات جوهرية، خلال هذه الحقبة، ويعود سبب وصولهم إلى الحكم بالدرجة الأولى نتيجة لظروف المنافسة والصراع مع الإغريق في الحوض الغربي للمتوسط، وما نجم عنه من أضرار لقرطاج في كافة المجالات، وما إن وصل الأرستقراطيين للحكم حتى بدأوا في إدخال تعديلات على النظام السياسي والعسكري والاقتصادي والديني، مما أفسح المجال لتكوين إمبراطورية عظيمة مترامية الأطراف، كان لها من القوة ما جعلها تسيطر على الحوض الغربي للمتوسط حوالي قرنيين ونيف من الزمن.

وتهدف هذه الدراسة إلى مراجعة وإعادة النظر فيما كتب حول هذه الحقبة من فرضيات ودراسات، ومحاولة تقديم قراءة تاريخية للمرحلة الأرستقراطية وفق رؤية جديدة، تقطع قدر الإمكان التقاليد السائدة المتوارثة حول كثير من الموضوعات المرتبطة بها، التي كرستها كتابات القدامى من الإغريق واللاتين، ورسختها أغلب الدراسات الأوربية الحديثة لاسيما الفرنسية منها، والتي ظلت الكثير من الأبحاث العربية تنساق وراءها لحد الآن.

فما قمنا بدراسته و البحث عنه في هذه الأطروحة هو قراءة و إستقراء لما وصلنا من مادة علمية، وذلك من خلال تتبع الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية المتعلقة بالمرحلة الأرستقراطية في قرطاج.

الكلمات المفتاحية: قرطاج، الأرستقراطية، ماغون، هملكار، الدستور، الجيش، الزراعة، التجارة، الميناء، بعل حمون، تانيت، الأضاحي والقرابين.

Un résumé de la thèse soumise pour obtenir un doctorat
Spécialité : L'histoire du Maroc antique
Titré : Carthage pendant l'étape Aristocratie (480- 237 BC)
Fournir à l'étudiant: Mohammed Laid Telli
Direction du prof .Dr: Mohammed Rouchdi Djerraya

Depuis sa création, Carthage s'est développée, des développements fortement organisés ont surgi à travers différentes étapes de la civilisation, de la monarchie à l'aristocratie en passant par la cristallisation populaire de cette manière aux défis que la région a traversés, et ce qui nous a semblé l'étape aristocratique, les étapes les plus importantes de l'histoire méditerranéenne de Carthage dans l'Antiquité.
.

L'arrivée de l'aristocratie au pouvoir au milieu du cinquième siècle avant JC, qui est une classe de propriétaires terriens connus sous le nom d'aristocrates, a constitué un événement important dans l'histoire de l'État carthaginois, car Carthage a subi des changements fondamentaux au cours de cette période, et la raison de leur accès au pouvoir en premier lieu est due aux conditions de concurrence et de conflit avec Les Grecs dans le bassin occidental de la Méditerranée, et les dommages qui en résultent à Carthage dans tous les domaines, et dès que les aristocrates sont arrivés au pouvoir, ils ont commencé à introduire des amendements au système politique, militaire, économique et religieux, ce qui a ouvert la voie à la formation d'un grand et tentaculaire empire, qui avait le pouvoir qui le faisait contrôler. Le bassin occidental de la Méditerranée a environ deux siècles ou plus.

Cette étude vise à passer en revue et à passer en revue les livres sur cette époque en termes d'hypothèses et d'études, et d'essayer de fournir une lecture historique de la scène aristocratique selon une nouvelle vision qui rompt autant que possible les traditions héritées dominantes sur de nombreux sujets connexes, qui étaient enchâssés dans les écrits des anciens Grecs et Latins, et établie par la plupart des études Européen moderne, surtout français, derrière lequel une grande partie de la recherche arabe a été menée jusqu'à présent.

Ce que nous avons étudié et travaillé sur la recherche dans cette thèse est une lecture et une extrapolation de ce que nous avons reçu du matériel scientifique, à travers le suivi des situations politiques, militaires, économiques et religieuses liées à l'aristocratie à Carthage

Les mots clés: Carthage ; Aristocratie; Magon; Hummelkar; la Constitution; Armée; Agriculture; Commerce; Port; Baal Hammon; Tanit; Animaux sacrificiels et alkarabin.

Short Summary Of Doctorate Thesis
Specality : Ancient Maghreb History

Title : Carthage During The Aristocratic Period (480 - 237 BC)
Presented By The Student: Mohammed Laid Telli
Supervision prof .Dr: Mohammed Rouchdi Djerraya

Since its foundation, Carthage put strong bases for its ruling system with which the government system was developed in many steps and different civilizational stations.Beginning with the Monarchy then the Aristocracy to the Democracy.The governing system was shaped this way due to the challengs lived in this area.It seemed that the Aristocratic era was the important one in the Carthaginian and Mediterranean ancient history periods.

The arrival of the Aristocrats to the power in the mid fifth century BC, who acted as a rank of land lord known by Aristocrats, was a very important action in the Carthaginian state history because this later knew substantial changes during the period under analysis.

The arrival of the Aristocrats to rule was turned to the challenge and competition between them and the Greek in the western Mediterranean pool in first place, and to the damages resulted in all sectors.

Since their arrival to power, the Aristocrates started numerous adjustments in the political, military, economic, and religious system, which led to the foundation of a gigantic Empire that had a big power that made of it the most powerful force in the western Mediterranean pool during two centuries and a half.

This study's goal is to review the hypotheses and studies that were written about this period, and to submit a historical view about the Aristocratic period with a new vision, as much as possible to cut with the hereditary and prevailing traditions tied to the Aristocratic period. These traditions were dedicated by the ancient Greek and Latin studies and cemented by the majority of the European studies, especially the Frensh and the Arabic researches led behind it till now.

Our aim in this thesis is a reading and induction to the study we had got. During our analysis we follow the political, military, economic, and religious statues concerning the Aristocratic era in Carthage.

Keywords: Carthage; Aristocratic; Magon; Hamilcar; The Constitution**;** The Army; The Plantation; The Commerce; The Seaport; Tanit; Sacrifices & Offerings; Baal Hammon.